محمّد الصالح الضاوي

الوهابية
في قفص الإتهام

بحث نقدي لكتاب التوحيد

للشيخ محمد بن عبد الوهاب

بحوث في:
العبادة، الطاغوت، القضاء، عظمة التوحيد،
نصوص الوعد، تحقيق التوحيد، تكثير السواد، التوسّل
في فكر ابن عبد الوهاب

نشر

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الوهابية في قفص الاتهام

الإهداء

إلى

جيل الشباب...السنّة...

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الّذين حمّلهم الآباء والأجداد حملا ثقيلا

وإرثا مسموما..

نكّد عليهم عيشهم المشترك

وحوّلهم أعداء بعد أن كانوا إخوانا..

أقول لهم:

انفضوا عنكم هذا الحمل...

وانظروا إلى الأمام لا إلى الوراء..

اعزموا على رفض الخلاف..

هو أقرب للتقوى

المقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الّذي بطن في ظهوره، وظهر في بطونه، وتجلى بكلّ شيء لكلّ شيء، وليس معه شيء، فالشيء مفقود في صورة موجود، فلا تقع العين على شهود الغير، إذ الغير مستحيل، فهو الشاهد والمشهود، وهو الظاهر بكلّ موجود.

والعارفون بربّهم لم يشهدوا شيئا سوى المتكبّر المتعالـي

فالكلّ دون الله لو حقّقتـه عدم على التفصيل والإجمال

ونصلّي ونسلّم على سيدنا وحبيبنا محمّد وعلى آله وصحابته أجمعين، وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

أمّا بعد،

فإنّ الله سبحانه وتعالى، ابتلانا في هذا الزمان، بفتنة الوهابية، أتباع الشيخ محمّد بن عبد الوهاب - رحمه الله وغفر الله لنا وله - الّذي جمع أفكارا ودعا الناس إليها، فأصبحوا يعتقدون أنها أساس التوحيد والحق، وأن كل من خالفهم كان مشركا كافرا، وإن دنا منهم منزلة كان جاهلا، وجب إقامة الحجة عليه، واستتابته ومن ثم قتله إن لم يتبعهم. وإن لم يقدروا على إنزال عقوبة القتل به، هجروه وقاطعوه وأعلنوا مباغضتهم له.

وقد اتفق أن قرأنا كتاب التوحيد هذا، فما وجدنا غير آيات قرآنيّة وأحاديث شريفة، واستنباطات منها، عبارة عن رؤوس أقلام وعناوين، لا ترتقي إلى مستوى التحليل والشرح والفهم والتفصيل. فعجزنا عن فهم الكتاب، فضلا عن نقده والردّ عليه، لأننا ما وجدنا شيئا يفهم من الشيخ ابن عبد الوهاب.

والحقيقة التي لا غبار عنها، أن الشيخ ابن عبد الوهاب كان قد استعمل أسلوبا فريدا في الكتابة، لا سابقة له في التآليف التي تعتني بالعقيدة، فهو كتب كتابا لكنه لم يكتب كتابا، بمعنى أنه كتب كتابا، إذا ما قرأته لا تجد نصّ الكتاب، وإنما تجد عناوين فقط، تلزمك بفتح باب الاجتهاد على مصراعيه لفهم مقصد المؤلف. فمهما كانت قراءتك لمتن الكتاب، ومهما كان فهمك لهذا المتن، فأنت في شكّ دائم واتهام متواصل لعقلك وفهمك وملكة التمييز فيك، علّك توصّلت إلى نتيجة مخالفة لمقصد الكاتب الّذي بقي سرّا مكتوما.

ويرجع سبب ذلك إلى اقتفاء الكاتب لطريقة البخاري في مصنّفه، حتى أنه قيل: "فقه الإمام البخاري في تراجمه وأبوابه، وفقه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كتاب التوحيد في تراجمه ومسائله." وهذا الحكم بعيد عن الصحّة من وجه واحد على الأقلّ، وهو:

قصد البخاري في كتابه جمع عدد من الأحاديث النبويّة، ويظهر تدخّله في تصنيفها وإيراد الأبواب لها، مع إضافة مقدمات لها في بعض الأبواب، وهذا يظهر عصارة فقه الرجل أي استنباطه. فإذا ما أردت تجريد الكتاب من فقه الرجل، والاكتفاء بالأحاديث النبويّة، لا يطالبك أحد بالتمسّك بفقه البخاري وبتخريج الأبواب والكتب فيه، بل إن المتن، الّذي هو الأحاديث النبويّة، والذي هو أصل الكتاب والغرض من إحداثه، لا يسقط بأيّة حال، ولا يخالطه شبهة. وبالتالي فإنك لست ملزما بأخذ مقصد المؤلف الذي هو البخاري.

أمّا في مثالنا الحالي، فإن محمّد بن عبد الوهاب، ظنّ أن أسلوب البخاري جائز له في استعماله في تصنيفه، فقلّده من حيث أن التقليد قد أضرّ به، فوقع في الإشكال والمتشابه والفتن. فكتاب التوحيد متنه هو الاستنباط، فلا يستطيع القارئ تجنب استنباط الرجل وتدخله في الآيات والأحاديث، لأنها هي أساس الكتاب، وجوهره. فإذا ما أردت أن تفعل نفس ما فعلته بصحيح البخاري، فتكتفي بالمتن دون تدخل المؤلف، فإنك لا تستطيع ذلك.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

فالبخاري جعل استنباطه عناوين فقط لأنها على هامش المتن الذي هو واضح كلّ الوضوح، فمن فهم مقصده واستنبط منه فقها فيا حبّذا، ومن عزف عن ذلك، فلا مضرّة في ذلك، فإنه يكتفي بالمتن فقط، أي أحاديث رسول الله صلّى الله عليه وسلّم. أمّا محمد بن عبد الوهاب، فإنه جعل المتن كلّه استنباطا وعناوين، فإذا ما تخلصت منها لم يبق لك شيء من الكتاب سوى بضع آيات وأحاديث، لك أن تفسّرها كما فعل المفسّرون دون الالتزام بمقصد المؤلف.

لذلك قلنا أن كتاب المؤلف غير موجود، لأن قصد المؤلف غير واضح، فما ثمّ إلا عناوين ورؤوس أقلام.

وحتى يفهم القائ صعوبة ما واجهناه في فهم كلام المصنّف، نقول: المصنّف ابن عبد الوهاب اختار لكلّ فصل عنوانا، ولا نعلم سبب تقديمه لفصل على آخر، فقصده سرّ مكتوم، كذلك اختياره للآيات والأحاديث في كلّ فصل يرجع إلى سرّ في قلب المصنّف، نجهله كلّ الجهل، خاصّة وأنّه يورد الآية التي يختارها ويقف عند اللفظة التي يختارها منها، ولا ندري لماذا هذا الاختيار، ولماذا الوقوف عند هذا الحدّ؟؟ وقد كان بالإمكان اختيار آيات أخر، وكذا في الأحاديث، ولكننا نستسلم لمقصد المؤلف الذي بقي مجهولا طيّ الكتمان. ونفس الأمر في استنباط المسائل، فإنه لا يعلم عن كيفيتها شيء، كلّ ذلك اختفى مع المؤلف رحمه الله.

وقد يقال لنا: إن المصنّف درّس الكتاب لطلابه وشرحه لهم، فنجيب: أين هذا الشرح؟؟ وأين هذه الدّروس؟؟ ومن أين نعلم مقاصد المؤلّف إن لم نسمعها منه؟؟ ثمّ ماذا عسى طلاب علم صغار أن يقولوا لسيّدهم، وهو يدرّسهم كتاب التوحيد؟؟ فإذا كان فطاحلة المذهب الوهابي إلى الآن لا يفهمون بالضبط مغزى الشيخ ومقصده حول مسائل معيّنة، فما بالك بطلاب علم؟؟؟

وبعد كلّ هذا الجهل بمقاصد المؤلف، يقول لك: اتبعني وتعلّم منّي التوحيد، وإذا ما خالفتني فإنك مشرك كافر!!.

كيف أتبع رجلا، كتب كتابا، لا نعلم كم بابا فيه، ولا معنى أبوابه، ولا متى كتبه أصلا، لأن صاحبه فضّل أن يجعل ذلك سرّا من أسرار الله؟؟؟.

قال عليّ بن خضير الخضير، الشارح، حول عدد أبواب كتاب التوحيد:

"المصنف قال: كتاب التوحيد، ثم سرد الآيات ولم يقل باب، في حين أن الذي بعده قال: باب فضل التوحيد، فأيهما الباب الأول: هذا، أم باب فضل التوحيد؟ وهذا هو سبب الخلاف في عدد أبواب كتاب التوحيد، هل هذا الذي معنا هنا هو مقدمة وما بعده هو الباب الأول، أم هذا هو الباب الأول؟، ولأقرب من صنيع المصنف أنه اعتبر هذا هو الباب الأول وباب فضل التوحيد هو الباب الثاني فقد قال في تاريخ نجد ص ٤٠٨ (في رسالة كتبها إلى بعض طلابه تكلم فيها عن تفاضل الناس في التوحيد والعلم، فقال: إن هذه المسالة من أكثر ما يكون تكرارا عليكم وهى التي بُوّب لها الباب الثاني في كتاب التوحيد) اهـ والباب الثاني هو الذي فيه ذكر التفاضل"

ويقول حول الاختلاف في معنى الفصل الأوّل:

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

" ما هو قَصْد المصنف من هذا الباب؟

تكلم الحفيد سليمان في ص٥٠ من كتاب التيسير في قصد المصنف من هذا الباب فقال: (ولما ذكر المصنف معنى التوحيد ناسب ذكر فضله وتكفيره للذنوب). اهـ

وعلى ذلك فالحفيد سليمان يرى أن الباب الأول بوّب لبيان معنى التوحيد، أما الحفيد الثاني والشيخ حمد فلم يذكرا ماذا قصد المصنف من هذا الباب حسب علمي، لكن الذي يظهر لي أن المصنف لم يقصد هذا المعنى الذي اختاره الحفيد سليمان."

ثمّ يقرّر الشارح:

"وإنما أراد المصنف أن يبين عظم شأن التوحيد وبيان أهميته ومكانته ومن ثم يمكن أن نقول إن قصد المصنف من هذا الباب هو (بيان مكانة التوحيد وأهميته وعظم شأنه وحُكمِه)"

وحول تاريخ كتابة الكتاب، يقول الشارح عليّ بن خضير الخضير:

" اسم الكتاب بالكامل (كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد) والمشهور تسميته على الاختصار باسم: كتاب التوحيد.

وقد ألفه الشيخ رحمه الله بعد وفاة والده في بلدة حريملاء بعد عام ١١٥٣ هـ (تاريخ نجد ص ٨٤) وذكر الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله في سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مجموعة الرسائل (٣ / ٣٨٠) أنه ألف كتابه التوحيد في حريملاء، ولعل هذا هو التأليف الرسمي الذي أظهر فيه الكتاب، أما تأليف الكتاب كمسودة وبداية فقد كان قبل ذلك في مدينة البصرة، قال الحفيد عبد الرحمن في رسالته في الرد على عثمان بن منصور في الدرر السنية (٩ / ٢١٥): إن جده ألف في مدينة البصرة كتاب التوحيد الذي شهد له بفضله وبتصنيفه القريب والبعيد، أخذه من الكتب التي في مدارس البصرة من كتب الحديث اهـ ففي البصرة بداية التأليف ثم أظهره في حريملاء رسميا ودرسه وشرحه لطلابه هناك معلنا بداية دعوته السلفية المباركة. وراجع منهاج التأسيس ص ٩."

نعم، قد يستغرب القارئ من هذا الكلام، ولكنّه حقيقة مرّة، لا يذكرها الشراح بكثرة، وإذا ما مرّوا بها مرّوا كراما، وعدّوها من عبقريّة الشيخ ومن فضائل علمه الغزير. ولو أن مجموعة من العلماء لا يعرفون كتاب التوحيد، أمددناهم بنصه، على ما هو عليه، بلا شرح ولا مقدّمات، ثمّ طلبنا منهم تقييمه، لظنوه مسودّة طالب علم لم يرتق إلى الدرجة النهائيّة، ولأبرزوا لنا من الأخطاء ما يندي لها الجبين، ولما استحق هذا النصّ عددا مشرفا يؤهله للارتقاء!!.

نحن لا نقول هذا الكلام من باب الافتراء على الرجل، بل لأننا قرأناه، وبحثنا عن فهم له، ولم نرد فهمه بعقولنا وبوسائلنا، وإنما بحثنا عن أقرب الناس له، الذين فهموه، وشرحوه، فاستفدنا منهم، وقلنا: نحن فهمنا الفهم الّذي أراده الشراح لنا. ولم نكتف بذلك، بل إننا بحثنا عمّن يجزم لنا أنه عرف نيّة المؤلف وقصده، حتى يكون نقدنا له لا لفهمنا عنه.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وقد منّ الله علينا بكتاب عنوانه: **"الجمع والتجريد في شرح كتاب التوحيد للشيخ العلامة محمد بن عبد الوهاب رحمه الله "القسم الأول - لجامعه فضيلة الشيخ: علي بن خضير الخضير، عفى الله عنه وعن والديه وأهله ومشايخه وطلابه وجميع المسلمين - القصيم - بريدة، قدم له فضيلة الشيخ العلامة: حمود بن عقلاء الشعيبي، حفظه الله ورعاه، وقف لله تعالى على المستفيدين منه، لا يُتّجر به ولا يُتكسب من ورائه"**.

ومحتوى هذا الكتاب: معالجة القسم الأوّل من كتاب التوحيد، الّذي يقول عنه الشارح:

" الكتاب الذي سوف نشرحه إن شاء الله كتاب التوحيد وطريقتنا في الشرح أو خطة الشرح هي:-

الأصل في الشرح على كتاب تيسير العزيز الحميد لحفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وهو سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله؛ وإذا كان هناك إضافات وزوائد أضفناها من كتابي الحفيد الثاني وهو عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب رحمه الله (كتاب فتح المجيد، وكتاب قرة عيون الموحدين) ثم كتاب الشيخ حمد بن على بن عتيق رحمه الله واسمه إبطال التنديد، هؤلاء الثلاثة وهم الحفيدان والشيخ حمد رحمهم الله أحسن من شرح كتاب التوحيد.

مع ملاحظة أنني إن شاء الله سوف أضيف كلام المصنف رحمه الله نفسه مما هو موجود في الدرر السنية أو كتاب تاريخ ابن غنام ترتيب ناصر الدين الأسد، أو مما في رسائل المصنف مما هو شرح أو تفصيل أو تقييد لكلامه هنا، وهذا مهم جدا، ويساعد على شرح كلام المصنف بكلامه نفسه في المواضع الأخرى، وأحسن الشروح أن تشرح كلام الشخص بكلامه الآخر، لأنه أدرى بكلامه من غيره، وبما أنه جمع لكلام المصنف من هنا وهناك وجمع لكلام طلابه وجمع للقضايا المعاصرة وجمع للمذكرة المتداولة التي يسر الله لي فيها شرح كتاب التوحيد، لهذا فقد سميته الجمع على تقصير مني وضعف ثم حرصت حسب فهمي واجتهادي أن أُجرد و أُرتب الكلام وأُهذبه فكان اسمه الجمع والتجريد ،وهناك معنى آخر لكلمة التجريد أي أننا جردنا الكتاب في مسائل التوحيد والعقيدة فقط دون مسائل الفقه ونحوها.

والسبب في اختيار الشراح الثلاثة: أنهم أقرب الناس ممن ألف في شرح التوحيد لفهم مقاصد المصنف، لأنهم إما دارس على الشيخ محمد بن عبد الوهاب مباشرة مثل الحفيد عبد الرحمن فقد درس عليه كتاب التوحيد من أوله إلى آخر أبواب السحر قال الشيخ عبد الرحمن في قرة عيون الموحدين ص ٤٦ (قال : قال شيخنا) يقصد جده الشيخ محمد بن عبد الوهاب وهذا نص صريح أنه درس على جده .

وإما دارس على طلاب وتلامذة الشيخ محمد رحمهم الله أمثال الحفيد سليمان، وهذا هو المشهور حتى إن الشيخ إبراهيم بن محمد بن إبراهيم رحمة الله عليه وعلى والده في مقدمة كتاب تيسير العزيز الحميد لم يذكر من مشايخه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ويرجح هذا القول أنهم ذكروا أن مولد الشيخ سليمان عام ١٢٠٠ هـ

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

أي قبل وفاة جده بست سنين، ولكن الحفيد سليمان ذكر في الباب الأول ص ٤٤ قال: هكذا أُثبت بخط شيخنا اهـ والضمير يعود للمصنف، مما يُشعر أنه درس على الشيخ محمد فقد يكون أنه درس على جده مدة وجيزة حيث أعطاه الله من التمييز المبكر ما يصح معه أن يقال أنه درس على جده والله أعلم .

أو درس على تلامذة تلامذة الشيخ محمد رحمهم الله أمثال حمد بن عتيق الذي يُعتبر من الجيل الثالث من أجيال هذه الدعوة السلفية المباركة وقد فهموا مقاصد المصنف وهم أقرب الناس لفهم مراد المصنف ومقاصده.

والشيخ سليمان وهو الحفيد الأول كما ذكرنا أعلاه ممن درس على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وإضافة على ذلك تعلّم على أيدي طلاب الشيخ محمد رحمهم الله، وقد ألّف كتابين في شرح كتاب التوحيد ، الكتاب الأول هو تيسير العزيز الحميد بشرح كتاب التوحيد، إلا أن هذا الكتاب لم يتمه المصنف وقد بقي عليه سبعة أبواب في آخر الكتاب تقريبا، أما ستون بابا فقد شرحها.

وميزة شرح الشيخ سليمان أنه محدِّث ولديه معرفة في علم الحديث والرجال والتصحيح والتضعيف وله اجتهاد في هذا الباب، وهذا مما جعل هذا الكتاب له ميزة أخرى في معرفة الصحيح والضعيف في باب أحاديث كتاب التوحيد.

الكتاب الثاني لسليمان وهي حاشية على كتاب التوحيد لكن هذه الحاشية تعتبر مفقودة لكن ذكر محقق كتاب فتح المجيد د.الوليد بن فريان أن الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله حدّثه أنها قُرأت عليه منذ وقت بعيد في بلدة الدّلم.

وقد أستشهد سليمان رحمه الله وهو شاب وعمره ٣٣ سنة تقريباً.

أما عبد الرحمن وهو الحفيد الثاني فقد ألّف كتابين: الأول فتح المجيد بشرح كتاب التوحيد ويعتبر تلخيصاً لكتاب التيسير وتهذيباً ومكملاً له وزائداً عليه، فقد زاد فيه فوائد ومباحث ولذا ما زاده عبد الرحمن مما نحتاجه سوف نذكره إن شاء الله، والكتاب الثاني قرة عيون الموحدين وهو كتاب مختصر أشبه ما يكون بالحاشية.

أما كتاب الشيخ حمد بن علي بن عتيق فإسمه إبطال التنديد بشرح كتاب التوحيد وهو يعتبر شرحاً مختصراً ذكر فيه منقولات من كتاب الشيخ سليمان (فغالب ما فيه نقلها من كتاب التيسير) كما ذكر ذلك في مقدمة كتابه، وأهمية كتاب ابن عتيق تأتي من حيث أنه ينقل الأمور المهمة من كتاب التيسير.

ومن هنا نفهم أن كل الكتب تدور على كتاب الحفيد سليمان ما بين مختصر له أو مهذب له أو ناقل منه أو زائد عليه.

أما طبعات الكتب فكتاب التيسير طبعة مكتبة الرياض وكتاب فتح المجيد بتحقيق محمد حامد الفقي رحمه الله طبعة دار الكتب العلمية "السابعة" عام ١٣٧٧ هـ وكتاب قرة عيون الموحدين ضمن مجموعة التوحيد طبعة مكتبة الرياض، وكتاب إبطال التنديد الطبعة الثالثة مكتبة التوفيق بالرياض ، وتاريخ نجد ط دار الشروق تحقيق ناصر الدين الأسد." انتهى

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وإنّ اختيارنا للاعتماد على هذا الكتاب لنقد مصنّف ابن عبد الوهاب، يرجع إلى كونه شرحا يجمع أهمّ الشروحات التي تعتبر قريبة من المصنّف، من ناحية، ولاعتبار اهتمام الشارح الخضير بمسألة قصد المصنّف، من ناحية أخرى، فهو يقول في كتابه:

"نحن أمام أمور لابد في شرحنا لهذا الكتاب من مراعاتها ومن أن نفهم ماذا أراد المصنف بالضبط، ثم ماذا قال الشراح، وهل هو مطابق لمراد المصنف أم زائد عليه أم بعيد عنه أم مرجوح، ثم أصل المسألة كيف تُشرح بغض النظر عن كونها في هذا الكتاب أم غيره، وهذا يسبب لنا أحيانا إطالة".

لذلك، إذا ما وردت لفظة: المصنّف، فإننا نعني به الشيخ محمّد بن عبد الوهاب.

وإذا قلنا: الشراح، فإننا نعني: الشراح الثلاث الذين اعتمد عليهم الخضير، وهم: حفيد الشيخ: سليمان بن عبد الله بن محمّد بن عبد الوهاب، والحفيد الثاني: عبد الرحمن بن حسن بن محمّد بن عبد الوهاب، والشيخ حمد بن علي بن عتيق.

وإذا قلنا الشارح، فنعني به: عليّ بن خضير الخضير.

هذا من ناحية الإصطلاح، أمّا من ناحية المنهج، فإننا لمّا قرأنا كتاب الجمع والتجريد، استخرجنا منه مجموعة من المسائل التي رأينا أنها تمسّ العقيدة ونختلف في فهمها مع الشيخ محمّد بن عبد الوهاب، وفصّلناها على فصول في كتابنا.

وقد ابتدأنا في كلّ فصل بإدراج نصّ أو نصوص مستخرجة من كلام الشارح الخضير، تبيّن مجموعة نقاط المسألة المتعلّق بها الفصل، ثمّ نلخصها بتبسيط فحواها، ثمّ في التعليق نقوم بالبحث عن صدقيّة المسألة من وجهة نظر ابن عبد الوهاب، ونردّ عليه بما يليق في هذا المقام.

وبعد أن أنهينا الفصول النقديّة، ارتأينا أن نلحق بالبحث، فصلا هامّا يتعلّق بإيراد مجموعة من الأقوال والتعريفات والحكم المتعلّقة بمصطلحات وردت في البحث، وكانت مدارا للنقد والنقاش والاختلاف، منها أقوال أوردناها ضمن البحث، ومنها خلاف ذلك. وهذا الفصل مأخوذ من موسوعة أكبر وأشمل، نحن بصدد جمعها، وتهمّ أكثر من ألف وأربعمائة من المصطلحات الدينية، تحت كلّ مصطلح مجموعة من الأقوال والحكم التي جمعناها من مراجع معروفة مثل كتاب الإحياء وطبقات السلمي وصفة الصفوة.

وغايتنا من هذا الكتاب: أن نبيّن لمن شرح الله له صدرا، أنّ دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب، لا تعدو إلا أن تكون أفكارا ظنّيّة وهميّة خياليّة، لا ترقى إلى مقام الحقيقة والتحقق، وسوف يعاين القارئ، بالدليل والبرهان، هذا الحكم، بل إن القارئ سوف يلاحظ بالدليل أيضا أن الشيخ وشراحه، كثيرا ما يدّعون إجماع السلف حول كلامهم، والحقيقة خلاف ذلك، فلا إجماع للسلف، ولا اتفاق بين أفكارهم وأفكار السلف. وإنه كثيرا ما يستشهد المصنف بآية، فلا تجد إليها سبيلا من الشرح والفهم يوافق مقصده، فالآية في وادى، وفكرته في وادى آخر.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وقبل هذا وذاك، نعرّج على ثلاث نقاط لم نطرحها في الفصول، تعريجا سريعا.

أولا: في بعض الأحيان يذكر المصنّف آية، ولا يستنبط منها أيّة مسألة، وهذا ما يجعل الشارح يتعجّب منه. يقول الخضير:

"أما تفسير قوله تعالى (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) فقد فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بأن الظلم هو الشرك.

قوله (أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) عند المتأخرين هذا هو الفضل الموجود في الآية أن الموحد له الأمن والاهتداء، وهذه الآية لم يظهر لي أن المصنف استخرج عليها مسائل وهذا أمر ملفت للنظر على خلاف عادة المصنف، وله دلالة: أنه أراد منها من الفوائد مثل ما أراد من غيرها، وهو تكفير الذنوب، ولم يرد منها شيئا مستقلا، إنما أراد أنها تحقق الأمن والاهتداء الذي هو نتيجة تكفير الذنوب."

ثانيا: يعتمد المصنّف على أحاديث ضعيفة، أو مختلف في صحّتها، وقد كان بإمكانه اللجوء إلى الصحيح منها. يقول الشارح الخضير:

"الحديث الثالث:

حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (قال موسى يا رب علمني شيئا أذكرك أدعوك به. قال: قل يا موسى لا إله إلا الله قال: كل عبادك يقولون هذا. قال يا موسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيري والأراضين السبع في كفه، ولا إله إلا الله في كفه مالت بهن لاإله إلا الله) رواه ابن حبان والحاكم وصححه.

المسألة الأولى: تخريج الحديث:

المصنف يصحح هذا الحديث ومثله الشراح الثلاثة وقد أقر الحفيد سليمان في التيسير ص ٧٣ تصحيح ابن حبان والحاكم، وهناك من أهل العلم من يضعف هذا الحديث لأنه من رواية أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد رضى الله عنه، وأبو السمح هو دراج بن سمعان ضعيف في أبي الهيثم. علما بأن الحديث له شاهد من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما رواه أحمد هذا ما يتعلق بتخريج الحديث والخلاف الذي وقع في تصحيحه."

ثالثا: اعتماد المصنّف على الحديث الموقوف، وتعسّف الشراح في جعله مرفوعا، والأدهى أن الخضير نفسه يتعسّف ويجعل المسألة اجتهاديّة. يقول الشارح الخضير:

" قال ابن مسعود: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد (صلى الله عليه وسلم) التي عليها خاتمة فليقرأ قوله تعالى: (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا) إلى قوله (وأن هذا صراطي مستقيما) الآية.

وفيه مسائل:

المسألة الأولى: تخريج الحديث: وهذا الحديث في الاصطلاح موقوف وهو قول الصحابي، وهذا الحديث لم يرفعه ابن مسعود فلم يقل ابن مسعود قال: قال رسول

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الله. لكن ظاهر صنيع المؤلف أنه موقوف في حكم الرفع، والحفيدان يميلان إلى تصحيح هذا الأثر الموقوف.
بل حتى المصنف يصحح هذا الأثر بدليل:
١-أنه ذكره بصيغة الجزم وقال: قال ابن مسعود والغالب على أهل العلم بصيغة الجزم أنه مقبول عندهم.
٢- أن المصنف أستخرج عليه مسألة فبنى عليه أحكام، وبناية الأحكام فرع التصحيح، وأيضاً صاحب التيسير ص٤٥ نقل تحسين الترمذي لهذا الحديث.
وهناك من أهل العلم من ضعف الحديث، فالمسألة اجتهادية ونمشي على اختيار المصنف، ولكن لفظ الترمذي فيه اختلاف يسير.
واستخرج مسألة على هذا الحديث (وقال التنبيه على وصية الرسول عند موته) وهي الحث على التوحيد والنهي عن الشرك. ومناسبة هذا الأثر يدل على عظم وأهمية التوحيد لأن الرسول أوصى به عند موته ولا يوصي إلا بالشيء العظيم لا سيما في آخر اللحظات." انتهى
وتعليقا على هذا الكلام، نقول: ما ذكره الشارح من أدلة تصحيح الحديث من قبل المصنّف ليس مقبولا على الإطلاق، لأن المصنّف ليس حجّة في الحديث، وليس له تخريج لهذا الحديث، وذكره للحديث بصيغة الجزم ليس شرط صحّة للحديث، وإلاّ، فإن كلّ واحد منّا يمكن له أن يستدلّ بأي حديث غير صحيح، ويذكره بالجزم، فنقول له: ما دمت ذكرته بصيغة الجزم فأنت قد صحّحته، ونحن نقبل منك هذا التصحيح؟؟؟.
ونفس الشيء في مجال بناء الأحكام على الحديث، ليس هذا شرط صحة في الأحاديث إلا إذا صدرت من أهل الحديث المشهود لهم بالكفاءة في علوم الحديث، والشيخ ابن عبد الوهاب ليس من هؤلاء، وهو قد خالف أهل العلم في تضعيفهم للحديث، وهو ليس بعالم مثلهم، ولا حجّة للخضير بأن يقول: المسألة اجتهاديّة، لأن الاجتهاد يكون من أهل العلم، والمصنّف ليس من أهل العلم في هذا المجال. وعلى كلّ، فأهل العلم بين قولين: فالحديث إمّا ضعيف أو موقوف، فمن أين صحّحه المصنّف؟؟.
وفي الأخير، لا يسعنا إلا أن نطلب من الله العليّ القدير أن يرحم ويغفر للشيخ محمّد بن عبد الوهاب للفتنة التي وقع فيها، وأوقع فيها الملايين من المسلمين، حتى أنّه، هو من اتبعه من الشراح وأئمة الدعوة النجديّة، يجعلون كافّة المسلمين من كلّ المذاهب مشركين وجب قتلهم، لأنّهم لا يوافقونهم آراءهم وأفكارهم. لذلك كان همّنا أن نبيّن بموضوعيّة زيف الدعوة الوهابية من خلال هذه الفصول:
الفصل الأول: مفهوم العبادة في فكر ابن عبد الوهاب، وفيه بيان زيف الادعاء بأن للعبادة مفهوما عاما لأهل العلم، والردّ على مقولة: العبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه. وذكرنا في معرض ردّنا على المصنّف أربعين تعريفا للعبادة من أهل العلم والعرفان.
الفصل الثاني: مفهوم الطاغوت في فكر ابن عبد الوهاب، وفيه بيان أن عقيدة الكفر بالطاغوت وربطها بالتوحيد وجعلها ركنا من أركان التوحيد، من استنباطات ابن

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

عبد الوهاب، ومن وهمه وخياله، ولم يسبقه أحد من العلماء بها، لا المفسرون، ولا السلف ولا حتى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

الفصل الثالث: مفهوم القضاء في فكر ابن عبد الوهاب، وفيه بيان معنى قضى في آية الإسراء، والردّ على المصنّف والشراح في تفسيرهم لمعنى: قضى، وبيان زيف كلامهم الذي يؤدّي إلى الطعن في القرآن الكريم.

الفصل الرابع: عظمة التوحيد في فكر ابن عبد الوهاب، وفيه بيان إخفاق ابن عبد الوهاب في اختيار الآيات والأحاديث الصالحة لهذا الباب، وتعسّفه في التأويل.

الفصل الخامس: مدلول نصوص الوعد في فكر ابن عبد الوهاب، وفيه بيان زيف ادعاء القوم بأن نصوص الوعد لا تشمل إلا الكاملين فقط، وبيان شمولها لكلّ المسلمين بإذن الله، وبيان أن معنى دخول الجنة هو عدم الخلود في النار.

الفصل السادس: تحقيق التوحيد في فكر ابن عبد الوهاب، وفيه بيان جهل ابن عبد الوهاب وشراحه لمعنى التحقق في التوحيد وعدد مراتبه، والردّ عليهم بكلام العارفين بالله.

الفصل السابع: مسألة تكثير السواد في فكر ابن عبد الوهاب، وفيه بيان خيال ابن عبد الوهاب ووهمه، وأنّه لا علاقة للآيات التي اختارها بالموضوع، ولا تعدو المسألة أن تكون وهما وخيالا.

الفصل الثامن: مفهوم التوسّل في فكر ابن عبد الوهاب، وفيه بيان زيف تعريفهم للوسيلة، وكذبهم فيه، وبيان المعنى الحقيقي للوسيلة، وجواز الاستغاثة بالله وبأولياء الله، من باب الولاية لله.

وفي الأخير، نستغفر الله تعالى من كلّ سهو ووهم وخطإ وقعنا فيه أثناء بحثنا، ونسأل الله تعالى أن يكون عملنا هذا خالصا النية، نبتغي به وجه ربنا الكريم. ولا حول ولا قوّة إلا بالله.

محمد الصالح الضاوي
تونس في ذي الحجة –المحرّم ١٤٣٠-١٤٣١

للاتصال بالمؤلف:

DHAOUI66@Gmail.com

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

مفهوم العبادة في فكر ابن عبد الوهاب

الباب الأول كتاب التوحيد

الآية الأولى: {وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون} ٥٦ الذاريات.

النص الأول:
قال الشارح: علي بن خضير الخضير:
"الآية الأولى: قول الله تعالى (وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون). ٥٦. الذاريات.
هذه الآية استخرج عليها المصنف ثلاث مسائل:
المسألة الأولى: وهي قوله (الحكمة في خلق الجن والأنس)أي أن الآية بيّنت الحكمة من خلق الثقلين والحكمة هي: العبادة (أي خُلقوا للتوحيد).

المسألة الثانية: (أن العبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه)

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

المسألة الثالثة: وقال (أن من لم يأتِ به لم يعبد الله) وجه الاستنباط بأنه ما خلقهم إلا لغاية واحدة: وهي العبادة، وأعظم ركن لهذه العبادة هو التوحيد.

أما مناسبة هذه الآية للباب فهذه الآية تدل على أهمية التوحيد وعظم شأنه لأنه من أجله خُلق الثقلان ولا تصح العبادة إلا بالتوحيد، فدل على عظم التوحيد." انتهى

الملخص:

يرى المصنّف أن العبادة هي التوحيد.

ويرى الشارح أن التوحيد ركن عظيم من أركان العبادة.

ويرى الشارح أن العبادة لا تصح إلا بالتوحيد.

النص الثاني:

قال الشارح: علي بن خضير الخضير:

"هل العبادة هي التوحيد كما قال المصنف أو أعم من ذلك؟ باعتبار الأصل، العبادة أعم من التوحيد، هذا الذي فعل الحفيد سليمان ص ٣٠ وعبد الرحمن ص ١٤ فإنهما لما شرحا هذه الآية أتيا بتعريف أهل العلم للعبادة، **التعريف العام**، وذكرا تعريف ابن تيمية رحمه الله :أنه اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. لكن المصنف كلامه دقيق لأنه يعرف أن **العبادة أعم**، لكنه عرّف العبادة هنا بأهم شيء وهو أخص أفرادها، وهو التوحيد، لأن المصنف أراد من الآية ما يتعلق بالتوحيد، فقال: إن العبادة هي التوحيد، وعلل ذلك: لأن الخصومة فيه إهـ والضمير في فيه، يعود إلى التوحيد، والله خلقهم لعبادته بالتوحيد وغيره كالصلاة والزكاة... الخ ولكن اختصموا في التوحيد فدل على أن العبادة هي التوحيد."

الملخص:

يرى الشراح أن العبادة أعم من التوحيد، باعتبار الأصل.

الشراح أتوا في شروحاتهم بالتعريف العام للعبادة الذي عليه أهل العلم، وهو الذي يظهر: أن العبادة أعمّ من التوحيد.

الشراح تبنوا تعريف ابن تيميّة للعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

الشارح يدافع عن المصنف بقوله: المصنف كلامه دقيق لأنه يعرف أن العبادة أعم. ونقول كيف عرف الشارح مراد المصنف؟

الشارح يقرّ بأنّ المصنّف عرّف العبادة بأخصّ أفرادها أي أركانها أو أجزائها، وهو التوحيد: "لكنه عرّف العبادة هنا بأهم شيء وهو أخص أفرادها، وهو التوحيد".

يرى الشارح أن المصنّف قصد الركن الذي فيه الخصومة من العبادة وهو التوحيد، ولما كانت الخصومة فيه وليست في الصلاة والزكاة، قال المصنف: العبادة

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

هي التوحيد، "لأن المصنف أراد من الآية ما يتعلق بالتوحيد: فقال: إن العبادة هي التوحيد، وعلل ذلك: لأن الخصومة فيه إهـ والضمير في فيه، يعود إلى التوحيد، والله خلقهم لعبادته بالتوحيد وغيره كالصلاة والزكاة... الخ ولكن اختصموا في التوحيد فدل على أن العبادة هي التوحيد".

النص الثالث:

قال الشارح: علي بن خضير الخضير:

"وقال (أن من لم يأتِ به لم يعبد الله) وجه الاستنباط بأنه ما خلقهم إلا لغاية واحدة: وهي العبادة، وأعظم ركن لهذه العبادة هو التوحيد. فإذا لم يأتِ بهذا الركن العظيم لم يأتِ بهذه العبادة. ثم قال المصنف: ففيه معنى قوله تعالى: (ولا أنتم عابدون ما أعبد) وقصد المصنف أن معنى ولا أنتم عابدون ما أعبد (فيه) والضمير في (فيه) يعود إلى التوحيد، أي أنه نفى عنهم العبادة لأنهم لم يأتوا بالتوحيد، ومن لم يأت بالتوحيد لم يعبد الله.

أما مناسبة هذه الآية للباب فهذه الآية تدل على أهمية التوحيد وعظم شأنه لأنه من أجله خُلق الثقلان ولا تصح العبادة إلا بالتوحيد، فدل على عظم التوحيد"

الملخص:

يرى الشارح أن الغاية من الخلق هي العبادة.
يرى الشارح أنّ التوحيد هو أعظم ركن للعبادة.
يرى الشارح أنّ نفي العبادة مترتب على نفي التوحيد.
يرى الشارح أنّ الله خلق الثقلان من أجل التوحيد.

التعليق:

للوهلة الأولى، يبدو للناظر، عالما كان أو متعلّما، أن مقالات ابن عبد الوهاب وشراحه، صائبة، وتتماشى مع الفكر الديني السني المنتشر في العالم الإسلامي، ولا يظهر لنا في البداية ما ينافي المفاهيم الدينية الأساسية، حتى أنك عندما تقرأ هذه النصوص، وتستنتج الملخصات كما فعلنا، لا ترى مانعا في تبني هذه الفكرة عن التوحيد والعبادة.

والحقيقة أن الفتنة: في استعمال الكلمات الصحيحة في مواضع كثيرة، بعضها صحيح وبعضها خاطئ، فيختلط الأمر على الناظر، إلا من رحم ربّي.

ونستنتج من الملخصات السابقة للنصوص التي أوردناها، أنّ الشارح بيّن لنا أنّ أهل العلم يعتبرون العبادة أعم وأشمل من التوحيد، وهي تشتمل على كلّ أنواع الأقوال والأفعال التي أمر بها الله وأحبّها ورضاها. ويعتبرون أن التوحيد ركن من أركان العبادة، وفرد من أفراده. أما ابن عبد الوهاب، فإنه يرى أن التوحيد هو العبادة،

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

لأن الخصومة فيه. ومعنى ذلك أن البشر، من رسل وأقوام لم يختصموا في الصلاة والصيام والحجّ، بل اختصموا في التوحيد. وعلى هذا التعليل، يكون ابن عبد الوهاب متبنّ للتعريف السابق الّذي يقول: التوحيد فرع من العبادة، ولو أنه يقول إنه فرع كبير عظيم الشأن، ولكنه في النهاية، ليس التوحيد إلا جزء، والعبادة كلّ، وأن هذا الجزء كبير إلى درجة تساوى مع الكلّ. هذا ما أراد السيّد الشارح أن يقنعنا به، وبقية الشراح أيضا في شروحاتهم، والدليل على هذا الكلام، تعريف ابن تيميّة للعبادة.

وهم الإجماع السلفي

ولا ندري مع من نتعامل في النهاية؟ هل نحن أمام مبتدع؟ أو ملتبس؟ أو خاطئ؟ أو مفتتن؟ أو مبتلى؟؟ لا أدري مع من أتعامل. لكنني متأكد من أشياء:

أوّلها: أن نيّة ابن عبد الوهاب في الكتاب نية مبهمة، لا ندركها إلا من خلال استنباطات الشراح الّذين هم من أتباعه وطلابه.

ثانيا: أنه لو أبهمت علينا نيّة ابن عبد الوهاب، فقد تبيّنت نيّة الشراح الّذين هم على شاكلته.

ثالثا: أن رأي المصنف وشراحه، سواء كان مبهما أو منجليا على حقيقته، لا يعدو أن يكون اجتهادا فكريا من جملة الاجتهادات والآراء الإسلامية، ولكنه ليس هو الرأي الوحيد الصائب في الساحة الإسلامية.

رابعا: أن المصنف وشراحه يبرّرون آراءهم بإجماع السلف عليها، وهذا كذب صريح ظاهر لا لبس فيه.

ونعود إلى موضوعنا لنقول:

لما يقول الشارح:

"لما شرحا هذه الآية أتيا بتعريف أهل العلم للعبادة، التعريف العام، وذكرا تعريف ابن تيمية رحمه الله: أنه اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة"

يعني أنه هناك تعريف متفق عليه من قبل أهل العلم للعبادة، وأن تعريف ابن تيميّة لا يعدو أن يكون نفس تعريف أهل العلم، وأن المسألة محسومة من البداية، ولا يجب عليك أن تفتش عن مفهوم آخر للعبادة، وأن ما يقوله ابن عبد الوهاب هو نفس المعنى الّذي يقوله أهل العلم، وهو من أهل العلم. وإذا ما ناقشت أو رفضت قوله، فقد رفضت تعريف العلماء كلّهم، لأنه تعريف واحد للعبادة، وليس هناك ـ حسب رأيهم ـ تعاريف مختلفة، وهذا يوحي إليك أيها الناظر، أن المسألة مجمع عليها، ولا فائدة في تفحصها، وما عليك إلا القبول بالتعريف، وعليك أن تشهد أن العبادة "اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة" وأن ابن تيمية وابن عبد الوهاب والشراح قد كفوك مؤونة التمحيص والنقد والبحث والاستنتاج.

هذا أسلوب يتبعه هؤلاء لإقناعك أن ما يعرضونه عليك هو تمام الفهم الصحيح الّذي عليه السلف، وأنك لو خالفتهم لخالفت في الحقيقة الرسول، عليه السلام،

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

والصحابة والتابعين وتابع التابعين، رضوان الله عليهم، وأهل العلم قاطبة. وكلّ هذا هراء في هراء. فليس لهم، حسب تجربتي، أيّ فهم يوافق السلف، أو مجمع عليه من الأمّة، أو يمثل الخط العام للعلماء. هذا كلّه هراء وكذب وافتراء على الله والرسول والصحابة والصالحين.

ابن كثير رحمه الله، في تفسيره، وهو على خطّ ابن تيمية، يعرّف العبادة أثناء تناوله للفاتحة، فيقول:

"والعبادة في اللغة من الذلة يقال طريق معبد وبعير معبد أي مذلل، وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف"

فقد تباين هذا التعريف مع تعريف ابن تيمية، حيث ركز على المحبة والخضوع والخوف، وهي من أعمال القلوب، ولكنه أتى بلفظ الكمال، وهو إشكال كبير، فإذا كان كمال الخضوع عبادة، فماذا تسمي الخضوع بنقصان؟؟ ثم أضاف كلمة: يجمع، ولا ندري ماذا يقصد بها؟ فالجمع هنا قد يكون قلبيا أو قوليا أو عمليا؟؟ ولعلّه قصد بالجمع: جمع المشاعر الثلاثة في أكمل صورها، المحبة والخضوع والخوف. وهذا التعريف يخرج كثيرا من الأعمال التي لا تستجيب لهذه الشروط: من حيث الجمع والكمال، والمشاعر.

ولسنا بصدد مناقشة ابن كثير في تعريفه للعبادة، فهذا موضوع آخر، ولكننا بصدد بيان أن ما يسميه الوهابيون بتعريف أهل العلم الموحد غير موجود، بل هو وهم منهم، وإليك تعريف آخر للعبادة من أحد علماء الإسلام المشهود لهم بالفهم والتفسير.

قال القرطبي في تفسيره للفاتحة:

"و{نَعْبُدُ} معناه نطيع؛ والعبادة الطاعة والتذلل. وطريق مُعبَّد إذا كان مذلّلا للسالكين؛ قاله الهَرَوِيّ. ونُطقُ المكلف به إقرارٌ بالربوبية وتحقيقٌ لعبادة الله تعالى؛ إذ سائر الناس يعبدون سواه من أصنام وغير ذلك"

في هذا التعريف: إقرار من القرطبي بأن العبادة مطلق الطاعة والتذلل، يمكن أن تكون لله أو أن تكون لغير الله. وهذا يختلف عما قاله ابن تيمية وأراد الشارح أن يمرره باعتباره مجمع عليه. فالعبادة عند ابن تيمية: كل ما يجمع الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة التي يحبها الله ويرضاها، في حين أن القرطبي يرى أن العبادة: طاعة (للجوارح) وتذلل (للقلب) لله أو لغير الله.

فأين دعوى الإجماع وتعريف أهل العلم؟

في الحقيقة كان الشارح على علم باستحالة وجود تعريف موحد للعبادة، فتدارك الموقف بكلمة: "التعريف العام" وكأنه ما زاد الطين إلا بلّة، فهو مطالب بالتعريف العام وبالتعريفات الخاصّة لمصطلح العبادة؟.

فتعريف ابن تيميّة الذي حشروه هنا في شروحاتهم لكتاب التوحيد، يحجر على الكفار والمشركين أن تكون لهم عبادة، لأن التعريف اقتصر على ما يحبه الله ويرضاه، وعبادة الكفار ليست من هذا النوع، فهل نطلق عليها عبادة أم لا؟؟ والله تعالى يقول:

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

{قُلْ يأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِّن دِينِي فَلاَ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ} ١٠٤ يونس.

وقال تعالى:

{قُلْ يأَيُّهَا ٱلْكَافِرُونَ * لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ * وَلاَ أَنَآ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلاَ أَنتُمْ عَابِدُونَ مَآ أَعْبُدُ } ١-٥ الكافرون.

بين التوحيد والعبادة

وهذه السورة مثال جليّ على تعنّت الشارح والمصنف قبله، بل والشراح، في تأويل قصد ابن عبد الوهاب، وإقرار مذهبه في التوحيد باعتباره مرادفا للعبادة، فالله سبحانه وتعالى يخبرنا بأن الكفار والمشركين لهم عبادة من دون الله، وقال للرسول: يا محمّد قل لكفار قريش، لا أعبد ما تعبدون، والوهابيون يقولون أن العبادة لا تكون إلا من موحّد، ويستدلون بالسورة نفسها، ويقولون:

"أي أنه نفى عنهم العبادة لأنهم لم يأتوا بالتوحيد، ومن لم يأت بالتوحيد لم يعبد الله"

والقرآن ينسب للكفار والمشركين عبادة، لكنها عبادة شرك وكفر، ويدعوهم إلى عبادة الواحد الأحد، مثل قوله تعالى:

{مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أسماء سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وآباؤكم مَّآ أنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ} ٤٠ يوسف.

وقال جلّ جلاله:

{قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لاَ يَنفَعُكُمْ شَيْئاً وَلاَ يَضُرُّكُمْ * أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ} ٦٦-٧-٦٧ الأنبياء.

وقال جلّ جلاله:

{وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِّنَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ شَيْئاً وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ} ٧٣ النحل.

فدلّت هذه الآيات وغيرها على أن العبادة تطلق على الكافر والمؤمن، كلّ حسب إلهه. وعلى هذا فإن القول بأن مطلق العبادة يعني التوحيد هو قول ساذج لا يستقيم، لأن العبادة قد تكون لله وقد تكون لغير الله.

قال ابن كثير في تفسيره لهذه السورة:

"ثم قال: {وَلا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ * وَلاَ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ} أي ولا أعبد عبادتكم أي لا أسلكها ولا أقتدي بها وإنما أعبد الله على الوجه الذي يحبه ويرضاه، ولهذا قال: {وَلاَ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَا أَعْبُدُ} أي لا تقتدون بأوامر الله وشرعه في عبادته، بل قد اخترعتم شيئاً من تلقاء أنفسكم كما قال: {إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَى} ٢٣النجم.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

فتبرأ منهم في جميع ما هم فيه، **فإن العابد لا بد له من معبود يعبده وعبادة يسلكها إليه**، فالرسول صلى الله عليه وسلم وأتباعه يعبدون الله بما شرعه، ولهذا كان كلمة الإسلام لا إله إلا الله محمد رسول الله، أي لا معبود إلا الله، ولا طريق إليه إلا ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، والمشركون يعبدون غير الله عبادة لم يأذن بها الله، ولهذا قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم: {لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ} كما قال تعالى: {وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لي عملي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِىء مِّمَّا تَعْمَلُونَ} ٤١يونس، وقال: {لَنَا أَعْمَـٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَـٰلُكُمْ} ٥٥القصص" انتهى

فانظر كيف سمى ما اخترعه المشركون من تلقاء أنفسهم: ظنّا وعبادة ودينا وعملا.

ثمّ هب أن استشهاد ابن عبد الوهاب بالآية سليما، فعن أيّ آية يتحدّث؟ وأي (ولا أنتم عابدون ما أعبد) يعني؟؟ لأنها وردت مرّتين في السورة، وإذا كان المصنف عالما بالتفسير والتأويل، لعرف أن معنى الآية الثالثة من سورة "الكافرون" ليس هو نفسه معنى الآية الخامسة من نفس السورة، وإن كانت تكرّرت والألفاظ هي نفسها؟؟.

لذلك: فإن القول بأنه نفى عنهم العبادة لأنهم لم يأتوا بالتوحيد، قول ناقص لا يستقيم، لأن العبادة قد تكون بالتوحيد، وقد تكون بالشرك.

بين القرطبي وابن عبد الوهاب

وحتى يقتنع القارئ، بتمثيليّة الإجماع العام العلمي على تعريف العبادة، نورد مجموعة من التعريفات العلمية التي قال بها كبار علماء السلف، نقلناها عن القرطبي من تفسيره لآية: (وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون). ٥٦ الذاريات.

العبادة: بمعنى **المعرفة**. قالها مجاهد: إلا ليعرفوني. وعلّق الثعلبي: وهذا قول حسن؛ لأنه لو لم يخلقهم لما عرف وجوده وتوحيده. ودليل هذا التأويل قوله تعالى: {وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ} {وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ} وما أشبه هذا من الآيات.

العبادة بمعنى **التوحيد**. قالها الكلبي: إلا ليوحدون، فأما المؤمن فيوحده في الشدّة والرخاء، وأما الكافر فيوحده في الشدّة والبلاء دون النعمة والرخاء؛ يدل عليه قوله تعالى: {وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَّوْجٌ كالظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ} الآية.

العبادة بمعنى **الطاعة**. قالها عِكْرمة: إلا ليعبدون ويطيعون فأثيب العابد وأعاقب الجاحد.

وقيل أيضا: والعبادة: الطاعة، والتَّعبد التَّنسك. فمعنى «لِيَعْبُدُون» ليذِلّوا ويخضعوا ويعبدوا.

والعبادة بمعنى **العبوديّة**. قيل: المعنى إلا لأستعبدهم. والمعنى متقارب؛ تقول: عبد بيِّن العبودة والعبودية، وأصل العبودية الخضوع والذل. والتعبيد: التذليل، والتعبيد الاستعباد، وهو أن يتخذه عبداً. وكذلك الاعتباد.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

هذه أمثلة من التعريفات التي نقلها أهل العلم حول العبادة، وخاصّة حول آية الذاريات التي بدأ بها المصنّف كتابه. ويستفاد منها أن الإجماع حول تعريف واحد وهم ومستحيل، وأن ما قصده ابن عبد الوهاب، من خلال شرح الخضير وبقية الشراح، إنما هو تعسّف على الآيات وتأويل فاسد لا يستقيم مع ما طرحناه إلى حدّ الآن.

فبالرجوع إلى النص الثاني يقول الشارح:

"إن العبادة هي التوحيد، وعلل ذلك: لأن الخصومة فيه إهـ والضمير في فيه، يعود إلى التوحيد، والله خلقهم لعبادته بالتوحيد وغيره كالصلاة والزكاة... الخ ولكن اختصموا في التوحيد فدل على أن العبادة هي التوحيد".

ويفهم من هذا النص أن العبادة تشمل التوحيد وغيره كالصلاة والزكاة وغيره، وكما قال ابن تيميّة: كل الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة التي يقبلها الله ويرضاها، فلماذا إذن فرّق الله بين العبادة وبين أعمال صالحة أخرى؟

قال تعالى:

{إِنَّنِيۤ أَنَا ٱللَّهُ لاۤ إِلَـٰهَ إِلاۤ أَنَاْ فاعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلاَةَ لِذِكْرِيۤ} ١٤ طه.

فلماذا أمره بالعبادة وأمره بإقامة الصلاة؟ فجعل الصلاة تختلف عن العبادة؟

قال تعالى:

{فَاسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ} ٦٢ النجم

لماذا أفرد السجود عن العبادة؟؟

قال تعالى:

{وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلأَمْرُ كُلُّهُ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ} ١٢٣ هود.

لماذا فرّق بين العبادة والتوكل؟؟

قال تعالى:

{رَّبُّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيّاً} ٦٥ مريم.

ما الفرق بين العبادة والاصطبار للعبادة؟؟

قال تعالى:

{إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَاناً وَتَخْلُقُونَ إِفْكاً إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} ١٧ العنكبوت.

لماذا فرّق الله سبحانه وتعالى بين ابتغاء الرزق والعبادة والشكر؟؟ أليس الشكر من العبادة؟؟

هذه الآيات تؤكد لنا أن تعريف ابن تيمية للعبادة، ومنه تعريف ابن عبد الوهاب، ليس سليما، ومخالفا للآيات القرآنية، التي تفرق بين العبادة والتوكل، وبين العبادة والسجود، وبين العبادة والصلاة، وبينها وبين الشكر.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

فالعبادة في مفهوم الوهابيين لها معنى واحد وتعريف واحد فيه أخطاء كثيرة، منها:

أوّلا: أن العبادة عندهم تشمل التوحيد وغيره من الأعمال الصالحة، في حين أن الله سبحانه فرق بين الأعمال الصالحة وبين العبادة.

وثانيها: أن العبادة هي التوحيد ومن نفي عنه التوحيد نفي عنه العبادة، وقد ثبت لدينا أن العبادة ليست خاصة بالمؤمنين، بل تشمل الكفار والمشركين.

وثالثها: أن تعريف العبادة لديهم مستوحى من الإجماع وموافق لمفهوم السلف، وهذا وهم، لأن السلف اختلفوا معهم في معاني العبادة.

فلو استعملنا التعريفات التي سقناها سابقا حول العبادة، وأجريناها على الآيات التي تساءلنا حول معنى العبادة فيها، لوجدنا تفسيرا مقبولا لا تناقض فيه.

فالعبادة في الآية: {إِنَّنِيَ أَنَا ٱللَّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَ أَنَاْ فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ ٱلصَّلاَةَ لِذِكْرِيَ} تعني المعرفة والطاعة.

والعبادة التي في الآية{فَاسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ} تعني العبودية والخشوع.

والعبادة التي في الآية{فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} تعني التوحيد والطاعة في الأمر والنهي.

والعبادة التي في الآية{فَاعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ} تعني التوحيد (فاعبده) والطاعة (لعبادته).

والعبادة التي في الآية {فَابْتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُواْ لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} تعني التقديس والتوحيد. والله أعلم.

مفاهيم أساسية في "العبادة"

وقد فرق السلف والسادات من الصالحين بين العبادة والعبوديّة والتوحيد والمعرفة، وعرفوا كل مصطلح، وبينوا حدوده وشرائطه، وفضائله ومقاماته. وليس الأمر جمع للألفاظ وتنظيمها بذوق شخصي، بل الأمر أخطر من ذلك، فليس ثمّة مصطلح إلا وله تفسير وتأويل وحدّ ومطلع، وأقسام ومقامات، ومظاهر وبواطن، وأسرار وأنوار، وغير ذلك،،، ليس الأمر عنادا وتعسّفا على الألفاظ ونسبة التأويل بغير علم للإجماع والسلف الصالح.

وقول المصنف في النص الأول:"(أن العبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه)" دليل على أنه فهم من الآية: (وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون) أن معنى ليعبدوني: ليوحّدوني. وهذا جائز له في هذه الآية فقط، إذا أراد بالتوحيد المعرفة، التي هي ثمرة له، أمّا أن يعمّم التعريف، ويجعل كلّ ما يرد من مصطلح العبادة يعرف بالتوحيد، فإنه جهل منه وخسران.

يقول أن العبادة هي التوحيد، فما قوله في هذه الآية: {وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَـٰؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ ٱللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي ٱلأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ }١٨ يونس. فهل معنى "يعبدون من دون الله ما لا يضرّهم ولا ينفعهم"، أنهم يوحدون من دون الله؟؟

وكذلك الآية: {قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَاماً فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ} ٧١ الشعراء. هل معنى "نعبد أصناما" نوحّد أصناما؟؟.

ونرجع إلى موضوعنا، وهو العبادة واختلافها عن التوحيد، في الأصل، وقلنا: في الأصل، لأن الأمر فيه تفصيل. فبعض العبادات طريق لتقوية التوحيد، والتوحيد باعث على العبادات، والعبادات ترجمة عن التوحيد، وإذا خلص التوحيد، خلصت العبادة، وإذا صفا التوحيد، صفت العبادة، والتوحيد محلّه القلب أولا وآخرا، والعبادات منها للجوارح ومنها للقلب، والتوحيد يقاس بالكيفية، والعبادات تقاس بالكمّيّة، وثمرة العبادات: التوحيد، ومنطلق العبادات: التوحيد، فهو، أي التوحيد، يكون تارة منطلقا، وتارة ثمرة، وتارة مصاحبا، ولكلّ قسم تعريف وتحديد. والمعرفة ثمرة التوحيد، وبها يفضل الأنبياء على الأولياء، والأولياء على سائر الناس، وليس الفضل بالعبادة، ومنه الفرق بين العباد والعارفين. وإذا رأيت رجلين لهما نفس العبادة، فالاختلاف بينهما بالتحقق فيها، ولا يكون التحقق في العبادة إلا بدرجة التوحيد التي عليها الرجل. ومن الأعمال الباعثة على العبادة والمقوّيّة عليها الجوع وفراغ المعدة، ولا يمكن أن نقول إن الجوع باعث على التوحيد.. وغير ذلك من التقريرات الخاصة بالعبادة وتعريفها وتحديدها والتفريق بينها وبين التوحيد والعبوديّة والمعرفة. وسنسوق إليك أيها القارئ مجموعة من أقوال العلماء، السلف والخلف، في العبادة، والتي تدلل على ما فسرناه آنفا، حتى تتحقّق من الفرق بينها وبين التوحيد، وأن مقولة: العبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه، ما هي إلا قولة قاصر بفهمه عن إدراك معاني العبادة والتوحيد.

١- جاء في الفقه على المذاهب الأربعة تقسيم العبادات كالتالي:

" تنقسم العبادات إلى ثلاثة أقسام: بدنية محضة: كالصلاة، والصوم: فإن القصد من كل منهما التذلل والخضوع لله سبحانه وتعالى بالنفس، ولا دخل للمال فيهما، ومالية محضة: كالزكاة، والصدقة؛ فإن القصد منهما نفع المتصدق عليهم بالمال، ومركبة منهما: كالحج؛ فإن فيه الخضوع لله تعالى بالطواف والسعي وغيرهما من الأعمال، وفيه أيضاً إنفاق المال في هذا السبيل."

وهذا التقسيم الفقهي يخرج التوحيد من العبادة، ولا يتناوله، لأنه ليس من العبادات البدنيّة، ولا الماليّة، ولا المركّب منهما.

٢- في كتاب الأشباه والنظائر يتحدّث عن النيّة التي تفرق بين العادة والعبادة، فيقول:

" المبحث الثالث فيما شرعت النيّة لأجله:

المقصود الأهم منها تمييز العبادات من العادات، وتمييز رتب العبادات بعضها من بعض، كالوضوء والغسل يتردّد بين التنظيف والتبرّد والعبادة والإمساك عن المفطرات قد يكون للحمية والتداوي أولعدم الحاجة إليه، والجلوس في المسجد قد يكون للاستراحة، ودفع المال للغير قد يكون هبة أو وصلة أو لغير دنيوي، وقد يكون

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

قربة كالزكاة والصدقة والكفارة، والذبح قد يكون بقصد الأكل وقد يكون للتقرّب بإراقة الدماء، فشرعت النيّة لتمييز القرب من غيرها، وكل من الوضوء والغسل والصلاة والصوم ونحوها قد يكون فرضاً ونذراً ونفلاً والتيمّم قد يكون عن الحدث أو عن الجنابة وصورته واحدة فشرعت لتمييز رتب العبادات عن بعضها من بعض."

وهذا دليل على أن الشخص قد يكون في عبادة وقد يكون في غير عبادة، وهو مسلم مؤمن، ولكنه لا يمكن ألا يكون على التوحيد، وإلا خرج من حدّ الإسلام والإيمان. فالتوحيد أشمل وأكبر، وهو أصل يتفرّع عنه مجموع العبادات، وهو الّذي يطبع الأعمال ويجعلها عبادات مقبولة، أو أعمالا مرفوضة.

٣- قال الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه:

"لا أطيق ما يطيق إبراهيم بن هانىء من العبادة".

وهو دليل على أنه للعبادة إطاقة، وبعضهم لا يطيق عبادة الآخر. لأنها مجهود. والتوحيد ليس مجهود مثل العبادة. أتراه يستقيم كلام الإمام أحمد إذا كان مقصود العبادة هو التوحيد، فيقول: لا أطيق توحيد ابن هانئ؟؟.

٤- قال ذو النون المصري:

" إياك أن تكون بالمعرفة مدّعيا، أو بالزهد محترفا، أو بالعبادة متعلّقا.

فقيل له: يرحمك الله فسّر لنا ذلك. فقال:

أما علمت أنك إذا أشرت في المعرفة إلى نفسك بأشياء، وأنت معرى من حقائقها كنت مدّعيا؟ وإذا كنت في الزهد موصوفا بحالة وبك دون الأحوال، كنت محترفا، وإذا علقت بالعبادة قلبك، وظننت أنك تنجو من الله بالعبادة لا بالله، كنت بالعبادة متعلقا، لا بوليّها المنان عليك؟. "

العبادة أفعال وسلوكيات طاعة وامتثال للأمر والنهي، على نمط مخصوص، طالبت الشريعة به، يجزى بها ويحاسب عليها. والتعلق بالعبادة، والظن بالنجاة بها: خروج عن مفهوم العبودية، وقدح في التوحيد. فتعلّق القلب من التوحيد، الّذي يصحّح العبادات، ولا ينسبها إلى النفس، بل إلى وليّها المنّان المتفضّل عليها. فيكون حينئذ التوحيد: أصل العبادة وموجه لها، وليس ركن منها وجزء منها، كما توهّمه ابن عبد الوهاب.

٥- قال الإمام الغزالي:

" روي في الأثر أن رجلين كانا من العابدين متساويين في العبادة، قال: فإذا أدخلا الجنة رفع أحدهما في الدرجات العلى على صاحبه، فيقول: يا رب ما كان هذا في الدنيا بأكثر مني عبادة فرفعته عليَّ في عليين، فيقول الله سبحانه: إنه كان يسألني في الدنيا الدرجات العلى وأنت كنت تسألني النجاة من النار، فأعطيت كل عبد سؤله."

العبادة هنا: الامتثال للأمر والنهي، أي الطاعة. ويجوز التساوي في العبادات من قبل شخصين وأكثر، أي أنهم يفعلون نفس الأعمال العباديّة، ولكن النتيجة يوم القيامة تكون على قدر المعرفة الحاصلة من التوحيد، وليس على قدر العبادات الكمّيّة. فمن كان على درجة من المعرفة، سأل ربّه النجاة من النار، ومن كان أعرف منه

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

بربّه، سأله الدرجات العلى، ومن كان أعرف منهما، سأل النظر إلى وجهه الكريم. وهذا دليل على أن التوحيد ليس العبادة كما قال ابن عبد الوهاب.

٦- قال عليّ بن الحسين:

" إن قوما عبدوا الله عز وجل رهبة فتلك عبادة العبيد، وآخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجار، وقوما عبدوا الله شكرا فتلك عبادة الأحرار."

العبادة أنواع: عبادة الرغبة، وعبادة الرهبة، وعبادة المحبّة. والفرق بين العبادات الثلاث: الباعث القلبي على العبادة. فالباعث القلبي عنوان التوحيد ومصدّق للعبوديّة. فإذا صحّ التوحيد، صحّت العبادة.

٧- قال أبو تراب النخشبي:

"ليس من العبادات شيء أنفع من إصلاح خواطر القلوب".

خواطر القلوب هي الباعثة على العبادة. وخواطر القلوب حسب التوحيد والعبودية.

وإصلاح خواطر القلوب يتطلب رياضات. ورياضات الإصلاح من العبادات، وهي أنفع عبادة.

فالعبادة الصادرة عن الخواطر القلبية تابعة للتوحيد والعبودية. وإصلاح الخواطر القلبية من العبادات.

٨- قالت العابدة شبكة البصريّة:

" تطهَّر النفوس بالرياضات، وإذا طهرت استراحت إلى العبادة، كما كانت قبل ذلك تتعنى فيها".

العبادة عناء للنفوس.

الرياضات عبادة تقوي النفس.

الرياضات تؤدي إلى تطهير النفس.

الرياضات تؤدي إلى استرواح النفس للعبادة. ولا يكون ذلك إلا بإصلاح خواطر القلوب التي تبعث على العبادة وتقيم النفس عليها.

٩- قالت العابدة لبابة المتعبّدة:

" مازلت مجتهدة في العبادة حتى صرت أستروح بها. فإذا تعبت من لقاء الخلق آنسني ذكره، وإذا أعياني حديث الخلق روحني التفرغ لعبادة الله، والقيام إلى خدمته".

الاجتهاد في العبادة: إجهاد النفس في العبادة بأنواع الرياضات من أجل قبول النفس بالعبادة والاسترواح بها.

للعبادة أوقات، ولا يمكن أن تكون هي التوحيد، لأن التوحيد لا وقت له.

الحديث إلى الخلق أخرجته من العبادة، لأنّه من العادة. والعبادة هنا بمعنى خدمة الله والتفرغ له. فوضح لك الفرق بين التوحيد والعبادة.

١٠- قال الفضيل بن عياض:

" نظر الرجل إلى وجه أخيه على المودة والرحمة عبادة"

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ما أخرجته لبابة من العبادة (الحديث إلى الخلق) أدخله الفضيل (نظر الرجل إلى وجه أخيه).

كل حركة لوجه الله عبادة. هذه عبادة من كمل توحيدهم. فهم في عبادة كل الوقت. وهؤلاء توحيدهم عبادة وعبوديّة، وعبادتهم توحيد وعبوديّة، وعبوديّتهم عبادة وتوحيد. فالكلّ من الله، وفي الله، وإلى الله.

وفرق بين هذا الكلام، وبين من يقول: العبادة هي التوحيد لأن الخصومة فيه؟؟.

١١- قال الإمام الغزالي:

"قال بعضهم: أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن أعراض الناس"

توحيدهم توكل، وعبوديتهم حرية وعبادتهم الكف عن أعراض الناس.

إسقاط رؤية الخلق، أدى إلى عبادة ليس للخلق فيها نصيب.

لا يتعرضون لأعراض الناس لأنهم لا يرون الناس إلا بمنظار التوكل والتوحيد. بل هم لا يرون الناس لأنهم يرون أنفسهم في البداية، فيشتغلون بإصلاح خواطرها، بالرياضات والمجاهدات، فإذا صلحت سقطت أيضا من الرؤية، ولم يبق إلا رؤيته سبحانه وتعالى. فأين الخلق منه، والكلّ منه وبه وإليه؟؟.

فالتوحيد في هذه القولة هو ثمرة العبادات الجهادية النفسية. والعابد من اشتغل بنفسه.

١٢- قال أبو يزيد البسطامي:

" اطلع الله على قلوب أوليائه، فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفا، فشغلهم بالعبادة".

إذا كان العابد من اشتغل بنفسه، كما سبق في القولة الماضية، فالعارف من اشتغل بربّه.

فالعباد بأنفسهم، والعارفون بربّهم، والكلّ به وله وإليه.

والعبادة غير المعرفة. فالعبادة للجوارح، والمعرفة للقلب.

وعبادة القلب: توحيد الله والعبودية الصرفة، وثمرة ذلك: المعرفة.

١٣- قال يحي بن معاذ:

" العبادة حرفة: حوانيتها الخلوة، ورأس مالها الاجتهاد بالسنة، وربحها الجنة".

العبادة حرفة، وهي التجارة، وبضاعتها: النفس.

العبادة هنا: الطاعة على طريق السنة، والامتثال للأمر والنهي بالسنة، في خلوة، طلبا للجنة.

فجاءت العبادة في هذا التعريف بالشمول، إلا أنها فرّقت في التوحيد: فتوحيد يبعث على العبادة، وتوحيد يصاحب العبادة في الخلوة، وتوحيد مثمر من الحرفة.

١٤- قال محمّد بن علي الكتاني:

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

" العلم بالله أتم من العبادة له".

العلم بالله هو أشرف العلوم، وهو علم التوحيد. والعبادة لله قد تكون بالعلم، وقد تكون بالعادة. فمن كانت عبادته عن علم، أي توحيد خالص متحقق، كانت أتمّ. وواضح الفرق بين التوحيد والعبادة.

١٥- قال محمّد بن علي الكتاني:

" روعة عند انتباه عن غفلة، وانقطاع عن حظ النفسانية، وارتعاد من خوف قطيعة، أفضل من عبادة الثقلين".

الروعة: ثمرة ما يلقى في روعك عندما تنتبه من الغفلة، وتشهد الحضور الرباني. وهي من ثمرات التوحيد، لأن التوحيد شهود، وثمرته المعرفة.

وانقطاع النفس عن حظّها: تمام العبوديّة لله عزّ وجلّ.

والارتعاد الصادر عن خوف دائم في هذا المقام، هو خوف السلب، وهو حالة مصاحبة للمقام.

كلّ هذا أفضل من العبادات الصادرة عن الثقلين، عن عادة وليس عن علم وشهود.

فالتوحيد هو الأصل، وليس هو جزءا من العبادة كما يدّعي الوهابيّون.

١٦- قال لقمان لابنه:

"يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة. وخرست الحكمة وقعدت الأعضاء عن العبادة".

وقال يوسف بن الحسين الرازي:

"خفة المعدة من الشهوات والفضول، قوّة على العبادة"

وقال أبو سليمان الداراني:

"أحلى ما تكون إليَّ العبادة إذا التصق ظهري ببطني".

قال رجل لابن سيرين:

"علمني العبادة فقال لـه: كيف تأكل؟ فقال: أكل حتى أشبع. قال: هذا عادة الدواب، يجب عليك أن تتعلم آداب الأكل ثم العبادة."

العبادة التي طلب الرجل تعلمها من ابن سيرين، هي إصلاح النفس وتطهيرها، وتقويم الخواطر القلبية، وهي عبادة القلب. فالجوع هنا، مشجع على العبادة القلبية.

وتقف بعض الجوارح عائقا أمام العبادة، وتكون حجابا بين التوحيد والعبادة. فلا القلب ينبض بالفكرة وينطق بالحكمة، ولا الجوارح تقوى على العبادة.

ويظهر أحيانا، تحكم الجوارح في القلب، وأحيانا أخرى تحكم القلب في الجوارح. فامتلاء المعدة يثبط الأعضاء عن العبادة، ويطفئ شعلة الفكرة، ويخرس الحكمة. فإذا الجوع باعث على قوّة العبادة. والشبع حجاب على القلب. فمن أجاد الأكل تعلم كيف يتنور قلبه على جوارحه، وتظهر منه العبادة الحكمية.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وتذكّر آدم عليه السلام، كيف تعلم الأسماء كلّها، ونال حظوة العلم ومعدته فارغة.

وكلّ هذا من أجل توحيد صاف متحقق، ومشاهدة الحضرة الربوبيّة. فالجوع باعث على العبادة، والعبادة باعث على المشاهدة، والمشاهدة تجريد في التوحيد.

١٧- قال أبو حامد الغزالي :

"أصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله والتفكر في جلاله".

جعل الانقطاع إلى الله على الدوام المعبّر عنه بذكر الله، والتفكر فيه: أصل العبادة ومخّها.

العبادة التي ليس فيها ذكر لله على الدوام: عبادة لا أصل لها، ولا مخ لها. أي أنها عبادة جوفاء . تعب لا غير.

جوهر العبادات: توحيد الله وذكره والتفكر في جلاله، ولا يعني هذا أن التوحيد جزء من العبادة وفرد من أفرادها كما يقول ابن عبد الوهاب، بل التوحيد هو الغاية والمنتهى: وأن إلى ربّك المنتهى.

١٨- قال عمر بن عبد العزيز:

"الفكرة في نعم الله عز وجل من أفضل العبادة".

الفكرة في نعم الله من العبادات، وليست من المعرفة.

التفكر في نعم الله يؤدي إلى شكر الله، وهو من تمام العبوديّة، والّذي ينتج معرفة وفكرا آخر يكون مفتاحا للعبادة ومخها.

فالتفكر نوعان: تفكر في آلاء الله، وتفكر في الله، في جماله وجلاله، وليس في ذاته.

فالأول من العبادات المطالب بها، ومن الرياضات والمجاهدات.

والثاني سرّ العبادات ومخّها وأصلها، وهو خارج عنها.

فالتفكر تابع للعبادة في البداية، وهي تابعة له في النهاية.

١٩- قال ذو النون المصري:

"مفتاح العبادة الفكرة. وعلامة الهوى متابعة الشهوات. وعلامة التوكل انقطاع المطامع".

الفكرة في الله، من التوحيد، وهي عنوان المعرفة. والمعرفة على قدر التوحيد.

ومفتاح العبادة: الفكرة في الله.

فإذا كانت الفكرة في الله معرفة بالمشاهدة، كانت العبادة من طراز العارفين.

وإذا كانت الفكرة خيالية أو نفسية أو عقلية، كانت العبادة تابعة لها.

فالفرق واضح بين التوحيد والعبادة.

٢٠- قال سهل بن عبد الله التستري:

"ما عبد الله بشيء أفضل من مخالفة الهوى في ترك الحلال".

هذه عبادة أهل الورع، الذين يجعلهم توحيدهم يتورعون عن الحلال والمباح، قمعا للهوى والحظ النفساني. وتواصلا مع الله تعالى في الفكرة والمشاهدة.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

فدرجة العبادة وأفضليّتها، تابعة للتوحيد ومقامه. وليس العكس كما توهّمه ابن عبد الوهاب.

٢١- قال بشر بن الحارث:

"لا تجد حلاوة العبادة، حتى تجعل بينك وبين الشهوات حائطا من حديد".

العبادة بمعنى الطاعة والامتثال للأمر والنهي، وحلاوتها من مقام التوحيد الذي انبثقت عنه.

والنفس بطبيعتها غير ميالة إلى العبادة، ولكنها موحّدة بالقهر.

ولا تنفر النفس من العبادة إذا أقمت حجابا بينها وبين الشهوات. بل إن الحائط الحديدي الّذي تقيمه بين النفس وشهواتها، يفتح الممرّ منها إلى القلب، إلى السرّ، إلى التوحيد.

فالعبادة تنفتح على التوحيد بفعل احتجاز الشهوات، والعكس بالعكس.

٢٢- قال أحمد بن أبي الحوارى :

"من أحب أن يعرف بشيء من الخير، أو يذكر به، فقد أشرك في عبادته، لأن من عبد على المحبّة، لا يحب أن يرى خدمته سوى محبوبه".

التوحيد في العبادة: العبادة الصادرة عن التوحيد.

الشرك في العبادة: العبادة الصادرة عن الشرك.

الباعث القلبي هو الّذي يعطي للعبادة صفة التوحيد أو الشرك.

أمّا الشرك بالعبادة وليس في العبادة. فهو الشرك الخفيّ. وهو مدار الآية ١١٠ من الكهف. {قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِهِ أَحَدَا}

فحب الشهرة: شرك بالعبادة، وهو الشرك الأصغر أو الرياء. والرياء يضاد العبودية. لأن الرياء رؤية النفس والعجب بها، والعبودية إسقاط لرؤية النفس.

والرياء يضاد التوحيد، لأن الرياء رؤية النفس والعجب بها، والتوحيد إسقاط رؤية الخلق.

وأكثر شرك المسلمين من هذا النوع: الشرك بالعبادة، وهو الشرك بالمحبّة (محبّة النفس والدنيا). وهو خطير، باعتبار أن القلب لا يمكن له أن يحتوي على حبين، فلا بدّ لأحدهما أن يطرد الآخر.

٢٣- قال أبو حفص النيسابوري :

"لا تكن عبادتك لربّك سببا، لأن تكون معبودا".

العبادة لا تقبل وتصحّ إلا بصحة العبودية: وإسقاط رؤية النفس.

من كانت عبادته للشهرة والدعوى، كانت سببا في أن يكون معبودا، فقد تخلخلت عبوديته، ورآى نفسه، وطلب الشهرة، ووقع في الرياء، وجعل نفسه ربا، وأشرك بعبادته.

الرياء: متلف للتوحيد والعبوديّة والعبادة.

٢٤- قال خير النساج:

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

"لا نسب أشرف من نسب من خلقه الله تعالى بيديه، فلم يعصمه، ولا علم أشرف من علم من علمه الله الأسماء كلّها، فلم ينفعه في وقت جريان القدر والقضاء عليه، ولا عبادة أتم ولا أكثر من عبادة إبليس، لم ينجه ذلك من المسبوق عليه".

إبليس كان أعبد الخلق، فانقلب قلبه الواقع بين إصبعين من أصابع الرحمن، وجرى عليه المقدر.

الشرّ يقع إذا رأى الشخص عبادته، ونسب كثرتها وفضلها لنفسه، وانقطع وصله بربّه، فتلك المصيبة العظمى.

ولاحظ، كيف وصف العبادة بالكثرة لأنها من جنس الأفعال والأعمال الصالحة، ووصفها بالتمام لصدورها عن علم التوحيد. وليس العكس كما رآه ابن عبد الوهاب.

٢٥- قال عبد الله بن منازل:

"ذكر الله تعالى أنواع العبادات، فقال: "الصابرين والصادقين والقانتين والمستغفرين بالأسحار" آل عمران ١٧. فختم المقامات كلها بمقام الاستغفار، ليري العبد تقصيره في جميع أفعاله وأحواله، فيستغفر منها".

من أنواع العبادات المذكورة في القرآن:

عبادة الصبر وعبادة الصدق وعبادة القنوت وعبادة الاستغفار. وهي عبادات الجوارح والقلب.

وقد ختم بالاستغفار لأنه البداية والنهاية.

فالاستغفار في البداية مقام التوبة. والاستغفار في النهاية بعد الفناء في التوحيد، وتجريده: ارتقاء لا حد له في الدرجات، فيكون الاستغفار مما يغان على قلب الفاني في ارتقائه، من درجة إلى أخرى. فالاستغفار هنا من أحوال الكمّل: الأنبياء والأولياء، وهي التوبة المتجدّدة من التقصير في التوحيد، في كلّ درجة يتجاوزها إلى أعلاها، فيشهد من لطائف الجمال ورقائق الجلال ما يجعل توحيده في الدرجة الفائتة ناقصا، فيستغفر. وذلك مما يغان على قلبه عليه الصلاة والسلام، فيستغفر أكثر من سبعين مرّة يوميّا.

فيتضح من هذه القولة أن العبادة (الاستغفار) تابعة لدرجة التوحيد، وليس العكس.

٢٦- قال أبو القاسم النصراباذي:

"العبادات، إلى طلب الصفح والعفو عن تقصيرها، أقرب منها إلى طلب الأعواض والجزاء بها".

العبادات التوحيدية تثمر الاستغفار المتواصل الصادر عن مقام العبديّة، وهو أعلى مقام تحقق فيه الأنبياء والأولياء، كلّ حسب ما قسّم له الله تعالى. أمّا عبادة العادة فهي تثمر طلب الجزاء والثواب.

٢٧- قال عبد الله الرازي:

"العارف لا يعبد الله على موافقة الخلق، بل يعبده على موافقته عزّ وجلّ".

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

من تمام المعرفة: موافقة الله ومخالفة الخلق والنفس.

فالعبادة الصادرة عن معرفة التحقق هي عبادة العارف بالله، وهي عبادة التوحيد الخالص.

فالإخلاص في العبادة هو ثمرة معرفة التحقق، أي ثمرة التجريد، أي الفناء في التوحيد، وهو تمام الموافقة، ونزع حظ المنازعة. وهذه هي عبادة السلف.

وأين هذا، من توهّم العبادة أنها التوحيد، أو أن التوحيد فرع من العبادة؟؟.

٢٨- قال إبراهيم بن شيبان

"من أراد أن يكون حرا من الكون، فليخلص في عبادة ربّه، فمن تحقق في عبادة ربّه صار حرا مما سواه".

عبادة الربّ بإخلاص تؤدّي إلى التحقق في العبادة. والتحقق في العبادة يؤدّي إلى الحرية من الكون، ومن النفس: مما سواه. فالعبادة تؤدي إلى العبوديّة (إسقاط رؤية النفس) وإلى التوحيد (إسقاط رؤية الخلق).

فهناك إذن عبادة تؤدي إلى عبودية وتوحيد، وعبادة صادرة عن عبودية وتوحيد. أي عبادة قبل التحقق، وعبادة بعد التحقق. وهذا فرق واضح بين العبادة والعبوديّة والتوحيد.

٢٩- قال أبو سعيد بن الأعرابي:

"اشتغالك بنفسك يقطعك عن عبادة ربك، واشتغالك بهموم الدنيا يقطعك عن هموم الآخرة، ولا عبد أعجز من عبد نسي فضل ربه، وعدّ عليه تسبيحه وتكبيره، الّذي هو إلى الحياء منه، أقرب من طلب ثواب عليه أو افتخار به".

تنقطع العبادة بالاشتغال بالنفس.

والعبادة الصادرة عن رؤية النفس تختلف عن العبادة الصادرة عن العبودية.

فالعبادة المنقطعة عن الرب: عبادة الغفلة، أو عبادة العادة، تختلف عن عبادة التحقق: عبادة العبودية، لأن العبوديّة إسقاط لرؤية النفس.

فالاشتغال بالنفس، أي رؤيتها، يقطع عبادتك عن ربّك، أي يقطع عبوديّتك، والاشتغال بالخلق، أي رؤيتهم، يقطع عبادتك عن ربّك، أي عن توحيدك.

فلا عبوديّة لمن أثبت رؤية النفس، ولا توحيد لمن أثبت رؤية الخلق. وهذا هو الفرق بين العبادة والعبودية والتوحيد.

٣٠- قال محمد بن علي بن الحسين:

"ما من عبادة أفضل من عفة بطن أو فرج، وما من شيء أحب إلى الله عز وجل من أن يسأل، وما يدفع القضاء إلا الدعاء، وإن أسرع الخير ثوابا: البر، وأسرع الشر عقوبة: البغي، وكفى بالمرء عيبا أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه، وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه".

أثر التوحيد والعبودية على النفس: المعرفة والحرّية. وأثر العبادة يظهر على المجتمع: الكف عن البغي وعن أعراض الناس. أي السلم الاجتماعي.

فكل الآثار الاجتماعية من العبادة.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

فمن لم تنهه صلاته (عبادته) عن المنكر فلا صلاة له.
من لم ينهه الصوم(عبادته) عن المنكر فليس له إلا الجوع والتعب.
فظهور العبادات في المجتمع: بالعفة والخلق الحسن، وظهور التوحيد في المجتمع: بالمعرفة والعلوم. وهذا فرق آخر بين العبادة والتوحيد.
٣١- قال أبو حامد الغزالي:
"العابد المغرور لنفسه يغضب، ولهواه يمتعض، ثم إن الشيطان يخيل إليه أنه من الدين حتى يعتل على الله بهواه فيزيده ذلك بعدا من الله، ومن لم يطلع على مكايد الشيطان وآفات النفوس فأكثر عباداته تعب ضائع يفوّت عليه الدنيا ويخسره في الآخرة، وفيهم قال الله تعالى: {قُلْ هَلْ نُنبِّئُكُمْ بالأخْسَرِينَ أعْمالاً الَّذينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ في الحَياةِ الدُّنْيا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً}".
العابد المغرور: يغضب لنفسه ويمتعض لهواه، ويحتال عليه الشيطان، كلّ هذا لأن توحيده ناقص، ولم يطلع على مكايد الشيطان. لأن الاطلاع على مكايد الشيطان من تمام التوحيد.
فالعبادة صنعة، إما هي نابعة من توحيد خالص، فهي مقبولة لوجه الله، أو هي مخلوطة، أو هي تعب في الدنيا، وخسران في الآخرة.
٣٢- قال الحسن البصري:
"والله لقد عبدت بنو إسرائيل الأصنام بعد عبادتهم للرحمن تعالى بحبهم الدنيا".
الدنيا صنم، وحبها عبادة الأصنام.
والتوحيد لم يستقر في نفوس الأقوام السابقة إلا في المسلمين، وقد يئس الشيطان أن يعبد في الإسلام.
فشرك المسلمين بالعبادة وليس في العبادة.
وشرك المسلمين يخالط التوحيد ولا ينفيه في الغالب، إلا إذا غلب.
٣٣- قال يحيـى بن معاذ:
"مثقال خردلة من الحب أحب إلي من عبادة سبعين سنة بلا حب".
أفرد الحب الذي هو عمل قلبي عن العبادة التي هي عمل للجوارح، تابعة للحب.
فالعبادة الناشئة عن الحب أفضل من تلك التي ليس فيها حب.
لأنّ العبادة الناشئة عن الحب صادرة عن التوحيد. وليس العكس.
٣٤- قال أحمد بن الفتح:
"رأيت بشر بن الحارث في منامي وهو قاعد في بستان، وبين يديه مائدة، وهو يأكل منها، فقلت له: يا أبا نصر، ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي ورحمني وأباحني الجنة بأسرها، وقال لي: كل من جميع ثمارها واشرب من أنهارها وتمتع بجميع ما فيها، كما كنت تحرم نفسك الشهوات في دار الدنيا، فقلت له: فأين أخوك أحمد بن حنبل؟ قال: هو قائم على باب الجنة، يشفع لأهل السنة ممن يقول القرآن كلام الله غير

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

مخلوق، فقلت له: فما فعل معروف الكرخي؟ فحرك رأسه ثم قال لي: هيهات، حالت بيننا وبينه الحجب، إن معروفا لم يعبد الله شوقا إلى جنته ولا خوفا من ناره، وإنما عبده شوقا إليه فرفعه الله إلى الرفيع الأعلى، ورفع الحجب بينه وبينه، ذاك الترياق المقدس المجرب، فمن كانت له إلى الله حاجة، فليأت قبره وليدع، فإنه يستجاب له إن شاء الله تعالى".

يشير إلى فضل العبادة الصادرة عن توحيد المعرفة والشوق إليه.

وهنا اختلاف التوحيد: توحيد الخوف وتوحيد الرجاء، توحيدان ناقصان، إذا كانا صادران عن مقاما الخوف والرجاء.

أمّا توحيد المحبة يشمل الخوف والرجاء، لأنهما يصبحان حالان مصاحبان للمقام الأعلى، وليسا مقامين متأخران.

٣٥- قيل لمسروق: لو أنك قصرت عن بعض ما تصنع أي من العبادة؟ فقال:

"والله، لو أتاني آت، فأخبرني أن الله لا يعذبني، لاجتهدت في العبادة، قيل: وكيف ذلك؟ قال: حتى تعذرني نفسي، إن دخلت جهنم لا ألومها، أما بلغك في قوله عز وجل: "ولا أقسم بالنفس اللوامة" إنما لاموا أنفسهم حين صاروا إلى جهنم، واعتقبتهم الزبانية، وحيل بينهم وبين ما يشتهون، وانقطعت عنهم الأماني، ورفعت عنهم الرحمة، وأقبل كل امرىء منهم يلوم نفسه".

هذه نوع من العبادات الناشئة من التوحيد الصحيح، الّذي لازمه الخوف من لوم النفس. وهو خوف مصاحب للمقامات.

مطالبة القوم له بالتقصير عن العبادة لا يفهم منها مطالبتهم له بالتقصير عن التوحيد. لذلك كان التوحيد يختلف عن العبادة.

٣٦- قال أحمد الرفاعي:

"مجلس علم أفضل من عبادة سعين سنة، أي من العبادات الزائدة عن المفروضات التي يتعبد الرجل بها بغير علم. "هل يستوي الّذين يعلمون والّذين لا يعلمون" الزمر ٩. "أم هل تستوي الظلمات والنور" الرعد ١٦".

العبادات المفروضة والعبادات الزائدة دليل على أن التوحيد لا يدخل في العبادة ولا في هذا التقسيم.

وكأن الوليّ سيدي أحمد الرفاعي أخرج مجلس العلم من العبادة ونسبه إلى التوحيد والمعرفة.

٣٧- قال أحمد الرفاعي:

"القلوب الموقوفة مع ملاحظة الأجسام، عابدة للأصنام".

العبادات صادرة عن توحيد القلب.

فمن كان في قلبه توحيد خالص لله، لا يرى إلا الله، مسقطا لرؤية الكون والنفس، أي للسوى، فعبادته خالصة لوجه الله تعالى.

وأما من كان في قلبه رؤية للأجسام، فإن رؤيته لها، ووقوفه معها، وملاحظتها، وإقرانها بالله، دليل على عبادتها، وهو الشرك بالعبادة.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ونسب للقلوب عبادة الأصنام، لأن الشرك فيها.

٣٨- قال أبو حامد الغزالي:

"العبادات خزائن، بها يتوصل إلى السعادات، ومفاتيحها القدرة والإرادة والعلم وهي بيد الله لا محالة".

العبادات خزائن، وكأنها خارجة عن الإنسان. فلأنها خارجة عن القلب، قال إنها خارجة عن الإنسان.

والعبادات توصل إلى السعادات، إذا كانت من توحيد خالص.

فالتوحيد من علم الله، والعبودية من إرادة الله، والتوكل من قدرة الله: وهذه مفاتيح العبادة.

٣٩- سئل أبو يزيد البسطامي: بماذا يستعان على العبادة؟ فقال:

"بالله، إن كنت تعرفه".

العبادة شيء والاستعانة بالله شيء آخر، وهو التوكل.

والجواب هو ملخص: إياك نعبد وإياك نستعين. قال القرطبي في تفسيره للفاتحة:

" قال السُّلَمِيّ في حقائقه: سمعت محمد بن عبد اللَّه بن شاذان يقول: سمعت أبا حفص الفرغاني يقول: من أقرّ بـ «إياك نعبد وإياك نستعين» فقد برىء من الجَبْر والقَدَر". أي سلم توحيده.

فالعبادة هنا: طاعة الأمر والنهي، والأعمال الشرعيّة، ويستعان على تأديتها بالتوكل. وشرط له: معرفة الله، وهي ثمرة التوحيد.

فالتوكل المثمر للعبادة ما كان عن معرفة وشهود، أما خلاف ذلك فتعب ونصب.

٤٠- قال أبو محمّد الراسبي:

"خلق الله الأنبياء للمجالسة، والعارفين للمواصلة، والصالحين للملازمة، والمؤمنين للعبادة والمجاهدة".

عبادة المؤمن العادي: مجاهدة على الدوام للنفس والشيطان والدنيا.

وعبادة الصالحين: ملازمة الطريق والأوراد، والمقام.

وعبادة العارفين: مواصلة بينهم وبين الرب. وصال باعتبار الوصول.

وعبادة الأنبياء: مجالسة ومناجاة على الدوام.

وتلاحظ أخي كيف أنه أفرد المجالسة والمواصلة والملازمة، عن المجاهدة والعبادات، لأنها مقامات وأحوال القلب، وهي من ثمار التوحيد.

ونكتفي بهذه الأقوال الاربعين التي تثبت بما لا يدع مجالا للشك، أن العبادة تختلف عن التوحيد والعبودية والمعرفة، وهي ـ أي العبادة ـ: أفعال ومجاهدات ورياضات القصد منها إصلاح خواطر القلوب الباعثة على تحريك الجوارح والمشاعر، من أجل توطين التوحيد في القلب، وتجريده في السرّ، وإثمار المعرفة

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

بالله، التي بدورها تظهر عبادات توحيدية خالصة لوجه الله، أو في حالات أخرى، عبادات مختلطة أو شركية.

وقول: لا إله إلا الله من أركان الإسلام، أي من العبادات، ولكن تحقيق التوحيد، غاية كلّ العبادات، ولذلك كان التوحيد أصلاً وسرّا وعلما، مقاما، وحالا، يشمل كلّ شيء في درجات الكمال والتمام.

مفهوم الطاغوت في فكر ابن عبد الوهاب

الباب الأول كتاب التوحيد

الآية الثانية: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُل أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي ٱلأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُكَذِبِينَ} ٣٦ النحل.

النص الأوّل:

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

من الباب الثاني:
قال الشارح: علي بن خضير الخضير:
"والمصنف استخرج على هذه الآية مسألتين في أمر الكفر بالطاغوت.
المسألة السابعة: قال: المسألة الكبيرة أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت ففيه معنى قوله (فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى) .
المسألة الثامنة: أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله، وأراد المصنف أن يبين أهمية التوحيد وعظم شأنه وأنه يدخل في ذلك الكفر بالطاغوت فهو عظيم الشأن، ولذا قال: المسألة الكبيرة، فسماها كبيرة وهي الكفر بالطاغوت، وللمصنف باب مستقل سوف يأت إن شاء الله في مسألة الكفر بالطاغوت وبيان أهميته، وهو باب تفسير التوحيد، فإنه في آخره عظّم مسألة الكفر بالطاغوت، وأنها من أركان التوحيد، والباب الثاني باب قوله (ألم تر إلى الذين يزعمون) الآية، وكذلك له رسالة مستقلة في الدرر السنية وفي أول مجموعة التوحيد باسم رسالة في الكفر بالطاغوت ورؤوسه وبيان ذلك."
الملخص:
يرى المصنف أن عبادة الله لا تحصل إلا بالكفر بالطاغوت.
يرى المصنف أن الطاغوت عام في كلّ ما عبد من دون الله.
يرى الشارح أن المصنف أدخل الكفر بالطاغوت في التوحيد، وأنه مسألة كبيرة وشأن عظيم.
يرى الشارح أن المصنف عظم مسألة الكفر بالطاغوت إلى درجة أنه أفرد له بابا مستقلا (الباب السادس) ورسالة مستقلّة.

النص الثاني:
من الباب الخامس المعنون: باب الدعاء إلى شهادة ألا إله إلا الله:
قال الشارح: علي بن خضير الخضير:
"المسألة الثانية: ماذا يقصد المصنف بهذا الباب؟ يقصد بيان قواعد وأصول في الدعوة إلى التوحيد (وهو الدعوة إلى الإخلاص وإفراده تعالى بالعبادة وترك الشرك والكفر بالطاغوت، ويتبع ذلك الدعوة إلى شروط لا إله إلا الله)"
الملخص:
يرى الشارح أن المصنف يقصد من "باب الدعاء إلى شهادة ألا إله إلا الله" بيان قواعد وأصول في الدعوة إلى التوحيد، والتي من بينها: الكفر بالطاغوت.

النص الثالث:
من الباب السادس المعنون: باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا اله إلا الله.
قال الشارح: علي بن خضير الخضير:

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

"فالتوحيد إفراد الله بالدعاء (استغاثة أو استعاذة أو التجاء أو شفاعة وتوسط)وبالطاعة وبالمحبة والبراءة من الشرك والطاغوت ومن المشركين والطواغيت، وهذه الأربعة هي أصول توحيد الألوهية."

الملخص:

يرى الشارح أن البراءة من الطاغوت من أصول توحيد الألوهيّة.

النص الرابع:

من الباب السادس المعنون: باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا اله إلا الله.

قال الشارح: علي بن خضير الخضير:

"ثم في آخر الباب هنا ذكر المصنف أمورا لا يحصل معها الكفر بالطاغوت، وهما اثنان:

١ـ الشك في الكفر بالطاغوت.

٢ـ التوقف في الكفر بالطاغوت .هكذا قال في الفتح ص١١٥ وفي القرة ص٢٧ ، شك أو توقف، أما في التيسير ص١١٩ وفي الإبطال ص٣٠ فقالا شك أو تردد، والأقرب للمعنى ما قال في الفتح، لأن شك بمعنى تردد.

ويتولد مما قال المصنف في الشك والتوقف أشياء هي أشد منهما دلالته من باب أولى من فعلها فانه لم يكفر بالطاغوت وهى:

*ـ الإيمان بالطاغوت.

*ـ تصحيح الطاغوت.

*ـ إلزام الناس به.

* ـ مدح الطاغوت وأهله ومحبتهم.

* ـ فرض الطاغوت وحمايته.

* ـ من والى وعادى في الطاغوت.

وهذه أمور تتعلق بالطاغوت.

وهناك أمور تتعلق بأهل الطاغوت من عدم بغضهم ومعاداتهم والبراءة منهم وتكفيرهم ونحوه، ويأتي ذكرها إن شاء الله فيما بعد."

الملخص:

يرى المصنف أن الكفر بالطاغوت لا يحصل ولا يتم إذا كان هناك شكّ أو توقف في الكفر به.

يولّد الشارح من كلام المصنّف أفعالا من أتى بها لم يكفر بالطاغوت، منها: الإيمان بالطاغوت وأهله، ومدحه وتصحيحه وإلزام الناس به وموالاته ..الخ.

النص الخامس:

من الباب الثاني:

قال الشارح: علي بن خضير الخضير:

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

قضية معاصرة:

"وهي مسألة عظيمة خصوصا في وقتنا الحاضر أن يُهتم بركن الكفر بالطاغوت والبراءة منه ومعاداته وبغضه وتكفيره وأهله، فيوجد دول طاغوتية وحكومات طاغوتية ومذاهب وأحزاب وصحف ومحاكم وأنظمة وأشخاص وقاده ومنظرين ومفكرين ووسائل إعلام .. كلها يطلق عليها طاغوت، لا بد من البراءة منها وبغضها ومعاداتها واعتقاد بطلانها وتكفير أهلها ويأتي إن شاء الله مزيد إيضاح في بابه.

وهذا هو أعظم خلل يقع في الجماعات والتيارات الإسلامية والقيادات الإسلامية من علماء وطلبة علم ودعاة وشباب عدم الاعتناء بهذا الأصل الأصيل إلا من رحم الله ولا حول ولا قوة إلا بالله، بل إن الاعتناء بهذا الأمر اليوم يُصنّف صاحبه في خانة الخوارج والحرورية والتيار التكفيري وأهل الغلو والإرهاب وكذا وكذا (ألقاب وألقاب)."

الملخص:

يرى الشارح أن مسألة الكفر بالطاغوت عظيمة في وقتنا الحاضر، ووجب الاهتمام بها.

يرى الشارح أنه علينا الاهتمام بالكفر بالطاغوت والبراءة منه ومعاداته وبغضه وتكفير أهله.

يرى الشارح أنه يوجد بيننا: دول وحكومات وأحزاب ومذاهب وصحف ومحاكم وأنظمة وأشخاص وقادة ومفكرين ووسائل إعلام..كلها طاغوتية ويطلق عليها اسم: طاغوت.

يرى الشارح أن كل هذه الدول ومؤسساتها وأهلها وقادتها وشعوبها كفار وجب البراءة منهم ومعاداتهم وبغضهم.

يعيب الشارح على الجماعات والتيارات الإسلامية عدم اهتمامها بهذا الركن العظيم، والأصل الأصيل: الكفر بالطاغوت.

يرى الشارح أن الاعتناء بهذا الأمر يصنّف صاحبه في خانة الخوارج والتيار التكفيري والارهاب.

النص السادس:

من الباب السادس المعنون: باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا اله إلا الله.

قال الشارح: علي بن خضير الخضير:

"وفي هذا قضية معاصرة وهى أنه لابد من الكفر بالطواغيت المعاصرة مثل المحاكم القانونية سواء أكانت إقليمية أو محلية أو عالمية ومثل الحكومات الطاغوتية، ومثل الحكام المشركين والبراءة منهم ومعاداتهم، والمجالس التشريعية البرلمانية وأمثالها، ومثل وسائل الإعلام الطاغوتية ومثل الكتب والأحزاب والنوادي الطاغوتية.ونحو ذلك كما أشرنا إليه سابقا. ولا يمكن أن تُسمى دعوة سلفية أو

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

سنية أو منتسبة إلى أهل السنة والجماعة أو الحديث وهى لا تهتم بمسألة الكفر بالطاغوت اهتماما عظيما وتحرر هذه المسالة وتكررها دائما وأبدا، ليلا ونهارا سرا وعلانية، بل لم ترسل الرسل إلا من أجلها (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)"

الملخص:

يرى الشارح أنه لا بد من الكفر بالطواغيت المعاصرة: دولا وحكومات وهيئات وأحزاب ومحاكم ومجالس وأحزاب وكتب..الخ.

يرى الشارح أن من شروط الانتساب إلى السنة والجماعة والسلف الصالح الاهتمام بمسألة الكفر بالطاغوت، وتكرارها دائما وأبدا، ليلا ونهارا، سرّا وعلانيّة.

يرى الشارح، كما المصنّف أن الرسل لم ترسل إلى الناس إلا من أجل الكفر بالطاغوت.

النص السابع:

من الباب السادس المعنون: باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا اله إلا الله.

قال الشارح: علي بن خضير الخضير:

"وما حورب وأبغض الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلّا لما أظهر قضية التوحيد والكفر بالطاغوت وتكفيرهم وجهادهم مع القدرة، والله المستعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ولذا جاء (في التيسير ص١٢٣ وفي الفتح ص١١٣) وفيه أن الإنسان قد يقول لا إله إلا الله ولا يكفر بما يُعبد من دون الله."

الملخص:

يرى الشارح أن إظهار الشيخ ابن عبد الوهاب لقضيّة التوحيد والكفر بالطاغوت والتكفير والجهاد، سبّبت له البغض والمحاربة من قبل الكثيرين.

يرى الشارح أن الإنسان قد يقول لا إله إلا الله، ولا يكفر بما يعبد من دون الله.

التعليق:

بعد أن قدّمنا لمعنى التوحيد والعبادة عند ابن عبد الوهاب، وبينا ـ في مرحلة أولى ـ لخبطة وتوهم في مفهوم التوحيد عنده، وخلط بين العبادة والتوحيد، من خلال مناقشة استنباطه للمسائل السالفة الذكر، من الآية الأولى من الباب الأول، ارتأينا مناقشة مسألة اعتبرها المصنف هامّة في التوحيد، وهي ركن أساسي من أركان الدعوة الوهابية، ألا وهي: الكفر بالطاغوت، من خلال استنباطات الآية الثانية.

وانطلاقا من النصوص السابقة، يتبيّن لنا، بكلّ جلاء، أن الطاغوت مصطلح استخدمه ابن عبد الوهاب للإشارة به إلى كلّ ما عبد من دون الله: " أن الطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله" وهو تعريف فضفاض واسع يقع على مصطلح الشرك أيضا، لأن الشرك عبارة عن عبادة ما دون الله أيضا، ولا ندري بأي وسيلة يمكن التفريق بين الطاغوت والشرك؟؟.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ثمّ يركّز المصنّف، ومن بعده الشارح على أهمّيّة الطاغوت، فيدخله في التوحيد، ويجعل الكفر به أصلا من أصول الدعوة إلى التوحيد، وركن من أركان التوحيد، لا، بل هو مسألة عظيمة وشأن كبير، ولا بدّ من الاهتمام به في الدعوة الوهابية.

ومعنى الكفر بالطاغوت في المفهوم الوهابي: أن تكفر بالطاغوت وأهله وملّته، ويدخل في هذه الدائرة: كل الحكومات الطاغوتية والدول والأحزاب والنوادي ووسائل الإعلام والكتب والمجالس النيابية والهيئات الرسمية، والقادة والشعوب والمفكرون والمحاكم وغير ذلك، لأن القائمة غير حصريّة، ويمكن في أي وقت إضافة أسماء أخرى. فيجب الكفر بكل هذا والبراءة منه وبغضه، والخروج عليه، وقتاله باسم الجهاد في سبيل الله.

وللتدليل على أهمّيّة الموضوع، يوصي الشارح بتكرار هذه المسألة ليلا نهارا، سرّا وعلانيّة. بل إنه جعل الاهتمام بالكفر بالطاغوت شرطا لكلّ تيار إسلامي، للانتماء إلى السلفية والسنة والجماعة. فمتى أهمل الكفر بالطاغوت والبراءة منه وبغضه وقتاله، فإنه لا وجه له للانتماء إلى السنة والجماعة، بل قد يصبح أيضا طاغوتا، يؤمر بمحاربته وقتاله.

ويرى المصنف والشارح أيضا، أن الرسل لم يرسلوا إلا لمحاربة الطاغوت والكفر به، وهي مهمتهم الأولى، وعليه، فإن ابن عبد الوهاب، الّذي يسير على هدي الرسل أجمعين، ارتكز في دعوته، مثله مثل الرسل، على الكفر بالطاغوت، والبراءة منه، وجهاده.

ويعتقد الشارح، الذي يسير على هدي الدعوة الوهابية بكل حماس، أن الشيخ ابن عبد الوهاب، ما حورب وأبغض إلا لتركيزه على مسألة الكفر بالطاغوت والبراءة منه **وقتاله إن أمكن**، فهذا هو السبب الرئيسي للخلاف مع الشيخ وبغضه ونقده ومحاربته. "وما حورب وأبغض الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلّا لما أظهر قضية التوحيد والكفر بالطاغوت وتكفيرهم **وجهادهم مع القدرة**"

وخلاصة القول عند ابن عبد الوهاب وجماعته، أن الإنسان يمكن أن يقول: لا إله إلا الله، وهو لم يكفر بالطاغوت ولم يعلن البراءة منه، فوجب قتاله ومحاربته لأن توحيده ناقص، ولم يأت بالركن العظيم والشأن الكبير.

هذا ملخص لكلام ابن عبد الوهاب وعقيدته من ألفاظه وألفاظ شارحه، الّذي أخذ عهدا على نفسه أن يكون شرحه بيانا للمقاصد السرّية التي هي في ذهن شيخه وسيّده، اعتمادا على كتابات أخرى للشيخ، وعلى شروحات الحفيدين وطلبته، وعلى مقتضى مبنى كلامه في الكتاب موضوع النقد.

ومن كان عنده علم بالكتب الإسلامية قبل ابن عبد الوهاب، الناطقة بالتوحيد وشروحاته وأصوله، يعلم أن ابن عبد الوهاب أوّل من أدخل هذا المفهوم: الكفر بالطاغوت، في التوحيد. بل إن المصنف كانت له البادرة الأولى في الحديث عن هذا المصطلح بهذه الكيفية، فهو الأول في التركيز عليه، حسب علمنا، من بدء الخليقة إلى

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

عصره؟؟؟. ولا ندري أي فتح عظيم، هذا الذي بيّنه الشيخ ابن عبد الوهاب، ليكون الأول في تركيزه على المبدأ العظيم الكبير، قبل كلّ الخلق،، أي قبل الرسل والأنبياء والصالحين، وقبل حتى القرآن.

فابن عبد الوهاب المخلوق الوحيد الذي تكلّم في هذا الموضوع بهذا الكم الزاخر من الكتابات، وبهذه الكيفية العظيمة من الاهتمام، منذ خلق الله الأرض والسماوات العلى.

ونبدأ بالقرآن لبيان صحّة ادعائنا على ابن عبد الوهاب، ونفتش عن آيات الكفر بالطاغوت لنرى أي شأن لها في مفهوم التوحيد؟

نطق القرآن العظيم ٨ مرات بكلمة الطاغوت في ٨ آيات، هي:

{لاَ إِكْرَاهَ فِي ٱلدينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَيِ فَمَنْ يَكْفُرْ بِٱلطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لاَ ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} ٢٥٦ البقرة.

{ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُمْ مِنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَاتِ أُوْلَـٰئِكَ أَصْحَابُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} ٢٥٧ البقرة.

{أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ نَصِيباً مِنَ ٱلْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَؤُلاءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ سَبِيلاً} ٥١ النساء.

{أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَآ أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى ٱلطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً} ٦٠ النساء.

{ٱلَّذِينَ آمَنُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱلطَّاغُوتِ فَقَاتِلُواْ أَوْلِيَاءَ ٱلشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ ٱلشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً} ٧٦ النساء.

{قُلْ هَلْ أُنَبِئُكُمْ بِشَرٍّ من ذٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّاغُوتَ أُوْلَـٰئِكَ شَرٌّ مَّكَاناً وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ} ٦٠ المائدة.

{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلاَلَةُ فَسِيرُواْ فِي ٱلأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُكَذبِينَ} ٣٦ النحل.

{وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُواْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشرْ عِبَادِ} ١٧ الزمر.

وأول ما يتبادر إلى ذهن القارئ الرصين، أن السور التي وردت بها آيات الكفر بالطاغوت، هي سور مدنيّة، باستثناء الآية الأخيرة من سورة الزمر فإنها مكيّة.

وأسباب النزول الواردة في آيات الطاغوت تذكر أنها نزلت في اليهود وفي بعض الصحابة الذين أسلموا قبل الهجرة، من خارج قريش. وإليك مثالين:

المثال الأول: في فتح الباري:

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

"قوله تعالى (ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت) الآية، فروى إسحاق بن راهويه في تفسيره بإسناد صحيح عن الشعبي قال: "كان بين رجل من اليهود ورجل من المنافقين خصومة، فدعا اليهودي المنافق إلى النبي صلى الله عليه وسلم لأنه علم أنه لا يقبل الرشوة، ودعا المنافق اليهودي إلى حكامهم لأنه علم أنهم يأخذونها، فأنزل الله هذه الآيات إلى قوله: (ويسلموا تسليما)" وأخرجه ابن أبي حاتم من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد نحوه، وروى الطبري بإسناد صحيح عن ابن عباس "أن حاكم اليهود يومئذ كان أبا برزة الأسلمي قبل أن يسلم ويصحب"، وروى بإسناد صحيح آخر صحيح إلى مجاهد " أنه كعب بن الأشرف."

المثال الثاني: في تفسير البحر المحيط:

"قال ابن زيد: نزلت {وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ} في زيد بن عمرو بن نفيل وسلمان وأبي ذر"

وفي تفسير ابن كثير:

"قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه {وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ أن يَعْبُدُوهَا} نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر وسلمان الفارسي رضي الله تعالى عنهم والصحيح أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان وأناب إلى عبادة الرحمن فهؤلاء هم الذين لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة."

وقول ابن كثير:" أنها شاملة لهم ولغيرهم ممن اجتنب عبادة الأوثان وأناب إلى عبادة الرحمن" اجتهاد منه رحمه الله في غير موضعه، لأن زيد بن عمرو بن نفيل اجتنب الأصنام، واجتنب الدين النصراني أيضا على ما كان عليه من التثليث في العقيدة، ومعلوم أن التثليث ليس صنم بل هو اعتقاد شيطاني، فهو أقرب إلى الشيطان منه إلى الأصنام. قال صاحب فتح الباري في مناقب الأنصار:

"هو ابن عم عمر بن الخطاب بن نفيل، وقد تقدم نسبه في ترجمته، وهو والد سعيد بن زيد أحد العشرة؛ وكان ممن طلب التوحيد وخلع الأوثان وجانب الشرك، لكنه مات قبل المبعث، فروى محمد بن سعد والفاكهي من حديث عامر بن ربيعة حليف بني عدي بن كعب قال: " قال لي زيد بن عمرو: إني خالفت قومي، واتبعت ملة إبراهيم وإسماعيل وما كانا يعبدان، وكانا يصليان إلى هذه القبلة، وأنا أنتظر نبيا من بني إسماعيل يبعث، ولا أراني أدركه، وأنا أومن به وأصدقه وأشهد أنه نبي، وإن طالت بك حياة فأقره مني السلام، قال عامر: فلما أسلمت أعلمت النبي صلى الله عليه وسلم بخبره قال: فرد عليه السلام وترحم عليه، قال: ولقد رأيته في الجنة يسحب ذيولا ..... وروى البزار والطبراني من حديث سعيد بن زيد قال: "خرج زيد بن عمرو وورقة بن نوفل يطلبان الدين، حتى أتيا الشام، فتنصر ورقة وامتنع زيد، فأتى الموصل فلقي راهبا فعرض عليه النصرانية فامتنع"".

وقد اجتنب أبو ذرّ أيضا الأصنام والأوثان وصلى ثلاث سنين لله قبل إسلامه، ومعروف قصّة إسلام سلمان الفارسي.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ويتضح ممّا سبق أن أسباب النزول لآيات الطاغوت حصرت المعاني في سياق معيّن، ليس إلى توسيعه من سبيل. فلم يطلق الله تعالى اسم الطاغوت على كل الأصنام والأوثان وما يعبد من دون الله كما قال ابن عبد الوهاب، وإنما هناك مفهوم خاصّ يختلف عن الأصنام وعن الأوثان.

التفاسير ذكرت عدّة معاني للطاغوت، لنأخذ مثالا من ابن كثير الّذي يفسر الطاغوت تفسيرا فضفاضا مثل ابن عبد الوهاب. يقول ابن كثير في تفسيره للآية ٢٥٦ من سورة البقرة:

" أي من خلع الأنداد والأوثان، وما يدعو إليه الشيطان من عبادة كل ما يعبد من دون الله "

ثم يورد ابن كثير قولة لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، فيقول:

"قال عمر رضي الله عنه: إن الجبت السحر، والطاغوت الشيطان"

ثم يستخلص من هذا كلّه، ما يلي:

" ومعنى قوله في الطاغوت: إنه الشيطان، قوي جداً، فإنه يشمل كل شر كان عليه أهل الجاهلية من عبادة الأوثان والتحاكم إليها، والاستنصار بها"

الرازي بعد أن ذكر التعريف اللغوي للطاغوت قال:

"إذا عرفت هذا فنقول: ذكر المفسرون فيه خمسة أقوال:

الأول: قال عمر ومجاهد وقتادة هو **الشيطان**.

الثاني: قال سعيد بن جبير: **الكاهن**.

الثالث: قال أبو العالية: هو **الساحر**.

الرابع: قال بعضهم **الأصنام**.

الخامس: أنه **مردة الجن والإنس وكل ما يطغى**.

والتحقيق أنه لما حصل الطغيان عند الاتصال بهذه الأشياء جعلت هذه الأشياء أسباباً للطغيان كما في قوله {رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ} (إبراهيم: ٣٦)."

أمّا في تفسير البحر المحيط، فقد جمع كلّ التفاسير التي قيلت في الطاغوت، فقال في تفسير الآية ٥١ من سورة النساء:

" والجبت والطاغوت صنمان كانا لقريش قاله: عكرمة وغيره. أو الجبت هنا حيي، والطاغوت كعب، قاله: ابن عباس أيضاً. أو الجبت السحر، والطاغوت الشيطان، قاله: مجاهد، والشعبي وروى عن عمر والجبت الساحر، والطاغوت الشيطان قاله: زيد بن أسلم. أو الجبت الساحر، والطاغوت الكاهن، قاله: رفيع وابن جبير. أو الجبت الكاهن، والطاغوت الشيطان، قاله: ابن جبير أيضاً. أو الجبت الكاهن، والطاغوت الساحر، قاله: ابن سيرين. أو الجبت الشيطان، والطاغوت الكاهن قاله: قتادة. أو الجبت كعب، والطاغوت الشيطان كان في صورة انسان، أو الجبت الأصنام وكل ما عبد من دون الله، والطاغوت الشيطان قاله: الزمخشري. أو الجبت والطاغوت كل معبود من دون الله من حجر، أو صورة، أو شيطان قاله: الزجاج، وابن قتيبة.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وأورد بعض المفسرين الخلاف مفرقاً فقال: الجبت السحر قاله: عمر، ومجاهد، والشعبي. أو الأصنام رواه عطية عن ابن عباس، وبه قال الضحاك، والفراء، أو كعب بن الأشرف. رواه الضحاك، عن ابن عباس. وليث، عن مجاهد. أو الكاهن روى عن ابن عباس، وبه قال: مكحول، وابن سيرين. أو الشيطان قاله: ابن جبير في رواية، وقتادة والسدى أو الساحر قاله: أبو العالية وابن زيد. وروى أبو بشر عن ابن جبير قال: الجبت الساحر بلسان الحبشة، وأما الطاغوت فالشيطان قاله: عمر، ومجاهد في رواية الشعبي وابن زيد. أو المترجمون بين يدى الأصنام رواه العوفى عن ابن عباس، أو كعب، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس وبه قال: الضحاك، والفرّاء. أو الكاهن قاله عكرمة أو الساحر، روى عن ابن عباس، وابن سيرين، ومكحول، أو كل ما عبد من دون الله قاله: مالك. وقال قوم: الجبت والطاغوت مترادفان على معنى واحد، والجمهور وأقوال المفسرين على خلاف ذلك، وأنهما اثنان"

ونستخلص من كلّ التفاسير المذكورة أعلاه ما يلي:

أولا: أن تعريف الطاغوت بأنه كل ما عبد من دون الله، مثل تعريف الوهابيون، قال به المتأخرون، من فترة ما بعد السلف، أي بعد القرون الثلاثة الأولى، وهو اجتهاد منهم. " الجبت والطاغوت كل معبود من دون الله من حجر، أو صورة، أو شيطان قاله: الزجاج، وابن قتيبة."

ثانيا: نسب إلى الإمام مالك تعريف مثل تعريف ابن عبد الوهاب، وهو: " كل ما عبد من دون الله قاله: مالك" وهذا التعريف يخالف كلّ السادة المفسرين الأوائل من الصحابة والتابعين، وهم أهل التفسير والتأويل، مثل عمر وابن عباس، وابن جبير وعكرمة وقتادة وزيد بن أسلم ومجاهد والشعبي ومكحول وابن سيرين وأبي العالية والضحاك ورفيع وعطية والفراء.

ثالثا: تفسير ابن عبد الوهاب أقرب ما يكون تفسيرا لغويا وليس اصطلاحيا، ودليله، ما ذكره النووي في كتاب الإيمان باب معرفة طريق الرؤية:

" قال الليث وأبو عبيدة والكسائي وجماهير أهل اللغة: الطاغوت كل ما عبد من دون الله تعالى."

فهل يترك تفسير هؤلاء ويؤخذ بتفسير الزمخشري وابن قتيبة والزجاج، وتفسير ينسب إلى مالك، وآخر لغوي؟؟

وحتى هذا التفسير المخالف للسلف لا يرتقي إلى تعريف ابن عبد الوهاب، لأنهم يقصدون بكل ما عبد من دون الله: فرعون وأمثاله، كما فسر صاحب البحر المحيط في تفسيره لآية البقرة:

"ما عبد من دون الله ممن يرضى ذلك: كفرعون، ونمروذ، قاله الطبري."

فإذا كان ابن عبد الوهاب يؤكد أنه من أتباع السلف الصالح، ومن أهل إجماعهم، فكيف يترك التفاسير التي تؤكد أن الطاغوت مصطلح دلّ على بعض اليهود

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الشياطين الكهنة السحرة، ويؤخذ بالتفسير الفضفاض الّذي ليس له تأصيل أو رواية صحيحة؟؟.

حتى ابن كثير، أستاذ ابن عبد الوهاب، بعد أن ذكر تفسيره الخاص الفضفاض، رجع إلى قول عمر.

وعندما ترجع إلى التفاسير القرآنية تجد شبه إجماع على أن كلمة الطاغوت ليست عربية، بل هي عبرانية أو حبشية، وأن القرآن استعملها للدلالة على نوع من الشرك الواقع في اليهود أساسا، وهو السحرة والكهنة الّذين يسخرون الشياطين للتسلط على رقاب الناس وقلوبهم، بدعوى الدين، فيصبح لهم سلطان معنوي على الناس بفعل السحر والكهانة، فيطيعهم الناس، أو اولئك الّذين يقرنون عبادتهم بعبادة الإله، ويجعلونهم الناطقين الرسميين باسم الأصنام، التي هي آلهة عندهم. وهم المترجمون بين يدي الأصنام.

هذا النوع من العباد هم الّذين سماهم القرآن: طاغوت، فاستعمل الكلمة الأجنبية الدالة عليهم، وهي لها شبه اشتقاق في العربية لمن قال من النحويين أنها مشتقة من فعل: طغى ومن الطغيان.

فالطاغوت بهذا المفهوم القرآني، ليس الشيطان فقط، وليس الساحر فقط، وليس الصنم فقط، وإنما هو مزيج من هذه الأسماء الثلاثة، في شخص واحد: الساحر الشيطاني الخادم للصنم، الآمر الناس بطاعته وعبادته.

خذ تفاسير ابن عباس الواردة في مصطلح الطاغوت، وهو ترجمان القرآن، فقد عبر عن الطاغوت، باليهودي كعب بن الأشرف، وبالأصنام، وبالمترجمين بين يدي الأصنام، وبالساحر.

عندما تمزج هذه المعاني كلّها تجد معنى الطاغوت، وهو ما استخلصناه آنفا.

عندما احتار ابن عبد الوهاب في تعريف الطاغوت، صيّره إلى كل ما عبد من دون الله، وهو مفهوم واسع يقع على الصنم وعلى الشياطين، والحيوانات، وحتى على الكواكب، فهل الكوكب طاغوت؟؟ وهل البقرة طاغوت؟؟ ألم يعلم ابن عبد الوهاب أن البقر بريء من عبادة الهنود له؟؟ هل البقر مذنب بعبادة الهنود له، وبالتالي يجب الكفر به وقتاله؟؟. ألا يعلم ابن عبد الوهاب أن الكوكب بريء من عبادة الناس له؟ وأنه يسبح لله مثله مثل الملائكة؟؟ فهل الكواكب المعبودة طواغيت يجب محاربتها؟؟. ما هذا التخريف والوهم؟؟.

ما يريدنا ابن عبد الوهاب أن نؤمن به، هو ما سبق وأن قال مثله الطبري في رواية عن ابن حجر في الفتح، قال:

"وقال الطبري: الصواب عندي أنه كل طاغ طغى على الله يعبد من دونه، إما بقهر منه لمن عبد، وإما بطاعة ممن عبد، إنسانا كان أو شيطانا أو حيوانا أو جمادا"

ولما كان كلام الطبري مناف للعقل والنقل، قال ابن حجر في فتح الباري:

"ووقع في حديث أبي سعيد الآتي في التوحيد "فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب كل الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهة مع آلهتهم" وفيه إشارة

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

إلى أن كل من كان يعبد الشيطان ونحوه ممن يرضى بذلك أو الجماد والحيوان داخلون في ذلك، وأما من كان يعبد من لا يرضى بذلك كالملائكة والمسيح فلا"

وهنا نصل إلى نقطة حاسمة، وهي: أن القرآن تكلّم ثمان مرات بكلمة طاغوت، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، كم تكلّم بهذا المصطلح من مرّة؟؟.

فتشنا في حديث رسول الله فلم نجد إلا ثلاث إشارات فقط حول مصطلح: طاغوت. جاء في في فتح الباري: باب لَا يُحْلَفُ بِاللَّاتِ وَالْعُزَّى وَلَا بِالطَّوَاغِيت، ما يلي:

"قوله (باب لا يحلف باللات والعزى ولا بالطواغيت) أما الحلف باللات والعزى فذكر في حديث الباب وقد تقدم تفسيره في تفسير سورة النجم، وأما الطواغيت فوقع في حديث أخرجه مسلم والنسائي وابن ماجه من طريق هشام بن حسان عن الحسن البصري عن عبد الرحمن بن سمرة مرفوعا "لا تحلفوا بالطواغيت ولا بآبائكم" وفي رواية مسلم وابن ماجه "بالطواغي" وهو جمع طاغية والمراد الصنم، ومنه الحديث الآخر "طاغية دوس" أي صنمهم، سمى باسم المصدر لطغيان الكفار بعبادته لكونه السبب في طغيانهم، وكل من جاوز الحد في تعظيم أو غيره فقد طغى، ومنه قوله تعالى (إنا لما طغى الماء)."

وفي سنن أبي داود، كتاب الصلاة، باب في بناء المساجد:

" (٤٥٠) ـ حدثنا رَجَاءُ بنُ المُرَجَّى حدثنا أَبُو هَمَّامٍ الدَّلَّالُ مُحمَّدُ بنُ مُحْبَّبٍ حدثنا سَعِيْدُ بنُ السَّائِبِ عن مُحمَّدِ بن عَبْدِ الله بن عِيَاضٍ عن عُثْمانَ بن أبي الْعَاص ، رَضِيَ الله عَنْهُ «أَنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم أَمَرَهُ أَنْ يَجْعَلَ مَسْجِدَ الطَّائِفِ حَيْثُ كَانَ طَوَاغِيتُهُمْ»."

وشرح هذا الحديث في كتاب عون المعبود، يقول:

"(حيث كان طواغيتهم): هي جمع طاغوت وهو بيت الصنم الذي كانوا يتعبدون فيه لله تعالى ويتقربون إليه بالأصنام على زعمهم. وعثمان بن أبي العاص المذكور هو الثقفي أمره النبي صلى الله عليه وسلم بذلك حين استعمله على الطائف.

والحديث يدل على جواز جعل الكنائس والبيع وأمكنة الأصنام مساجد، وكذلك فعل كثير من الصحابة حين فتحوا البلاد جعلوا متعبداتهم متعبدات للمسلمين وغيروا محاريبها. وإنما صنع هذا لانتهاك الكفر وإيذاء الكفار حيث عبدوا غير الله هنا."

سيصاب ابن عبد الوهاب بالذهول إذا علم هذا الكلام، لأنه أفهمنا أن الكفر بالطاغوت عبارة ودعوة دعاها كل الرسل وعلى رأسهم محمّد بن عبد الله، وهي دعوة ليلا ونهارا وسرّا وعلانيّة، وهي المسألة العظيمة والشأن الكبير، وأن التوحيد لا يصح إلا بها، وأنها الركن العظيم وأنها... وإذا به نفاجئه بعدد المرات التي تكلّم فيها رسول الله بهذا المصطلح: ثلاث مرّات فقط طيلة حياته؟؟.

وحتى ما ذكره الرسول عليه الصلاة والسلام من تجنب الحلف بالطواغيت، لا يرتقي إلى مصاف الركن العظيم للتوحيد والمسألة الكبيرة كما قال ابن عبد الوهاب. قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري:

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

"قال جمهور العلماء: من حلف باللات والعزى أو غيرهما من الأصنام أو قال إن فعلت كذا فأنا يهودي أو نصراني أو بريء من الإسلام أو من النبي صلى الله عليه وسلم لم تنعقد يمينه وعليه أن يستغفر الله ولا كفارة عليه ويستحب أن يقول: لا إله إلا الله."

فلا قتل ولا محاربة ولا تكفير ولا اتهام بالشرك ونفي التوحيد وجعله طاغوتا،، كل هذا من أوهام ابن عبد الوهاب وجماعته.

طيّب، لعلّ ابن عبد الوهاب لا يكتفي بعدد التكرارات لكلمة الطاغوت في القرآن وهي ثمانية، وعدد التكرار في السنة وهي: ثلاثة (أو ربما غفلنا عن حديث أو اثنين)، فلنفتش عن استعمالات الكلمة عند الصحابة.

لم نجد في كلام الصحابة استعمالا لكلمة طاغوت إلا في قصّة واحدة نرويها من تهذيب الكمال، قال:

" جُنْدُب الخَيْر الأزْدِي الغَامِدِي قَاتِلُ السَّاحِر، يُكْنَى أَبَا عَبْدِ اللَّه، لَهُ صُحْبَة ، .....روى عن: النبي (ت): «حَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بالسَّيْفِ»، و عن سَلْمان الفارسيّ، وعليّ بن أبـي طالب.

وقال البخاري: جندب بن كعب قاتل الساحر.

وقال الأعمش، عن إبراهيم، أراه عن عبد الرحمن بن يزيد: أن جندب قَتَل السَّاحر زمن الوليد بن عُقْبَة.

.. عن محمد بن مِخْنَف، قال: كان أول عُمَّال عُثمان أحدثَ منكراً، الوليد بن عقبة كان يُدني السَّحَرَة، ويشرب الخَمْر، وكان يجالسه على شرابه أبو زُبَـيد الطَّائي، وكان نصرانياً، وكان صَفِيّاً له، فأنزله دار القِبْطِيّ، وكانت لعُثمان بن عفان اشتراها من عَقِيل بن أبـي طالب وكانت لأضيافه، وكان يُجالس أيضاً على شَرَابه عبد الرحمن بن حُبَـيش الأسدي، وكان الناس يتذاكرون شُربهم وإسْرافَهم على أنفُسِهم،فخرج بُكَيْر بن حمران الأحْمَرِيُّ من القصر، فأتى النعمان بن أوْس المُزَني، وجرير بن عبد الله البجلي، فأسَرَّ إليهما أن الوليد يشرب السَّاعة، فقاما ومعهما رجل من جُلسائهما فمروا بحُذَيفة بن اليمان، فأخبروه الخَبَرَ، فقال: ادخلا عليه، فانظرا إن أحببتما، فمضيا حتى دخلا عليه، فسلَّما، ونظرَ إليهما الوليدُ، فأخذ كل شيء كان بـين يديه، فأدخله تحت السرير، فأقبلا حتى جلسا، فقال لهما: ما جاء بكما، قالا: ما هذا الذي تحتَ السَّرير، ولم يريا بـين يديه شيئاً، فأدخلا أيديهما تحت السَّرير، فإذا هو طبق عليه قطف من عنب قد أكل عامته فاستحييا، وقاما، فأخذا يظهران عذره ويردان الناس عنه، ثم لم يرعهما من الوليد إلا وقد أخرجَ سريره فوضعه في صحن المسجد، وجاء ساحرٌ يُدعى بطروني ـ وكان ابنُ الكَلْبـي يسميه البُشْتانيّ ـ من أهل بابل، فاجتمع إليه الناسُ، فأخذَ يريهم الأعاجيب، يريهم حَبْلاً في المسجد مستطيلاً، وعليه فِيْل يمشي وناقة تَخُبُّ وفرس يركض، والناس يتعجبون مما يرون، ثم يدع ذلك ويريهم حماراً يجيء يشتد حتى يدخل من فيه، فيخرج من دُبُره ثم يعود فيدخل من دُبُره فيخرج من فيه، ثم يُريهم رَجُلاً قائماً ثم يضرب عُنُقَهُ فيقع رأسُهُ جانباً، ويقع الجسد جانباً ثم يقول له: قم فيرونه

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وقد عادَ حيّاً كما كان، فرأى جُنْدُب بن كعب ذلك، فخرج إلى مَعْقل مولى لصَقْع بن زُهير بن أنس الأزْدي وكانت عنده سيوف، وكان معقل صَيْقَلاً، فقال: أعطني سيفاً قاطِعاً، فأعطاه إياه، فأقبل، فمر على معضد النَّيْمِيّ من بني تَيْم الله من ثعلبة، فقال له: أين تريد يا أبا عبد الله؟ **قال: أريد أن أقتل هذا الطَّاغوت الذي الناسُ عليه عكُوفٌ، قال: مَن تعني؟ قال: هذا العِلْج السَّاحر الذي سَحَرَ أميرَنا الفاجر العَاتي، فإني والله لقد مثلت الرأي فيهما فظننت أني إن قتلت الأمير سيوقع بيننا فُرقة تورث عداوة، فأجمَعَ رأيي على قتل الساحر. قال: فاقتله ولا تَكُ في شَكَ فأنت على هُدَى، وأنا شريكك**. فجاء حتى انتهى إلى المسجد والناس فيه مجتمعون على السَّاحر، وقدالتحف على السَّيْف بمُطْرَفٍ كان عليه، فدخل بين النَّاس، فقال: أفْرجوا، أفرجوا، فأفرجوا له، (فدنا) من العِلْج(٣) فشَدَّ عليه فضربَه بالسَّيْف، فأدْرَى رأسه، ثم قال أحي نفسك،"

فانظر، رحمك الله كيف وصف جندب الساحر الفاجر بقوله: طاغوت، لأنه تسلّط على الناس بسحره وشيطنته، وجعلهم تحت طاعته قلبيا على الأقل، وهذا هو معنى الطاغوت.

فأين هذا من ترهات ابن عبد الوهاب الذي يظن أن كلّ الدنيا أصبحت طاغوتا؟؟. وأين هذا من إضفاء العظمة على الكفر بالطاغوت، حتى جعله دينا وطريقة وهديا ومثالا وركنا وأصلا من أصول التوحيد والدعوة إليه؟؟.

وأين هذا من جعل الكفر بالطاغوت الشغل الشاغل للدعاة والعلماء ليلا نهارا، وسرّا وعلانيّة؟؟.

الشيخ ابن عبد الوهاب توهّم شيئا، وعشش في ذهنه، وجعله كبيرا وعظيما، ثم بدأ ينسبه إلى الله والرسل والأنبياء، وجعله أساس دعوته، وركن من أركان التوحيد عنده، وأصلا من أصول الدعوة عنده. كلّ هذا وهم في وهم، لا علاقة للتوحيد به ولا للرسل بذلك.

نعم، القرآن ذكر الطاغوت وأمر بالكفر به، ولكن ليس على الطريقة الوهابية. قال صاحب البحر المحيط في تفسيره للآية: {فَمَنْ يَكْفُرْ بِٱلطَّـٰغُوتِ وَيُؤْمِن بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ}:

" قال ابن عطية: وقدّم ذكر الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله ليظهر الاهتمام بوجوب الكفر بالطاغوت. إنتهى.

وناسب ذلك أيضاً اتصاله بلفظ الغي، ولأن الكفر بالطاغوت متقدّم على الإيمان بالله، لأن الكفر بها هو رفضها، ورفض عبادتها، ولم يكتف بالجملة الأولى لأنها لا تستلزم الجملة الثانية، إذ قد يرفض عبادتها ولا يؤمن بالله، لكن الإيمان يستلزم الكفر بالطاغوت، ولكنه نبه بذكر الكفر بالطاغوت على الانسلاخ بالكلية، مما كان مشتبهاً به، سابقاً له قبل الإيمان، لأن في النصية عليه مزيد تأكيد على تركه."

فواضح أن **الكفر بالطاغوت متقدّم على الإيمان بالله، وليس جزء منه وركن عظيم** كما يقول ابن عبد الوهاب. والإشكال في الآيتين:

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ ٱلضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي ٱلأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ} ٣٦ النحل.

{وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُواْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ} ١٧ الزمر.

في الحقيقة الإشكال في ذهن ابن عبد الوهاب الّذي يرى أن "اعبدوا الله" مرادفة لمعنى التوحيد، وأن "واجتنبوا الطاغوت" مسألة مستقلّة عن التوحيد تارة، فيكون الإنسان موحدا ولكنه لا يكفر بالطاغوت؟؟؟ وتارة أخرى يكون ركنا من أركان التوحيد أي داخلا فيه.

وهذا التناقض والاختلاط الّذي وقع فيه ابن عبد الوهاب سببه اجتهاده وتأويله لمعاني العبادة واجتناب الطاغوت. والأصل أن اجتناب الطاغوت في آية النحل: هو الشيطان، وما يصوّره من عقائد فاسدة، والطاغوت في آية الزمر عقائد الشرك والبدع.

قال الرازي في تفسير آية النحل:

"المسألة الرابعة: في الطاغوت قولان: أحدهما: أن المراد به: اجتنبوا عبادة ما تعبدون من دون الله، فسمى الكل طاغوتاً، ولا يمتنع أن يكون المراد: اجتنبوا طاعة الشيطان في دعائه لكم"

فالكفر بالطاغوت يأتي ذكره لبيان معاني التوحيد الكامل، واستمرار العداوة بيننا وبين الشيطان، والكفر بكل ما يسوّله لنا من انحراف عقدي.

فليس في الكفر بالطاغوت، الوارد في القرآن والسنة وسيرة السلف الصالح، ما يؤدي إلى فهم ابن عبد الوهاب وادعاءاته.

بل إن مصطلح الطاغوت غير مستعمل بتاتا في معجم الألفاظ الدينية عند السادة الصالحين والأولياء من السلف إلى وقت ابن عبد الوهاب.

لقد أحصينا في عمل مستقل عن هذا، حوالي ١٤٠٠ مصطلح من مصطلحات الحكمة والتعريفات الدينية، جمعنا حولها أقوالا وتعريفات وحكم في أكثر من ١٢٠٠ صفحة، من مجموعة من المراجع الدينية، لم نتعرض إلى هذا المصطلح، ولم نر أي واحد من السادة الأولياء العلماء من استعمل هذا اللفظ في كلامه، وروي عنه قولة في مصطلح الطاغوت.

لقد شككنا في وجود نيّة مبيّتة في توسيع مفهوم الطاغوت إلى كل ما يعبد من دون الله، وتوسيع مفهوم العبادة، وربطها بالتوحيد، حتى يمكن في أي لحظة اتهام الآخر المخالف لهم في التأويل، بالشرك والطاغوت والكفر، وبالتالي محاربته. إنه إعلان حرب شعواء شاملة على كلّ الحضارة الإنسانية، عبادا وعتادا، ثقافة ومادّة وعلما ومنتوجا، ،، حربا على كلّ من لم يتبنّ تأويل ابن عبد الوهاب، حربا على كلّ من لم يقرّ باجتهاد ابن عبد الوهاب، حربا على كلّ من لم يتوهّم وهم ابن عبد الوهاب.

متى فعل الرسول عليه السلام ما فعله ابن عبد الوهاب؟؟.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

هل هناك في السيرة ما قام به ابن عبد الوهاب؟؟

كيف يعقل أن نأتي بمصطلح قرآني له سياقه المعرفي والتاريخي ونسقطه على المسلمين، والحال أنه يخص المنافقين واليهود والمشركين؟؟.

هل كان رسول الله يتكلّم ليلا نهارا وسرّا وعلانيّة عن الطاغوت؟؟.

هذا تخريف ووهم وبدعة وجهل وفتنة من ابن عبد الوهاب وتلامذته.

بل إننا بحثنا عن زمن نزول كلمة "الطاغوت" أول مرّة في القرآن، فوجدناها في سورة الزمر، وهي تحمل رقم ٥٦ في ترتيب النزول، أي أن ٥٥ سورة قبلها نزلت، وليس فيها الأمر بالكفر بالطاغوت، فهل كان التوحيد في هذه السور ناقصا؟؟.

وإذا علمت أن سورة الزمر نزلت في السنوات الثلاثة الأخيرة من فتح مكّة، وتحديدا بعد حادثة الإسراء والمعراج، التي أرّختها السورة رقم ٤٧ من ترتيب النزول، وهي سورة الإسراء أو بني إسرائيل، تحققنا من أن جماعة المسلمين الأولى، وطيلة أكثر من عشر سنوات في مكّة، لم تكن تعرف كلمة "الطاغوت" ولم يكن الكفر بالطاغوت ركنا أساسيّا من أركان التوحيد، كما يدّعي الوهابيّون، فهل كان توحيدهم ناقصا؟؟ وهل عليهم أن يتّبعوا ابن عبد الوهاب، ويصحّحوا دينهم، وذلك بإضافة الكفر بالطاغوت إلى شهادة التوحيد؟؟

ثم يستغرب كيف يبغض الشيخ ويحارب بعد هذه العقيدة؟؟ بعد أن كفر كلّ المسلمين؟؟. لله الأمر من قبل ومن بعد[1].

---

[1] لقد تفطّن شباب الوهابية إلى ما قلناه في هذا البحث، وإلى آثاره على المجتمعات الإسلاميّة، خصوصا مع ما رافق هذا المصطلح من اتجاه تكفيري لكل الحكام والشعوب والدول والمؤسسات، فعمدوا إلى رفض تعريف ابن القيم للطاغوت، الذي يصرّ شيوخ الوهابّة على اعتماده، واقترحوا استبداله بتعريف الصحابة له، مقتنعين بخطورة التوسع في استعماله. وعلى صفحات الأنترنيت، وجدنا نصا في هذا المعنى، غفل علينا اسم الموقع وسهونا عليه، نقدّمه كما هو دون تدخّل أو تحوير، مع التأكيد أننا لا نتبنى كل ما جاء فيه، وإنما نسوقه لبيان وجه الإشكال في الموضوع:

الطاغوت عند محمد حسان وسيد قطب

إن لفظ الطاغوت اصطلاحا من الألفاظ الشائكة والتي في عدم ضبطها مسالب وكوارث عقائدية تؤدي إلى كوارث عملية لتغذي في النهاية تيار التكفير الذي صار له غلبة بين الشباب المتدين إلا من رحم الله ، والعلماء من أهل السنة والجماعة غالبًا ما يؤكدون على أن السلامة في إتباع ما سلف ، فبالعودة للسلف الصالح في بيان معني الطاغوت وجدتهم قد حصروا معني الطاغوت في : الشيطان ، الكاهن ، أو كل ما عبد من دون الله ، فوجدت أن هذه المعاني تزيل أي إشكال عقائدي وحسبنا أن يُعرّفه الفاروق عمر بن الخطاب – رضي الله عنه – وهو أولي بالإتباع من غيره بأن الطاغوت هو الشيطان فإذا أضفنا تعريف الإمام مالك مقارنة بالآيات الآمرة بعبادة الله وحده وفي مقابلها عبادة الطاغوت لوجدنا أن الطاغوت كل ما عبد من دون الله ورضي بهذه العبادة استقامت الأمور والمعاني وزالت الاحتمالات - إلى أن جاء ابن القيم – رحمه الله - وعرف الطاغوت بـ:

الطاغوت كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو مطاع أو متبوع ، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة لله ... الخ

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وسار على هذا التعريف الشيخ محمد بن عبد الوهاب – رحمه الله – وسائر علماء المملكة فيما أعلم – ثم جاء سيد قطب كما نقل عنه محمد حسان في كتابه " حقيقة التوحيد " ص ٣٧ : ص ٣٨ فعرّف الطاغوت بما يلي:

الطاغوت صيغة من الطغيان تفيد كل ما يطغي على الوعي ويجور على الحق ويتجاوز الحدود التي رسمها الله للعباد ولا يكون له ضابط من العقيدة في الله ومن الشريعة التي يسنها الله ومنه كل منهج غير مستمد من الله وكل تصور أو وضع أو أدب أو تقليد لا يستمد من الله فمن يكفر بهذا كله في كل صورة من صوره ويؤمن بالله وحده ويستمد من الله وحده فقد نجا وتتمثل نجاته في استمساكه بالعروة الوثقى لا انفصام لها أ.هـ

قلت:

إن المتأمل لأصل الوَحْيّين يدرك بداهة وضرورة أنهما بلسان عربي مبين وأولي الناس بفهم المراد من نصوص الكتاب والسنة هم أصحاب الرسول r فإذا ثبت تعريف الطاغوت بأنه الشيطان عن عمر وابن عباس وغيرهما صار تعريفهم هو الأسلم والأعلم والأحكم وتعريف الإمام مالك لا يخرج عن تعريف الصحابة للطاغوت في قوله " كل ما عبد من دون الله " فكل عابد لغير الله هو عابد للشيطان الذي زين له هذا الشرك إذن فهو طاغوت والإيمان بالله يقابله كفر بالطاغوت في قوله تعالي } فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ] { البقرة : ٢٥٦] والمقصود به هنا الإيمان بالله وحده والكفر بمقابله ألا وهو عبادة ما سواه . وعلى ضوء هذا التعريف السلفي يزول أي إشكال فإذا جئنا لتعريف ابن القيم وهو إمام سلفي من أئمة الدعوة السلفية حدث نوع من الإشكال فيما يلي:

قوله الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود فهذا مسلم أن ما سوي الله من معبود فهو طاغوت أما المتبوع والمطاع على غير هدي فلا يُسلّم أن يكون طاغوتًا وبالتالي تابعه ومطيعه عابدًا له أي مشركًا ، فكل العصاة في معاصيهم دون الشرك يتبعون أقرانهم وكبراءهم فهل معني ذلك أنهم مشركون وأن هؤلاء المتبعين والطاعين طواغيت ؟ فلا يُسلم وإلا صار كل متبع ومطيع في معاصٍ دون الشرك كافرًا بلازم الكلام . بل لا بد من تقييد تعريف ابن القيم في قوله طاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله ، **بأن يكون هذا الحاكم جاحدًا حكم الله أو مستحلاً حكم غيره جلّ وعلا** ، إذن تعريف ابن القيم ليس تعريفًا شاملاً جامعًا مانعًا بل يحتاج إلى تفصيل أما تعريف الصحابة – رضي الله عنهم – ومن بعدهم الإمام مالك – رحمه الله – فهو تعريف شامل جامع مانع لا يحتاج إلى تفصيل أو تقييد ، إذن لا علينا إن قدمنا تعريف الصحابة على تعريف ابن القيم - رحمه الله – ولا يعتبر ذلك طعنًا فيه وكذلك لا يعتبر طعنًا فيمن أخذ بتعريفهم ، لكن ينبغي والحال هو تفشي ظاهرة التكفير أن نعمم تعريف الصحابة والإمام مالك **درءً لزعم ما يزعمه البعض أن الحكام طواغيت يجب الكفر بها ومحاربتها** ، وأري لمزيد بيان توضيح في هذه المسألة الخطيرة أن أذكر ما جاء في سبب نزول الآية رقم ٦٠ من سورة النساء } أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُواْ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُواْ إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُواْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيداً { فقد نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار ورجل يهودي تخاصما فجعل اليهودي يقول بيني وبينك محمد وذاك يقول بيني وبينك كعب ابن الأشرف وقيل نزلت في جماعة من المنافقين ... الخ

فحمل الآية على كل مسلم حكم بغير الشريعة " بدون تفصيل استحلال أو جحود" بأنه طاغوت حمل غير سديد لأن كعب ابن الأشرف لو حكم في الخصومة بالشريعة ما انفك عنه وصف الكفر فهو ملازم له سواء حكم بالإسلام أو لم يحكم لأنه في الأصل لا يدين بالإسلام – أما القاضي المسلم الموحد الذي يقيم الصلاة ويصوم رمضان ويحج البيت ويخرج زكاة ماله لا يسمي طاغوتًا وإن حكم بغير ما أنزل الله غاية الأمر أنه مرتكب لكبيرة من الكبائر ما لم يكن هناك موانع تحول بينه وبين تطبيق الشرع وعلى ضوء ذلك يفض الإشكال وينزع فتيل التكفير قبل التفجير .

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ويحاول محمد حسان بسرده لتعريفات الصحابة وابن القيم ومحمد بن عبد الوهاب أن يوهم القارئ أن سيد قطب قرين لهؤلاء في تعريفه للطاغوت فيمرر محمد حسان فكر سيد قطب كما ذكرت سابقًا بصحبة أئمة السنّة ، ولو عدنا لتعريف سيد قطب للطاغوت وحاكمناه هو و محمد حسان لتعريفه للطاغوت لصار سيد قطب ؟ طاغوتًا ومحمد حسان وأتباعه من القطبيين عابدين لطاغوت سيد فهل يقبل محمد حسان ذلك التلازم الذي يظهر من كلام سيد قطب حيث عرف الطاغوت بأنه:

"من تجاوز الحدود التي رسمها الله للعباد ولا يكون له ضابط من العقيدة في الله ومن الشريعة التي يسنها الله " فوفق هذا التعريف بيد سيد قطب فيما نقله محمد حسان ، فإن سيد قطب تجاوز الحد ولم يكن له ضابط من العقيدة في الله ومن الشريعة حيث أن سيد قطب فسر كلمة التوحيد بغير ضابط في العقيدة وبغير ضابط من الشريعة ، كما تجاوز سيد قطب حده بلا ضابط من عقيدة فنفي صفة العلو لله وعطلها مفسرًا إياها بالهيمنة ، وزعم أن الإيمان كل لا يتجزأ مع أن الشريعة بيّنت أن الإيمان شعب وأجزاء – القرآن والسنة أثبتا عقيدة للمسلمين في الصحابة وأجمعت الأمة على تزكيتهم وعدالتهم فجاء سيد قطب مجاوزًا الحد بلا ضابط من عقيدة أو شريعة وطعن في بعضهم كعثمان بن عفان وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان وأبو سفيان بن حرب – فهل بهذا يصبح سيد قطب طاغوتًا وأن أتباعه ومحبيه كمحمد حسان عابدون للطاغوت ؟!! بل صرح سيد قطب نفسه في كتاب التصوير الفني طبعة دار الشروق ص ٢٥٣ :

"أنا أجهر بهذه الحقيقة الأخيرة وأجهر معها بأنني لم أخضع في هذه لعقيدة دينية تفل فكري عن الفهم " وفي ص ٢٥٨ من نفس المرجع يقول : لم أكن في هذه الوقفة رجل دين تصده العقيدة البحتة عن البحث الطليق بل كنت رجل فكر يحترم فكره عن التجديف والتلفيق " فماذا سيقول محمد حسان فما نقلته عن سيد قطب بأنه لم يخضع لعقيدة وأنه ليس رجل دين ؟ فمن يكون سيد قطب إذا لم يكن رجل دين وعقيدة ؟ فمن الرجل ؟ فهل يستطيع محمد حسان وأقرانه محمد حسين يعقوب وأبو إسحاق الحويني ووجهاء قناة الناس أن يجيبوا على هذا السؤال البسيط بدلاً من التدليس على المساكين من الآلف الذين يُؤَمنِون على ما يقال تحت ستار السنيّة والسلفيّة والسنيّة والسلفيّة من ذلك براء ؟

في الحقيقة أن سيد قطب لا يعدوا أن يكون كاتبًا وأديبًا كبيرًا تناول نصوص القرآن والسنة بفهم أدبه في عصره ولم يتناول الإسلام وفق الضوابط الشرعية والأصول المرعية المتفق عليها بين الأئمة قديمًا وحديثًا وهو عندي فيما أفهم جاهل بالإسلام وإن كان متحمسًا له فكم من مريد للخير لم يدركه ، وعلى الشباب ألا تحركهم العواطف والحماسة ولا تخدعهم الأساليب البلاغية والأدبية إنما الدين إسناد فكلما كان الإسناد أعلي فهو أحكم وأعلم وأسلم ، والعقيدة تؤخذ من كتب العقيدة العتيقة وليس من كتب سيد قطب ولا من كتب محمد قطب ولا من كتب محمد حسان ولا محمد حسين يعقوب.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الآية الثالثة: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيماً}.٢٣ الإسراء

النص الأول:
من الباب الأول:
قال المصنّف ابن عبد الوهاب:
"العاشرة: الآيات المحكمات في سورة الإسراء، وفيها ثمانية عشرة مسألة، بدأها الله بقوله: (لا تجعل مع الله إلهاً آخر فتقعد مذموماً مخذولاً)؛ وختمها بقولـه: (ولا تجعل مع الله إلهاً آخر فتلقى في جهنم ملوماً مدحوراً)، ونبهنا الله سبحانه على عظم شأن هذه المسائل بقوله: (ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة)."

الملخص:
يرى المصنف أن الآيات المحكمات في سورة الإسراء تشتمل على ثمانية عشر مسألة، بدأها وختمها بالأمر بنفي الشرك.

النص الثاني:
من الباب الأول:
قال الشارح: علي بن خضير الخضير:
"مفردات الآية:- (قضى): كل الثلاثة فسروا معنى قضى بكلام مجاهد رحمه الله قال: قضى بمعنى (وصى). وذكر الحفيدان (في التيسير ص ٣٥ وفي الفتح ص ١٧)، تفسير ابن عباس رضي الله عنه لقضى بمعنى (أمر)، وقدمنا كلام مجاهد على كلام ابن عباس لأنه يوافق قراءة قرأ بها أُبي وابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم."

الملخص:
يرى الشارح أن معنى كلمة: قضى في هذه الآية: وصّى، وهذا التفسير وافق عليه الشراح الثلاثة لكتاب التوحيد.
يرى الشارح أن تفسير كلمة: قضى بوصى هو تفسير مجاهد، وقد قدّمه على تفسير ابن عباس الذي يرى أن كلمة قضى تعني: أمر.

التعليق:

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

لنبدأ بذكر الآيات التي هي مدار الكلام في النص الأوّل، حيث استخرج عليها ابن عبد الوهاب، المسألة العاشرة.

قال الله تعالى:

{لاَ تَجْعَل مَعَ ٱللَّهِ إِلـٰهًا ءَاخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً * وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّـاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا * رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِى نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُواْ صَـٰلِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً * وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا * إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُواْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَـٰطِينِ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِرَبِّهِ كَفُورًا * وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا * وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُوراً * إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا * وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا * وَلاَ تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلاً * وَلاَ تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلاَّ بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَـٰنًا فَلاَ يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا * وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلاَّ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً * وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً * وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً * وَلاَ تَمْشِ فِى ٱلأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولاً * كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا * ذَٰلِكَ مِمَّآ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ ٱلْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلـٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا } ٢٢-٣٩ الإسراء.

ولا أدري هل قرأ ابن عبد الوهاب هذه الآيات وتثبت في عدد مسائلها، أم أنه حسب عدد الآيات فقط فوجدها ثمانية عشر آية، فظنها ثمانية عشر مسألة، والحال أن الآية الواحدة قد تشتمل على عدّة مسائل؟؟.

وبما أن ابن عبد الوهاب لم يحسب المسائل، ولم يتثبت في عددها، ولم يراجعه أي واحد من الشراح في عددها ـ ولا أدري، هل هم أيضا على خطاه في العجلة والتخبط، أم أنهم كلهم ثقة بحساباته؟ فإننا استنجدنا بمن حسب المسائل وفصّلها، واحدة واحدة، وبين لنا عددها. قال الرازي في تفسيره لهذه الآيات:

" اعلم أنه تعالى جمع في هذه الآية خمسة وعشرين نوعاً من التكاليف. فأولها: قوله: {وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلـٰهًا ءاخَرَ} وقوله: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّـاهُ} مشتمل على تكليفين: الأمر بعبادة الله تعالى، والنهي عن عبادة غير الله، فكان المجموع ثلاثة. وقوله: {وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا} هو الرابع، ثم ذكر في شرح ذلك الإحسان خمسة أخرى وهي: قوله: {فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا * وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبّ ٱرْحَمْهُمَا} فيكون المجموع تسعة، ثم قال: {وَءاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ} وهو ثلاثة فيكون المجموع إثني

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

عشر. ثم قال: {وَلاَ تُبَذّرْ تَبْذِيرًا} فيصير ثلاثة عشر. ثم قال: {وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَاء رَحْمَةٍ مّن رَّبّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا} وهو الرابع عشر ثم قال: {وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ} إلى آخر الآية وهو الخامس عشر، ثم قال: {وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ} وهو السادس عشر، ثم قال: {وَلاَ تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلاَّ بِٱلْحَقّ} وهو السابع عشر ثم قال: {وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيّهِ سُلْطَـٰنًا} وهو الثامن عشر، ثم قال: {فَلاَ يُسْرِف فّى ٱلْقَتْلِ} وهو التاسع عشر، ثم قال: {وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ} وهو العشرون. ثم قال: {وَأَوْفُوا ٱلْكَيْلَ إِذا كِلْتُمْ} وهو الحادي والعشرون، ثم قال: {وَزِنُواْ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ} وهو الثاني والعشرون، ثم قال: {وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} وهو الثالث والعشرون، ثم قال: {وَلاَ تَمْشِ فِى ٱلأرْضِ مَرَحًا} وهو الرابع والعشرون، ثم قال: {وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءاخَرَ} وهو الخامس والعشرون، فهذه خمسة وعشرون نوعاً من التكاليف بعضها أوامر وبعضها نواه جمعها الله تعالى في هذه الآيات وجعل فاتحتها قوله: {وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءاخَرَ * فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً} وخاتمتها قوله: {وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا}."

فإذا جاز على الشيخ ابن عبد الوهاب أن يخطئ في عدد مسائل هذه الآيات، فما بالك في التفسير والتأويل والاجتهاد؟؟؟.

فهل في عدد مسائل الآيات، اجتهاد ومخالفة للعلماء؟؟. هل ظنه بمخالفة المفسرين، قد أتى بالحكمة التي من أوتيها فقد أوتي خيرا كثيرا؟؟. ثم لماذا لم يبيّن لنا هذه المسائل حتى نحصيها؟؟. ونفس السؤال للشراح الذين بين مقرّ له بالعدد، وبين مبرّر له؟؟.

بعد هذه المقدّمة نمرّ إلى تفسير مفردة من مفردات الآية ٢٣ من سورة الإسراء، والتي ذكرها في الباب الأول. فنقول:

بدأ الشارح بتفسير كلمة: وقضى ربّك، وبيّن لنا باقتضاب، أنه يوجد تفسيرين للكلمة، واحد لمجاهد والثاني لابن عباس، وأن الشارح، وبقية الشراح، أجمعوا على ترجيح أحد التفسيرين، وتبنيه.

والمسلم العادي لا يرى فرقا بين تفسير مجاهد وتفسير ابن عباس، فهو يرى أنه من جنس الاختلاف الجائز بين العلماء، وأن اختيار الشارح والشراح، وبالتالي، ابن عبد الوهاب لأحد التفسيرين، أمر بريء متصل بالعلم، ولا يتجاوز حدود المعاني التفسيرية. بل إن القارئ العادي لا يرى فرقا بين أن نفسر كلمة: قضى، بأمر أو وصى، لأن كلاهما يحيل المعنى إلى الآخر.

والمسلم العادي يثق في اختيار الشارح ترجيح أحد التفسيرين على الآخر، خاصّة وأنّ دليل الترجيح، قراءة ابن مسعود وابن عباس وأبيّ.

ولا أدري هل تفطن القارئ الفطن إلى مسألة في كلام الشارح، حين قال إن تفسير مجاهد يختلف عن تفسير ابن عباس، لأن مجاهد يقرأ بقراءة ابن عباس؟؟؟. انظر إلى هذا التناقض الواضح في الكلام،، فعن أي قراءة يفسّر ابن عباس؟؟ هل يقرأ

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

على قراءة، ويفسّر على قراءة؟؟ وهل مجاهد، التابعي، الّذي يقرأ قراءة ابن عباس الصحابي، ويفسر عليها، أولى بالإتباع من ابن عباس الصحابي؟؟. هناك إشكال في كلام الشارح، سنبيّن فحواه.

لخّص القرطبي في تفسيره للآية مجمل الخلاف في المسألة، وبيّن بوضوح ماهيته، فقال:

"{وَقَضَىٰ} أي أمر وألزم وأوجب. قال ابن عباس والحسن وقتادة: وليس هذا قضاء حُكْم بل هو قضاء أمر. وفي مصحف ابن مسعود «ووصَّى» وهي قراءة أصحابه وقراءة ابن عباس أيضاً وعليّ وغيرهما، وكذلك عند أُبَيّ بن كعب.

قال ابن عباس: إنما هو «ووصى ربك» فالتصقت إحدى الواوين فقرئت «وقضى ربك» إذ لو كان على القضاء ما عصى الله أحد.

وقال الضحاك: تصحفت على قوم «وصى بقضى» حين اختلطت الواو بالصاد وقت كَتْب المصحف.

وذكر أبو حاتم عن ابن عباس مثلَ قول الضحاك. وقال عن ميمون بن مهْران أنه قال: إن على قول ابن عباس لنورا؛ قال الله تعالى: {شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحاً وَٱلَّذِيۤ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ} ثم أبى أبو حاتم أن يكون ابن عباس قال ذلك. وقال: لو قلنا هذا لطعن الزنادقة في مصحفنا."

واضح من كلام القرطبي أن الّذي فسّر كلمة قضى بمعنى وصى هو ابن عباس نفسه، وعنه أخذ الضحاك ومجاهد وغيرهما، حسب رواية ميمون بن مهران. لأن ابن عباس وعليّ ابن أبي طالب وأبيّ بن كعب كانوا يقرؤون: "ووصى ربّك ألا تعبدوا إلا إيّاه" وكانت مكتوبة في مصافحهم هكذا، وبالتالي لم تحتج إلى تفسير وتأويل، وهذه القراءة مخالفة لما عليه المصحف الحالي لدى المسلمين باختلاف قراءاته.

ومن ناحية أخرى، يروى عن ابن عباس تفسير كلمة قضى بمعنى أمر، وهي رواية الحسن البصري وقتادة عن ابن عباس، وبين فيها أن القضاء في هذه الآية قضاء أمر وليس قضاء حكم.

فأي التفسيرين أصحّ؟؟.

القرطبي، رحمه الله، يطعن في رواية ميمون بن مهران، على لسان أبي حاتم، لأن هذا التفسير يفتح باب التحريف في القرآن. "ثم أبى أبو حاتم أن يكون ابن عباس قال ذلك. وقال: لو قلنا هذا لطعن الزنادقة في مصحفنا"

الرازي في تفسيره يتبنى نفس الموقف، حفاظا على قدسية القرآن، إذ لو جازت قراءة ابن مسعود حسب رواية ابن مهران، لانتفى مفهوم الحفظ عن القرآن. قال الرازي في تفسيره لنفس الآية من سورة الإسراء:

" وروى ميمون بن مهران عن ابن عباس أنه قال: في هذه الآية كان الأصل ووصى ربك فالتصقت إحدى الواوين بالصاد فقرىء: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ } ثم قال: ولو

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

كان على القضاء ما عصى الله أحد قط، لأن خلاف قضاء الله ممتنع، هكذا رواه عنه الضحاك وسعيد بن جبير، وهو قراءة علي وعبد الله.

واعلم أن هذا القول بعيد جداً لأنه يفتح باب أن التحريف والتغيير قد تطرق إلى القرآن، ولو جوزنا ذلك لارتفع الأمان عن القرآن وذلك يخرجه عن كونه حجة ولا شك أنه طعن عظيم في الدين."

وفي تفسير البحر المحيط، نفس الاتجاه:

" وفي مصحف ابن مسعود وأصحابه وابن عباس وابن جبير والنخعي وميمون بن مهران من التوصية. وقرأ بعضهم: وأوصى من الإيصاء، وينبغي أن يحمل ذلك التفسير لأنها قراءة مخالفة لسواد المصحف والمتواتر هو {وَقُضِيَ } وهو المستفيض عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهم في أسانيد القراء السبعة."

وابن كثير، وإن ذكر تفسير مجاهد، إلا أنه لم يتبناه، فقال:

" يقول تعالى آمراً بعبادته وحده لا شريك له، فإن القضاء ههنا بمعنى الأمر، قال مجاهد {وَقُضِيَ} يعني وصى، وكذا قرأ أبي بن كعب وابن مسعود والضحاك بن مزاحم"

فالمجمع عليه من المسلمين قاطبة، اليوم، ومنذ انتشار المصحف العثماني، قراءة الآية: وقضى ربّك، وليس ووصّى ربّك. بل إن القراء السبعة يروون قراءة: وقضى ربّك عن ابن عباس، وهو المتواتر عند المسلمين. وقراءة ابن مسعود، إن صحّت، كانت في عهده، قبل جمع القرآن، حتى لو اتفق معه عليّ وأبيّ وغيرهم، أمّا بعد انتشار النسخة العثمانية، وقبول الصحابة بها، فإنه يجوز لنا القول بإجماع المسلمين منذ ذلك العهد إلى الآن، على أن النسخة الحالية للقرآن، بقراءتها السبعة، وربما العشرة، هي المعنية بقوله تعالى: إنا نحن نزّلنا الذكر وإنّا له لحافظون.

بعد هذا الإجماع ردّ المفسرون رواية مهران، واعتبروا قبولها طعنا في القرآن، وهذا لم يقبل به أحد، إلا الوهابيّون.

فحتى المصحف الذي يطبعه الوهابيون ويقرؤونه، ليس فيه: ووصى، بل فيه، وقضى ربّك، وكذلك المصحف الذي بين يديك أيّها القارئ. أفبعد كلّ هذه الحقائق، يقول الشارح: "وقدمنا كلام مجاهد على كلام ابن عباس لأنه يوافق قراءة قرأ بها أبي وابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم"؟؟؟.

فأي قراءة هذه التي يحتج بها، وهي قراءة قديمة، ومخالفة للمشهور والمتواتر والمجمع عليه؟؟.

وأي قراءة هذه التي يتبنونها في التفسير، دون التلاوة؟؟. لأنهم يقرؤون بقراءة ابن عباس الحالية المشهورة المتواترة، ويفسرون بقراءة ابن مسعود الشاذة القديمة؟؟.

أي علم في التفسير هذا، الذي يأتي بقراءة مجهولة ميتة، ويتبنى تفسيرها؟؟.

ثم هب أن مجاهد قرأ: ووصى، وفسّرها بالوصية، فكيف تقرؤون: وقضى، وتفسرونها بالوصيّة أيضا؟؟؟.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

والتناقض في فكر الوهابيين لا حدّ له، فالشارح قدّم في الباب الأول موضوع أهمّيّة التوحيد الذي هو موضوع الباب عامّة، واستدلّ بعدّة قرائن لإثبات ذلك، فاستمع إلى كلامه، وهو يقول:

" ومما يوضح أهمية التوحيد ما ذكر المصنف في الباب وفي المسائل:

١-أنه من أجْلِه خُلق الخلق لأهميته ومكانته وعظم شأنه.

٢-أنه من أجلِه أُرسل الرسل لأهميته ومكانته وعظم شأنه.

٣-ومن أهميته أنه جاء به كل رسول ولذا اتفقت جميع الرسل به والأنبياء.

٤- ومن أهميته أنه فرض على الناس فأصبح فرضا عينيا لازما.

٥- ومن أجل أهميته أوصى به الرسول صلى الله عليه وسلم عند موته كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد صلى الله عليه وسلم.

٦- وهو حق الله اللازم.

٧-وقضى الله به وجعله أمرا مقضيا شرعا.

٨-وكما أوجبه فقد حرم ضده وهو الشرك.

وإذا نظرت إلى هذه الأمور الثمانية السابقة اتضح لك فعلا مكانة التوحيد وأهميته وأن هذه الأمور السابقة جاءت من أجله."

فانظر إلى رقم ٧، كيف قال" وقضى الله به وجعله أمرا مقضيا شرعا" فاعتبر كلمة قضى بمعنى أمر أمرا شرعيا لا كونيّا، فلماذا يتعنّت بعد ذلك في تفسير الآية من سورة الإسراء، ويقول: "(قضى): كل الثلاثة فسروا معنى قضى بكلام مجاهد رحمه الله قال: قضى بمعنى (وصى). وذكر الحفيدان (في التيسير ص ٣٥ وفي الفتح ص ١٧)، تفسير ابن عباس رضي الله عنه لقضى بمعنى (أمر)، وقدمنا كلام مجاهد على كلام ابن عباس لأنه يوافق قراءة قرأ بها أبي وابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهم."؟؟؟؟.

حتى يعلم القارئ تعنت الوهابيّون، نقول: كلّ العلماء المفسرون للقرآن، فسروا كلمة: قضى بعدّة معان، ليس بينها معنى: ووصى.

لم يقل أحد من العلماء قاطبة، أن معنى: وقضى تعني ووصى. وإليك مجمل ما قاله العلماء في معاني كلمة: قضى.

يورد الرازي خمسة معان للفظ: القضاء، وهي: الخلق والأمر والحكم والإخبار والفراغ من الشيء، ثمّ يستنتج من قوله {إِذَا قَضَى أَمْرًا} أي خلق شيئا وأحكم أمره. قال رحمه الله في تفسيره:

"في محامل لفظ القضاء في القرآن قالوا: أنه يستعمل على وجوه:

أحدها: بمعنى **الخلق**، قوله تعالى: {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَاتٍ} يعني خلقهن.

وثانيها: بمعنى **الأمر** قال تعالى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّـاهُ} الإسراء ٢٣.

وثالثها: بمعنى **الحكم**، ولهذا يقال للحاكم: القاضي.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ورابعاً: بمعنى **الإخبار**، قال تعالى: {وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِى إِسْرَٰءِيلَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ} الإسراء ٤ أي أخبرناهم، وهذا يأتي مقروناً بإلى.

وخامسها: أن يأتي بمعنى **الفراغ من الشيء** قال تعالى: {فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ} الأحقاف ٢٩ يعني لما فرغ من ذلك، وقال تعالى: {وَقُضِىَ ٱلأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىّ} هود ٤٤ يعني فرغ من إهلاك الكفار وقال: {لْيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ} الحج ٢٩ بمعنى ليفرغوا منه.

إذا عرفت هذا فنقول: قوله: {إِذَا قَضَى أَمْرًا} آل عمران ٤٧ قيل: إذا خلق شيئاً، وقيل: حكم بأنه يفعل شيئاً، وقيل: أحكم أمراً، قال الشاعر:

وعليهما مسرودتان قضاهما داود أو صنع السوابغ تبع" انتهى

وجاء في تفسير القرطبي، ونقل مثله الشوكاني في فتح القدير، معان أخرى للفظ: القضاء، زيادة على ما ذكره الرازي في تفسيره، فزاد القرطبي معنى الإرادة ومعنى توفية الحقّ. إلا أنّه يربط بين القضاء والقدر، حيث يورد قولة لابن عطيّة يؤكّد فيها أن القضاء هو القدر، وأن هذا المفهوم هو ما عليه أهل السنّة في عقيدتهم للقضاء والقدر، وليس المجال يسمح لنا بمناقشة هذا المعتقد لإيماننا أن لفظ القضاء مغاير للفظ القدر، ولكلّ معناه. قال القرطبي رحمه الله في تفسيره:

" قوله تعالى: {وَإِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} أي إذا أراد أحكامه وإتقانه ـ كما سبق في علمه ـ قال له كن.

قال ٱبن عرفة: قضاء الشيء إحكامه وإمضاؤه والفراغ منه؛ ومنه سُمِّيَ القاضي؛ لأنه إذا حكم فقد فرغ مما بين الخصمين.

وقال الأزهري: قضى في اللغة على وجوه، مرجعها إلى ٱنقطاع الشيء وتمامه؛ قال أبو ذُؤَيْب:

وعليهما مَسْرُودتان قضاهمـــــــــــا داودُ أو صَنَعُ السَّوابغ تُبّعُ

وقال الشمّاخ في عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

قضيتَ أموراً ثم غادرت بعدها بوائق في أكمامها لم تُفتَّق

قال علماؤنا: «قَضَى» لفظ مشترك:

يكون بمعنى الخلق؛ قال الله تعالى: {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ} أي خلقهن.

ويكون بمعنى الإعلام؛ قال الله تعالى: {وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي ٱلْكِتَابِ} أي أعلمنا.

ويكون بمعنى الأمر؛ كقوله تعالى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ} .

ويكون بمعنى الإلزام وإمضاء الأحكام؛ ومنه سُمِّي الحاكم قاضياً.

ويكون بمعنى تَوْفِيَة الحق؛ قال الله تعالى: {فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلأَجَلَ}.

ويكون بمعنى الإرادة؛ كقوله تعالى: {فَإِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ} أي إذا أراد خلق شيء.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

قال ٱبن عطية: «قَضَى» معناه قدّر؛ وقد يجيء بمعنى أمضى، ويَتَّجه في هذه الآية المعنيان على مذهب أهل السُّنة قدّر في الأزل وأمضى فيه. وعلى مذهب المعتزلة أمضى عند الخلق والإيجاد."

وركز صاحب البحر المحيط على معنى الإرادة في لفظ القضاء، مع أنه يتبنى أيضا موقف ابن عطيّة السالف الذكر في عقيدة أهل السنة في القضاء والقدر:

"{وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ}: لما ذكر ما دل على الاختراع، ذكر ما يدل على طواعية المخترع وسرعة تكوينه. ومعنى قضى هنا: أراد، أي إذا أراد إنشاء أمر واختراعه.

قال ابن عطية: وقضى: معناه قدر، وقد يجيء بمعنى: أمضى. ويتجه في هذه الآية المعنيان. فعلى مذهب أهل السنة: قدر في الأزل وأمضى فيه، وعلى مذهب المعتزلة: أمضى عند الخلق والإيجاد."

وفي تفسير أبي السعود يأخذ لفظ القضاء الّذي أصله الإحكام معنى الإرادة والأمر:

"{وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا} أي أراد شيئاً كقوله: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً} وأصلُ القضاءِ الإحكامُ أُطلق على الإرادة الإلٰهية المتعلقة بوجود الشيء لإيجابها إياه ٱلبتة وقيل: الأمر، ومنه قولُه تعالى: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ} الخ."

وفي تأويل مشكل القرآن، باب:اللفظ الواحد للمعاني المختلفة، يرجع المؤلف معاني لفظ القضاء إلى أصل واحد هو: حتّم، ومنه يتفرع إلى معان ثانوية:

"أصل قَضَى: حَتَمَ، كقول الله عز وجل: {ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلأنفُسَ حِينَ مِوْتِـهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِـهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لاَيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ}الزمر ٤٢ أي حَتَمه عليها.

ثم يصير الحَتْمُ بمعان، كقوله: {وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّـاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰناً إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا}الإسراء ٢٣ أي أمر؛ لأنه لما أمر حتم بالأمر.

وكقوله: {وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِى إِسْرَٰءِيلَ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً}الإسراء ٤، أي أعلمناهم؛ لأنّه لمّا خَبَّرهم أنهم سيفسدون في الأرض، حتم بوقوع الخبر.

وقوله: {فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَحِفْظاً ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ}فصلت ١٢، أي صنعهن.

وقوله: {قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ}طه ٧٢، أي فاصنع ما أنت صانع.

ومثله قوله: {وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُمْ مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَاتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُواْ إِلَىَّ وَلاَ تُنظِرُونَ}يونس ٧١، أي اعملوا ما أنتم عاملون ولا تُنظِرون.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

قال (أبو ذُؤَيْب):

وَعَلَيْهِمَا مَسْرُودَتَانِ قَضَاهُمَا دَاوُدُ أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغ تُبَّعُ

أي صنعهما (داود) و (تبَّع).

وقال (الآخر) في عمر بن الخطاب، رضي الله عنه:

قَضَيْتَ أُموراً ثمّ غادرْتَ بَعْدَها بَوَائِجَ فِي أَكْمَامِهَا لَمْ تُفَتَّقِ

أي عملت أعمالاً؛ لأنَّ كلّ من عمل عملاً وفرغ منه فقد ختمه وقطعه. ومنه قيل للحاكم: قاض؛ لأنّه يقطع على الناس الأمور وَيَحْتِم. وقيل: قُضِيَ قَضَاؤُكَ. أي فُرِغ من أمرك. وقالوا للميت: قد قَضَى. أي فرغ.

وهذه كلها فروع ترجع إلى أصل واحد." انتهى

ومن هذه الجولة التفسيرية مع كلمة: قضى، في القرآن الكريم، يتضح لك، أيها القارئ، أن **معنى وصى لم يرد على الإطلاق من أيّ مفسّر كان، وأن الوحيد الّذي قال بهذا المعنى: ابن عبد الوهاب وتلامذته**. وهذا يبيّن لك أن جماعة الشيخ يفسرون القرآن حسب رؤاهم وآرائهم، وليس حسب الأصول.

ولكن: لماذا يصرّ الوهابيّون على تفسير كلمة القضاء بالوصيّة؟؟ ويرفضون معنى: الأمر؟؟.

الجواب: شبهة ظهرت للوهابيين، وظهرت لغيرهم قبلهم، وهي كما قال ميمون بن مهران: ولو كان على القضاء ما عصى الله أحد قط، لأن خلاف قضاء الله ممتنع"

ولما كانت أوامر الله تعالى، بعضها يطاع، وبعضها يعصى، استعصى على الكثير من المسلمين، ومنهم الوهابيون، فهم الأوامر الإلهية، فعدلوا إلى معنى الوصيّة لتخفيف حدّة الأمر، وتعليل المعاصي الصادرة من الخلق. ولكن فاتهم، وهم يبررون جواز المعاصي من الخلق بالوصية، أن وصيّة الله تعالى لخلقه ملزمة بالقدر نفسه، لو فسرنا القضاء بالأمر.

فقولنا أن الله وصى ألا تعبدوا إلا إياه، يعني أن الوصية ملزمة للجميع، وأنها أمر منه جلّ وعلا، فعليه، لا فرق في الإلزام والنفاذ، بين الوصية والأمر، وأن الوصية ليست اختيارية إذا كانت من الله تعالى.

بقي علينا الإجابة عن سؤال: لماذا يأمر الله تعالى خلقه بأوامر، بعضها تنفذ، وبعضها تردّ؟؟ كيف يكون أمرا قابلا للنفاذ، ولا ينفذ؟؟. كيف تعصى إرادة الله تعالى، وتنفذ إرادة العبد؟؟. كيف يقول الله للشيء: كن، فيكون في بعض الأحيان، ولا يكون في أحيان أخرى، والله سبحانه وتعالى، يقول عن الموقفين: إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له: كن فيكون؟؟؟.

إذا كانت كلّ الأوامر الإلهية الصادرة لخلقه تأخذ شكل الأمر اللازم الذي لا محيد عن تنفيذه، وهو معنى: كن فيكون، فما تفسيرنا للأوامر الإلهية التي صدرت من الذات العليّة ولم تنفذ؟؟ أي ما حقيقة أوامر كن التي لم تكن؟؟.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

لقد أمر الله خلقه بعدة أوامر، منها أمره للإنس والجن بالتوحيد، وأمره للمؤمنين بالصلاة والزكاة والحج والجهاد، وأمره لإبليس قبل ذلك بالسجود، ولكن هذه الأوامر لم تأخذ طريقها إلى التنفيذ، بل ظهرت إرادة أخرى منافية ومعارضة للإرادة الآمرة، فهل أن الإرادة المعارضة مستقلّة عن الإرادة الآمرة، وموازية لها؟؟ وهل تتمتع الإرادة المعارضة بالقدرة على رفض الأمر الإلهي؟؟.

الجواب: لو كانت الإرادة المعارضة مستقلّة عن الإرادة الإلهية، لما صحّ أن يقول للشيء كن فيكون، لأن المعارضة يمكن لها أن تتصدى للكون، فلا يكون. وإنما الأمر ننظر إليه من زاوية مختلفة. فقد أوضح العلماء بالله أن عمليّة كن فيكون، هي عملية نفخ بين طرفين: نافخ وقابل، وأن هذا النفخ هو عملية اسرافيلية من الحقيقة المحمدية، فهي عملية مادية جسمية، لا تؤتي ثمرتها إلا بالإذن الإلهي الذي يصاحب العملية المادية الجسمية.

فالعملية المادية الجسمية للنفخ هي بمثابة الجسد، وعملية الإذن الإلهي السرّي هي بمثابة الروح لهذا الجسد.

فأوامر الله تعالى للناس بالتوحيد، مثلا، هي أوامر بالجسد فقط، لا روح لها في الأول، وهي أوامر بخلق التوحيد، وعملية الخلق لا تجوز على المخلوقات، لذلك كانت أوامر ذات نشأة جسمية بلا روح. ولما ظهر العجز من المخلوقات بالخلق، جاء الإذن الإلهي لبعض الناس، فوحدوا ربهم، فكان تعلق الروح الأمري السري بالنشأة الجسمية لكُن مظهرا لفعل التوحيد لدى من أذن لهم، وبالتالي كان الخلق من الله، لكنه نسب إليهم الفعل لمقتضى الخطاب الإلهي.

فجاز إذا أن نقول: أن كل أمر إلهي هو كن، قد يكون وقد لا يكون، والفرق بين الحالتين في تعلق الروح الأمري بالجسد كُن. فإذا ما جاء الأمر الإلهي كان الأمر على مقتضى الخطاب والتكليف، وهو في الحقيقة فعل إلهي وليس فعل الخلق. وإذا اقتصر الخطاب على حروف كن فقط، أي على جسميتها، فلم يكن لها أي تأثير. وهذا يفسّر أن كل الأفعال المنسوبة إلى الخلق، إنما هي في الحقيقة والأصل، أفعالا إلهية مرادة ومقدّرة منه تعالى.

وثمّة مثال في القرآن واضح لا ينتبه إليه أغلب المسلمين، وهو مثال الصلاة على النبي عليه الصلاة والسلام. فقد أمرنا الله بالصلاة عليه وبالتسليم، فقال في محكم تنزيله: {إنّ الله وملائكته يصلّون على النّبيّ يا أيّها الّذين آمنوا صلّوا عليه وسلّموا تسليما} الأحزاب ٥٦. ولما سأل الصحابة رسول الله عن كيفية الصلاة عليه قال لهم كما في الأحاديث الصحيحة: قولوا: اللهم صلّ على محمّد ....الخ. فقد أمرهم أن يدعوا الله ويطلبوا من الله أن يصلّي على النبيّ، مع العلم وأنهم هم المطالبون بالصلاة عليه!! فالصلاة على النبي التي أمرنا الله بها لا يمكن لنا أن نأتي بها أبدا إلا إذا طلبنا منه تعالى أن يصلّي عليه، فكانت صلاة الله على نبيّه الكريم هي صلاتنا عليه، إذا طلبناها!! لذلك قال أحد العلماء في صيغته في الصلاة على النبي:

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

"اللَّهُمَّ إنّك سألتنا من أنفسنا ما لا نملكه إلاّ بك، اللَّهُمَّ فهب لنا منها ما يرضيك عنّا"انتهى.

ويوضح الشيخ ابن عربي في المجلّد الرابع ص ٣٠٠ من الفتوحات معنى كن فيكون، وكن لا يكون، فيقول:

"..وذلك أن تعلم أن حضرة "كن" تتضمن روحا وجسما، وقد يرتبطان وقد لا يرتبطان، فإذا ارتبطا كان هذا الجسم حيّا على هذه الصورة من الكاف والواو والنون، وإذا كان حيّا انفعل عنه ما يتوجه عليه لارتباط الروح به وهو الإذن الإلهي، كالنفخ من عيسى عليه السلام في الطائر، مقارنا للإذن الإلهي الذي هو النفخ الإلهي، فاندرج النفخ الإذني الإلهي الذي به حي الطائر، وارتبط روحه في النفخ الجسماني القائم بعيسى، فإذا وجد جسم "كن" من غير ارتباط الروح به، لم يكن عنه شيء أصلا، إذ الميت لا يضاف إليه فعل أصلا ولا يقوم لعقل فيه شبهه، بخلاف الحي، والصورة الجسمية فيهما واحدة. وإذا انفرد روح "كن" دون جسميّته انفعلت عنه الأشياء، ومن جملة الأشياء جسمية "كن" الذي هو في عالم الحروف، فإذا علمت ما أوضحناه لك في هذا الكلام وقفت على أمر عظيم من قوله تعالى: "إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون" النحل ٤٠ ذلك الأمر ولا بدّ، ويقول الحق سبحانه لعباده في كلامه العزيز: أقيموا الصلاة و"اصبروا وصابروا ورابطوا" آل عمران ٢٠٠ وجاهدوا، ولا يقع شيء من ذلك، لأنه قال لهم: اخلقوا وليس من شأنهم أن يخلقوا، فتعلق بهم جسم "كن" لا روحها، فكانت ميتة يحرم عليهم استعمالها، فإذا تعلق الإذن الإلهي الذي هو "كن" الحية بإيجاد عين الجهاد أو الرباط أو الصلاة أو أي شيء كان من أفعال العباد، تكوّن في حين التوجه علينا، وليس من شأن الأفعال أن تقوم بنفسها، فكانت الصلاة تظهر في غير مصل، والصيام في غير صائم، والجهاد في غير مجاهد، وهو لا يصح، فلا بدّ من ظهورها في المجاهد والمصلي وغير ذلك، فإذا ظهرت فيه، نسب الله الفعل إليه وجازاه عليه منة وفضلا لأنه ما ظهر عين الصلاة إلا في المصلّي، فلو لم ينسب الفعل إليه، لكان قدحا في الخطاب والتكليف ومباهتة للحسّ، وكان لا يوثق بالحسّ في شيء. فحسم الله هذا الأمر بما نسب من هذه الأفعال لمن أظهرها فيه وأضافها إليه، وأمرهم بها، وليس خلقها لهم وإنما ذلك إلى الله تعالى، فانظر ما أعجب هذا الأمر، مع ما يتضمنه من التناقض المحقق والإيمان بالطريقتين المتناقضتين فيه واجب، والاطلاع عليه من باب الكشف مع وجود الايمان، تأييد عظيم وقوّة لمن أعطي ذلك، فإن في هذا الموطن زلّ كثير من أهل الكشف، وهو قوله: "وأضلّه الله على علم" الجاثية ٢٣. والعلم كان لا ينبغي أن يصاحبه الضلال ولا يستلزمه، وهنا قد وجد فيه ذلك، فلا يخلوا ما أن ضلّ بعلم أو لا يعلم، والأمر فيه إشكال."انتهى.

وواضح من هذا النص أن كل أفعالنا من الله تعالى، أمرا جسميا، أو روحيا، أو كلاهما معا، وأنه ليس في الوجود من حقائق فاعلة إلا حقيقة الذات الإلهية، وأما الحقائق الأخرى فهي قائمة بها، وأن الحقيقة المحمّدية تتميّز بأنها جسر ومعبر بين الحقيقة الذاتية وبقية الحقائق الأخرى.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وهناك مثال ثان يوضح لنا مجال كن التي لا تكون، وهو مجال حساس لا أدري ماذا قال فيه العلماء، فإنني لم أقف على أي حكمة منهم في هذا المجال. ونقصد بمجال الإمكان غير الممكن في الإمكان الممكن.

وتفصيل ذلك، أن الله تعالى ذكر في كتابه العزيز مجموعة من الآيات التي تدلّ على إمكانيات غير ممكنة، مثل:

{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لاَنْفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِلِينَ} آل عمران ١٥٩

فهل يمكن أن يكون الرسول فظا غليظ القلب؟؟ طبعا لا يمكن ذلك، لأنه من طبيعته كرسول خاتم الأنبياء والمرسلين أن يكون: رحمة مهداة، وأن يكون: على خلق عظيم. فما وجه استعمال حرف: لو في هذه الآية؟؟.

نعتقد، والله أعلم، أن حرف: **لو** فتح إمكانية عقلية غير ممكنة كونيا، أي أن **لو** في هذه الآية من نوع الإمكان غير الممكن وجوديا وكونيا، ولكنه وجد في الإمكان الممكن الذي هو العقل الإنساني. وبما أن هذا الإمكان غير الممكن قاله الله تعالى في كتابه العزيز، وثبت أنه لا يجوز أن يكون له حقيقة كونية، فإننا نقول أن وجوده يقتصر على الوجود الجسمي للحرف **لو**، وليس له وجود بالروح، فهذا مثال واضح من **كن** التي لا تكون إلا بشرط (الوجود العقلي الخيالي).

مثال آخر من نفس مجال حرف: **لو**، يقول الله تعالى:

{لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً لاَّصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَـٰنَهُ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ} الزمر ٤.

فتحت **لو** إمكانية أن يتخذ الله ولدا إذا ما أراد، وذلك بأن يصطفي ممّا يخلق ما يشاء، سبحانه، فهل هذه الإمكانية جائزة على الله؟؟

نقول: إن هذه الإمكانية لا تتجاوز أن تكون عقلية بحتة، وليست كونية وجودية، وذلك أنها تتعارض مع أسس التوحيد المذكورة في هذا المجال في الكتاب العزيز.

قال الله تعالى:

{وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَلَداً * لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً * تَكَادُ ٱلسَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدّاً * أَن دَعَوْاْ لِلرَّحْمَـٰنِ وَلَداً * وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَـٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَداً * إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ إِلاَّ آتِي ٱلرَّحْمَـٰنِ عَبْداً * لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدّاً * وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ فَرْداً} مريم ٨٨-٩٥.

فآية الزمر فتحت بحرف **لو**، إمكانية مستحيلة تتعارض مع التوحيد، وإنما جرى هذا الكلام الرباني بكن الجسد فقط، بلا روح، وذلك ليكون لها وجود عقلي فحسب، وبالحروف فقط، وليس وجود كوني حقيقي. والدليل قول الله تعالى:

{مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ} مريم ٣٥.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

فقضاءه للأمر بألا يتخذ ولدا، كان بكن فيكون (الجسم والروح)، وقضاءه للأمر بـ"لو أراد" كان بكن لا يكون (الجسد فقط)، فثبت أن "كن الجسد" خلقت كلمات فقط، اختصرتها عبارة "لو"، وليس لهذه الكلمات وجود كوني حقيقي. وهذا من أسرار كن.

هذا وقد أفردنا لكن فيكون رسالة خاصّة، فليطالعها من أراد.

خلاصة القول: آية الإسراء التي ساقها ابن عبد الوهاب: وقضى ربّك، لا تعني الوصية وإنما تعني الأمر، وقضاؤه سبحانه، نافذ، بالجسد، أو بالروح، أو بالروح والجسد، وما أطاعوه إلا برحمته، وما عصوه إلا بقضائه، وخير من أجمل المسألة، دعاء التوسّل للإمام الرباني الشيخ أبو الحسن الشاذلي، الذي أوضح هذه العقيدة توضيحا تامّا في دعاء له، يسمى حزب التوسّل. يقول الإمام الشاذلي رحمه الله:

"بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إني أتوسّل بك إليك. اللهم إني أقسم بك عليك. اللهم كما كنت دليلي عليك، فكن شفيعي إليك. اللهم إن حسناتي من عطائك وسيئاتي من قضائك، فجد اللهم بما أعطيت على ما به قضيت، حتى تمحو ذلك بذلك، لا لمن أطاعك فيما أطاعك فيه له الشكر، ولا لمن عصاك فيما عصاك فيه له العذر، لأنك قلت وقولك الحق: لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

اللهم لو لا عطاؤك لكنت من الهالكين، ولو لا قضاؤك لكنت من الفائزين، وأنت أجلّ وأعظم وأعزّ وأكرم من أن تطاع إلا بإذنك ورضاك، أو أن تعصى إلا بحكمك وقضاك. إلهي ما أطعتك حتى رضيتَ ولا عصيتك حتى قضيتَ، أطعتك بإرادتك والمنّة لك عليّ، وعصيتك بتقديرك والحجّة لك عليّ. فبوجوب حجّتك وانقطاع حجّتي إلا ما رحمتني، وبفقري إليك وغناك عني إلا ما كفيتني، يا أرحم الراحمين.

اللهم إني لم آت الذّنوب جرأة مني عليك، ولا استخفافا بحقّك، ولكن جرى بذلك قلمك، ونفذ به حكمك، وأحاط به علمك، ولا حول ولا قوّة إلا بك، والعذر إليك، وأنت أرحم الراحمين.

اللهم إن سمعي وبصري ولساني وقلبي بيدك لم تملكني من ذلك شيئا، فإذا قضيت بشيء فكن أنت وليّي واهدني إلى أقوم السبيل، يا خير من سئل، ويا أكرم من أعطى، يا رحمن الدنيا والآخرة، ارحم عبدا لا يملك الدنيا ولا الآخرة، إنك على كلّ شيء قدير.

وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير. ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم.

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم."

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

عظمة التوحيد في فكر ابن عبد الوهاب

الباب الأول كتاب التوحيد

الآية الرابعة: {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً} ١٥١ الأنعام.

النص الأول:
قال الشارح: علي بن خضير الخضير:
"مناسبة الآية للباب: هذه الآية تدل على أهمية التوحيد ومكانته حتى سماها المصنف بالمسألة العظيمة وهذه الآية دلت على أن التوحيد عظيم"

الملخص:
يرى الشارح أن وجه اختيار المصنف لهذه الآية، هو تعظيم التوحيد.

النص الثاني:
قال الشارح: علي بن خضير الخضير:
" ما هو قَصْد المصنف من هذا الباب؟
تكلم الحفيد سليمان في ص٥٠ من كتاب التيسير في قصد المصنف من هذا الباب فقال: (ولما ذكر المصنف معنى التوحيد ناسب ذكر فضله وتكفيره للذنوب). اهـ

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وعلى ذلك فالحفيد سليمان يرى أن الباب الأول بوّب لبيان معنى التوحيد، أما الحفيد الثاني والشيخ حمد فلم يذكرا ماذا قصد المصنف من هذا الباب حسب علمي، لكن الذي يظهر لي أن المصنف لم يقصد هذا المعنى الذي اختاره الحفيد سليمان.

.....وإنما أراد المصنف أن يبين عظم شأن التوحيد وبيان أهميته ومكانته ومن ثم يمكن أن نقول إن قصد المصنف من هذا الباب هو (بيان مكانة التوحيد وأهميته وعظم شأنه وحُكمِه)."

الملخص:

يرى الشارح أن قصد المصنف من الباب الأول بيان عظمة التوحيد.

التعليق:

اختلف الشراح في بيان مقصد ابن عبد الوهاب من الباب الأوّل، من كتاب التوحيد. فالرجل دخل إلى الموضوع، مباشرة بالآيات والأحاديث، وأخذ يستنبط منها المسائل، ثمّ يبقى الموضوع غامضا.

صحيح أن الكتاب يتحدث عن التوحيد عموما، ولكن الباب، مسائله متداخلة مع مسائل الأبواب الأخرى، لذلك اختلف الشراح في بيان مقصد المصنف.

ولا ندري كيف سوّغ المؤلف لنفسه اعتماد هذه الطريقة في التأليف، باعتبارها توحي بالشيء ونقيضه، وكأنه إما متأكدا أن الناس يعلمون ما يدعو إليه، وما يقوله وما يستنبطه وما يجتهد فيه، أو أنه متعمّد غموض المقصد حتى يجد مساحة أكبر للتحرك من أجل التأويل والحكم على المسلمين بالشرك والطاغوت.

المهمّ أن الشارح علي بن خضير الخضير اقتنع أن الآية ١٥١ من سورة الأنعام دالّة على أهمّية وعظمة التوحيد. ولا أدري كيف استنتج الشارح أهمّية التوحيد من هذه الآية، علما وأن الآية، وما بعدها، تتحدّث عن عشر مسائل، التوحيد أوّلها، والصراط المستقيم آخرها.

قال الله تعالى:

{قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً وَبِٱلْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ مِّنْ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلاَ تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلاَ تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلاَّ بِٱلْحَقِّ ذٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلاَّ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ ذٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَٱتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذٰلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} ١٥١-١٥٣ الأنعام.

صحيح أن نفي الشرك تصدّر الآية، ومرتبته الأولى تعطينا أهمّيته، ولكن صحيح أيضا أن إتباع الصراط المستقيم لخص المسائل كلّها بما فيها التوحيد، وبالتالي يعطينا الأهمّية والعظمة لهذا الصراط.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

يبدو أن المصنّف يرى العظمة والأهميّة في التوحيد بمنظار خاص: هو يسوق الآيات التي يراها مناسبة، ويقف عند أي كلمة منها يراها مناسبة، ويحكم عليها بالأهمّية والتعظيم. هكذا دون أن يكون له ميزان أو طريقة أو تبرير لما يفعله.

ولعلنا لا نجانب الحقيقة إذا قلنا أن المصنف ليس له طريقة أو أسلوب يعتمد عليه إلا الغموض والخلط والاجتهاد التعسفي في اختياره للآيات، وفي عنوان الموضوع، وفي فهم وتفسير واستنباط المسائل منها. لأن من أراد الوقوف على آيات عظمة التوحيد، فما عليه إلا استخراج الآيات التي تتحدث عن التوحيد ويذكر خلالها كلمة: عظيم. هكذا بكل بساطة، وعلى الأقل في المنطلق.

قال الله تعالى:

{إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰ إِثْماً عَظِيماً}. ٤٨ النساء.

{وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يٰبُنَيَّ لاَ تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}. ١٣ لقمان.

هذه الآيات تدلّ بما لا مجال للشك فيه، أن التوحيد مسألة عظيمة لأن الشرك، المنهيّ عنه، مسألة عظيمة. وهذا بالضبط ما قاله الشارح مبررا الاختيار الخاطئ للمصنف حينما قال في شرحه لآية الأنعام:

"وجه التعظيم لأنه نهى عن الشرك وبدأ به فدل على عظم الشرك وإذا كان الشرك عظيماً فضده وهو التوحيد عظيم أيضاً وهنا نصل إلى مراد المصنف على عظم شأن التوحيد"

فأيهما أوضح في العظمة: الآيات التي اختارها المؤلف في بابه الأول، أم الآيات التي سقناها نحن، من النساء ولقمان؟؟.

السؤال الجوهري: لماذا لم يذكر المصنف هذه الآيات للتدليل على عظمة التوحيد، وذكر بدلا منها آيات أخرى، تعسّف كثيرا في بيان العظمة منها؟؟.

الجواب نجده في تفسير وأسباب نزول هذه الآيات، والتي ذكرت التفاسير، أنها كانت آيات رجاء وتخفيف لما قبلها.

فآية النساء مثلا، يقول صاحب البحر المحيط في سبب نزولها:

" قال ابن الكلبي: نزلت في وحشي وأصحابه، وكان جعل له على قتل حمزة رضي الله عنه أن يعتق، فلم يوف له، فقدم مكة وندم على الذي صنعه هو وأصحابه، فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنا قد ندمنا على ما صنعنا، وليس يمنعنا عن الإسلام إلا أنا سمعناك تقول بمكة: {وَٱلَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلـٰهًا ءاخَرَ} الآيات وقد دعونا مع الله إلهاً آخر، وقتلنا النفس التي حرم الله، وزنينا، فلولا هذه الآيات لاتبعناك، فنزلت: {إِلاَّ مَن تَابَ وَءامَنَ وَعَمِلَ} الآيات، فبعث بها إليهم فكتبوا: إنَّ هذا شرط شديد نخاف أن لا نعمل عملاً صالحاً، فنزلت إن الله لا يغفر أن يشرك به الآية، فبعث بها إليهم، فبعثوا إنا نخاف أن لا نكون من أهل مشيئته، فنزلت: {قُلْ يا عِبَادِى

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ} الآيات فبعث بها إليهم، فدخلوا في الإسلام، فقبل منهم ثم قال لوحشي:

أخبرني كيف قتلت حمزة»؟ فلما أخبره قال: {حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلّ وَجْهَكَ} فلحق وحشي بالشام إلى أن مات."انتهى

فانظر يا أخي كيف كانت أخلاق الرسول في الدعوة إلى الدين الإسلامي، حيث يبشر ولا ينفر، ويعد ولا يتوعّد، ويستشهد بآيات الرجاء، والأرجى والأرجى، وانظر إلى هذا الشيخ الذي يدعي إتباعه واقتداءه بالرسول، كيف غابت عنه الحكمة المحمّديّة، فراح يخوف ويخوّف، ويعظم ويستعظم، في الموضع وغير الموضع؟؟.

وخذ المثال الثاني، الآية من سورة لقمان. قال القرطبي:

"وفي صحيح مسلم وغيره عن عبد الله قال: لما نزلت {ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ} (الأنعام: ٨٢) شق ذلك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا: أينا لا يظلم نفسه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ليس هو كما تظنون إنما هو كما قال لقمان لابنه: يا بنيّ لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم»."

فانظر يا أخي كيف تلا الرسول الآية ليضع المشقة التي شعر بها الصحابة، وبين لهم عظمة التوحيد مع عظمة الرحمة، لأن الشرك المطلوب نفيه هو الشرك الأكبر، وهو مقدور عليه، بحول الله وقدرته، من الصحابة وغيرهم، وأما ما هو شاق وصعب، نفي الظلم جملة، وهذا ما لا سبيل إليه إلا ما رحم ربي.

وانظر يا أخي، رغم عظمة المسألة: مسألة الشرك والتوحيد، كيف ساقها لقمان لابنه في قالب موعظة، وليس في قالب الزجر والتخويف والقهر، كما يفعل الوهابيون، وبدعتهم المسماة: كفر الطاغوت، والتي بها يكفرون العباد والعتاد والدول والحكومات ويوجبون القتل والمحاربة.

ولقد فهم المفسرون عظمة التوحيد من خلال عظمة آثاره، وربطوا بين الآية والأحاديث الواردة في الباب، وهذا ابن كثير عندما يتناول موضوع الشرك العظيم، يتناول أيضا التوحيد العظيم، وذلك من خلال عدّة أحاديث، تظهر عظمة التوحيد في فضله ورحمة الله به، وآثاره على العبد في الآخرة، وهذه هي العظمة الحقيقية. وهذه أحاديث الآية التي ساقها ابن كثير:

"....عن عائشة، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«الدواوين عند الله ثلاثة: ديوان لا يعبأ الله به شيئاً، وديوان لا يترك الله منه شيئاً، وديوان لا يغفره الله، فأما الديوان الذي لا يغفره الله فالشرك بالله، قال الله عز وجل: {إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ} الآية، وقال {إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيهِ ٱلْجَنَّةَ}[المائدة:٧٢]، وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئاً، فظلم العبد نفسه فيما بينه وبين ربه من صوم يوم تركه أو صلاة تركها، فإن الله يغفر ذلك ويتجاوز إن شاء، وأما الديوان الذي لا يترك الله منه شيئاً فظلم العباد بعضهم بعضاً، القصاص لا محالة»

تفرد به أحمد.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

.....عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
«الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره الله، وظلم لا يتركه الله، فأما الظلم الذي لا يغفره الله فالشرك، وقال {إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}، وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم العباد لأنفسهم فيما بينهم وبين ربهم، وأما الظلم الذي لا يتركه فظلم العباد بعضهم بعضاً حتى يدين لبعضهم من بعض»
....عن أبي إدريس، قال: سمعت معاوية يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
«كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافراً، أو الرجل يقتل مؤمناً متعمداً»
...حدثنا ابن غنم أن أبا ذر حدثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ،قال «إن الله يقول: يا عبدي ما عبدتني ورجوتني، فإني غافر لك على ما كان فيك، يا عبدي إنك إن لقيتني بقراب الأرض خطيئة ما لم تشرك بي، لقيتك بقرابها مغفرة» تفرد به أحمد من هذا الوجه.
... أن أبا ذر حدثه قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال «ما من عبد قال: لا إله إلا الله ثم مات على ذلك، إلا دخل الجنة، قلت: وإن سرق وإن زنى ؟ قال: وإن زنى وإن سرق. قلت: وإن زنى وإن سرق ؟ قال وإن زنى وإن سرق ثلاثاً، ثم قال في الرابعة: على رغم أنف أبي ذر»، قال: فخرج أبو ذر وهو يجر إزاره وهو يقول: وإن رغم أنف أبي ذر، وكان أبو ذر يحدث بهذا ويقول: وإن رغم أنف أبي ذر. أخرجاه من حديث حسين به.
.... عن جابر، قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ما الموجبتان، قال:
«من مات لا يشرك بالله شيئاً وجبت له الجنة، ومن مات يشرك بالله شيئاً وجبت له النار» وذكر تمام الحديث تفرد به من هذا الوجه.
.... عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
«ما من نفس تموت لا تشرك بالله شيئاً إلا حلت لها المغفرة، إن شاء الله عذبها وإن شاء غفر لها {إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ}.
.... عن جابر: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
«لا تزال المغفرة على العبد ما لم يقع الحجاب» قيل: يا نبي الله وما الحجاب؟ قال «الإشراك بالله ـ قال ـ ما من نفس تلقى الله لا تشرك به شيئاً إلا حلت لها المغفرة من الله تعالى، إن يشاء أن يعذبها وإن يشاء أن يغفر لها غفر لها»
ثم قرأ نبي الله {إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ}
.... عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
«من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة»
تفرد به الإمام أحمد من هذا الوجه.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

.... سمعت أبا أيوب الأنصاري يقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم، خرج ذات يوم إليهم، فقال لهم:

إن ربكم عز وجل خيرني بين سبعين ألفاً يدخلون الجنة عفواً بغير حساب وبين الخبيئة عنده لأمتي، فقال له بعض أصحابه: يا رسول الله، أيخبأ ذلك ربك ؟ فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خرج وهو يكبر فقال «إن ربي زادني مع كل ألف سبعين ألفاً والخبيئة عنده»

قال أبو رهم: يا أبا أيوب: وما تظن خبيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأكله الناس بأفواههم، فقالوا: وما أنت وخبيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال أبو أيوب: دعوا الرجل عنكم أخبركم عن خبيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أظن، بل كالمستيقن إن خبيئة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يقول «من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله مصدقاً لسانه قلبه أدخله الجنة».

... عن أبي أيوب الأنصاري، قال:

جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إن لي ابن أخ لا ينتهي عن الحرام. قال «وما دينه ؟» قال: يصلي ويوحد الله تعالى. قال «استوهب منه دينه، فإن أبى فابتعه منه» فطلب الرجل ذاك منه فأبى عليه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فقال «وجدته شحيحاً في دينه» قال: فنزلت {إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء}

... عن أنس، قال:

....جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، ما تركت حاجة ولا ذا حاجة إلا قد أتيت، قال «أليس تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله؟» ثلاث مرات؟ قال: نعم، قال «فإن ذلك يأتي على ذلك كله»

.... قال: قال لي أبو هريرة:

يا يمامي لا تقولن لرجل: والله لا يغفر الله لك، أو لا يدخلك الجنة أبداً. قلت: يا أبا هريرة، إن هذه كلمة يقولها أحدنا لأخيه وصاحبه إذا غضب قال: لا تقلها، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «كان في بني إسرائيل رجلان: كان أحدهما مجتهداً في العبادة، وكان الآخر مسرفاً على نفسه، وكانا متآخيين، وكان المجتهد لا يزال يرى الآخر على ذنب فيقول: يا هذا أقصر، فيقول: خلني وربي أبعثت عليّ رقيباً قال: إلى أن رآه يوماً على ذنب استعظمه، فقال له: ويحك، أقصر ! قال: خلني وربي، أبعثت عليّ رقيباً ؟ فقال والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الله الجنة أبداً، قال: فبعث الله إليهما ملكا فقبض أرواحهما، واجتمعا عنده، فقال للمذنب: اذهب فادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أكنت عالماً، أكنت على ما في يدي قادراً ؟ اذهبوا به إلى النار: قال: «فوالذي نفس أبي القاسم بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته»

..... عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

قال الله عز وجل: «من علم أني ذو قدرة على مغفرة الذنوب غفرت له ولا أبالي، ما لم يشرك بي شيئاً»

.... عن أنس، قال:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من وعده الله على عمل ثواباً، فهو منجزه له، ومن توعده على عمل عقاباً، فهو فيه بالخيار»

.... عن ابن عمر، قال: كنا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لا نشك في قاتل النفس، وآكل مال اليتيم، وقاذف المحصنات، وشاهد الزور، حتى نزلت هذه الآية {إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَن يَشَاء} فأمسك أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم عن الشهادة، ورواه ابن جرير من حديث الهيثم بن حماد به وقال ابن أبي حاتم أيضاً: حدثنا عبد الملك بن أبي عبد الرحمن المقري، حدثنا عبد الله بن عاصم، حدثنا صالح يعني المري، أبو بشر عن أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، قال: كنا لا نشك فيمن أوجب الله له النار في الكتاب، حتى نزلت علينا هذه الآية {إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَن يَشَاء} قال: فلما سمعناها كففنا عن الشهادة وأرجينا الأمور إلى الله عز وجل.

..... عن ابن عمر: قال: كنا نمسك عن الاستغفار لأهل الكبائر حتى سمعنا نبينا صلى الله عليه وسلم يقول

{إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَن يَشَاء} وقال: «أخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة»

.... وقال أبو جعفر الرازي عن الربيع، أخبرني مُجَبَّر عن عبد الله بن عمر أنه قال:

لما نزلت {قُلْ يٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ} [الزمر: ٥٣] إلى آخر الآية، قام رجل فقال: والشرك بالله يا نبي الله؟ فكره ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: {إِنَّ ٱللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذٰلِكَ لِمَن يَشَاء وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰ إِثْماً}

رواه ابن جرير، وقد رواه ابن مردويه من طرق عن ابن عمر، وهذه الآية التي في سورة تنزيل مشروطة بالتوبة، فمن تاب من أي ذنب وإن تكرر منه، تاب الله عليه، ولهذا قال {قُلْ يٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً}[الزمر:٥٣] أي بشرط التوبة، ولو لم يكن كذلك لدخل الشرك فيه، ولا يصح ذلك لأنه تعالى قد حكم ههنا بأنه لا يغفر الشرك، وحكم بأنه يغفر ما عداه لمن يشاء، أي: وإن لم يتب صاحبه فهذه أرجى من تلك من هذا الوجه، والله أعلم." انتهى

فيتضح، أخي القارئ، أن الأحاديث التي ساقها ابن كثير، من مسند الإمام أحمد بن حنبل، وغيره، مشبعة بالرجاء والرحمة، وهي تدور حول عظمة التوحيد، وما فهمه ابن كثير، غاب عن فهم ابن عبد الوهاب، الذي ظن أن عظمة التوحيد تتماشى والزجر والتخويف والوعيد، وتتنافى مع الرجاء والرحمة.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

بل إن ابن كثير فهم الموضوع كما فهمناه، وكما فهمه المسلمون عامّة، باستثناء الوهابية، حين قرن بين الآيتين اللتان سقناهما للتدليل على عظمة التوحيد، فقال:

"وقوله {وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْماً عَظِيماً}[النساء:٤٨] كقوله {إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ}[لقمان:١٣] وثبت في الصحيحين عن ابن مسعود أنه قال: قلت: يا رسول الله، أي الذنب أعظم؟ قال: «أن تجعل لله نداً وهو خلقك» وذكر تمام الحديث، وقال ابن مردويه: حدثنا إسحاق بن إبراهيم بن زيد، حدثنا أحمد بن عمرو، حدثنا إبراهيم بن المنذر، حدثنا معن، حدثنا سعيد بن بشير حدثنا قتادة، عن الحسن، عن عمران بن حصين: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أخبركم بأكبر الكبائر الشرك بالله» ثم قرأ {وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْماً عَظِيماً} وعقوق الوالدين. ثم قرأ {أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ}."انتهى

فإذا ما تجنبت الاعتقاد في شريك ندّ لله عزّ وجلّ، فقد تجنبت الشرك، والظلم العظيم. فلا طاغوت، ولا ترّهات ابن عبد الوهاب وتخويفاته. لأن الشرك الذي نتحدّث عنه، هو المذكور في كامل سورة الإنعام، والذي قال فيه الرازي:

"واعلم أنه تعالى قد شرح فرق المشركين في هذه السورة على أحسن الوجوه، وذلك لأن طائفة من المشركين يجعلون الأصنام شركاء لله تعالى، وإليهم الإشارة بقوله حكاية عن إبراهيم {وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لاِبِيهِ ءازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَاماً ءالِهَةً إِنِّى أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ} (الأنعام: ٧٤).

والطائفة الثانية: من المشركين عبدة الكواكب، وهم الذين حكى الله عنهم، أن إبراهيم عليه السلام أبطل قولهم بقوله: {لا أُحِبُّ ٱلاٰفِلِينَ} (الأنعام: ٧٦).

والطائفة الثالثة: الذين حكى الله تعالى عنهم: {وجَعَلُواْ للَّهِ شُرَكَاء ٱلْجِنَّ} (الأنعام: ١٠٠). وهم القائلون ببزدان وأهرمن.

والطائفة الرابعة: الذين جعلوا لله بنين وبنات (الأنعام: ١٠٠)، وأقام الدلائل على فساد أقوال هؤلاء الطوائف والفرق، فلما بين بالدليل فساد قول هؤلاء الطوائف. قال ههنا: {أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً}."انتهى

وهذه الطوائف الشركية ليست موجودة الآن بين المسلمين، وليس هناك مسلم واحد على وجه الأرض، يعتقد في لا إله إلا الله، ويعبد الأصنام، أو الكواكب، أو أهرمن أو يجعل لله البنين والبنات، هذا الشرك، والحمد لله مفقود بين المسلمين، ولا وجه أن تتهم المسلمين بالشرك، إلا إذا أردت بالشرك ما لم تقله الآيات، وقاله ابن عبد الوهاب، وجماعته.

وليست المسألة سوء فهم، واختلاف في الرأي والتأويل بين ابن عبد الوهاب والعلماء السابقين، بل الأمر أكبر من ذلك، إنه تعسّف على التفسير والتأويل من أجل إثبات فكرة مسبقة في ذهنه، مدّعيا الاجتهاد، وهو منه بريء.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وحتى نثبت أننا لا نلقي التهم جزافا، نأتي إلى مسألة الحديث الأول الذي ذكره في الباب الأول من كتاب التوحيد، وهو، أي الحديث، ورد في تفسير الآية ١٥١ من سورة الأنعام. قال المصنف:

"قال ابن مسعود: من أراد أن ينظر إلى وصية محمد (صلى الله عليه وسلم) التي عليها خاتمة فليقرأ: قوله تعالى (قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا) إلى قوله (وأن هذا صراطي مستقيما) الآية."

ويبدو أنه ليس حديثا بالمعنى المتعارف لدى الناس، لأنه كلام لابن مسعود، وليس حديثا للرسول عليه الصلاة والسلام، والشارح يقول في المسألة:

" تخريج الحديث: وهذا الحديث في الاصطلاح موقوف وهو قول الصحابي، وهذا الحديث لم يرفعه ابن مسعود فلم يقل ابن مسعود قال: قال رسول الله."

ولما كان الحديث من كلام ابن مسعود، وليس من كلام الرسول، يبدأ الشارح في التعسف عليه، مثله مثل الشراح، ومثلهم مثل شيخهم ابن عبد الوهاب، فيقول الشارح:

"لكن ظاهر صنيع المؤلف أنه موقوف في حكم الرفع، والحفيدان يميلان إلى تصحيح هذا الأثر الموقوف."

ولمّا طالبنا الشارح بالدليل والبرهان على أن كلام ابن مسعود هو كلام الرسول، قال لنا الشارح:

" بل حتى المصنف يصحح هذا الأثر بدليل:

١-أنه ذكره بصيغة الجزم وقال: قال ابن مسعود والغالب على أهل العلم بصيغة الجزم أنه مقبول عندهم.

٢- أن المصنف أستخرج عليه مسألة فبنى عليه أحكام، وبناية الأحكام فرع التصحيح، وأيضاً صاحب التيسير ص٤٥ نقل تحسين الترمذي لهذا الحديث.

وهناك من أهل العلم من ضعف الحديث، فالمسألة اجتهادية ونمشي على اختيار المصنف، ولكن لفظ الترمذي فيه اختلاف يسير."

فيا له من دليل أقنع القارئ، وأذهله؟؟؟. أيّ علم هذا الذي يسوقه الشارح؟؟. كيف يكون كلام المصنف دليلا على صحة حكمه؟؟. ومتى كان استخراج المسائل وبناء الأحكام دليلا على الصحة والثبوت؟؟؟. ومن قال إن المسألة اجتهاديّة؟؟. وهل لديكم اجتهاد آخر مخالف لاجتهادكم؟؟.

أنتم بين كلام العلماء الذين يرون الحديث موقوفا، من كلام ابن مسعود، وبين تعسّف وليّ ذراع ابن عبد الوهاب وجماعته، الذين ينسبون الحديث إلى رسول الله ويصحّحونه. ثمّ تقولون لنا: "المسألة اجتهادية ونمشي على اختيار المصنف"؟؟.

لنأتي إلى تفسير الحديث وما بنى عليه من المسائل، لنكمل مسيرة الخلط والوهم والتعسف مع ابن عبد الوهاب. قال الشارح:

"واستخرج مسألة على هذا الحديث (وقال التنبيه على وصية الرسول عند موته) وهي الحث على التوحيد والنهي عن الشرك. ومناسبة هذا الأثر يدل على عظم

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وأهمية التوحيد لأن الرسول أوصى به عند موته ولا يوصي إلا بالشيء العظيم لا سيما في آخر اللحظات."

ويتضح من كلام الشارح أن الرسول عليه الصلاة والسلام، وصى عند موته بهذه الآيات الثلاث من سورة الأنعام. والحقيقة، أن هذا الكلام مناف للحقيقة، والدليل على ذلك، أن لفظ "عند موته" من إضافة ابن عبد الوهاب، وليست من نص الحديث.

وكلّ إنسان يعرف أن الوصيّة تكون عند الموت، وفي أوقات أخرى، ولا يلزم أن تكون عند الموت. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، للحديث ألفاظ أخرى بعيدة عن الوصية والموت، ذكرها ابن كثير، شيخ ابن عبد الوهاب، وتغافل عنها هذا الأخير، نوردها من تفسيره، كما جاءت. قال رحمه الله:

" قال داود الأودي عن الشعبي عن علقمة عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من أراد أن يقرأ صحيفة رسول الله صلى الله عليه وسلم التي عليها خاتمه فليقرأ هؤلاء الآيات {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً إِلىٰ قَوْلُهُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.

وقال الحاكم في مستدركه: حدثنا بكر بن محمد الصيرفي بمرو، حدثنا عبد الصمد بن الفضل حدثنا مالك بن إسماعيل النهدي، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عبد الله بن خليفة، قال: سمعت ابن عباس يقول: في الأنعام آيات محكمات هن أم الكتاب، ثم قرأ {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلاَّ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئاً }[الأنعام:١٥١] الآيات، ثم قال الحاكم: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. قلت: ورواه زهير وقيس بن الربيع، كلاهما عن أبي إسحاق عن عبد الله بن قيس عن ابن عباس به، والله أعلم.

وروى الحاكم أيضاً في مستدركه، من حديث يزيد بن هارون عن سفيان بن حسين عن الزهري عن أبي إدريس عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

«أيكم يبايعني على ثلاث» ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم {قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ }[الأنعام:١٥١] حتى فرغ من الآيات «فمن وفى فأجره على الله ومن انتقص منهن شيئاً فأدركه الله به في الدنيا كانت عقوبته، ومن أخر إلى الآخرة فأمره إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه»

ثم قال صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وإنما اتفقا على حديث الزهري عن أبي إدريس عن عبادة، «بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً» الحديث.

وقد روى سفيان بن حسين كلا الحديثين، فلا ينبغي أن ينسب إلى الوهم في أحد الحديثين إذا جمع بينهما."انتهى

فكيف يجوز لنا تبني حديثا موقوفا، ليس بمرفوع، أي أنه لا دليل لنا على نسبته إلى رسول الله، ونعدل به عن أحاديث صحاح، خرجها الحاكم في مستدركه؟؟.

بالله عليكم، كيف تقبلون هذا الأمر، وأنتم المشهورون بتضعيف كلّ حديث لا يوافق معتقداتكم، وتشهرون على خصومكم بأنهم يستدلّون بالضعيف ودونه؟؟.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ونأتي إلى الحديث الثاني الذي ذكره ابن عبد الوهاب في الباب الأول، وهو حديث حق الله على العباد، وحق العباد على الله، يقول الشارح:

" وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: (كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم على حمار فقال لي: يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ وما حق العباد على الله؟ قلت الله ورسوله أعلم قال: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا. وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئا. قلت يا رسول الله:أفلا أبشر الناس قال: لا تبشرهم فيتكلوا) أخرجاه في الصحيحين.

الشاهد منه قوله: (أتدري ما حق الله على العباد) كي يدلل (أي المصنف) أن التوحيد حق لله.

وهذا الحديث تكلم عليه المصنف في تاريخ نجد ص٤٤٣: لما سُئل عن معنى حديث معاذ (حق الله على العباد) فقال المعنى عند السلف على ظاهره وهو من الأمور التي يقولون أمروها كما جاءت أعني نصوص الوعد والوعيد لا يتعرضون للمشكل منه) اهـ"

فانظر يا أخي كيف يتعسف الشارح في نزع الرحمة والرجاء من الحديث، فيثبت الشاهد: حق الله على العباد، وينفي: حق العباد على الله. بالرغم من أن شيخه استنبط مسألة عليها. قال المصنف:

" الرابعة عشرة: معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه."

وانظر يا أخي كيف يعادي هؤلاء كلّ رجاء ورحمة، حين يستنبط شيخهم مسألة: "الثامنة عشرة: الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله." وفاتهم أن الرسول لو كان هذا غرضه لما حدّث معاذا بها، فليس الخوف على كلّ الناس من الاتكال على الرحمة والرجاء، وإنما هو على بعضهم، وفي ذلك الوقت، لأن معاذا لو فهم النهي عن التبشير نهي تحريم لما حدّث به أصلا، ولكنه نهي تخيير، حسب المصلحة، فلا يستنبط منه: إخفاء الرحمة، بل إعدامها أصلا من كتبهم ومحاضراتهم، وإشهار السيف ضد من يخالفونهم؟.

وهذا الرأي ذهب إليه جلّة من العلماء، منهم ابن الصلاح، قال النووي:

"وقد اختاره الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله فقال: منعه من التبشير العام خوفاً من أن يسمع ذلك من لا خبرة له ولا علم فيغتر ويتكل، وأخبر به صلى الله عليه وسلم على الخصوص من أمن عليه الاغترار والاتكال من أهل المعرفة، فإنه أخبر به معاذاً فسلك معاذ هذا المسلك، فأخبر به من الخاصة من رآه أهلاً لذلك"

ثمّ للتدليل على أن ابن عبد الوهاب معاد لكلّ رجاء ورحمة، مدّعيا أن عظمة التوحيد هي عظمة التخويف، ما يدلّ على هذا، الرواية التي اعتمدها لهذا الحديث. ففي صحيح مسلم، روايتان تنتهيان بالنهي عن التبشير، صراحة وضمنا:

"(١٠٨) ـ حدّثنا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ : حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ سَلاَّمُ بْنُ سُلَيْمٍ عَنْ أَبِي إِسْحَقَ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللّهِ . عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ. قَالَ: فَقَالَ: يَا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللّهِ عَلَى الْعِبَادِ وما حقٌّ

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

العبادِ عَلَى اللهِ؟ قَالَ قُلْتُ: اللهِ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللهِ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَلاَ أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لاَ تُبَشِّرْهُمْ. فَيَتَّكِلُوا».

(١١٢) ـ حدّثنا إِسْحَقُ بْنُ مَنْصُورٍ : أَخْبَرَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ : قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ قَالَ: حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ رَدِيفُهُ عَلَى الرَّحْلِ، قَالَ «يَا مُعَاذُ» قَالَ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: «يا مُعَاذُ»، قال: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وسَعْدَيْكَ. قَالَ: «يا مُعَاذُ» قال: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وسَعْدَيْكَ قال: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهِ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، إِلاَّ حَرَّمَهُ اللهِ عَلَى النَّارِ» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ! أَفَلاَ أُخْبِرُ بِهَا النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «إِذا يَتَّكِلُوا» فَأَخْبَرَ بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ مَوْتِهِ، تَأَثُّما."

ولكن هناك ثلاث روايات أخرى لا تنتهي بالنهي عن التبشير، وهي:

"(١٠٧) ـ حدّثنا هَدَّاب بْنُ خَالِدٍ الأَزْدِيُّ : حَدَّثَنَا هَمَّامٌ : حَدَّثَنَا قَتَادَةُ : حَدَّثَنَا أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ. ليس بيني وبينه إلا مؤخرة الرَّحْلِ. فقال: «يا معاذ بن جبل» قلت: لبيك رسول اللهِ وَسَعْدَيْكَ ثُمَّ سَارَ سَاعَةً. ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ. ثُمَّ سَارَ سَاعَةً. ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ!» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: «هل تَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَى الْعِبَادِ؟» قَالَ قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ الله عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» ثُمَّ سَارَ سَاعَةً. ثُمَّ قَالَ: «يَا مُعَاذُ بْنَ جَبَلٍ!» قُلْتُ: لَبَّيْكَ رَسولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَى الله إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ» قَالَ قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «أَنْ لاَ يُعَذِّبَهُمْ».

(١٠٩) ـ حدّثنا مُحمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى وَ ابْنُ بَشَّارٍ. قَالَ ابْنُ الْمُثَنَّى : حَدَّثَنَا مُحمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ. حَدَّثَنَا شُعْبَةُ عَنْ أَبِي حَصِينٍ وَ الأَشْعَثِ بْنِ سُلَيْمٍ أَنَّهُمَا سَمِعَا الأَسْوَدَ بْنَ هِلاَلٍ يُحَدِّثُ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ : «يا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟» قَالَ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ «أن يُعْبَدَ اللهُ وَلاَ يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ» قَالَ: «أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ إِذَا فَعَلُوا ذلِكَ؟» فَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعلَمْ. قَالَ «أَنْ لاَ يُعَذَّبَهُمْ».

(١١٠) ـ حدّثنا الْقَاسِمُ بْنُ زَكَرِيَّاءَ. حَدَّثَنَا حُسَيْنٌ عَنْ زَائِدَةَ عَنْ أَبِي حَصِينٍ عَنِ الأَسْوَدِ بْنِ هِلاَلٍ قَالَ: سَمِعْتُ مُعَاذًا ، يَقُولُ: دَعَانِي رَسُولُ اللهِ فَأَجَبْتُهُ. فَقَالَ: «هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى النَّاسِ» نَحْوَ حَدِيثِهِمْ."

فلماذا لم يعتمد على هذه الروايات، أو يشير إليها، أو يفسّر سبب اختياره للأولى؟؟.

الجواب: نعلمه من ميل ابن عبد الوهاب إلى التخويف بالكفر والشرك والطاغوت، وبعده عن كلّ رحمة ورجاء.

هذا هو الفكر الوهابي الطاغي على كلّ علم ومعرفة راسخة، خلط ووهم، ثمّ تأويل تعسّفي، ثمّ تخويف وتخوين وتكفير، ثم أمر بالجهاد والمحاربة، ثمّ ختاما، الانتساب إلى السلف الصالح؟؟؟. نعم هذا هو الفكر الوهابي بالأدلّة والبرهان.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ومسألة الانتساب إلى السلف: شماعة يعلّقون عليها تعسفهم التأويلي، وترهاتهم، ثمّ يعمدون إلى إلصاق كلّ ذلك بالعلماء والإجماع والسلف، وهم منهم براء.

لما سئل عن هذا الحديث، ماذا قال ابن عبد الوهاب؟؟. الجواب عند الشارح، يقول:

"وهذا الحديث تكلم عليه المصنف في تاريخ نجد ص٤٤٣: لما سُئل عن معنى حديث معاذ (حق الله على العباد) فقال المعنى عند السلف على ظاهره وهو من الأمور التي يقولون أمروها كما جاءت أعني نصوص الوعد والوعيد لا يتعرضون للمشكل منه"

ولو فرضنا أنهم قالوا ذلك: أمروها كما جاءت، والأصل أنهم لم يقولوا ذلك في مثل هذه المواضع، قلنا، لو قبلنا هذه الرواية افتراضا، فلماذا يا شيخ، تستنبط منها المسائل، وتفتح الباب لطلبتك وأحفادك، للتفسير والتفصيل والتأويل والشرح، مع التخويف والتكفير والتخوين؟؟؟. لماذا لم تلتزم بكلام السلف الصالح، فتورد الحديث كما روي من مصادره، وبكل رواياته المختلفة، وتمرّره كما جاء، دون شرح ولا تفسير ولا تأويل، عملا بوصية السلف الصالح؟؟؟.

هل التأويل والتعسّف حلالا عليكم، حراما علينا؟؟؟.

لقد استنبط المؤلف من هذا الحديث، الذي مطلوب منه تمريره كما جاء، استنبط منه نصف مسائل الباب، أي اثني عشر مسألة. وهي:

الثالثة عشرة: معرفة حق الله تعالى علينا.

الرابعة عشرة: معرفة حق العباد عليه إذا أدوا حقه.

الخامسة عشرة: أن هذه المسألة لا يعرفها أكثر الصحابة.

السادسة عشرة: جواز كتمان العلم للمصلحة.

السابعة عشرة: استحباب بشارة المسلم بما يسره.

الثامنة عشرة: الخوف من الاتكال على سعة رحمة الله.

التاسعة عشرة: قول المسؤول عما لا يعلم: الله ورسوله أعلم.

العشرون: جواز تخصيص بعض الناس بالعلم دون بعض.

الحادية والعشرون: تواضعه صلى الله عليه وسلم لركوب الحمار مع الإرداف عليه.

الثانية والعشرون: جواز الإرداف على الدابة.

الثالثة والعشرون: فضيلة معاذ بن جبل.

الرابعة والعشرون: عظم شأن هذه المسألة.

وبعد كلّ هذا الاستنباط، يقول: هذه من المسائل التي قال فيها السلف: أمروها كما جاءت؟؟؟.

ولعلّه يقصد: أمروها واقبلوا تأويلها كما جاءت من عند الشيخ ابن عبد الوهاب؟؟؟.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

واضح أن جماعة ابن عبد الوهاب، يطلبون منا الاقتداء بالعلماء، وهم أبعد الناس عنهم.

ويطلبون منا الاهتداء بسيرة السلف الصالح، وهم أوّل من يخالفونهم.

ويطلبون منا التمسك بالكتاب والسنة، وهم أول من يؤوّل الكتاب، وينتقي ما يشتهي من السنة.

لماذا يفعلون كلّ هذا؟؟.

لأن لديهم مجموعة من الأفكار المسبقة عن التوحيد والإيمان والعبادة، ويحتاجون إلى تبريرها بالآيات والأحاديث.

هم لا ينطلقون من الدين لفهم الدين والالتزام به. هم ينطلقون من رؤيتهم الخاصّة، ويريدون تطويع الدين لهذه الرؤية.

هؤلاء هم الّذين يعبدون ربّا على هواهم، ويدينون بدين على هواهم، ويؤمنون بتوحيد على هواهم، ويطوعون القرآن والسنة على هواهم، ويكفّرون الناس على هواهم. وبعد ذلك يلتحف بالسلف ويقول لك: نحن نتبع السلف، ونحن على مذهب السلف، والسلف منهم براء.

قال القرطبي في مقدّمة تفسيره:

"قال ٱبن عطية: «وكان جِلّةٌ من السلف الصالح كسعيد بن المسيّب وعامر الشعبيّ وغيرهما يعظّمون تفسير القرآن ويتوقفون عنه تورّعاً وٱحتياطاً لأنفسهم مع إدراكهم وتقدّمهم».

قال أبو بكر الأنباريّ: وقد كان الأئمة من السلف الماضي يتورّعون عن تفسير المُشْكِل من القرآن؛ فبعضٌ يقدّر أن الذي يفسره لا يوافق مراد الله عز وجل فيُحْجِم عن القول. وبعضٌ يُشْفق من أن يجعل في التفسير إماماً يبني على مذهبه ويقتفي طريقه. فلعلّ متأخّراً أن يفسر حرفاً برأيه ويخطىء فيه ويقول: إمامي في تفسير القرآن بالرأي فلان الإمام من السلف.

وعن ٱبن أبي مليكة قال: سئل أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن تفسير حرف من القرآن فقال: أيّ سماء تُظِلّني، وأيّ أرض تُقِلّنيٰ وأين أذهبٰ وكيف أصنعٰ إذا قلت في حرف من كتاب الله بغير ما أراد تبارك وتعالى."انتهى

نسأل الله البراءة من الفتن، خيرها وشرّها.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل). أخرجاه.

ولهما من حديث عتبان رضى الله عنه: (فإن الله حرم على النار من قال: لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله).

النص الأول:
قال الشارح: علي بن خضير الخضير:
"قال ابن القيّم في بدائع الفوائد ١٦/٤:
أن الأمر المطلق فرد من أفراد مطلق الأمر ولا ينعكس.
ثم ذكر فروقا أخرى... وقال:
ومن أمثلة هذه القاعدة: الإيمان المطلق ومطلق الإيمان، فالإيمان المطلق لا يطلق إلا على الكامل الكمال المأمور به ومطلق الإيمان يطلق على الناقص والكامل ولهذا نفى النبي صلى الله عليه وسلم الإيمان المطلق عن الزاني وشارب الخمر والسارق ولم ينفِ عنه مطلق الإيمان لئلا يدخل في قوله (والله ولي المؤمنين) ولا في قوله (قد أفلح المؤمنون) ولا في قوله (إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم) إلى آخر الآيات، ويدخل في قوله (فتحرير رقبة مؤمنة) وفي قوله (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) وفي قوله (لا يقتل مؤمن بكافر) وأمثال ذلك اهـ ملخصا."
الملخص:
يستدلّ الشارح بنص لابن القيّم، يوضح فيه قاعدة أصولية.
محتوى القاعدة: هناك فرق بين الأمر المطلق ومطلق الأمر.
الأمر المطلق فرد وجزء من أفراد وأجزاء مطلق الأمر.
يأتي ابن القيّم بمثال عن الإيمان: الإيمان المطلق ومطلق الإيمان.
الإيمان المطلق يختصّ بالكامل الكمال.
مطلق الإيمان يشمل الكامل والناقص.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

نفى الرسول الإيمان المطلق، المختصّ بالكمال، عن الزاني وشارب الخمر والسارق، ولم ينف عنهم مطلق الإيمان.

النص الثاني:
قال الشارح: علي بن خضير الخضير:
"قال الشيخ عبد الطيف بن عبد الرحمن رحمة الله في مجموع الرسائل والمسائل ٧/٣ فصل: ولفظ الظلم والمعصية والفسوق والفجور والموالاة والمعاداة والركون والشرك ونحو ذلك من الألفاظ الواردة في الكتاب والسنة قد يراد بها مسماها المطلق وحقيقتها المطلقة وقد يراد بها مطلق الحقيقة، والأول هو الأصل عند الأصوليين والثاني لا يحمل الكلام عليه الا بقرينة لفظية أو معنوية وإنما يعرف ذلك بالبيان النبوي وتفسير السنة... قال وكذلك اسم المؤمن والبر والتقي يراد بها عند الإطلاق والثناء غير المعنى المراد في مقام الأمر والنهي"
الملخص:
يستدلّ الشارح بنص للشيخ عبد الطيف بن عبد الرحمن يقرّ فيه أن الألفاظ في القرآن والسنّة قد يراد بها مسماها المطلق، وقد يراد بها مطلق الحقيقة.
الأصل عند الأصوليين حمل الألفاظ على معنى المسمى المطلق والحقيقة المطلقة والأمر المطلق.
لا يحمل الكلام على مطلق الحقيقة إلا بقرينة لفظية أومعنوية، وبالبيان النبوي وتفسير السنّة.

النص الثالث:
قال الشارح: علي بن خضير الخضير:
" والفائدة من كلام الأئمة الثلاثة السابقين رحمهم الله أن آيات وأحاديث الوعد التي في مقام المدح والثناء تتناول أهل الكمال ومن غلب عليهم الكمال (إلحاقا للغالب بالكل في الاسم والثناء والوعد لا في كل الأحكام) وعليه فأحاديث الباب يقصد بها الكامل في التوحيد أو الذي يغلب عليه التوحيد وإن كان عنده سيئات أقل وهذا الأخير هو المقصود في هذا الباب أصالة والذي بعده يأتي من باب أولى."
الملخص:
يستدلّ الشارح بنصوص لابن تيمية وابن القيم والشيخ بن عبد الرحمن للتدليل على أن آيات وأحاديث الوعد تتناول أهل الكمال ومن غلب عليهم الكمال في التوحيد.
يرى الشارح أن مقصود هذا الباب أصالة: أهل التوحيد الغالب عليهم، ذوو سيئات قليلة، والذي بعدهم، أي أكمل منهم، من باب أولى وأحرى.

النص الرابع:
قال الشارح: علي بن خضير الخضير:

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

" ثم نعود الآن لكي نفهم الباب دون تفصيل وإنما على ما أورد المصنف أصلا وابتداءً دون الإشارات التي ذكرها الشراح الثلاثة تفصيلا وتدقيقا فنقول:

١- الآية والأحاديث في الباب من أحاديث الوعد.

٢- إذا كانت من الوعد فالمقام مقام ثناء ومدح.

٣- وبما أنها للثناء والمدح فهي تحمل على إما أهل الكمال أو أهل الغالب الذين خيرهم أرجح من نقصهم فإن كان نقصهم أكثر أو كان نقصهم مساوي فليسوا من أهل هذه الأحاديث.

٤- أن من أُطلق عليهم اسم (أهل لا إله إلا الله، أو من قال لا له إلا الله، أو اسم الموحد، أو أهل التوحيد، أو كلمة من شهد إن لا إله إلا الله، أو لقيني لا يشرك بي شيئا و غيرها من أمثلة هذه الألفاظ والأسماء) في هذا الباب فهم أُضيفوا إلى هذا الكلام إضافة مصاحبة وإكثار فهم أهل لا إله إلا الله وما سموا أهلها إلاّ لاختصاصهم بها وملازمتهم لها وإكثارهم العمل بها فهي إضافة اختصاص ومدح وتشريف مثل قولنا أهل القرآن وأهل الجهاد وأهل العلم الإضافة هنا إضافة اختصاص وإكثار وملازمة لذا فهذه الإضافة لها معنى يختلف في ما لو جاءت في سياق الخبر أو الوعيد من مثل أحاديث (يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وأمثال ذلك من الألفاظ) فإنها ليست من باب المدح بل من باب الإخبار والوعيد فتفسر على أهل الكبائر وعلى أهل النقص وعلى أهل من كان سيئاتهم أكثر من حسناتهم وهؤلاء ليسوا مقصودين في هذا الباب ولا يحتاج إلى تفصيلهم واستثنائهم من أحاديث الباب.

فإذا فهمنا هذه الأطر الأربعة سهل فهم أحاديث الباب لأنها تحمل على أشخاص معينين لهم صفات معينة في سياق معين هو سياق المدح والثناء ومن ثَم فلا حاجة إلى التفصيل."

الملخص:

يقرّر الشارح أصولا على ما أورده المصنف ابن عبد الوهاب أصلا وما قصده.

يقرّ الشارح أن آيات وأحاديث الباب من الوعد، ومقامها مقام ثناء ومدح.

لا يكون الثناء والمدح في هذا المقام إلا للكاملين في التوحيد، ومن غلب عليهم الكمال.

من كان نقصهم في التوحيد أكثر، أو من كان نقصهم مساويا، ليسوا من أهل هذه الأحاديث، ولا تنسحب عليهم.

الألفاظ الواردة في الأحاديث مثل: من قال لا إله إلا الله، تختصّ بأهل لا إله إلا الله، وهم أهل اختصاص، أضيفوا إضافة مصاحبة وإكثار، أي: صحبوا التوحيد وأكثروا منه.

التعليق:

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

كلّ النصوص التي أوردها الشارح تبيّن لنا حقيقة واحدة: وهي أن نصوص الوعد من آيات وأحاديث، جاءت في مقام المدح والثناء، وأنها لا تشمل كلّ الناس، بل هي تشمل فئة مختارة، كاملة مكتملة في توحيدها، بشرها الله، ومن بعده الرسول عليه الصلاة والسلام، لأنها أتت بالشرط وتمّمت الوعد، ووفت بالعهد.

وللتدليل على شمول نصوص الوعد لصنف معيّن من الناس، وهم الكمّل، يورد الشارح، مثله مثل الشراح، قاعدة أصوليّة فحواها: أنه هناك فرق بين الأمر المطلق ومطلق الأمر، وأن الأمر المطلق، أي حقيقة الأمر وجوهره وكماله وتمامه، جزء من مطلق الأمر، أي شموله. وعلماء الأصول يقررون أن أصل الألفاظ، الواردة في الشريعة، يجب تمريرها على الوصف الأول، أي الأمر المطلق، أي الأمر الكامل والتام، أي حقيقة اللفظ وكماله وتمامه، وأنه لا يعدل إلى الوصف الثاني، أي مطلق اللفظ إلا بالقرينة والدليل.

ثمّ يقرّر الشارح في النص الأخير، أن معنى: من قال لا إله إلا الله، هم أهل لا إله إلا الله، ومعنى الأهل الاستقلال بالاختصاص، أي المخصوصون بهذه الكلمة، والتي أضيفت إليهم بسبب الإكثار والملازمة. فأصبحوا أهلها، وهو دليل على حمل الألفاظ في نصوص الوعد على الكاملين فقط، لأنهم هم المعنيّون بالوعد الصريح بدخول الجنة، وتحريم النار عليهم.

هذه خلاصة الأفكار التي سنناقشها في هذا الفصل، والتي يبدو أنها متماسكة، وقويّة الحجة والبرهان.

والأكيد أن القارئ فطن إلى أن المسألة التي بيننا وبينهم في هذا الموضوع هو: من المعني بنصوص الوعد؟؟ هل كلّ المسلمين على الشمول، أم الكاملين فقط؟؟.

يرى الوهابيّون، وهذه أيضا من آرائهم الفاسدة التي لم يسبقهم إلى حمل الناس عليها أحد، أن الوعد الذي بشّر به الرسول عليه الصلاة والسلام لا يكون إلا للكاملين، الّذين كان توحيدهم كاملا تامّا.

ولا ندري من هم هؤلاء الكاملون اللّذين كمل توحيدهم أو غلب توحيدهم على سيئاتهم، ودخلوا تحت طائلة هذه البشرى؟؟.

فإذا أخرجنا من نصوص البشرى التي ساقها المصنف، الأنبياء والرسل، لأن أحاديث البشرى لا تتناولهم، وهم أكمل الخلق عند الله، وبشراهم جاءت لكلّ شخص منهم في الدنيا، فهم خارج التصنيف.

وإذا أخرجنا من نصوص الوعد والبشارة، المتحابّون في الله، أولياء الله، أهل المنابر النورانيّة الّذين يغبطهم النبيّون والرسل، والشهداء، فهم خارج هذه النصوص التي ذكرها المصنف في كتابه. قال القرطبي في تفسيره لآية الأولياء من سورة يونس:

"وقال عمر بن الخطاب في هذه الآية: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:

«إن من عباد الله عباداً ما هم بأنبياء ولا شهداءَ تغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله تعالى». قيل: يا رسول الله، خبّرنا مَن هم وما أعمالهم فلعلّنا

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

نحبهم. قال: «هم قوم تحابّوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموالٍ يتعاطَون بها فوالله إن وجوههم لنور وإنهم على منابر من نور لا يخافون إذا خاف الناس ولا يحزنون إذا حزن الناس ـ ثم قرأ ـ «أَلاَ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ»"

وإذا أخرجنا الشهداء الّذين كانت لهم بشرى مخصوصة، ويدخلون الجنة بغير حساب. قال ابن كثير، في تفسيره لسورة آل عمران:

" قال الإمام أحمد: حدثنا يعقوب، حدثنا أبي عن ابن إسحاق، حدثنا الحارث بن فضيل الأنصاري عن محمود بن لبيد، عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

«الشهداء على بارق نهر بباب الجنة، في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشيا»"

وإذا أخرجنا مجموعة الصدّيقين المتميّزين عن الأنبياء والشهداء، كما أخبر ابن كثير في تفسيره لسورة الحديد، الآية ١٩، قال:

" ولا شك أن الصديق أعلى مقاماً من الشهيد، كما رواه الإمام مالك بن أنس رحمه الله في كتابه الموطأ عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم» قال: يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال «بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» اتفق البخاري ومسلم على إخراجه من حديث مالك به"

وإذا أخرجنا من نصوص البشرى التي ساقها المصنف، أهل السبعين ألفا، الّذين يدخلون الجنة بلا حساب، سواء دخل ضمنهم الصديقون والصالحون، والأصناف المذكورة أعلاه، أو هم غيرهم، وأخرجنا كذلك أهل الظراب وأهل الأفق (وربّما هم جموع المؤمنين الّذين تشملهم نصوص الوعد، وهم ليسوا بالكمّل ولا الغالب عليهم الكمال) الوارد ذكرهم في حديث ابن مسعود من رواية الإمام أحمد، قال:

"(٣٨٠٥) ـ حدثنا عبد الله حدَّثني أبي ثنا عبد الرزاق ثنا معمر عن قتادة عن الحسن عن عمران بن حصين عن ابن مسعود قال : « أكثرنا الحديث عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات ليلة ثم غدونا إليه، فقال: عرضت على الأنبياء الليلة بأممها ، فجعل النبي يمر ومعه الثلاثة، والنبي ومعه العصابة، والنبي ومعه النفر، والنبي ليس معه أحد، حتى مر عليَّ موسى معه كبكبة من بني إسرائيل ، فأعجبوني ، فقلت: من هؤلاء؟ فقيل: لي: هذا أخوك موسى معه بنو إسرائيل، قال: قلت، فأين أمتى؟ فقيل لي: انظر عن يمينك، فنظرت فإذا الظراب قد سد بوجوه الرجال، ثم قيل لي انظر عن يسارك، فنظرت فإذا الأفق قد سد بوجوه الرجال، فقيل لي أرضيت؟ فقلت رضيت يا رب، قال: فقيل لي إن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فدا لكم أبي وأمي إن استطعتم أن تكونوا من السبعين الألف

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

فافعلوا فإن قصرتم فكونوا من أهل الظراب، فإن قصرتم فكونوا من أهل الأفق، فإني قد رأيت ثم ناسا يتهاوشون، فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله يا رسول الله أن يجعلني من السبعين؟ فدعا له، فقام رجل آخر فقال: ادع الله يا رسول صلى الله عليه وسلم أن يجعلني منهم؟ فقال: قد سبقك بها عكاشة، قال: ثم تحدَّثنا، فقلنا من ترون هؤلاء السبعون الألف قوم ولدوا في الإسلام لم يشركوا بالله شيئاً حتى ماتوا، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: « هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون»".

وإذا أخرجنا الزمر الأولى التي تدخل الجنة، كما في حديث البخاري في كتاب الأنبياء:

"(٣٢٥٧) ـ حدّثنا قتيبةُ بن سعيدٍ حدثّنا جريرٌ عن عُمارةَ عن أبي زُرعة عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه قال: قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «أوَّلُ زُمرةٍ يدخلونَ الجنة على صورةِ القمر ليلة البَدر، ثمَّ الذين يَلونَهم على أشدِّ كوكبٍ دُرِّيٍّ في السماءِ إضاءةً، لا يَبولونَ ولا يَتغوَّطون ولا يَتفلون ولا يمتَخِطون، أمشاطهمُ الذَّهَبُ ورشحهمُ المسكُ ومَجامِرُهُم الألُوَّة، الألُنْجوج عودُ الطِّيبِ، وأزواجهمُ الحورُ العِين على خَلق رجُلٍ واحد على صورةِ أبيهم آدمَ ستونَ ذِراعاً في السماء»."

وإذا أخرجنا النصوص التي تتحدّث عن المقسطين من الحكام العادلين. مثل ما رواه مسلم في كتاب الإمارة، قال:

" (٤٦٧٧) ـ حدّثنا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَ زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ وَابْنُ نُمَيْرٍ. قَالُوا: حَدَّثَنَا سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ عَنْ عَمْرٍو يَعْنِي ابْنَ دِينَارٍ، عَنْ عَمْرِو بْنِ أَوْسٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو قَالَ ابْنُ نُمَيْرٍ وَأَبُو بَكْرٍ : يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ. وَفِي حَدِيثِ زُهَيْرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «إِنَّ الْمُقْسِطِينَ، عِنْدَ اللَّهِ، عَلَىٰ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ. عَنْ يَمِينِ الرَّحْمَـٰنِ عَزَّ وَجَلَّ. وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا»."

فمن يبقى يا ترى من الكاملين في التوحيد، الّذين تشير إليهم نصوص الوعد التي ذكرها المصنف في كتابه، واستنبط عليها المسائل؟؟؟.

أيّ كامل في التوحيد: ليس نبيّا ولا رسولا ولا صدّيقا ولا شهيدا ولا صالحا ولا مقسطا؟؟؟ لأن كلّ هذه الأصناف، جاءت فيها أحاديث مخصوصة في بشارتها؟؟.

لو كانت نصوص البشرى والوعد للكاملين فقط، كما يدعي الوهابيّون، فأيّ معنى للبشرى حينذاك؟؟.

وهل البشرى والوعد، لا تكون إلا للناقصين، تتمّة من فضل الله، ورحمة منه، ومكرمة للرسول عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم؟؟.

ولو لا شمول أحاديث البشرى كلّ المسلمين، لما خاف الرسول والصحابة من اتكال الناس عليها، وكان حريّا بهم تبيان أن هذه البشارة خاصّة بقوم معينين، ولا دخل لبقيّة المسلمين فيها؟؟.

ولو لم يفهم عمر ابن الخطاب ومعاذ وعبادة وغيرهم الشمول في أحاديث الوعد، لما حصروا تداولها، وخافوا من اتكال الناس عليها؟؟؟.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

قال مسلم في كتاب الإيمان:

"(١٠٨) ـ حدّثنا أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ : حَدَّثَنَا أَبُو الأَحْوَصِ سَلاَّمُ بْنُ سُلَيْمٍ عَنْ أَبِي إِسْحٰقَ عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ ، قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ رَسُولِ اللّٰهِ . عَلَى حِمَارٍ يُقَالُ لَهُ عُفَيْرٌ. قَالَ: فَقَالَ: يَا مُعَاذُ! أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللّٰهِ عَلَى الْعِبَادِ وما حقُّ العبادِ عَلَى الله؟ قَالَ قُلْتُ: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ اللّٰهِ عَلَى الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوا اللّٰهِ وَلاَ يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا. وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَى اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ أَنْ لاَ يُعَذِّبَ مَنْ لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا» قَالَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ! أَفَلاَ أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لاَ تُبَشِّرْهُمْ. فَيَتَّكِلُوا»".

فانظر كيف قال: أفلا أبشر الناس؟ على العموم، ولم يقل: أفلا أبشر الكاملين؟؟.

وروى مسلم أيضا:

"(١١١) ـ حدّثني زُهَيْرُ بْنُ حَرْبٍ : حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ الْحَنَفِيُّ : حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ. قَالَ حَدَّثَنِي أَبُو كَثِيرٍ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبُو هُرَيْرَةَ ، قَالَ: كُنَّا قُعُودا حَوْلَ رَسُولُ اللّٰهِ . مَعَنَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، فِي نَفَرٍ. فَقَامَ رَسُولُ اللّٰهِ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا. فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا. وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا. وَفَزِعْنَا فَقُمْنَا. فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ. فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رَسُولَ اللّٰهِ . حَتَّى أَتَيْتُ حَائِطًا لِلأَنْصَارِ لِبَنِي النَّجَّارِ. فَدُرْتُ بِهِ هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابا. فَلَمْ أَجِدْ.فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بئرٍ خَارِجَةٍ (وَالرَّبِيعُ الْجَدْوَلُ) فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ. فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللّٰهِ . فَقَالَ «أَبُو هُرَيْرَةَ؟» فَقُلْتُ: نَعَمْ. يَا رَسُولَ اللّٰهِ. قَالَ: «مَا شَأْنُكَ؟» قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا. فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا. فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا. فَفَزِعْنَا. فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ. فَأَتَيْتُ هٰذَا الْحَائِطَ. فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ. وَهٰؤُلاءِ النَّاسُ وَرَائِي فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ»(وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ) قَالَ «اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ. فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هٰذَا الْحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ. مُسْتَيْقِنا بِهَا قَلْبُهُ. فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ» فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ لَقِيتُ عُمَرُ. فَقَالَ: مَا هَاتَانِ النَّعلاَنِ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟! هَاتَيْنِ نَعْلاَ رَسُولِ اللّٰهِ . بَعَثَنِي بِهِمَا. مَنْ لَقِيتُ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ مُسْتَيْقِنا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرْتُهُ بِالْجَنَّةِ. فَضَرَبَ عُمَرُ بِيَدِهِ بَيْنَ ثَدْيَيَّ. فَخَرَرْتُ لاِسْتِي. فَقَالَ: ارْجِعْ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ. فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللّٰهِ . فَأَجْهَشْتُ بُكَاءً. وَرَكِبَنِي عُمَرُ فَإِذَا هُوَ عَلَى أَثَرِي. فَقَالَ لِي رَسُولُ اللّٰهِ : «مَالَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟» قُلْتُ: لَقِيتُ عُمَرَ فَأَخْبَرْتُهُ بِالَّذِي بَعَثْتَنِي بِهِ.

فَضَرَبَ بَيْنَ ثَدْيَيَّ ضَرْبَةً. خَرَرْتُ لاِسْتِي. قَالَ: ارْجِعْ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّٰهِ : «يَا عُمَرُ! مَا حَمَلَكَ على ما فَعَلْتَ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي. أَبَعَثْتَ أَبَا هُرَيْرَةَ بِنَعْلَيْكَ، مَنْ لَقِيَ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ مُسْتَيْقِنا بِهَا قَلْبُهُ، بَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ؟ قَالَ: «نَعَمْ» قَالَ: فَلاَ تَفْعَلْ. فَإِنِّي أَخْشَىٰ أَنْ يَتَّكِلَ النَّاسُ عَلَيْهَا. فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ. قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ: «فَخَلِّهِمْ»."

فلو لا عموم البشارة لما خاف عمر اتكال الناس عليها، وموافقة الرسول له.

الأحاديث التي سقناها سابقا في الفئات المخصوصة، مثل الصدّيقين والشهداء والصالحين والمقسطين، دلت ألفاظها على التخصيص، وليس فيها تأويل. **أليس هذا**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

دليلا كافيا على أن غيرها من الأحاديث التي لا تخصيص في ألفاظها، تعمّ وتشمل المسلمين؟؟؟.

هل الإشكال في التعسّف على تخصيص أحاديث الوعد، أم الإشكال في تأويلها لتتلائم مع بقية الأحاديث؟؟.

ودعك من قاعدة علم الأصول التي ضحك بها علينا الشارح وبقية الشراح ومن تبعهم، فهي جعجعة ولا نرى طحينا.

يقول الشارح إن الأصوليّين يحملون الألفاظ على المسمى المطلق، وليس على مطلق المسمى، إلا إذا وجدوا دليلا أو قرينة، وهذا الكلام مخلوط وغير سليم، وفيه شبهة. والردّ عليهم نفضّله بقاعدة أخرى للأصوليين، تقول: الأصل عموم اللفظ، والخصوص استثناء، بقرينة أو دليل.

قال ابن حزم في الإحكام في أصول الأحكام:

" الباب الثالث عشر: **في حمل الأمر وسائر الألفاظ كلها على العموم وإبطال قول من قال في كل ذلك بالوقف أو الخصوص، إلا ما أخرجه عن العموم دليل حق**:

قال علي: اختلف الناس في هذا الباب، فقالت طائفة: لا تحمل الألفاظ إلا على الخصوص، ومعنى ذلك حملها على بعض ما يقتضيه الاسم في اللغة دون بعض، وقال بعضهم: بل نقف فلا نحملها على عموم ولا خصوص إلا بدليل، فالقول الأول هو لبعض الحنفيين، وبعض المالكيين، وبعض الشافعيين، والثاني لبعض الحنفيين، وبعض المالكيين وبعض الشافعيين، وقالت طائفة: الواجب حمل كل لفظ على عمومه، وهو كل ما يقع عليه لفظه المرتب في اللغة للتعبير عن المعاني الواقعة تحته، ثم اختلفوا على قولين، فقالت طائفة منهم: إنما يفعل ذلك بعد أن ينظر هل خصّ ذلك اللفظ شيء أم لا، فإن وجدنا دليلاً على ذلك صرنا إليه، وإلا حملنا اللفظ على عمومه دون أن نطلب على العموم دليلاً، وهذا قول بعض الشافعيين وبعض الحنفيين.

وقالت طائفة الواجب حمل كل لفظ على عمومه، وكل ما يقتضيه اسمه دون توقف ولا نظر، لكن إن جاءنا دليل يوجب أن نخرج عن عمومه بعض ما يقتضيه لفظه صرنا إليه حينئذ، وهذا قول جميع أصحاب الظاهر، وبعض المالكيين، وبعض الشافعيين، وبعض الحنفيين، وبهذا نأخذ، وهو الذي لا يجوز غيره، وإنما اختلف من ذكرنا على قدر ما بحضرتهم من المسائل على ما قدمنا من أقوالهم فيما خلا، فإن وافقهم القول بالخصوص قالوا به. وإن وافقهم القول بالعموم قالوا به، فأصولهم معكوسة على فروعهم ودلائلهم مرتبة على ما توجبه مسائلهم."انتهى

وجاء في أصول السرخسي:

" والدليل لعامة الفقهاء على أن العام موجب العمل بعمومه قوله تعالى: {اتبعوا ما أنزل إليكم من ربكم} والإتباع لفظ خاص في اللغة بمعنى معلوم، وفي المنزل عام وخاص فيجب بهذا الخاص اتباع جميع المنزل، والإتباع إنما يكون بالاعتقاد والعمل به وليس في التوقف إتباع للمنزل، فعرفنا أن العمل واجب بجميع ما أنزل على ما أوجبه صيغة الكلام إلا ما يظهر نسخه بدليل، فقد ظهر الاستدلال

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

بالعموم عن رسول الله وعن الصحابة رضي الله عنهم على وجه لا يمكن إنكاره؛ فإن النبي عليه السلام حين دعا أبيّ بن كعب رضي الله عنه وهو في الصلاة فلم يجبه بين له خطأه فيما صنع بالاستدلال بقوله تعالى: {يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول} وهذا عام، فلو كان موجبه التوقف على ما زعموا لم يكن لاستدلاله عليه به معنى، والصحابة رضي الله عنهم في زمن الصديق حين خالفوه في الابتداء في قتال مانعي الزكاة استدلوا عليه بقوله عليه السلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» وهو عام، ثم استدل عليهم بقوله تعالى: {فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتَوا الزكاة فخلوا سبيلهم} فرجعوا إلى قوله وهذا عام. وحين أراد عمر رضي الله عنه أن يوظف الجزية والخراج على أهل السواد استدل على من خالفه في ذلك بقوله تعالى: {والذين جاؤوا من بعدهم} وقال أرى لمن بعدكم في هذا الفيء نصيباً ولو قسمته بينكم لم يبق لمن بعدكم فيه نصيب، وهذه الآية في هذا الحكم نهاية في العموم. ولما همّ عثمان رضي الله عنه برجم المرأة التي ولدت لستة أشهر استدلّ عليه ابن عباس فقال: أما إنها لو خاصمتكم بكتاب الله لخصمتكم، قال الله تعالى: {وحملُه وفصالُه ثلاثون شهراً} وقال: {وفصالُه في عامين} فإذا ذهب للفصال عامان بقي للحمل ستة أشهر، وهذا استدلال بالعام. وحين اختلف عثمان وعلي رضي الله عنهما في الجمع بين الأختين وطئاً بملك اليمين قال علي رضي الله عنه: أحلتهما قوله تعالى: {أو ما ملكت أيمانكم} وحرمتهما قوله تعالى: {وأن تجمعوا بين الأختين} فالأخذ بما يحرّم أولى احتياطاً، فوافقه عثمان في هذا، إلا أنه قال: عند تعارض الدليلين أرجح الموجب للحلّ باعتبار الأصل."انتهى

فانظر إلى قوله: " استدلوا عليه بقوله عليه السلام: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله» وهو عام" فكل من قال لا إله إلا الله عصم دمه وماله وعرضه، وهذا عامّ كما قال. وكلّ من قال لا إله إلا الله بإخلاص، أو لم يشك، أو ابتغاء وجه الله، دخل الجنّة، وهو عام أيضا. فأين دليل التخصيص؟؟ وأين حمل الكلام على الكمّل والكاملين؟؟.

وفي حديث أبي هريرة من رواية مسلم في كتاب الإيمان:

"(٩١) ـ وحدّثنا أَبُو الطَّاهِرِ وَ حَرْمَلَةُ بْنُ يَحْيَىٰ وَ أَحْمَدُ بْنُ عِيسىٰ قَالَ: أَحْمَدُ : حَدَّثَنَا. وَقَالَ الآخَرَانِ: أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ. قَالَ: أَخْبَرَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ. قَالَ: حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ؛ أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ ، أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ قَالَ «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ. فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ، عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلاَّ بِحَقِّهِ. وَحِسَابُهُ عَلَى اللّهِ»."

ومن حديث عبادة ما ذكره مسلم أيضا:

"(١٠٤) ـ حدّثنا دَاوُدُ بْنُ رُشَيْدٍ : حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ يَعْنِي ابْنَ مُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ جَابِرٍ. قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَيْرُ بْنُ هَانِىءٍ. قَالَ: حَدَّثَنِي جُنَادَةُ ابْنُ أَبِي أُمَيَّةَ. حَدَّثَنَا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ : «مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدا

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللّٰهِ وَابْنُ أَمَتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ».

فهل يعني أن "مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّٰهُ، عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلاَّ بِحَقِّهِ. وَحِسَابُهُ عَلَى اللّٰهِ" الكاملين فقط؟؟

وهل يعني أن "مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللّٰهِ وَابْنُ أَمَتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ" تعني الكاملين فقط؟؟.

وهنا نأتي إلى التعسّف في التفسير، والتعنّت على اللغة العربية، حين يقول الشارح في النص الرابع:

" أن من أُطلق عليهم اسم (أهل لا إله إلا الله، أو من قال لا له إلا الله، أو اسم الموحد، أو أهل التوحيد، أو كلمة من شهد إن لا إله إلا الله، أو لقيني لا يشرك بي شيئا و غيرها من أمثلة هذه الألفاظ والأسماء) في هذا الباب فهم أُضيفوا إلى هذا الكلام إضافة مصاحبة وإكثار فهم أهل لا إله إلا الله وما سموا أهلها إلاّ لاختصاصهم بها وملازمتهم لها وإكثارهم العمل بها"

فانظر كيف فسّر كلمة: من شهد أن لا إله إلا الله، على أنه المقصود منها أهل لا إله الله؟؟. وكيف فسّر كلمة: من لقيني لا يشرك بي شيئا، على أنها تعني أهل لا إله إلا الله، والمختصّون بها؟؟. فمن أين جاء بالتخصيص، والحال أنّ كلمة: من قال، تفيد: كلّ من قال، أي العموم، ولا يعني ذلك لفظة: أهل التوحيد، لأن هذه اللفظة تدلّ على طائفة مخصوصة بالتوحيد، وأهل الصيام، تدلّ على طائفة مخصوصة بالصيام، أي بكثرته. أما إذا قلنا: من صام، فيدخل فيها المكثر والمقلّ، وهي تفيد العموم، ولا تفيد التخصيص.

فكلمة: من قال لا إله إلا الله، تفيد المقلّ والمكثر، من قالها مرّة، ومن داوم عليها، ويجمعهم قولها بشرط أتى به ووضحه: مرّة لا يشرك بي شيئا، ومرّة غير شاك، ومرة وهو يعلمها. فليس هناك تخصيص وإفراد لطائفة كاملة أتت بكلمة التوحيد. هذا التخصيص وإضافة الإكثار من وهم ابن عبد الوهاب وفكره الخاص، وليست من فحوى نصوص الوعد والبشرى.

وأنت تقرأ كلمات ابن عبد الوهاب، وتتفحص أفكاره، وتتبع آراؤه، تصيبك الدهشة من إصراره، كلّ ما سنحت له الفرصة، على تضييق الرحمة والفضل، وتوسيع الوعيد والقهر، معتمدا التكفير، والاتهام بالشرك لكلّ المسلمين، ما عدا من اتبعه. فهو في موضوع الوعد والبشارة، يقفل الباب رويدا رويدا على المسلمين، ويضيق عليهم الخناق، مدّعيا أن هذه الآيات والأحاديث إنما جاءت في الفئة الكاملة ذات التوحيد التام، أو الّذي غلب عليه توحيده، ولم تخرج عن هذه الفئة. ومن اتفق له أن رأى الشمول والعموم في هذه النصوص، عملا بمفهوم كلّ العلماء المنتمين

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

للجماعة والسنّة، فإنه مغرور، ومتكل، من وجهة نظر ابن عبد الوهاب وجماعته.
يقول الشارح:
"ثم قال المصنف: ويتبين لك خطأ المغرورين. فمن هم المغرورون! الذين قصدهم المصنف؟ المغرورون هم الذين أخذوا حديث عبادة على إطلاقه ولم يقيدوه، قالوا: يكفي أن يقال لا إله إلا الله فهؤلاء هم المغرورون ولا يشترط الإخلاص والصدق فيها ولا العمل ولا البراءة من الشرك وأهله، وهذا الصنف هم عباد القبور وهؤلاء هم الغلاة فيهم وهم أخطرهم كالرافضة المعاصرة والصوفية الغلاة بجميع طوائفهم
الصنف الثاني:المرجئة أنه يكفي عندهم توحيد الاعتقاد أن يقول بقلبه وهم الأشاعرة والماتريدية، أما الكرامية فقالوا يكفي أن يقولها بلسانه. أما الجهمية فقالوا يكفي العلم بهذه الكلمة ولو لم يقلها، ومن المغرورين المرجئة المعاصرة التي لا تهتم بالكفر بالطاغوت والبراءة منه وأهله.
وظهر في الآونة الأخيرة تيار ونابتة جديدة هم من قسم المغرورين المعاصرين وهم المسمون بالعصرانيين وهؤلاء في باب التوحيد من غلاة المرجئة لأن التوحيد عندهم الكلمة، من قال لا إله إلا الله بلسانه فهذا يكفي، فهم كرامية هذا العصر ولا كرامة لهم."
وانظر كيف كذب جهرا على الأشاعرة والصوفيّة، وادعى أن توحيدهم ناقص، وكذب على الشيعة أيضا، وادعى غلوّهم في التوحيد، ولا ندري ما معنى الغلوّ في التوحيد، إلا أن يكون على ملّة ابن عبد الوهاب، فهذا هو الغلوّ الحق.
وأما قوله " هم الذين أخذوا حديث عبادة على إطلاقه ولم يقيدوه، قالوا: يكفي أن يقال لا إله إلا الله فهؤلاء هم المغرورون ولا يشترط الإخلاص والصدق فيها ولا العمل ولا البراءة من الشرك وأهله " فهو كذب وجهل بالرجال، وإذا لم يكن الصوفية على حق، وأهل التأويل والرسوخ في العلم، فمن أين يؤخذ العلم، ومن أين يؤخذ الدين؟؟ ولقد كان الأئمة الكبار رحمهم الله، من أجلّ الصوفيّة، وإن لم يتسمّوا بها، وكانوا مخالطين لهم، ومحبّين لهم، عارفين لهم الحقوق والآداب، متعلّمين عنهم علوم المعاملة، مستأنسين بما ظهر لهم من علوم المكاشفة، متمسكين بما يعتقدونه.
أليست عقيدة أهل السنة والجماعة، هي عقيدة الحسن البصري والثوري وابن المسيّب، وقتادة والشعبي وابن حنبل والجنيد والبسطامي وذو النون المصري والشبلي وبن معاذ والداراني وغيرهم؟؟. أليس هؤلاء هم أعلام الأمّة بعد الرسول والصحابة؟؟. أليست عقيدة هؤلاء هي العقيدة التي سار عليها كل علماء الصوفية، أمثال الغزالي والجيلاني والرفاعي وابن عربي، والشاذلي وغيرهم؟؟. فويل للذين يكتبون الأباطيل بأيديهم ثمّ ينسبونها لأولياء الله تعالى.
قال القاضي عياض في شرحه لمعاني أحاديث الوعد:
"فنقرر أولاً أن مذهب أهل السنة بأجمعهم من السلف الصالح وأهل الحديث والفقهاء والمتكلمين على مذهبهم من الأشعريين أن أهل الذنوب في مشيئة الله تعالى،

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وأن كل من مات على الإيمان وتشهد مخلصاً من قلبه بالشهادتين فإنه يدخل الجنة، فإن كان تائباً أو سليماً من المعاصي دخل الجنة برحمة ربه وحرم على النار بالجملة، فإن حملنا اللفظين الواردين على هذا فيمن هذه صفته كان بيناً، وهذا معنى تأويلي الحسن والبخاري، وإن كان هذا من المخلطين بتضييع ما أوجب الله تعالى عليه أو بفعل ما حرم عليه فهو في المشيئة، لا يقطع في أمره بتحريمه على النار، ولا باستحقاقه الجنة لأول وهلة، بل يقطع بأنه لا بد من دخوله الجنة آخراً، وحاله قبل ذلك في خطر المشيئة، إن شاء الله تعالى عذبه بذنبه، وإن شاء عفا عنه بفضله"

فانظر إلى القاضي عياض كيف شمل بألفاظ أحاديث الوعد كلّ المسلمين: الكاملين وغيرهم من المخلطين، وجعل التأويل في تحريم النار على أنها تحريم الخلود، ونسب هذا الفهم والتفسير إلى مذهب أهل السنّة بأجمعهم من السلف الصالح، وأهل الحديث والفقهاء "والمتكلمين على مذهبهم من الأشعريين". ثم يأتي بعدهم ابن عبد الوهاب، فيخرج أهل الذنوب من أحاديث الوعد، ويخصّصها بالكاملين والغالب عليهم الكمال، ثمّ يتهم الأشعريين والصوفيّة بالغرور، وأنهم لم يفهموا معاني نصوص الوعد كما يجب؟؟؟؟.

ثمّ، أليس من الجهل بالرجال، أن يعلّمنا ابن عبد الوهاب، كيف نقرأ أحاديث الوعد، وكيف نفهمها، والحال أن عشرات الرجال قبل الوهابيين، شرحوا الأحاديث وفهموا معناها؟؟ فمن قال من أهل السنة والجماعة: لا يشترط الإخلاص ولا الصدق في قول لا إله إلا الله؟؟. ولكن من قال من الأقدمين، أن الصدق والإخلاص، للكاملين فقط، كما اعتقد ابن عبد الوهاب؟؟؟. فإن كان ثمّة مغرور فهو نفسه التي زيّنت له سوء تفكيره وبطلان اعتقاده، وظنّ أنه يحسن صنعا.

والحديث الذي رواه مسلم في باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا، يقول:

"(١٠٤) ـ حدّثنا دَاوُدُ بْنُ رُشَيْدٍ : حَدَّثَنَا الْوَلِيدُ يَعْنِي ابْنَ مُسْلِمٍ عَنِ ابْنِ جَابِرٍ. قَالَ: حَدَّثَنِي عُمَيْرُ بْنُ هَانِىءٍ. قَالَ: حَدَّثَنِي جُنَادَةُ ابْنُ أَبِي أُمَيَّةَ. حَدَّثَنَا عُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ : «مَنْ قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَىٰ عَبْدُ اللّهِ وَابْنُ أَمَتِهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ مِنْ أَيِّ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ شَاءَ»."

وقد شرحه النووي قبل قرون من إطلالة ابن عبد الوهاب علينا، ونقل في شرحه، كلاما للقاضي عياض المالكي، وهو أحسن من فسّر وتكلّم في الموضوع. يقول النووي:

"واعلم أن مذهب أهل السنة وما عليه أهل الحق من السلف والخلف أن من مات موحداً دخل الجنة قطعاً على كل حال، فإن كان سالماً من المعاصي كالصغير والمجنون والذي اتصل جنونه بالبلوغ والتائب توبة صحيحة من الشرك أو غيره من المعاصي، إذا لم يحدث معصية بعد توبته، والموفق الذي لم يبتل بمعصية أصلاً، فكل هذا الصنف يدخلون الجنة ولا يدخلون النار أصلاً، لكنهم يردونها على الخلاف

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

المعروف في الورود، والصحيح أن المراد به المرور على الصراط وهو منصوب على ظهر جهنم أعاذنا الله منها ومن سائر المكروه. وأما من كانت له معصية كبيرة ومات من غير توبة فهو في مشيئة الله تعالى، فإن شاء عفا عنه وأدخله الجنة أولاً، وجعله كالقسم الأول، وإن شاء عذبه القدر الذي يريده سبحانه وتعالى ثم يدخله الجنة، فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل من أعمال البر ما عمل، هذا مختصر جامع لمذهب أهل الحق في هذه المسألة.

وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع من يعتد به من الأمة على هذه القاعدة، وتواترت بذلك نصوص تحصل العلم القطعي، فإذا تقررت هذه القاعدة حمل عليها جميع ما ورد من أحاديث الباب وغيره، فإذا ورد حديث في ظاهره مخالفة وجب تأويله عليها ليجمع بين نصوص الشرع، وسنذكر من تأويل بعضها ما يعرف به تأويل الباقي إن شاء الله تعالى، والله أعلم."

وما قاله في الأخير مهمّ جدّا، وهو أن المسلمين متفقين على القاعدة العامّة، والتفصيل الهام الذي فسّره أعلاه: "، فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولو عمل من المعاصي ما عمل، كما أنه لا يدخل الجنة أحد مات على الكفر ولو عمل من أعمال البر ما عمل، هذا مختصر جامع لمذهب أهل الحق في هذه المسألة." وأن كل حديث يخالف ظاهره هذه القاعدة، وجب تأويله. أي أن ما فعله ابن عبد الوهاب مخالف لمذهب السلف وأهل الحق، لأنه لا يقول بهذه القاعدة، وهو يخصص أحاديث الوعد بالكاملين فقط، والغالب عليهم الكمال، أما من كان من المخلطين، ومن مرتكبي المعاصي، فلا يدخلهم ابن عبد الوهاب في نصوص الوعد، وهذا بيّن في مخالفة قاعدة المسلمين.

وعليه، فمن الخبث، ما فعله ابن عبد الوهاب، بأن يأخذ الشاذ ويجعله قاعدة، ويأخذ التأويل ويجعله قاعدة، ويأخذ الآراء غير المشهورة، ويجعلها قاعدة.

ثمّ يورد النووي كلاما للقاضي عياض، فيه تفصيل، وردّ على المذاهب والطوائف الإسلاميّة. يقول:

"قال القاضي عياض رحمه الله: اختلف الناس فيمن عصى الله تعالى من أهل الشهادتين فقالت المرجئة: لا تضره المعصية مع الإيمان، وقالت الخوارج: **تضره ويكفر بها**، وقالت المعتزلة: يخلد في النار إذا كانت معصيته كبيرة، ولا يوصف بأنه مؤمن ولا كافر، ولكن يوصف بأنه فاسق، وقالت الأشعرية: بل هو مؤمن وإن لم يغفر له وعذب فلا بد من إخراجه من النار وإدخاله الجنة.

قال: وهذا الحديث حجة على الخوارج والمعتزلة، وأما المرجئة فإن احتجت بظاهره قلنا محمله على أنه غفر له أو أخرج من النار بالشفاعة ثم أدخل الجنة، فيكون معنى قوله صلى الله عليه وسلم: دخل الجنة أي دخلها بعد مجازاته بالعذاب، وهذا لا بد من تأويله لما جاء في ظواهر كثيرة من عذاب بعض العصاة، فلا بد من تأويل هذا لئلا تتناقض نصوص الشريعة. وفي قوله صلى الله عليه وسلم وهو يعلم إشارة إلى

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الرد على من قال من غلاة المرجئة أن مظهر الشهادتين يدخل الجنة وإن لم يعتقد ذلك بقلبه، وقد قيد ذلك في حديث آخر بقوله صلى الله عليه وسلم غير شاك فيهما، وهذا يؤكد ما قلناه.

قال القاضي: وقد يحتج به أيضاً من يرى أن مجرد معرفة القلب نافعة دون النطق بالشهادتين لاقتصاره على العلم، ومذهب أهل السنة أن المعرفة مرتبطة بالشهادتين، لا تنفع إحداهما ولا تنجي من النار دون الأخرى إلا لمن لم يقدر على الشهادتين لآفة بلسانه أو لم تمهله المدة ليقولها بل اخترمته المنية، ولا حجة لمخالف الجماعة بهذا اللفظ، إذ قد ورد مفسراً في الحديث الآخر: «من قال لا إله إلا الله ومن شهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله» وقد جاء هذا الحديث وأمثاله كثيرة في ألفاظها اختلاف، ولمعانيها عند أهل التحقيق ائتلاف، فجاء هذا اللفظ في هذا الحديث. وفي رواية معاذ عنه صلى الله عليه وسلم: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة». وفي رواية عنه صلى الله عليه وسلم: «من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة». وعنه صلى الله عليه وسلم: «ما من عبد يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله إلا حرمه الله على النار». ونحوه في حديث عبادة بن الصامت وعتبان بن مالك. وزاد في حديث عبادة: على ما كان من عمل. وفي حديث أبي هريرة: «لا يلقى الله تعالى بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة وإن زنى وإن سرق». وفي حديث أنس: «حرم الله على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله تعالى». وهذه الأحاديث كلها سردها مسلم رحمه الله في كتابه."

فانظر يا أخي كيف شرح النووي وبعده القاضي عياض موضوع نصوص الوعد دون أن ينسبا للصوفيّة أية غرور أو قدح في اعتقادها. بل اقرأ معي بقيّة كلام القاضي، وهو يستشهد بالحسن البصري، وغيره من العلماء، في تفسير معاني أحاديث الوعد والبشرى، فيقول:

"وقال بعضهم: هي مجملة تحتاج إلى شرح ومعناه: من قال الكلمة وأدى حقها وفريضتها، وهذا قول الحسن البصري.

وقيل: إن ذلك لمن قالها عند الندم والتوبة ومات على ذلك، وهذا قول البخاري، وهذه التأويلات إنما هي إذا حملت الأحاديث على ظاهرها، وأما إذا نزلت منازلها فلا يشكل تأويلها على ما بينه المحققون،

فنقرر أولاً أن مذهب أهل السنة بأجمعهم من السلف الصالح وأهل الحديث والفقهاء والمتكلمين على مذهبهم من الأشعريين أن أهل الذنوب في مشيئة الله تعالى، وأن كل من مات على الإيمان وتشهد مخلصاً من قلبه بالشهادتين فإنه يدخل الجنة، فإن كان تائباً أو سليماً من المعاصي دخل الجنة برحمة ربه وحرم على النار بالجملة، فإن حملنا اللفظين الواردين على هذا فيمن هذه صفته كان بيناً، وهذا معنى تأويلي الحسن والبخاري، وإن كان هذا من المخلطين بتضييع ما أوجب الله تعالى عليه أو بفعل ما حرم عليه فهو في المشيئة، لا يقطع في أمره بتحريمه على النار، ولا باستحقاقه الجنة

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

لأول وهلة، بل يقطع بأنه لا بد من دخوله الجنة آخراً، وحاله قبل ذلك في خطر المشيئة، إن شاء الله تعالى عذبه بذنبه، وإن شاء عفا عنه بفضله"

وبعد أن ساق القاضي عياض التفسير الشامل المعتقد والمجمع عليه من أهل السنة والجماعة والأشعرية، ها هو يسوق تفسيرا آخرا جائزا، فيه شبهة الموافقة لكلام الوهابية، بل إن الوهابية تمسكت به وأعلنته مذهبها، بتحريف ملحوظ، يقول القاضي:

"ويمكن أن تستقل الأحاديث بنفسها ويجمع بينها، فيكون المراد باستحقاق الجنة ما قدمناه من إجماع أهل السنة أنه لا بد من دخولها لكل موحد إما معجلاً معافى، وإما مؤخراً بعد عقابه، والمراد بتحريم النار تحريم الخلود، خلافاً للخوارج والمعتزلة في المسألتين، ويجوز في حديث: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» أن يكون خصوصاً لمن كان هذا آخر نطقه وخاتمة لفظه وإن كان قبل مخلطاً، فيكون سبباً لرحمة الله تعالى إياه ونجاته رأساً من النار وتحريمه عليها، بخلاف من لم يكن ذلك آخر كلامه من الموحدين المخلطين، وكذلك ما ورد في حديث عبادة من مثل هذا، ودخوله من أي أبواب الجنة شاء، يكون خصوصاً لمن قال ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وقرن بالشهادتين حقيقة الإيمان والتوحيد الذي ورد في حديثه، فيكون له من الأجر ما يرجح على سيئاته، ويوجب له المغفرة والرحمة ودخول الجنة لأول وهلة إن شاء الله تعالى، والله أعلم. هذا آخر كلام القاضي عياض رحمه الله وهو في نهاية الحسن."

وتوقف يا أخي عند كلام القاضي عياض حين يقول: "المراد باستحقاق الجنة ما قدمناه من إجماع أهل السنة" فهذا فيه إجماع، وهو على العموم، ثم ذكر رأيا تمسّك به ابن عبد الوهاب، وجعله شريعة له، مع أنه ليس من الإجماع، وليس على الإطلاق في كل الأحاديث المتصلة بالوعد:" وكذلك ما ورد في حديث عبادة من مثل هذا، ودخوله من أي أبواب الجنة شاء، يكون خصوصاً لمن قال ما ذكره النبي صلى الله عليه وسلم وقرن بالشهادتين حقيقة الإيمان والتوحيد الذي ورد في حديثه" فتنبه على ذلك.

وأما قوله: " فيكون له من الأجر ما يرجح على سيئاته، ويوجب له المغفرة والرحمة ودخول الجنة لأول وهلة إن شاء الله تعالى" فإن الكاملين يخرجون من هذه الفئة، ويدخل فيها الغالب على أمرهم التوحيد والإخلاص والصدق. وواضح أن رأي ابن عبد الوهاب، أكثر تمسكا بالكمّل، وسحب الكمال والتمام على تأويل أحاديث الوعد، فهو تشبه بكلام القاضي الأخير، وإن كان لم يطابقه تمام مطابقة.

والحيلة في أن ينسب الشارح والشراح رأي ابن عبد الوهاب الشاذ إلى القاضي عياض، الذي ذكره في آخر كلامه باعتبار جوازه، وليس باعتبار إجماع السلف عليه، ويجعلون القارئ يعتقد أن ابن عبد الوهاب على خطى القاضي، فيقول الشارح في الباب الثاني:

"المسألة السادسة: فقصد المصنف أن يبين أن معنى شهادة أن لا إله إلا الله في حديث عبادة أي قالها مخلصا صادقا متبرئا من الشرك فيكون أتى بالتوحيد فإذا أتى

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

بالتوحيد انتقلنا إلى المسالة الثامنة عشرة: وهي قوله معرفة على ما كان من العمل، أي أن الموحد: يدخل الجنة على ما كان من عمله لكن ما معنى قوله على ما كان من العمل؟ ذكر الحفيدان (في التيسير ص ٦٤ وفي الفتح ص ٤٤) أن المقصود من العمل السيئ أي على ما كان من العمل السيئ، فيكون الألف واللام في العمل للخصوص وكلاهما نقلا كلام القاضي عياض رحمه الله أن الحديث مخصوص فيمن جاء بالتوحيد فله من الأجر ما يرجح على سيئاته والشاهد كلمة (سيئاته) وهذا الكلام أقرب لقصد المصنف رحمه الله، حيث قال: باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب،"

فاعتبر أيها القارئ الفطن، كيف يأخذ ابن عبد الوهاب وتلامذته من آراء العلماء والسلف، ما هو شاذ، ومتروك، وثانوي، ويتركون الرأي العام الذي اتفق عليه علماء المسلمين.؟؟؟

وواضح أن الرأي الذي انتحله ابن عبد الوهاب، يرجع في الأصل إلى أحد التأويلات القديمة التي نقلها النووي عن القاضي عياض، وهذا التأويل وإن كان خاصا بحديث عبادة، (أي تخصيص ألفاظ الحديث بالكاملين في التوحيد) فإن ابن عبد الوهاب وسّعه ليشمل كلّ نصوص الوعد، وبالتالي خرج عن الإجماع العلمي.

فإذا كانت المسألة محسومة منذ قرون، تكلّم فيها الرجال، وحسموا الأمر، وأيقنوا الفهم والتأويل، وصنّفوا الكتب والشروح والحواشي عليها، فماذا جاء يفعل ابن عبد الوهاب؟؟؟ أليس تأويله الجديد فتنة جديدة، نحن في غنى عنها؟؟ أليس من الأجدر له إتباع العلماء في المسألة خاصة وهي من العقائد التي أجمع عليها السلف والخلف، ولا داعي من إعادة التشكيك فيها؟؟؟ أليس المغرور في الحقيقة هو ابن عبد الوهاب نفسه الذي ضرب بكلام العلماء عرض الحائط، واتبع هواه وهوى أمثاله؟؟. ثمّ يأتي يحجر علينا رحمة الله، وينسب الوعد الصريح للكمّل، وينعتنا بالغرور إن لم نتّبع تعاليمه الوهميّة. يا سبحان الله.

نحن لا ننكر وجود تأويلات عديدة لأحاديث الوعد، وكلّها من قبيل: يجوز، فلماذا يترك ابن عبد الوهاب الإجماع السني ويأخذ تأويلا من قبيل: ويجوز، ويجعله قاعدة شرعية وتأويلا متأصلا لفهم كل نصوص الوعد من خلاله، مع العلم وأنه هناك تأويلات أخرى؟؟ وما هو تبريره لاختيار تأويل دون آخر؟؟. قال النووي في ذكر تأويلات أخرى لنصوص الوعد:

" وذكر الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله تعالى تأويلاً آخر في الظواهر الواردة بدخول الجنة بمجرد الشهادة:

فقال: يجوز أن يكون ذلك اقتصاراً من بعض الرواة نشأ من تقصيره في الحفظ والضبط، لا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، بدلالة مجيئه تاماً في رواية غيره، وقد تقدم نحو هذا التأويل.

قال: ويجوز أن يكون اختصاراً من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما خاطب به الكفار عبدة الأوثان الذين كان توحيدهم لله تعالى مصحوباً بسائر ما يتوقف عليه الإسلام ومستلزماً له، والكافر إذا كان لا يقر بالوحدانية كالوثني والثنوي فقال: لا

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

إله إلا الله وحاله الحال التي حكيناها حكم بإسلامه، ولا نقول والحالة هذه ما قاله بعض أصحابنا من أن من قال: لا إله إلا الله يحكم بإسلامه ثم يجبر على قبول سائر الأحكام، فإن حاصله راجع إلى أنه يجبر حينئذٍ على إتمام الإسلام، ويجعل حكمه حكم المرتد إن لم يفعل من غير أن يحكم بإسلامه بذلك في نفس الأمر وفي أحكام الآخرة، ومن وصفناه مسلم في نفس الأمر وفي أحكام الآخرة، والله أعلم."

بل الأغرب أنه يدّعي عدم التفصيل في نصوص الوعد، وأنه على مذهب السلف في تمريرها كما جاءت، والحال أنه فصّل، وأن الشراح، تلامذته وأحفاده، فصّلوا على التفصيل، والشارح الخضير، فصّل، ثمّ يقول:

" ومرة أخرى حتى لا نُنتقد في هذا الجانب فقد فصّلنا هذا التفصيل لأننا نشرح كلامهم فنفصل تفصيلهم ومع ذلك نقول الأصل في أحاديث الوعد أن تفهم حسب أصولها إلا عند الحاجة أو عند شرح كلام من يُفصّل."

ومع كلّ التفصيل الذي يخالف السلف حسب ادعاءهم، فإن ابن عبد الوهاب، لم يتناول من أحاديث الوعد إلا ما وافق رأيه وتأويله، مع أنه هناك أحاديث أصرح من تلك التي اعتمدها في كتاب التوحيد، مثل حديث البطاقة، حيث ينسب له الشارح عدم فهمه بالكامل، ووجود إشكالية عليه، لأنه حسب رأينا يتنافى مع اعتقاده. يقول الشارح:

" ملاحظة : المصنف اختار حديث أبي سعيد مع أن هناك حديث البطاقة أصرح منه وأقرب للموضوع، لكن هناك سبب لعدم ذكر حديث البطاقة وهو أنه مشكل على المصنف، ذكر ذلك في تاريخ نجد ص٤٣٩ لما سُئل عن حديث البطاقة قال: ذكر الشيخ (يعني ابن تيمية) أنه رزق عند الخاتمة قولها على ذلك الوجه والأعمال بالخواتيم مع أن عليّ بقية إشكال والله أعلم أهـ."

والحقيقة، أن تتبع كلام ابن عبد الوهاب، وتتبع مقصده، ضمن شروحات تلامذته، يصيبنا بالحيرة، من كثرة التناقضات وتنوعها، حتى شككنا في فهمنا للمسائل، وجعلنا في بعض الأحيان، العيب فينا، وليس في سوانا. فمرّة يطالبك ابن عبد الوهاب بتمرير أحاديث الوعد كما جاءت، وفي نفس الوقت، يستنبط منها مسائل تعتمد على تفسير وتأويل معيّن، ويأتي الشراح ليفصّلوا التأويل، متذرّعين بأنه لازم من لوازم الفهم للموضوع، ثم يأتي الشارح الخضير، ويلخص لك قاعدة تخصيص الأحاديث بالكاملين فقط، مدّعيا أنه تجنب التفصيل، مع أنه في الحقيقة وقع في التأويل، الذي هو أسوأ من التفصيل. يقول الشارح في تعليقه على حديث عتبان:

" ولهما من حديث عتبان رضى الله عنه: ((فإن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله)).

هذا الحديث يمكن أن يؤخذ نموذجا لما سبق فيما قلنا، فمثلا طريقة الشراح الثلاث ومعظم المتأخرين إذا تناولوا هذا الحديث تناولوه بالتفصيل فقالوا مثلا: إن كلمة (النار) فيها تفصيل على حسب القول لـ : لا اله إلا الله، الذي فيه تفصيل، فإن قالها بكمال واجتماع شروط حرم على النار دخولا وخلودا وإن قالها بنقص فكلمة النار تحمل إما على نار الكفار فيحرم عليها أو يحرم على النار خلودا، أما على

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الطريقة التي ذكرنا يقال: إن الحديث من أحاديث الوعد، والمقام مقام مدح وثناء ممن قال لا اله الا الله، ويقصد به أهل الكمال أو من قالها وغلب عليها الكمال وحسناته أكثر، لأن هذا هو مقتضى المدح والثناء، فيحرم على النار على ظاهر الحديث، وقال المصنف في تاريخ نجد ص٤٤٣: لما سُئل عن معنى حديث معاذ (حق الله على العباد) فقال المعنى عند السلف على ظاهره وهو من الأمور التي يقولون أمروها كما جاءت أعنى نصوص الوعد والوعيد لا يتعرضون للمشكل منه) اهـ "

ولعلّ الطامّة الكبرى، في الكذب على الرجال، حين يدّعي الشارح أن مذهبه التأويلي ومذهب الشراح وابن عبد الوهاب هو مذهب القاضي عياض، وهو مخالف للنصوص السابقة التي رويناها عن القاضي. يقول الشارح:

" فإن قال قائل من أين لكم الأدلة على القليل والأقل كما ذكرتم في الكميات السابقة، قلنا هذا وفق القواعد العامة التي تخصص عموم هذه الأحاديث، لأن القاعدة أن أحاديث الوعد إنما هي لأهل الكمال أو من غلب عليه الكمال، وقولنا غلب الكمال هو الذي نعني بقولنا أن الكمال أكثر والسيئات أقل. وما ذكرنا هو اختيار القاضي عياض وابن تيمية وابن القيم وابن رجب والمنذري والمصنف والشراح الثلاثة رحم الله الجميع، (راجع التيسير ص٦٨-٦٩ ،والفتح ص ٤٨-٤٧)."

فكيف تكذبون على القاضي عياض، وكلامه واضح في التمسك بتأويل السادة أهل السنة والجماعة، ولو كان كذلك لنسبتم كلامكم إلى السلف مباشرة، وأنتم تقرون أن السلف أحجموا عن التأويل في هذه المسائل؟؟.

لقد أقرّ القاضي عياض قاعدة أهل الحق في الموضوع، وهي: كل من مات موحّدا، دخل الجنّة، سواء كان من المخلصين في التوحيد، أو المخلطين في الأعمال، من أهل المشيئة. أي من الكاملين وغير الكاملين، بتفصيل معروف. أما الخضير شارح كتاب التوحيد لابن عبد الوهاب، فله قاعدة أخرى، نسوقها كما جاءت في شرحه:

" والقاعدة في هذا الباب: أن من أتى بلا إله إلا الله مع شروطها ومات على ذلك فهذا الشخص هو أكمل الموحدين في هذا الباب، وهو الذي تغفر ذنوبه التي كانت قبل ذلك، وبالتالي يدخل الجنة ويحرم على النار مطلقا، ويكون هذا فضل التوحيد في حق هذا الرجل.

١- من قال لا إله إلا الله وترك الشرك الأصغر والأكبر ولم يأتِ بذنوب وسيئات واستمر على هذه الحالة حتى مات فهذا مثل القسم الذي قبله فيكون ممن غفرت ذنوبه بل هو أكمل مما قبله.

٢-من أتى بلا إله إلا الله مخلصا من الشرك الأكبر دون الأصغر بمعنى أن عنده شركا أصغر وليس عنده شرك أكبر وعنده حسنات كثيرة راجحة فهذا الرجل عنده أشياء طيبه وعنده أشياء غير طيبه الشيء الطيب عنده براءته من الشرك الأكبر + الحسنات الراجحة (وتنبه إلى كلمة راجحة) والذي ليس جيدا عنده أنه تلبس بالشرك الأصغر فهل يخف ميزانه كما قال المصنف أو يثقل ميزانه؟ نقول عندنا ميزان له

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

كفتان سوف يوضع في الكفة الأولى حسنة التخلص من الشرك الأكبر ويوضع معها الحسنات ثم يؤتى بالشرك الأصغر فيحبط الشرك الأصغر جزء من هذه الحسنات لكن لم يقض عليها كلها لأن الحسنات كثيرة فيذهب منها جزء بقدر الشرك الأصغر فيبقى منها جزء ولو بسيط فيكون الميزان الذي فيه حسنة التخلص من الشرك الأكبر والحسنات التي بقيت فتثقل ويكون ممن ثقل ميزانه.

أما إن أتى بحسنة التوحيد والتخلص من الشرك الأكبر مع سيئات ومع حسنات ومع شرك أصغر والحسنات أقل هنا يكون ممن خف ميزانه. ولذلك قلنا في الحسنات (الحسنات الراجحة) يعني التي تقاوم ما أحبط الشرك الأصغر منها ويبقى بعده حسنات.

ثم نرجع ونقول قول المصنف (إن كثيرا ممن يقولها يخف ميزانه) إما إنه قالها بدون صدق وإخلاص أو بالصدق والإخلاص ولكن كسب بعدها سيئات كثيرة، أو قالها بالصدق والإخلاص من الشرك الأكبر دون الأصغر وأتى بعدها بسيئات كثيرة أو حسنات قليلة أقل من السيئات."

ونستنتج من هذه القاعدة الوهابية في فهم نصوص الوعد والبشرى ما يلي:

أولا: أكمل الموحدين في هذا الباب هو: من أتى بلا إله إلا الله مع شروطها. وهذا كلام مبهم وغير دقيق، لأن شروط لا إله إلا الله تختلف باختلاف مقامات الأشخاص، فإخلاص الأنبياء ليس مثل إخلاص الصديقين، أو إخلاص الشهداء والصالحين، والمؤمنين الّذين فسّر الله معنى إيمانهم في آياته. ففي هذا الموضوع عدّة مقامات، وفي كلّ مقام عدّة درجات.

ثانيا: من أتى بلا إله إلا الله مع شروطها ومات على ذلك فهذا الشخص هو أكمل الموحدين في هذا الباب. وهنا مسألة مهمّة، وهي: أن قيد الموت على التوحيد، من رأي الخضير شارح الكتاب، وبقيّة الشراح، وجمهور العلماء، أما ابن عبد الوهاب فلا يرى هذا القيد. قال الشارح:

" فجاء عند البخاري رحمه الله (لن يوافى عبد يوم القيامة قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله) ومعنى لن يوافى: أي لن يموت عبد على هذه الكلمة، إذا الموت عليها شرط في التحريم على النار والشراح الثلاثة يميلون إلى قيد الموت عليه، ولذا نقلوا كلام ابن تيمية في ذلك (في التيسير ص ٦٨ ، ٦٩ وفي الفتح ص ٤٧) و أصرحهم في ذلك ابن عتيق، حيث كرر قيد الموت ثلاث مرات في مقدمة الباب، لكن ظاهر صنيع المصنف أنه لم يرد قيد الموت ولذا لم يذكر هذه الزيادة، إنما القيد في أحاديث الوعد في هذا الباب أن يكون حسنة التوحيد والحسنات الأخرى أكثر من السيئات."

ثالثا: أكمل الموحدين: تغفر ذنوبه التي كانت قبل ذلك، ويدخل الجنة ويحرم على النار مطلقا. والمسألة هنا: عن أيّة ذنوب كانت قبل ذلك، يتحدّث؟؟؟.

إن كان يعني ذنوب الشرك قبل التوحيد، فهي مغفورة برحمة الله مع التوبة أو مع دخول الإسلام، لأن الإسلام يجب ما قبله، والتوبة تمحو كل السيئات ما عدا

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الحقوق، فلا تأتي هذه الذنوب أصلا في صحيفته، لأنه تمّ محوها وفسخها من الصحيفة.

وإذا كان يعني بالذنوب، الكبائر، فإن إتيان الكبائر والإصرار عليها يخرجه من خانة: أكمل الموحدين، ويدخله في خانة المشيئة.

وإذا كان يعني بالذنوب: صغارها، وعدم الإصرار عليها، فهذا النوع من الذنوب تكفره أعمال كثيرة، منها الوضوء، والصلاة من وقت إلى آخر، والصوم من رمضان إلى آخر، والحج، والصدقة، وإطعام الطعام، وغيرها، فلا يبقى إذن ذنوب في الصحيفة، خاصّة ونحن نتحدّث عن أكمل الموحّدين.

فبان لنا أن مغفرة الذنوب للأكملين توحيدا لا معنى لها، إلا إذا كان مصدر الذنوب هو الشرك الأصغر، وهذا يخرجه من الأكمل توحيدا.

رابعا: مغفرة الذنوب، ودخول الجنة، وتحريم النار مطلقا: هو فضل التوحيد في حق أكمل الموحدين.

وهنا مسألة: لو طبقنا هذا الشرط على صاحب البطاقة الذي يؤتى به وله ٩٩ سجلا من السيئات، وأنه لا يدخل الجنة إلا ببطاقة التوحيد، وقد حرمه الله على النار، وغفر له كل ذنوبه، فنسأل الشارح والمصنّف: هل صاحب البطاقة هذا، ممّن قلتم في حقّه: أكمل الموحدين؟؟؟. وكيف يكون أكمل الموحدين وله ٩٩ سجلا من السيئات وليس لع حسنة واحدة؟؟؟. والحديث هو:

"يصاح برجل من أُمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر ثم يقال أتنكر من هذا شيئا ؟ فيقول: لا يا رب، فيقال: ألك عذر أو حسنة؟ فيهاب الرجل، فيقول: لا، فيقال: بلى، إن لك عندنا حسنات، وإنه لا ظلم عليك، فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، فيقول: يا رب، ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقال: إنك لا تظلم، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة) رواه الترمذى وحسنه وابن حبان والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (في التيسير ص ٧٢والفتح ص ٥٢)"

خامسا: من ترك الشرك الأصغر والأكبر ولم يأتِ بذنوب وسيئات، واستمر على هذه الحالة حتى مات، فهذا مثل القسم الذي قبله، فيكون ممن غفرت ذنوبه بل هو أكمل مما قبله.

وهنا مسألة : كنا نظن أن أكمل الموحدين هو رقم واحد، وإذا به يأتي في رقم اثنين، ويأخذ مكانه: من وحّد وترك الشرك الأكبر والأصغر، ولم يأت بذنوب وسيئات. فمن هو هذا الشخص؟؟؟ ومن يقصد الشارح بهذه الصفات؟؟؟. وهل أكمل الموحدين ـ المرتبة الثانية ـ يأتي بالشرك الأصغر؟؟؟ فمن أين له الكمال إذا؟؟؟. وما الفرق بين المرتبتين؟؟؟ أليس الذنب هو الفرق؟؟ فمن أين ذنوب الأكمل؟؟.

سادسا: من أتى بالتوحيد وسلم من الشرك الأكبر، وأتى بالشرك الأصغر وبسيئات كثيرة، لكن حسناته أكثر من سيئاته، يثقل ميزانه. ويفهم من ثقل الميزان

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

دخول الجنة. المسألة أننا لم نفهم الفرق بين هذا الصنف والصنف المسمّى: أكمل الموحدين؟؟ ولا بين أكمل الموحدين والأكمل منهم؟؟؟ فهل التفاضل بقلّة الذنوب أم بالسلامة من الشرك الأصغر؟؟؟

سابعا: من أتى بحسنة التوحيد والتخلص من الشرك الأكبر مع سيئات ومع حسنات ومع شرك أصغر والحسنات أقل هنا يكون ممن خف ميزانه. ومعنى خفة الميزان دخول النار، وهنا لبّ المسألة والخلاف بيننا: فنحن نرى أنّ الدخول غير الخلود، وإن لم يكمل الشارح المسألة، وعدم الخلود في النار يعني دخول الجنة بعد الشفاعة، وهذا يدخل في نصوص الوعد على تأويل تحريم الجنة بتحريم الخلود، ودخول الجنة في الآخر.

جاء في كتاب التوحيد وإثبات صفات الربّ عز وجلّ تأليف إمام الأئمة أبي بكر محمّد بن إسحاق بن خزيمة ٢٢٣-٣١١ هـ

"حدثنا علي بن حُجْر، قال: ثنا إسماعيل بن جعفر قال: أخبرنا عمرو –وهو ابن أبي عمرو عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبي هريرة _ قال: "قلت يا رسول الله من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلّم: لقد ظننت يا أبي هريرة أن لا يسألني عن هذا الحديث أحد أولى منك، لما رأيت من حرصك على الحديث. أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من نفسه".

وبمقتضى هذا التأويل، وأخذا بعين الاعتبار بالملاحظات التي سقناها في تأويل الوهابية، واستنادا إلى قاعدة أهل السنة والجماعة التي ساقها القاضي عياض، نقول: كل من قال لا إله إلا الله، مخلصا، غير شاك، لوجه الله، دخل الجنة، سواء حوسب أم لم يحاسب. وسواء دخوله في البداية أو في النهاية، وسواء دخل بشفاعة الرسول أو بشفاعة الأنبياء والملائكة والمؤمنين، أو دخل بشفاعة الرحمن، وسواء كان صاحب بطاقة أو آخر من يدخل الجنة، كل هؤلاء يدخلون الجنة، ولا يحرم دخوله الجنة إلا مشرك شركا أكبر.

فانظر إلى هذا التعميم بشرط الإخلاص، والّذي لا يخرج منه إلا منافق صريح النفاق، والعياذ بالله، أو مشرك شركا أكبر، والعياذ بالله، وما عدا ذلك فداخل فيه، وهذا معنى الوعد والبشرى من الله ورسوله للمؤمنين. لأن الإخلاص داخل في هذا المفهوم من حبة الإخلاص إلى تمامه وحقيقته وكماله، كلّ حسب ما قسم له، وحسب السابقة والخاتمة.

وهذا يختلف عن تأويل يضيق المسألة، وينقلها من باب الوعد والبشرى إلى باب الوعيد واللعنة، وذلك بالإصرار على تقديم قاعدة وتفصيل يختلفان عن الإجماع السني، حيث يقول الشارح في نفس الباب في تفصيل آخر:

"هنا قاعدة ادخرتها إلى هذا الموضع وإن كان محلها في ذكر القواعد السابقة في أحاديث الوعد، ولكن أحسست أنني أطلت هناك الكلام فأجّلت ذكرها حتى نصل إلى هذا الموضع اللائق بها وهي لفتة على قوله (على ما كان من العمل) حيث قلنا أن

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الراجح من العمل أي السيئ أو السيئات، لكن يجب أن يفهم أن السيئات بالنسبة لفضل التوحيد من حيث الكمية على ثلاث مراتب:

١ – أن تكون كمية السيئات كثيرة جدا، بحيث ترجح على حسنة التوحيد وما معه من حسنات.

٢ – أن تكون كمية السيئات مساوية لكفة حسنة التوحيد وما معه من الحسنات الأخرى.

٣ - أن تكون كمية السيئات أقل من حسنة التوحيد وما معه من الحسنات، ولا يتحقق فضل التوحيد إلا في الحالة الثالثة وهي المقصودة بالحديث (على ما كان من العمل) أي ومعه سيئات ولكن اقل من حسنة التوحيد.

أما إن جاء بالتوحيد لكن مع المرتبة الأولى أو الثانية، هنا لا ينطبق عليه أحاديث وآيات الباب، إنما يصبح من أهل الوعيد وليس من أهل الوعد، وإن كنا وقعنا في التفصيل وتلبسنا بما انتقدنا به الشراح سابقا والله المستعان."

فانظر واعتبر، أيّها القارئ، كيف يضيّق هؤلاء الرحمة، ويحجرون واسعا، ويعتبرون أن فضل التوحيد لا يظهر لمن أتى بسيئات كثيرة، والحال أن الرسول لا يشفع إلا لمن قال لا إله إلا الله مخلصا، ودخل النار بارتكابه للمعاصي الكبيرة، فكانت سيئاته أكثر من حسناته، فظهر فضل التوحيد له في الشفاعة، وبه يدخل الجنة.

والقاضي عياض، ومثله أهل الحق، أهل السنة والجماعة، يقول:

"فنقرر أولاً أن مذهب أهل السنة بأجمعهم من السلف الصالح وأهل الحديث والفقهاء والمتكلمين على مذهبهم من الأشعريين أن أهل الذنوب في مشيئة الله تعالى، وأن كل من مات على الإيمان وتشهد مخلصاً من قلبه بالشهادتين فإنه يدخل الجنة، فإن كان تائباً أو سليماً من المعاصي دخل الجنة برحمة ربه وحرم على النار بالجملة، فإن حملنا اللفظين الواردين على هذا فيمن هذه صفته كان بيناً، وهذا معنى تأويلي الحسن والبخاري، وإن كان هذا من المخلطين بتضييع ما أوجب الله تعالى عليه أو بفعل ما حرم عليه فهو في المشيئة، لا يقطع في أمره بتحريمه على النار، ولا باستحقاقه الجنة لأول وهلة، بل يقطع بأنه لا بد من دخوله الجنة آخراً، وحاله قبل ذلك في خطر المشيئة، إن شاء الله تعالى عذبه بذنبه، وإن شاء عفا عنه بفضله"

وكان أولى بالوهابيين اعتماد قاعدة أهل السنة والجماعة والإكتفاء بها، وتوقي الفتنة: الفتنة التي نشأت من قولهم بخفّة الميزان لمن قال لا إله إلا الله. نعم قد يقولها شخص ويخف ميزانه، فلماذا؟؟؟ يجيب الشارح من وجهة نظره الوهابيّة:

"وقول المصنف (مع أن كثيرا يقولها يخف ميزانه) لماذا خف ميزانه مع قوله لا إله إلا الله؟ السبب هو نقصان شروطها فقد يقولها غير مخلص وقد يقولها غير صادق، وقد يقولها ويأتي بسيئات تغلب وتثقل في ميزانه.

فهذه ثلاثة أسباب في خفة ميزان من يقول لا إله إلا الله وأشار إلى ذلك ابن تيمية فيما نقله عنه صاحب التيسير ص ٦٨ ، ٦٩ وفي الفتح ص ٤٧ وابن عتيق في الإبطال في آخر الباب، وسوف نوضحها أكثر لأن الحفيدين أطالا في ذلك لما شرحا

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

حديث عتبان. فنقول وهو ملخص الشراح الثلاثة وهو معنى كلام ابن تيمية وابن القيم وابن رجب والقاضي عياض والمنذري، قاله في التيسير ص ٦٩ وغيرهم من العلماء، قال في الفتح: وهو قول كثير من العلماء ص ٤٨."

وواضح أنه هناك ثلاث شروط قال بها الشارح توجب خفّة الميزان، وهي: انتفاء الإخلاص، وانتفاء الصدق، ووجود سيئات تغلب في الميزان.

هذا كلام فيه لبس وفتنة: فانتفاء الإخلاص والصدق في قول لا إله إلا الله تتأتى من منافق، مكانه الدرك الأسفل من النار. ليس هناك مسلم يقول لا إله إلا الله بلا إخلاص وبلا صدق. نعم قد ينقص من الإخلاص ومن الصدق درجات حسب حالة المسلم الإيمانية، ومدى تمسكه بهواه وبالدنيا، وغلبة شهوات نفسه، ولكن القاعدة تقول: من انتفى إخلاصه وصدقه مطلقا، فليس من الإسلام ولا من الإيمان في شيء.

الدليل على ما قلناه، هو تذكر شرط الانتفاع بشفاعة الرسول والشافعين وربّ العالمين: وهو قول لا إله إلا الله بإخلاص "أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصا من نفسه" فمن انتفى إخلاصه وصدقه جملة، انتفى إيمانه وإسلامه جملة، وخرج من حدود الشفاعة.

أما من أتى بسيئات كثيرة تغلب وتثقل في ميزانه، فهذا يخف ميزانه، ولكنه يدخل تحت المشيئة، إن شاء الله عذّبه، وإن شاء عفا عنه، ولكن يقطع بدخوله في الأخير الجنة.

فأهل التوحيد عموما، لا يدخلهم خفّة الميزان تحت طائلة الوعيد المطلق، أي الخلود في النار. هذا مذهب السلف وجمهور العلماء. وهو مخالف لمذهب ابن عبد الوهاب ومن لفّ لفّه. بل إن خفّة الميزان للكفار وليست للمسلمين، وهذا تأويل أغلب العلماء. قال الرازي في تفسيره للآية: {وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ}:

"اعلم أن هذه الآية فيها مسائل:

المسألة الأولى: أنها تدل على أن أهل القيامة فريقان منهم من يزيد حسناته على سيئاته، ومنهم من يزيد سيئاته على حسناته، فأما القسم الثالث وهو الذي تكون حسناته وسيئاته متعادلة متساوية فإنه غير موجود.

المسألة الثانية: قال أكثر المفسرين المراد من قوله: {وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُ} الكافر والدليل عليه القرآن والخبر والأثر. أما القرآن فقوله تعالى: {فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَظْلِمُونَ} ولا معنى لكون الإنسان ظالماً بآيات الله إلا كونه كافراً بها منكراً لها فدل هذا على أن المراد من هذه الآية أهل الكفر، وأما الخبر فما روي أنه إذا خفت حسنات المؤمن أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجرته بطاقة كالأنملة فيلقيها في كفة الميزان اليمنى التي فيها حسناته فترجح الحسنات فيقول ذلك العبد المؤمن للنبي صلى الله عليه وسلم بأبي أنت وأمي ما أحسن وجهك وأحسن خلقك فمن أنت؟ فيقول: «أنا نبيك محمد وهذه صلاتك التي كنت تصلي علي قد وفيتك أحوج ما تكون إليها»، وهذا الخبر رواه الواحدي في «البسيط»، وأما

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

جمهور العلماء فرووا ههنا الخبر الذي ذكرناه من أنه تعالى يلقى في كفة الحسنات الكتاب المشتمل على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. قال القاضي: يجب أن يحمل هذا على أنه أتى بالشهادتين بحقهما من العبادات، لأنه لو لم يعتبر ذلك لكان من أتى بالشهادتين يعلم أن المعاصي لا تضره، وذلك إغراء بمعصية الله تعالى.

ولقائل أن يقول: العقل يدل على صحة ما دل عليه هذا الخبر، وذلك أن العمل كلما كان أشرف وأعلى درجة، وجب أن يكون أكثر ثواباً، ومعلوم أن معرفة الله تعالى ومحبته أعلى شأناً، وأعظم درجة من سائر الأعمال، فوجب أن يكون أوفى ثواباً، وأعلى درجة من سائر الأعمال. وأما الأثر فلأن ابن عباس وأكثر المفسرين حملوا هذه الآية على أهل الكفر.

وإذا ثبت هذا الأصل فنقول: إن المرجئة الذين يقولون المعصية لا تضر مع الإيمان تمسكوا بهذه الآية وقالوا إنه تعالى حصر أهل موقف القيامة في قسمين: أحدهما: الذين رجحت كفة حسناتهم وحكم عليهم بالفلاح. والثاني: الذين رجحت كفة سيئاتهم، وحكم عليهم بأنهم أهل الكفر الذين كانوا يظلمون بآيات الله، وذلك يدل على أن المؤمن لا يعاقب ألبتة. ونحن نقول في الجواب: أقصى ما في الباب أنه تعالى لم يذكر هذا القسم الثالث في هذه الآية إلا أنه تعالى ذكره في سائر الآيات فقال: {وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء} (النساء: ١١٦) والمنطوق راجح على المفهوم، فوجب المصير إلى إثباته، وأيضاً فقال تعالى في هذا القسم: {فَأُوْلَـئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُواْ أنفُسَهُم} ونحن نسلم أن هذا لا يليق إلا بالكافر وأما العاصي المؤمن فإنه يعذب أياماً ثم يعفى عنه، ويتخلص إلى رحمة الله تعالى، فهو في الحقيقة ما خسر نفسه بل فاز برحمة الله أبد الآباد من غير زوال وانقطاع. والله أعلم."

وقال القرطبي راويا تفسير ابن عباس:

"وقال ابن عباس: توزن الحسنات والسيئات في ميزان له لسان وكِفّتان؛ فأما المؤمن فيؤتى بعمله في أحسن صورة فيوضع في كفة الميزان فتثقل حسناته على سيئاته؛ فذاك قوله: {فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ} ويؤتى بعمل الكافر في أقبح صورة فيوضع في كِفّة الميزان فيخف وزنه حتى يقع في النار."

فلماذا يتناول ابن عبد الوهاب آية مخصوصة بالكفر والكفار، وينزّلها على المسلمين الموحّدين؟؟؟ وهذا مذهبه في مواضيع كثيرة متصلة بالتوحيد والشرك؟؟.

"فقوله يخف ميزانه دل على أن فيه تفصيل: فمن قال لا إله إلا الله أو أتى بالتوحيد: فمنهم من يحصل له هذا الفضل، فيرجح ميزانه، ويُكفر عنه ذنوبه، ومنهم من يخف ميزانه، فلا ينال هذا الفضل بسبب نقص في توحيده."؟؟؟.

ونختم بأغرب الغرايب في التناقض والتخبط العشوائي الّذي وقع فيه ابن عبد الوهاب ومن دخل دعوته وفتنته، حيث بعد أن ركزوا في هذا الباب: باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب، وهو الباب الثاني، وبعد أن ركزوا قاعدتهم الجديدة الخاصّة بالكاملين وأكمل الموحدين، واستبعاد ما دونهم، يأتي في الباب الثالث ما يناقض هذا التصنيف. فقد قال في مطلع شرحه للباب الثالث الّذي عنوانه: باب من

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

حقق التوحيد دخل الجنة، مبيّنا الفرق بين منتسبي الباب الثاني، ومنتسبي الباب الثالث، قال:

"فمن حقق التوحيد فهو من السبعين ألف وهؤلاء هم أول من يدخل الجنة من بابها الأيمن كما جاء في الحديث (أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر) وهم أهل الفردوس الأعلى، ونوع منهم ممن حقق التوحيد وهم أقل من هذا الصنف وهم المقتصد وهم أهل قوله تعالى (ومن دونهما جنتان) وهم الصنف الثاني في قوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات) وقوله (وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين) وهم الطائفة الأخرى المقصودة بهذا الباب، **أما الباب الذي قبله المقصود بهم الظالم لنفسه الذي أتى بأصل التوحيد وترك الشرك الأكبر ومعه حسنات راجحة، أو أتى بأصل التوحيد مع ترك الشركين مع السيئات على ما سبق شرحه**."

فتعلم يا أخي القارئ من ابن عبد الوهاب وجماعته، **أن أكمل الموحدين عندهم، ومن هو أكمل منه، يسمون: الظالمين لأنفسهم؟؟؟** هكذا في تعريف الوهابيين.

وإذا كان المسلمون من أمّة محمّد صلى الله عليه وسلّم لا يخرجون عن التقسيم الثلاثي للآية:"فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات" وأن هؤلاء يشملهم الباب الثاني (تكفير الذنوب) ويشملهم الباب الثالث (تحقيق التوحيد)، فهل بقي أحد خارج التصنيف؟؟ أليس هذا التصنيف عاما وشاملا للمؤمنين، وليس مخصوصا بالكاملين فقط؟؟ وباعترافهم بأنفسهم، وبكلامهم؟؟؟.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

النص الوحيد:
من الباب الثالث:
قال الشارح: علي بن خضير الخضير:
"المسألة الأولى: مراتب الناس في التوحيد. بمعنى أنك إذا قرأت ما في الباب من الآيات والأحاديث عرفت مراتب الناس في التوحيد وأنها متفاوتة، وقوله مراتب: جمع مرتبة والأصل في المرتبة أن بعضها أعلى من بعض وبعضها أفضل من بعض بخلاف كلمة أقسام أو أنواع فلا يُفهم من ذلك أن بعض الأقسام أفضل من بعض،والله أعلم.

لكن كم هذه المراتب؟ أما المصنف على وجه التحديد لم يذكر عدد المراتب لكنه قال أن هذه الأمة تختلف من حيث الكمية والكيفية وهذه المسألة التاسعة: قال فضلية هذه الأمة بالكمية والكيفية. ويهمنا منها كلمة الكيفية لأنه يقصد بالكيفية تفاضلهم واختلافهم في الصفات كما قال صاحب قرة عيون الموحدين صفحه(٢٩).

ولا يزال السؤال قائماً كم مراتبه؟ الشيخ سليمان (في التيسير ص٧٦)في مقدمة الباب ذكر مرتبة واحدة فقال: إن المراد بتحقيق التوحيد هو معرفته والاطلاع على حقيقته علماً وعملاً وحقيقة ذلك هو انجذاب الروح إلى محبة الله. وقال أيضاً: فلا يكن في قلبه شيء لغير الله ولا إرادة لما حرم ولا كراهية لما أمر.

وقال صاحب الفتح:(ص٥٧) تحقيقه تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي. هذا كلامه في الفتح وقال في قرة العيون(ص٢٥): تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والإصرار على الذنوب. فيفسر كلامه بعضه بعضا فالمقصود بالمعاصي أي الإصرار عليها لا الوقوع فيها فإن الوقوع في المعصية لا ينافي التحقيق إلا إن أصر. وجاء صاحب كتاب إبطال التنديد حمد بن عتيق في أول الباب وجمع بين القولين وقال: إن تحقيق التوحيد على قسمين أي على مرتبتين: المرتبة الأولى: ما ذكرها صاحب التيسير وهذه أعلى المراتب.

المرتبة الثانية: ما ذكرها صاحب الفتح وهي دون ذلك، إذاً أصبحت المراتب واحدة على اختيار الحفيد سليمان وواحدة على اختيار الحفيد عبد الرحمن واختار حمد بن عتيق أنها اثنتان. فما هو اختيار المصنف؟ أقرب الأقوال السابقة ما ذكره حمد أنها مرتبتان لكن لو نظرنا إلى كلمة مراتب الناس فهي جمع وأقل الجمع ثلاثة وهو المشهور (إلا فيما استثني مثل الجماعة في الصلاة اثنان وفي الفرائض اثنان، وقوله تعالى: فقد صغت قلوبكما جمع القلب وهو هنا اثنان) والأصل في الجمع ثلاثة ونحتاج إلى أن نمعن النظر في المسائل مع أن الغالب في المراتب أنها ثلاث: أفضل وأقل وأوسط والمصنف ذكر ثلاثة أدلة فيحتمل أن كل دليل مرتبة وذكر على كل دليل

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

مسألة وذكر ثلاث مسائل مهمة هي المسألة الثالثة والرابعة والخامسة ولذا فإن من المحتمل أن المراتب ثلاثة أما من جعلها مرتبة واحدة فهذا مرجوح.

فتكون المراتب ثلاث:

المرتبة الأولى: ما في الآية الثانية ودليلها قوله تعالى (والذين هم بربهم لا يشركون).

المرتبة الثانية: دليله قوله تعالى (ولم يك من المشركين) في ذكر إبراهيم عليه السلام.

المرتبة الثالثة: دليلها الحديث في السبعين ألف.

وترتيبنا هذا اجتهادي ويحتمل أن يُقال هي ثلاث وترتب على نفس ترتيب المصنف فالثانية تكون الأولى، وما ذكرنا الأولى تكون الثانية، أما الثالثة فهذا اتفاق مع المصنف ويأتي شرح كل مرتبة في وقته ويأتي إن شاء الله شرح المراتب والحديث عنها في حينها."

الملخص:

يرى الشارح أن للتوحيد مراتب تفاضلية في تحقيقه، اختلف الشارح وبقية الشراح في عددها، وماهيتها، ولم يذكر المصنف عددها، ولا ذكر أسماءها.

استنبط الشراح من كلام المصنف مرتبة واحدة. وأحد الشراح استنبط مرتبتان. أما الشارح الخضير فقد اعتمد على ثلاثة مراتب في تحقيق التوحيد.

يرى الشارح أن المرتبة الأولى دليلها الآية الثانية في الباب (والذين هم بربّهم لا يشركون).

والمرتبة الثانية دليلها الآية الأولى من الباب (ولم يك من المشركين).

أما المرتبة الثالثة فدليلها حديث السبعين ألف.

يرى الشارح أن هذا الترتيب هو اجتهاد منه، ولكنه مصرّ على عددها.

التعليق:

ننطلق في هذا الفصل، مثل باقي فصول الدراسة، من نصّ الشارح، يؤكد فيه أن المصنف أراد من الباب الثالث من كتاب التوحيد، التأكيد على أن من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب. وهذا ما يهمنا في الموضوع. ويستنتج من هذا العنوان مسألتين، وهي:

الأولى: للتوحيد تحقيق يختلف عن العلم والعمل به، وهذا التحقيق من أعلى المعارف به.

الثانية: الناس مراتب في التوحيد، وليسوا متماثلين.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

القضية هنا هي أن المصنّف لم يذكر لنا في كتابه هذا، ولا في بقيّة كتاباته، ما معنى تحقيق التوحيد، وكم مراتبه؟؟. وترك لنا الأمر للتخمين والتكهّن بهذه المسائل.

لو كان المصنّف على دراية بما يتكلّم به لعرّف لنا معنى التحقق في التوحيد، وعدد مراتبه، ولكنه، شأنه شأن الشراح، يتكلّمون عن أشياء لا يعرفون غير مسمّياتها، ولا يدركون كنهها، ويسمحون لأنفسهم بالتكلّم عن الحقائق، وهم منها براء. المهمّ أن المصنف لم يحدد لنا معنى تحقيق التوحيد، وترك الأمر مفتوحا. لكن أحد الشراح تفطن للأمر وحدّد تعريفا للتحقيق، وهو:

"إن المراد بتحقيق التوحيد هو معرفته والاطلاع على حقيقته علماً وعملاً وحقيقة "

وانظر يا أخي القارئ إلى اللبس والغموض في هذا التعريف. فقد استعمل في هذا التعريف كلمة معرفة وكلمة إطلاع، وجعل المعرفة سابقة عن الإطلاع. فبربّك، لو عرفنا حقيقة التوحيد، فلأي شيء بعدها نطّلع؟؟. ثمّ ما معنى معرفة التوحيد؟؟ وما معنى الإطلاع على حقيقته؟؟ وكيف نعرفه؟ وكيف نطلع على حقيقته؟؟ وما هي حقيقته حتى نطلع عليها؟؟ ومن أين نطلع عليها؟؟ وما معنى حقيقة التوحيد علما وعملا؟؟ وحقيقته حقيقة؟؟.

القارئ الكريم الّذي سمع بحديث عن تحقيق التوحيد، فرح وراح ينصت باهتمام علّه يخرج بنتيجة إيجابية، وبطريقة سليمة، تعلّمه معنى تحقيق التوحيد. فلما سمع هذا التعريف، أعجبه نظم الكلمات، لكنه لم يفهم شيئا.

طيّب، لنسترسل في تعريف التحقيق على لسان الشارح، يقول:

" ذلك هو انجذاب الروح إلى محبة الله."

سبحان مغير الأحوال؟؟؟ كيف تحوّل الإطلاع على الحقيقة إلى انجذاب الروح إلى المحبّة؟؟؟ وما معنى: انجذاب الروح إلى محبة الله؟؟؟ وهل الروح غير منجذبة في الأصل إلى محبّة الله؟؟ هل الروح تكره الله في الأصل؟؟

ثمّ يواصل الشارح تفسير معنى تحقيق التوحيد، فيقول:

" فلا يكن في قلبه شيء لغير الله ولا إرادة لما حرم ولا كراهية لما أمر."

كلامه هذا مزيج من مقام الإخلاص " فلا يكن في قلبه شيء لغير الله " ومقام الرضا "ولا إرادة لما حرم ولا كراهية لما أمر ". وأي دخل لهذين المقامين في تحقيق التوحيد؟؟؟

لو أجابنا الشارح، أن تحقيق التوحيد لا يتم إلا بالإخلاص والرضا والمحبّة، لقلنا له: إن تحقيق التوحيد لا يتم أيضا، إلا بالتوبة والشكر والتوكل والخوف والرجاء والمعرفة والزهد والفكر والفقر والعلم والخلوة والعزلة والتفقه وغيرها من المقامات والأحوال والخواطر. فأين التعريف والتخصيص للفظة: تحقيق التوحيد؟؟.

دعنا من هذا التعريف المختلط، ولنسمع تعريفا آخر لشارح ثان. يقول صاحب الفتح وقرّة العيون:

"تحقيقه تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي"

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ويقول في موضع آخر:

"تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والإصرار على الذنوب."

تحقيقه: بمعنى تخليصه وتصفيته من شوائب الشرك والبدع والمعاصي، هذه الأفعال هي التي ركّز عليها المصنف دعوته ليلا نهارا، سرا وجهارا، ونحن نظنّ أن ملايين من المسلمين يتبعون المذهب الوهابي يعملون بهذه القاعدة: لا بدع، ولا معاصي، ولا شوائب الشرك. فلنسألهم، ولنسأل علماؤهم وفقهاؤهم ودعاتهم وكبار تلامذتهم: إذا كنتم اتبعتم هذا المذهب، واتبعتم هذه القاعدة في التوحيد، وأخلصتم توحيدكم ونقيتموه من البدع والمعاصي وشوائب الشرك، وتربعتم في حلق العلم، وارتقيتم منابر الدعوة والفكر، فقولوا لنا بربّكم: ما معنى تحقيق التوحيد؟؟ وكم مرتبة هو؟؟ لأن إمامكم وتلامذته اختلط عليهم الأمر، ولم يحدّدوا لنا المعنى الدقيق للتحقيق، ولا حدّدوا لنا عدد المراتب؟؟.

نحن نقول: فاقد الشيء لا يعطيه. فمن أين لهم التحقق في التوحيد حتى يتكلّموا فيه؟؟ هذا موضوع من مواضيع العارفين بالله، أهل الحق، العلماء العاملين، السادات الأولياء، الّذين كشف الله لهم حضرته النورانية، فارتووا وفنوا فيها،،، عندما تحققوا فنوا، وعندما فنوا بقوا، وطارت منهم العبارات والإشارات، طارت الأسماء ولم تبق إلا الحقائق.

ليس من العيب أن تعترف بعجزك وجهلك وقصورك، ولكن العيب في التمسك بالجهل والتعنت واستغفال الناس بكلمات مبهمة، وغامضة، مدّعيا أنك ممّن حققت التوحيد، أو تدّعي معرفتك بالتحقيق عن علم.

يقول سيدي أحمد الرفاعي:

"كلّ هذه التقديرات مسامحة لفظية وتقديرات كلاميّة، وسوء عادات جدليّة، وإلا من عنده خبر من ذوق الحقائق، يستغني عن المساحات اللفظية، بما عنده من الشواهد البرهانية، والبراهين القطعية، ويعلم بحقيقة حاله، إن بضاعته العجز، وغايته القصور."

فإذا كان المصنف مدّعيا نقول له، ما قاله أبو علي الروذباري:

"ما ادعى أحد قطّ إلا لخلوّه عن الحقائق. ولو تحقق في شيء، لنطقت عنه الحقيقة، وأغناه عن الدعاوى"

وإذا كان المصنف يروم فهم التحقق من كلام الناس، فإننا نقول له ما قاله أبو حامد الغزالي:

"من طلب كشف حقائق الأمور من أقاويل الناس رآها مختلفة فلا يستفيد إلا الحيرة، وأما من انكشف له الحق في نفسه وأدركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من سمعه، فقد وثق بالحق، واطلع على قصور من قصر لقصور بصيرته، وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته."

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وليعلم المصنف، وشراحه، وتلامذة هذا المذهب الفتنة، أن قراءة ما كتبه العلماء والفقهاء عن التوحيد، يختلف عن التحقق والاتصاف بحقائقه. يقول أبو حامد الغزالي في الإحياء:

"العلم بالخوف والحب والتوكل والزهد وسائر هذه الصفات غير الاتصاف بحقائقها. ومن التبس عليه وصف الحقائق بالاتصاف بالحقائق فهو مغرور."

وسوف نتكلم، إنشاء الله، عن التحقق وحقيقة التوحيد، من باب ما انكشف لنا من خليط من الفكر والنظر الكشفي، مسترشدين بما قاله أئمة الهدى في الموضوع، الذين حققوا ونطقوا عما شاهدوا، منطلقين منذ البداية من القرآن الكريم، غير مدّعين التحقق في التوحيد، مفسرين لطريقة المتحققين العارفين بالله.

فنقول وبالله التوفيق: قال الله تعالى:

{وَلاَ يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلاَّ جِئْنَاكَ بِٱلْحَقِ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً} ٣٣ الفرقان

هذا خطاب من الله تعالى لحبيبه عليه الصلاة والسلام، فيه التزام رباني بالرد على كل مثل يأتي به المشركون، وذلك بالإتيان بالحق وأحسن التفسير. قال القرطبي في تفسيره لهذه الآية:

"وقيل: كان المشركون يستمدّون من أهل الكتاب وكان قد غلب على أهل الكتاب التحريف والتبديل، فكان ما يأتي به النبيّ صلى الله عليه وسلم أحسن تفسيراً مما عندهم؛ لأنهم كانوا يخلطون الحق بالباطل، والحق المحض أحسن من حق مختلط بباطل، ولهذا قال تعالى: {وَلاَ تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَاطِلِ} (البقرة: ٤٢)."

والمتأمّل لهذه الآية الكريمة، يلاحظ أنها احتوت على المستويات الثلاثة من البيان والتعبير وهي: العبارات، والإشارات والحقائق.

فقوله تعالى: "ولا يأتونك بمثل": دلّ على أنهم لا يتجاوزون الأمثال وهي من جنس الإشارات، وهي محتاجة إلى التأويل، ولكن عباراتها محتاجة إلى التفسير. ولما كانت تتحمّل عدّة تفاسير، بحسب رؤية الضارب للمثل، وترتيبه للكلمات واختياره للألفاظ، أجاب الله تعالى بأنه يأتي رسوله: بالحق وأحسن تفسيرا، فالحق مقابل المثل، وأحسن تفسيرا، باختياره للألفاظ المعبرة الصحيحة.

وهكذا احتوت الآية على المستويات الثلاثة من البيان: العبارة، وقصدها التفسير، والمثل أو الإشارة أو الرؤيا، وقصدها التأويل، والحق أو الحقيقة، وقصدها الكشف والمشاهدة.

ومن هذا التقسيم، تفهم، عزيزي القارئ، أن العلوم المنتشرة بين الناس اليوم، تتلقى بالوسائط، والتعلم، والتفكر، والتجربة، وأن الحقائق يطلع عليها بالكشف والمشاهدة القلبية، والعلوم التي تتفجر منها تسمى: علوم المكاشفة. قال أبو سعيد بن الأعرابي :

"مدارج العلوم بالوسائط، ومدارج الحقائق بالمكاشفة".

فإذا رمت التحدث عن التحقق في التوحيد، فهذا يعني الحديث عن الإطلاع كشفا ومشاهدة للحقائق الربانية. وهذا أول تميّز بيننا وبين المصنّف الذي يتحدّث عن

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

مجرد الإطلاع على الحقائق، دون تعريف منه لطريقة الإطلاع: هل هي بالعمل والجهد والفكر، أم هي بالكشف والمشاهدة.

وقلنا: الإطلاع على الحقائق الربانية، لأن ذات الحق سبحانه وتعالى، استترت وراء الأسماء الحسنى، وحقائقها، ونحن نطلبه جلّ وعلا كما يطلبه الملأ الأعلى، حتى يحين أوان الانكشاف والنظرة والرؤية على الكثيب يوم القيامة. فكلّ الحقائق ترجع في الأصل إلى حقيقة واحدة، نتشوف إليها، بالفكر والخيال (لمن وقف مع مستوى العبارات) وبالإشارة والتأويل (لمن وقف مع مستوى الأمثال) وبالكشف والمشاهدة (لمن وقف مع مستوى الحقيقة).

. قال أبو علي الروذباري:

"تشوقت القلوب إلى مشاهدة ذات الحق، فألقيت إليها الأسامى، فركنت إليها، والذات مستترة إلى أوان التجلي، وذلك قوله تعالى: "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها" أي وقفوا معها عن إدراك الحقائق".

السؤال التالي هو: كيف يأتي الله بالحق؟؟ تجيب الآية التالية عنه. قال تعالى:

{أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِباً فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَاطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ} ٢٤ الشورى

فالله سبحانه وتعالى، يحق الحق بكلماته، وكلماته جلّ وعلا، ليست إلا حقائق، وجب التشوف للكشف عنها والتحقق بها، وهي تختلف عن كلام البشر الذي لا تتجاوز كلماته العبارة والإشارة. وحتى العبارة البشرية لا ترتقي في نظمها البنياني اللغوي إلى العبارة القرآنية. فالإعجاز القرآني إذن جاء على مستوى البنيان اللغوي، وعلى مستوى المحتوى التحققي.

فالقوّة التحققيّة للكلمة الربانية لا تصل إليها كلمات البشر أبدا. بل إن الله تعالى لا يتكلّم إلا حقائق متحققة كما جاء في كتابه العزيز. قال تعالى:

{قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ * لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} ٨٤-٨٥ ص

هذه الآية دليل على أن الله هو الحق، وما يصدر منه إلا الحق، ولا يقول إلا الحق، وكل الحقائق منه سبحانه.

والحوار كان بين إبليس اللعين وبين الله باسمه الربّ:

{قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ * إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ * قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلاَّ عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ * قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ * لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ} ٧٩-٨٥ ص.

ويتضح أنه نسب التحقق إلى اسم الربّ، وهو ما يعني: الحق صادر من الربّ، ونستشرف الحق الرباني، ولا يكون الإطلاع إلا على الحق الصادر عن الحضرة الربانية.

فتحقيق التوحيد يعني: الإطلاع كشفا على حقائق الحضرة الربانية. ولمّا كان اسم الرب مرتبط باسم العبد، فلا يكون ربا إلا بوجود العبد، ولا يوجد عبد إلا بوجود

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الربّ، ارتبطت الربوبية بالعبودية، وصار تحقيق العبودية لا يتم إلا بالتحقق باسم الرب. أي معرفة الربوبية وحقها.

هذا التميز الثاني بيننا وبين القوم: تحقيق التوحيد هو الإطلاع على الحضرة الربانية.

طيّب: هل أن الحقيقة الربانية والحضرة الربانية كلمات مجازية أم هي عين الحقيقة؟؟.

القرآن يجيب على هذا السؤال بالآية الشريفة التالية. قال تعالى:

{إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَآ آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُواْ قَلِيلاً من ٱللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِٱلأسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِيۤ أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ * وَفِي ٱلأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِيۤ أَنفُسِكُمْ أَفَلاَ تُبْصِرُونَ * وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ}١٥-٢٣ الذاريات

إنه لحقّ: الآيات في الأرض والنفس والرزق في السماء، وما نوعد، كلّ ذلك حقّ مثل النطق به.

قال: تنطقون، ولم يقل: تقولون أو تتكلمون، حيث أتى بعملية النطق التي هي أصل وحقيقة مادية في ممارسة الكلام والقول.

ثم إنه أخرج الأبكم من عملية النطق، لأنه أراد بالمثل: النطق الموافق للتحقق، وأراد بالبكم ضمنا: الموافق للقصور عن التحقق.

وعرّف التحقيق بالمثل، وجاء بالنطق للدلالة على حدّه وتأويله، لأن النطق لا يدخله شبهة، بخلاف الحواس الأخرى التي يجوز عليها الخطأ.

هذا تعريف للحق والتحقق بالمثال، لمن قصرت همّته عن إدراك الحقائق مشاهدة. وأغلب الناس لا تدرك الحقائق من باب المشاهدة، لكثافة الحجب على القلب. لأن القلب هو المشاهد، مثل المرآة، لصور الحقائق (الأمثال) وللحقائق نفسها. قال الغزالي في الإحياء:

"القلب مثاله مثال مرآة تتراءى فيها الصور وحقائق الأمور".

قلنا: "وجاء بالنطق للدلالة على حدّه وتأويله" لأن القرآن كما علّمنا الإمام علي كرّم الله وجهه، فيما يروى عنه، له ظاهر وباطن، وحدّ ومطلع. يقول سيدي أحمد الرفاعي في البرهان المؤيد:

"القرآن...له ظهر وبطن، وحدّ ومطلع: وهذه أربعة أركان بني عليها فهم القرآن.

فالظاهر هو التنزيل. " نزل به الروح الأمين" ١٩٣. الشعراء. والباطن هو التأويل، كما قال صلى الله عليه وسلّم: اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل". والحد هو الّذي يتوقف عنده، وهو الّذي يفصل بين التشبيه والتعطيل. والمطلع هو موضع إشراف المكاشفين على حقائق ما أريد به بإلهام الملك وفطنة الروح، ولا يشهد معانيه ويطلع على حقائقه إلا من كان له كشف ومشاهدة، وقلب سالم مسلم. "قال أسلمت لربّ

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

العالمين" ١٣١. البقرة. "إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد" ٣٧. ق."

ويقول في موضع آخر:

"أول مراتب القرآن معرفة التنزيل، والثاني معرفة التأويل، والتنزيل ينبغي أن يكون أمرا كما جاء، لا يحرّف ولا يبدّل، لأنه أساس التأويل. والتأويل منزل عن التنزيل، لا يخرج به عن مطابقة التنزيل، فلا يعدل بمعانيه إلى التعطيل، ولا يحاد به عن موافقة طريق السنة الواردة عن سيّد المرسلين، والرتبة الثالثة، وهي الوسطى، وهي الحد المانع الجامع، يجمع بين ظاهر التنزيل وباطن التأويل، ويمنع من التشبيه والتعطيل. والرتبة الرابعة: هي الاطلاع عليه بالنور المبين، الذي لا يوجد إلا عند المتقين، وهو تعليم العزيز الرحيم. "يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به" ٢٨. الحديد. "واتقوا الله ويعلّمكم الله" ٢٨٢. البقرة"

فانظر، يا أخي، كيف يكون المثل المضروب في الآية الشريفة، حدّا بين الظاهر والباطن، أي برزخا بين الرسم والحقيقة، لأن الحقائق إذا ما برزت للمكاشف، تسقط المراتب السابقة لها، ولا يبقى إلا رسم الأمر، أي الكلمة المعبرة للأمر الإلهي، وهي كن، التي يسميها الجرجاني: كلمة الحضرة الربانية.

قال أبو بكر بن أبي سعدان:

"إذا بدت الحقائق، سقطت آثار الفهوم والعلوم، وبقي لها الرسم الجاري لمحلّ الأمر، وسقط منه حقائقها".

ويتضح لنا أن للتوحيد ظاهر، من التنزيل، يوجب التفسير.

وللتوحيد باطن، منزل من الظاهر، يوجب التأويل.

وللتوحيد برزخ، منزل من الباطن والظاهر، يوجب الحدّ الجامع بينهما وبين الحقيقة، دون بغي أحدهما على الآخر.

وللتوحيد مطلع، منزّل من الحق، يوجب التحقق مشاهدة، لا يخرج عن الظاهر ولا عن الباطن. قال سيدي أحمد الرفاعي:

"كلّ حقيقة ردّتها الشريعة فهي زندقة".

لذلك كان الحق من الحق سبحانه وتعالى، وكان الرسل مأمورون بالحقّ، والتحقق بالحقائق، أعلى مقام التوحيد، مجبولون على ذلك، لا اختيار لهم فيه. قال تعالى في حق موسى عليه السلام:

{وَقَالَ مُوسَىٰ يٰفِرْعَوْنُ إِني رَسُولٌ من رَّبِّ ٱلْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لاَّ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلاَّ ٱلْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَيِّنَةٍ من رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِيۤ إِسْرَائِيلَ * قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّادِقِينَ} ١٠٤-١٠٦ الأعراف

وقال تعالى في حق الحبيب عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم:

{وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِيۤ إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ} ٥٣ يونس

أمره بالقسم بربّه، ربّ الحضرة، حضرة الحقائق. قال ابن كثير:

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

" وهذه الآية ليس لها نظير في القرآن إلا آيتان أخريان يأمر الله تعالى رسوله أن يقسم به على من أنكر المعاد في سورة سبأ {وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لاَ ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ} وفي التغابن {زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ أَن لَّن يُبْعَثُواْ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ}".

وكان الرسول عليه الصلاة والسلام يكتفي أحيانا بالقسم كحجة على دعوته، لأنه يدعو إلى الحق، ويقسم وبالحق، ويخاطب حقيقة القلب وسرّه. قال الرازي:

" أن الناس طبقات فمنهم من لا يقر بالشيء إلا بالبرهان الحقيقي، ومنهم من لا ينتفع بالبرهان الحقيقي، بل ينتفع بالأشياء الإقناعية، نحو القسم فإن الأعرابي الذي جاء الرسول عليه السلام، وسأل عن نبوته ورسالته اكتفى في تحقيق تلك الدعوى بالقسم، فكذا ههنا."

وهذا الأمر جليّ لمن تابع السيرة النبويّة، ولاحظ كيفية دعوة الرسول للكفار، حيث حين يسألوه عن دعوته وعن ماهيتها، يكتفي بتلاوة القرآن فقط، ولم يكن يدخل في جدال كلامي، ولا خصام فكري، بل إنه في أغلب الأحيان لا يزيد عن قراءة كلام الله، الحق، لأنه يخاطب جوهر النفس البشرية التي حجبت بالشهوات والهوى والشيطان.

قال الإمام الغزالي:

"كان رسول الله قد بعث إلى كافة أهل الملل فلم يقعد معهم في مجلس مجادلة لإلزام وإفحام وتحقيق حجة، ودفع سؤال وإيراد إلزام، فما جادلهم إلا بتلاوة القرآن المنزل عليهم ولم يزد في المجادلة عليه، لأنّ ذلك يشوش القلوب ويستخرج منها الإشكالات والشبه ثم لا يقدر على محوها من قلوبهم".

فقراءته للقرآن أكبر مواجهة إيمانية للكفر والشرك، بكلمات الله، كلمات الحق. ما كان الرسول، ومن بعده الصحابة، يتكلمون كثيرا على الناس، وما كانوا يأتون بكلام خيالي ونظر فكري من عند أنفسهم. كان القرآن همّهم وحياتهم وفكرهم. يقول صاحب الإحياء:

"مات رسول الله عن عشرين ألفاً من الصحابة لم يحفظ القرآن منهم إلا ستة اختلف في اثنين منهم. وكان أكثرهم يحفظ السورة والسورتين. وكان الذي يحفظ البقرة والأنعام من علمائهم ، ولما جاء واحد ليتعلم القرآن فانتهى إلى قوله عز وجل {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً يَرَهُ} قال: يكفي هذا وانصرف. فقال : «انْصَرَفَ الرَّجُلُ وَهُوَ فَقِيهٌ»."

لقد كانت كلمات القرآن تخاطب مباشرة أرواحهم وعقولهم، بالحقائق القطعية. لم يكن هناك حجاب بينهم وبين كلمات الله، لا مسائل لغويّة، ولا مسائل كلامية فلسفية، بل كأنّ الله يخاطبهم مباشرة، ويكلّمهم تكليما. يقول أبو حامد:

"روي أنّ رجلاً لازم باب عمر رضي الله عنه فإذا هو بقائل يقول: يا هذا هاجرت إلى عمر أو إلى الله تعالى؟ اذهب فتعلم القرآن فإنه سيغنيك عن باب عمر، فذهب الرجل وغاب حتى افتقده عمر، فإذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة، فجاءه عمر

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

فقال له: إني قد اشتقت إليك فما الذي شغلك عني؟ فقال: إني قرأت القرآن فأغناني عن عمر وآل عمر، فقال عمر: رحمك الله فما الذي وجدت فيه، فقال وجدت فيه: {وفي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} فقلت: رزقي في السماء وأنا أطلبه في الأرض، فبكى عمر وقال: صدقت، فكان عمر بعد ذلك يأتيه ويجلس إليه".

ما كان الرسول ينطق عن الهوى، وكان أغلب اشتغال الصحابة بالقرآن. لأنهم تحققوا من الطاقة النورانية لكلمات الله، وفعلها في القلوب، وحصل لهم التحقق في ذلك، مثل امرأة العزيز التي قال عن لسانها القرآن:

{قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ ٱمْرَأَةُ ٱلْعَزِيزِ ٱلآنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ أَنَاْ رَاوَدْتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ ٱلصَّادِقِينَ} ٥١ يوسف

قال الرازي في تفسيره لهذه الآية:

"قال أهل اللغة: {حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ} معناه: وضح وانكشف وتمكن في القلوب والنفوس"

وقال القرطبي:

"وقال مجاهد وقتادة: وأصله مأخوذ من قولهم؛ حَصَّ شَعْره إذا استأصل قطعه؛ ومنه الحصَّة من الأرض إذا قطعت منها. والحِصْحِص بالكسر التراب والحجارة".

ولاحظ وجه الشبه بين كلمة حصحص وبين الحصى، ولا تنسى فعل إبراهيم عليه السلام، في رجمه للشيطان اللعين بالحصى، فجعلها منسكا من مناسك الحج إلى يومنا هذا، حيث رجم اللعين بالحصى عنوان حقيقة ضرب الباطل بالحق، كما قال تعالى:

{أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَداً رَّابِياً وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَاطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلأَمْثَالَ} ١٧ الرعد

وقال تعالى:

{وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ * لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْواً لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَاعِلِينَ * بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِ عَلَى ٱلْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ * وَلَهُ مَن فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلاَ يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِحُونَ ٱللَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لاَ يَفْتُرُونَ} ١٦-٢٠ الأنبياء

وللحق ثقل كبير، لا يستطيع العبد تحمّله لو لا رحمة الله به، فإذا شهدت الحق، فبه تشهده، وإلا لا طاقة لقلبك بتحمّله. فانظر إلى الملائكة كيف تغيب عن الوعي حين ينزّل الحقّ، رغم قدرتها التي أقدرها الله. قال تعالى:

"{قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ من دُونِ ٱللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي ٱلأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ من ظَهِيرٍ * وَلاَ تَنفَعُ ٱلشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} ٢٢-٢٣ سبأ"

وهذا تمييز ثالث عن جماعة الوهابية في تعريفنا للتحقق في التوحيد، حيث نرى أن التحقق في التوحيد هو تحقق به سبحانه وتعالى، وليس مجهود منك، لأن تركيبتك لا تتحمّل طاقة النور المنبعثة من الحقائق الربانية.

يقول محمّد بن علي الكتاني:

"حقائق الحق إذا تجلت لسرّ أزالت عنه الظنون والأماني، لأن الحق إذا استولى على سرّ قهره، ولا يبقى للغير معه أثر".

إن المواجهة بين الحق والباطل جعلت أكثر الناس للحق كارهون، لأنهم محجوبون عن الحق برؤيتهم لأنفسهم، أي بربوبيّتهم، وهذه الربوبية النفسية تخالف سرّ وحقيقة العبودية، لأنها نابعة من الهوى. قال تعالى:

{أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَّا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ * أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ * أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ * وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَن ذِكْرِهِم مُّعْرِضُونَ * أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجاً فَخَرَاجُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ * وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَإِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنَاكِبُونَ * وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم من ضُرٍّ لَّلَجُّوا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ}٦٨-٧٥ المؤمنون

فجعل الحق والتحقق مقابل للهوى وإتباعه. ومن هنا جاء الأمر الرباني بالتقوى والتحقق فيها لمغالبة الهوى. قال تعالى:

{يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ منَ النَّارِ فَأَنقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَينُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ}١٠٢-١٠٣ آل عمران

واختلف المفسرون في معنى: حق تقاته، فمنهم من اعتبرها منسوخة، ومنهم، وهو الأصوب، من جعلها محكمة، وفسروها بحق الجهاد مرّة وبالعبادة مرّة، فقال ابن كثير مثلا:

" عن عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ}: أن يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر، ويذكر فلا ينسى»، وكذا رواه الحاكم في مستدركه من حديث مسعر عن زبيد، عن مرة، عن ابن مسعود مرفوعاً، فذكره، ثم قال: صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، كذا قال، والأظهر أنه موقوف، والله أعلم."

وقال صاحب تفسير البحر المحيط:

" وقال الماتريدي: وفي حرف حفصة اعبدوا الله حق عبادته."

وقال القرطبي:

" وقال ٱبن عباس: هو ألاّ يُعصَى طَرْفة عَيْن."

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ومنهم من فسر "حق تقاته" بـ "حق جهاده". قال تعالى:

{يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَاعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ ٱجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدين مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلاَةَ وَآتُواْ ٱلزَّكَـاةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ} ٧٧-٧٨ الحج

والتبس الأمر على بعضهم، ولم يفرقوا بين حق التقوى وحق الجهاد، فساووا بين اللفظين، والأولى، حسب علمنا، جعل حق الجهاد فرعا من حق التقاة، التي هي الشاملة للجهاد وغيره. فيكون حق الجهاد هو تحقيق العبودية، بجهاد النفس الجهاد الأكبر، ويكون تحقيق التقاة، هو تحقيق الربوبية به، أي معرفة حقها وقدرها به.

وعلى هذا التقسيم، يكون عبادة الله بـ "ما استطعتم" سعي وجهد بشري قبل التحقق في التوحيد، اعتمادا على الاستطاعة، أي على الإكثار من العبادات والطاعات. وأمّا عبادة الله بـ "حق تقاته" تكون أيسر، وأقل مشقة، وهي عبادة التحقق في التوحيد، والكشف والمشاهدة، ويكفي فيها القلّة لا الكثرة، لأنها قلّة به سبحانه وتعالى. وأغلب أحوال الصحابة كانت من النوع الثاني، وقد مدحهم الله تعالى، وحقق لهم توحيدهم، في أكمل الصور، في سورة الفتح، حين قال:

{إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُواْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيماً * لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّؤْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً} ٢٦-٢٧ الفتح

فانظر إلى قوله تعالى: "ألزمهم" فكان الإلزام منه، وكان الإلتزام منهم، وجعلهم أحق الناس بكلمة التقوى، وجعلهم أهلها. وهذا فضل ليس بعده فضل.

وكلمة التقوى، اختلف المفسرون حولها، ولكنهم لم يجانبوا كثيرا حقيقتها، بل حاموا حولها، ومنهم من عرفها وذكرها. قال ابن كثير:

"وقال عطاء بن أبي رباح هي «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير»"

وكلمة التقوى أشمل من كلمة التوحيد، لذلك كانت عنوان النبيّ وصحابته، وبها تسمّوا وأصبحوا أهلها، ولم يقل الله عنهم أنهم أهل التوحيد، لأن التقوى تشمل التوحيد. وسنتكلّم سريعا عنها، فنقول:

هذه الكلمة تتكوّن من ثلاث مقاطع:

المقطع الأوّل: كلمة التوحيد وهي: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. وهي باب الإسلام.

ولها من الحقوق: حق اليقين. قال تعالى:

{إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ} ٩٥-٩٦ الواقعة

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وهو حق أول مراتب الإيمان. قال أبو حامد الغزالي:

"أول مقامات الدين اليقين الذي هو عبارة عن قوة الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر والجنة والنار، وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجاء للجنة والرجاء والخوف يقويان على الصبر، فإن الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها إلا بقوة الرجاء؛ والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها إلا بقوة الخوف. ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء إلى مقام المجاهدة والتجرّد لذكر الله تعالى والفكر فيه على الدوام، ويؤدي دوام الذكر إلى الإنس ودوام الفكر إلى كمال المعرفة، ويؤدي كمال المعرفة والأنس إلى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات، فهذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين، وليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء، ولا بعدهما مقام سوى الصبر، وبه المجاهدة والتجرّد لله ظاهراً وباطناً، ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق إلا الهداية والمعرفة، ولا مقام بعد المعرفة إلا المحبة والأنس، ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته وهو التوكل."

وهو حق آخر مراتب الإيمان، وثمرة التوحيد:

قال أحمد بن عاصم الأنطاكي:

"اليقين نور يجعله الله في قلب العبد، حتى يشاهد به أمور آخرته، ويخرق بقوّته كلّ حجاب بينه وبين ما في الآخرة، حتى يطالع تلك الأمور كالمشاهد لها".

وقال أبو الحسين الوراق:

"اليقين: ثمرة التوحيد، فمن صفا في التوحيد، صفا له اليقين".

وقال أبو يعقوب النهرجوري:

"اليقين: مشاهدة الإيمان بالغيب".

وقلنا أن اليقين أوّل مراتب الإيمان وآخره في نفس الوقت، لأن الإيمان دائرة، أول مراتبها يكون بعد اكتمال الدائرة آخر مراتبها. فالتوحيد في البداية نور يقذفه الله في القلب، وسرّ يشرح الله به الصدر، ولكنه في الأخير يكون ثمرة المعرفة الكشفية من الحضرة الربانية.

وأفردنا للتوحيد من الحقوق: حق اليقين، لأنه في الدنيا يكون هذا الحق علما ومعرفة كشفية وشهودا للحضرة الربانية. وهذا علم اليقين هو علم التوحيد. أما في الآخرة، فالدولة للحقائق، وليس ثمّة إلا عين الحقائق، فيكون حينذاك: عين اليقين. فتشاهد بالرؤية الحقيقية كل الحقائق مجسمة أمامك، مثل الصلاة والصيام وعملك، وحسناتك، وجميع الحقائق. ويكون الوزن يومئذ للحقائق، وليس للأوهام ولا للعبارات ولا للإشارات، فالكل يطيش، ولا يبق إلا الحق. قال تعالى:

{وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُواْ أَنْفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يظْلِمُونَ} ٨-٩ الأعراف

وقال الغزالي في الإحياء:

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

"عالم الملك والشهادة محاك لعالم الغيب والملكوت، فمن الناس من يسر له نظر الاعتبار فلا ينظر في شيء من عالم الملك إلا ويعبر به إلى عالم الملكوت فيسمى عبوره: عبرة، وقد أمر الحق به فقال: {فَاعْتَبِرُوا يا أُولي الأبْصار} ومنهم من عميت بصيرته فلم يعتبر، فاحتبس في عالم الملك والشهادة، وستنفتح إلى حبسه أبواب جهنم، وهذا الحبس مملوء ناراً من شأنها أن تطلع على الأفئدة، إلا أن بينه وبين إدراك ألمها حجاباً، فإذا رفع ذلك الحجاب بالموت أدرك، وعن هذا أظهر الله تعالى الحق على لسان قوم استنطقهم بالحق فقالوا: الجنة والنار مخلوقتان، ولكن الجحيم تدرك مرة بإدراك يسمى علم اليقين، ومرة بإدراك آخر يسمى عين اليقين، وعين اليقين لا يكون إلا في الآخرة، وعلم اليقين قد يكون في الدنيا ولكن للذين قد وفوا حظهم من نور اليقين، فلذلك قال الله تعالى: {كَلاَّ لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ اليَقِينَ لَتَروُنَّ الجَحِيمَ} أي في الدنيا {ثم لترونها عين اليقين} أي في الآخرة، فإذا قد ظهر أن القلب الصالح لملك الآخرة لا يكون إلا عزيزاً كالشخص الصالح لملك الدنيا"

المقطع الثاني: كلمة التعظيم، وهي: له الملك وله الحمد. وهي باب الإيمان.

ولها من الحقوق: حق قدره. قال تعالى:

{وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ من شَيْءٍ قُلْ مَنْ أنزَلَ ٱلْكِتَابَ ٱلَّذِي جَآءَ بِهِ مُوسَىٰ نُوراً وَهُدًى للنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيراً وَعُلِّمْتُمْ مَّا لَمْ تَعْلَمُواْ أَنتُمْ وَلاَ آبَاؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ} ٩١ الأنعام

وقال:

{يٰأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُواْ لَهُ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُواْ ذُبَاباً وَلَوِ ٱجْتَمَعُواْ لَهُ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْئاً لاَّ يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ * مَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ} ٧٣-٧٤ الحج

وقال:

{وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَٱلأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ وَٱلسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} ٦٧ الزمر

وارتبط حق اليقين بحق التعظيم في سورة الواقعة، حيث قال تعالى:

{إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ * فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ} ٩٥-٩٦ الواقعة

فيكون التوحيد، ثمّ التعظيم، على ترتيب الآية.

والتعظيم: بالإذعان لربوبيته، وإظهار العبودية المطلقة، وهو معنى (له الملك)، وكذلك بإظهار الفضل والمنة منه ودعاؤه، مصداق قولنا (وله الحمد). وهو في النهاية: عمل التوحيد.

وقد تحقق الرسول بهذا الحق، حق التعظيم لله، ورأى الناس حقيقة التعظيم رأي العين، حين تلا رسول الله آية الزمر. فقد ذكر ابن كثير:

"عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر {وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَٱلأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَـٰنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ} ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هكذا بيده يحركها يقبل بها ويدبر «يمجد الرب نفسه أنا الجبار أنا المتكبر أنا الملك أنا العزيز أنا الكريم» فرجف برسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر حتى قلنا ليخرنّ به وقد رواه مسلم والنسائي وابن ماجه من حديث عبد العزيز بن أبي حازم زاد مسلم ويعقوب بن عبد الرحمن كلاهما عن أبي حازم عن عبيد الله بن مقسم عن ابن عمر رضي الله عنهما به نحوه."

وقد كان الرسول حريصا على أن يتحقق أصحابه في التوحيد، وكان يمتحنهم في ذلك، ويحثهم على ذلك، مثل ما رواه ابن كثير، نقلا عن الطبراني، حيث قال:

"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفر من أصحابه رضي الله عنهم:

«إني قارىء عليكم آيات من آخر سورة الزمر فمن بكى منكم وجبت له الجنة»

فقرأها صلى الله عليه وسلم من عند {وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ}[الأنعام:٩١] إلى آخر السورة فمنا من بكى ومنا من لم يبك فقال الذين لم يبكوا يا رسول الله لقد جهدنا أن نبكي فلم نبك فقال صلى الله عليه وسلم:

«إني سأقرؤها عليكم فمن لم يبك فليتباك»هذا حديث غريب جداً، وأغرب منه ما رواه في المعجم الكبير أيضاً حدثنا هاشم بن مرثد حدثنا محمد بن إسماعيل بن عياش حدثني أبي حدثني ضمضم بن زرعة عن شريح بن عبيد عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى يقول ثلاث خلال غيبتهن عن عبادي لو رآهن رجل ما عمل سوءاً أبداً: لو كشفت غطائي فرآني حتى يستيقن ويعلم كيف أفعل بخلقي إذا أتيتهم وقبضت السماوات بيدي ثم قبضت الأرض والأرضين ثم قلت أنا الملك من ذا الذي له الملك دوني فأريهم الجنة وما أعددت لهم فيها من كل خير فيستيقنوها وأريهم النار وما أعددت لهم فيها من كل شر فيستيقنوها ولكن عمداً غيبت ذلك عنهم لأعلم كيف يعملون وقد بينته لهم» وهذا إسناد متقارب وهي نسخة تروى بها أحاديث جمة والله أعلم."

المقطع الثالث: كلمة التقديس، وهي: وهو على كلّ شيء قدير. وهي باب الإحسان.

ولها من الحقوق: حق جهاده. قال تعالى:

{يَٰأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَاعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَجَاهِدُوا فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ ٱجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَـٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلاَةَ وَآتُواْ ٱلزَّكَـاةَ وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلاَكُمْ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ} ٧٧-٧٨ الحج

وتقديس الله لا يتم إلا بجهاد النفس الجهاد الأكبر، حتى تقر وتذعن، أن القدرة بيد الله، وأنه على كلّ شيء قدير، ولا إرادة إلا إرادته، ولا مشيئة إلا مشيئته، وأن

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

النفس مفعول بها على الدوام، تتقاذفها الأقدار، لا سلطان لها، ولا حول ولا قوّة لها. وهذا هو حال التوحيد.

ألا ترى أن الآية أمرت بالجهاد حقّ جهاده بعد أن أمرت في البداية بالإيمان والركوع والسجود والعبادة وفعل الخير؟؟. فلا يكون الجهاد إلا جهاد النفس، والارتقاء بها في مدارج العرفان إلى الحضرة الربانية، إلى مقام العجز عن الإدراك.

والارتقاء في المراتب، والمقامات، يوجب تقلب النفس في الأحوال، حتى تصل إلى المشاهدة، فتصير الأحوال إليها. تقول العابدة الفاضلة أم الفضل الوهيطة في طبقات السلمي:

"لا يكون لصاحب حقيقة رجوع إلى الأحوال بعد التحقق، بل تكون الأحوال كلّها تبعا له".

والتقديس آخر عنقود التقوى المتكون من توحيد وتعظيم وتقديس. وهو ذروة التحقيق في التوحيد، وهو جواب الرسل يوم القيامة، بإظهار العجز التام الفردي، وإحالة العلم إلى الله، حيث قالوا: "سبحانك لا علم لنا" وذلك لما سئلوا: "ماذا أجبتم؟".

قال أبو بكر بن أبي سعدان

"من قابله بأفعاله، قابله بعدله، ومن قابله بإفلاسه، قابله بفضله، ولا عمل أتم من الصدق، ولا أنور ولا أبلغ منه، وقد قال الله عزّ وجلّ: " ليسأل الصادقين عن صدقهم" الأحزاب ٨. تراه يقوم بحقيقة صدقه؟ أو بالجواب عن سؤاله؟ والأنبياء عجزوا حيث سئلوا: "ماذا أجبتم؟ قالوا لا علم لنا" المائدة ١٠٩."

وعجز الأنبياء من تمام التوحيد الصدّيقي، المنسوب إلى أبي بكر الصدّيق، الذي قال عنه سيدي أحمد الرفاعي:

"كان الصديق الأكبر أبو بكر رضي الله عنه، يقول: الحمد لله الذي يجعل الوصل إليه إلا بالعجز، والعجز عن درك الإدراك إدراك."

وما غلط النصارى إلا في التقديس، حيث نسبوا له الابن، وقالوا بالتثليث، فما رعوا رهبانيّتهم حق رعايتها، وهم الذين ابتدعوها ابتغاء وجه الله تعالى.

ونلخص المسألة إذن، فنقول:

تحقيق التوحيد هو الإطلاع، به، كشفا ومشاهدة، على الحضرة الربانية.

وتحقيق التوحيد: إقامة مراسم العبودية بسرّ ونور الربوبية.

وتحقيق التوحيد: هو الإطلاع على أنه لا حقيقة إلا حقيقته سبحانه وتعالى. قال الإمام الغزالي:

"وصف الله تعالى نفسه بأنه المحيـــي والمميت، ثم فوّض الموت والحياة إلى ملكين، ففي الخبر «أنّ ملكي الموت والحياة تناظرا، فقال ملك الموت: أنا أميت الأحياء، وقال ملك الحياة، أنا أحيـــي الموتى، فأوحى الله تعالى إليهما: كونا على عملكما وما سخرتكما له من الصنع، وأنا المميت والمحيـــي لا يميت ولا يحيـــى سواي» ، فإذن الفعل يستعمل على وجوه مختلفة فلا تتناقض هذه المعاني إذا فهمت، ولذلك قال : الذي ناوله التمرة: «خُذْهَا لَوْ لَمْ تَأْتِها لأَتَتْكَ» ، أضاف الإتيان إليه وإلى

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

التمرة، ومعلوم أنّ التمرة لا تأتي على الوجه الذي يأتي الإنسان إليها» وكذلك لما قال التائب: أتوب إلى الله تعالى ولا أتوب إلى محمد، فقال : «عَرَفَ الحَقَّ لأَهْلِهِ»، فكل من أضاف الكل، إلى الله تعالى فهو المحقق الذي عرف الحق والحقيقة ومن أضافه إلى غيره فهو المتجوّز والمستعير في كلامه وللتجوّز وجه كما أنّ للحقيقة وجهاً، واسم الفاعل وضعه واضع اللغة للمخترع، ولكن ظن أنّ الإنسان مخترع بقدرته فسماه فاعلاً بحركته وظن أنه تحقيق، وتوهم أنّ نسبته إلى الله تعالى على سبيل المجاز مثل نسبة القتل إلى الأمير فإنه مجاز بالإضافة إلى نسبته إلى الجلاد فلما انكشف الحق لأهله عرفوا أن الأمر بالعكس وقالوا إن الفاعل قد وضعته أيها اللغوي للمخترع فلا فاعل إلا الله، فالاسم له بالحقيقة ولغيره بالمجاز. أي تتجوّز به عما وضعه اللغوي له، ولما جرى حقيقة المعنى على لسان بعض الأعراب قصداً أو اتفاقاً صدّقه رسول الله فقال: «أَصْدَقُ بَيْتٍ قَالَهُ الشَّاعِرَ قَوْلُ لَبِيدِ: «أَلا كُلُّ شَيْءٍ ما خَلا اللَّهَ بَاطِلُ» أي كل ما لا قوام له بنفسه ـــ وإنما قوامه بغيره ـــ فهو باعتبار نفسه باطل، وإنما حقيته وحقيقته بغيره لا بنفسه، فإذن لا حق بالحقيقة إلا الحي القيوم الذي ليس كمثله شيء، فإنه قائم بذاته وكل ما سواه قائم بقدرته، فهو الحق وما سواه باطل".

ثمّ يضيف:

"هذا هو الحق فصدّق به تقليداً، فيعز على بسيط الأرض من يعرف ذلك تحقيقاً".

هذا ما ظهر لنا في باب التحقق، أمّا كم مرتبة في تحقيق التوحيد؟؟ فالجواب يختلف حسب التفسير السابق، ويتطلّب ملاحظتين اثنتين:

أوّلهما: أن الله سبحانه وتعالى لم يطلب تحقيق التوحيد لكلّ شخص، حتى يقال عنه أنه مسلم. فهذا صعب التحقيق، والله سبحانه رحمان بخلقه، رحيم بعباده، قنع منهم بمجرّد الشهادة مع الاعتقاد الصادق بها، دون إلزامهم بالمراتب والمدارج العرفانية. يقول سيدي أحمد الرفاعي:

"يا هذا: إنما أفردت على ظاهر توحيدك مهادنة لك، ومسالمة لدخولك تحت قهر الدعوة. وبالمسالمة والتسليم، دون المنازعة، قنع منك بالطاعة والدعوة، لئلا ترجع على عقبك، وترتد بعد إسلامك. ولهذا سميت: مسلما، ولم يطلب منك حقيقة هذا، إذ لا طاقة لك به، والله "لا يكلّف نفسا إلا وسعها" ٢٨٦. البقرة. ولا يحملها فوق طاقتها. فما أفردت به من شهادة التوحيد: هو حظّك من الإسلام الّذي خرجت به عن جملة الجاحدين، وإن لم تثبت به في زمرة المؤمنين، فضلا أن تصل به رتبة العارفين، أو ترقى إلى ذروة المكاشفين: "قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا"١٤. الحجرات."

ثانيا: لا يستوي اثنان في التوحيد تحققا. هذه قاعدة يجب الاعتقاد فيها. لكلّ حظّه من الكشف والمعرفة، وذلك هو حظه وحصّته من التوحيد، بل ذلك هو توحيده. نعم، تكون الشهادة، العنصر المشترك بين المسلمين، ولكن الإيمان والإحسان، يفرقان

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

بين المسلمين، ويفاضلان بينهم، كلّ حسب إيمانه وعمله وجهاده لنفسه. يقول سيدي أحمد الرفاعي:

"لا تظن أن أحدا حصل من التوحيد على حقيقة مدركة، إنما ذلك توحيد ذلك الشخص، أعني حظّه من الكشف".

الآن: كم مرتبة في تحقيق التوحيد؟؟

نقول: كلام الإمام الرفاعي في الملاحظة الأولى، يثبت لنا ثلاثة مراتب في تحقيق التوحيد، حيث يقول: "وإن لم تثبت به في زمرة المؤمنين، فضلا أن تصل به رتبة العارفين، أو ترقى إلى ذروة المكاشفين".

فالمرتبة الأولى: مرتبة المؤمن، وهي مرتبة اليقين الأوّل، وهي مرتبة الشرح الصدري، ويتم التحقق في التوحيد خلال هذه المرتبة، بنور يقذفه الله في الصدر المنشرح، لمن أراد الله به خيرا، كما قال سبحانه وتعالى:

{أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ أُوْلَـٰئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ} ٢٢ الزمر.

وقد طلب موسى عليه السلام هذا الشرح، وقصد الشرح المتواصل، والموصل إلى المراتب العليّة، والمدارج السّنيّة، وهو شرح التأييد والتسديد والنصرة. قال تعالى:

{قَالَ رَبِّ ٱشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِيۤ أَمْرِي * وَٱحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي * يَفْقَهُواْ قَوْلِي * وَٱجْعَل لِّي وَزِيراً مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * ٱشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِيۤ أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيراً * وَنَذْكُرَكَ كَثِيراً * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيراً} ٢٥-٣٥.

أما رسول الله عليه أفضل الصلوات وأزكى التسليم، فقد شرح الله صدره، من غير طلب منه، عندما كان صغيرا، وهو مقام أرقى من مقام أخيه موسى. فقال الله في شأنه:

{أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ} ١ الشرح.

يقول القرطبي في شرح هذه الآية:

"وروى الضحاك عن ابن عباس قال: قالوا يا رسول الله، أينشرح الصدر؟ قال: «نعم وينفسح». قالوا: يا رسول الله، وهل لذلك علامة؟ قال: «نعم التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاعتداد للموت، قبل نزول الموت»".

والتحقق في هذه المرتبة بنور ويقين، يستوطن القلب والسرّ، تجد حلاوته طمأنينة وسكينة، لا تستطيع التعبير عنها. وهي مرتبة لم ولن تحصل بالجدل والفلسفة والمناظرة والابتداع. وهذا اليقين والنور، يسيطر على الخيال النفسي، ولا يترك له مجالا لتخيل الله سبحانه، فلا تعطيل ولا تشبيه، ولا خيال ولا صورة، ولا مشاهدة. إنما فراغ مطمئن. قال تعالى في حقّ أمّ موسى: {وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُم مُوسَىٰ فَارِغاً إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ} ١٠ القصص. فقرن الله تعالى الفراغ من السوى بالربط على القلب.

يقول سيدي أحمد الرفاعي:

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

"العزيز المقدّر واحد، أظهر القدرة على أشباح متفرقة وهياكل متباينة، وهو واحد في ذاته، غير متحيّز ولا منقسم ولا حال ولا متحد، ولكن تجلى لعباده بأفعاله وقدرته، وجعل إليه طرقا، والطرق أدلاء، والكلّ دليل آية مخصوصة، ولكل طريق باب مخصوص وحجاب مضروب. " وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب" ٥١. الشورى. وثمّ في الطرق حدودا مضروبة، وأعلام منصوبة، لا يمكن عبورها إلا بإذن. فمن كان مأذونا له في تجاوز الحد المضروب إلى ما وراء، فتح له الباب وأدخل، والدخول لا يكون إلا مع الشرح، والشرح سئل عنه رسول الله عليه الصلاة والسلام، فقال: "هو نور يقذفه الله في القلب" قيل يا رسول الله: ما علامته؟ فقال: "التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل حلول الموت". وبالشرح النوراني تنفتح أبواب القلوب، والرحمة باب من أبواب الله سبحانه يفتحها على القلب متى يشاء."

والمرتبة الثانية: مرتبة العارف، وهي مرتبة الكشف الرباني بالإلهام والرؤيا الصالحة الحق.

قال تعالى:

{لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّؤْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لاَ تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُواْ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحاً قَرِيباً} ٢٧ الفتح

فانظر كيف نسب الحق والتحقق إلى الرؤيا، وكذلك رؤيا يوسف "هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً" ومعلوم أن رؤيا الأنبياء حق وهي من الوحي، ورؤيا الصالحين جزء من النبوّة.

ومن هذه المرتبة، يكون الإلهام الصادق، والفهم الراجح، والإشارات اللطيفة.

وهي مرتبة، معارفها برزخيّة، أغلب وارداتها أمثال وإشارات تحتاج إلى التعبير والتأويل.

والتحقق في هذه المرتبة يكون برؤية الحق مناما، فتتحقق بالصورة التي يوريكها، وتعلم أنها المثال الّذي ارتضاه لك كي تتحقق به، في عالم المثال، عالم {لِّلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِٱلآخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوْءِ وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلأَعْلَىٰ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ}.

والصورة التي تراها لله ليست مخالفة للعقيدة، لأنها الصورة التي لم تتخيلها، بل هو الّذي تجلى لك فيها، فافهم واعتبر، ويوم القيامة، يتجلى ربنا في صورة غير الصورة التي نعرفها، فينكره أغلب الناس، ويقولون له: أنت لست ربّنا، وعندما يأتيهم في الصورة التي يعرفونها، يقبلون به، فيدلّ هذا الحدث على أن الناس تعبد الله على صورة الخيال النفسي، وقليل منهم من يعبده على الصورة المثالية التي يريها سبحانه لمن أراد به رشدا.

وكما أن له يد مثالية ورجل مثالية ووجه مثالي، له صورة مثالية، يضربها لمن يريد.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وقد تناقل العلماء روايات رؤية الله تعالى في المنام، منها رؤية الرسول لربّه تعالى (أتاني ربّي) ورؤية العلماء والمؤمنين الصادقين لربّهم في المنام، حتى أن علم تعبير الرؤيا أفرد بابا لتأويل رؤية الله تعالى في المنام، تروى عن ابن سيرين وجعفر الصادق.

واشتهر في القديم بعضهم برؤيتهم لربّهم عزّ وجلّ، من ذلك رؤيا أبي يزيد البسطامي:

"رأيت رب العزة تبارك وتعالى في المنام، فقلت :يا ربّ، كيف الطريق إليك؟ قال: اترك نفسك ثم تعالى".

ورؤيا أحمد بن خضرويه:

"رأيت رب العزة في منامي فقال لي: يا أحمد كل الناس يطلبون مني إلا أبا يزيد فإنه يطلبني".

وحكى أبو حامد الغزالي:

"حكي أن أبا العباس بن سريج رحمه الله تعالى رأى في مرض موته في منامه كأن القيامة قد قامت، وإذا الجبار سبحانه يقول: أين العلماء؟ قال: فجاؤوا، ثم قال: ماذا عملتم فيما علمتم؟ قال: فقلنا يا رب قصرنا وأسأنا: قال: فأعاد السؤال كأنه لم يرض بالجواب وأراد جواباً غيره، فقلت: أما أنا فليس في صحيفتي الشرك وقد وعدت أن تغفر ما دونه، فقال: اذهبوا به فقد غفرت لكم، ومات بعد ذلك بثلاث ليال."

ويروي سريج بن يونس:

"رأيت فيما يرى النائم كأن الناس وقوف بين يدي الله، وأنا في أول صف في آخره، ونحن ننظر إلى رب العزة تعالى، إذ قال: أي شيء تريدون أن أصنع بكم؟ فسكت الناس، قال: فقلت أنا في نفسي: ويحهم، قد أعطاهم كل ذا من نفسه وهم سكوت، فقنعت رأسي بملحفتي وأبرزت عينا، وجعلت أمشي وجزت الصف الأول بخطى، فقال: أي شيء تريد؟ فقلت: رحمان سر بسر، إن أردت أن تعذبنا فلم خلقتنا؟ قال: قد خلقتكم ولا أعذبكم أبدا، ثم غاب في السماء فذهب".

ونفس الرؤيا من رواية موسى بن هارون:

"بلغني أن سريج بن يونس رأى رب العزة تعالى في المنام، فأتيته فسألته، فأخبرنا أنه رأى فيما يرى النائم، كأن صفا من الناس، قال: وأنا على يمين الصف، فقال: أي شيء تريدون؟ فلم يجبه أحد، فقلت: ويحكم مالكم لا تتكلمون؟ ثم قنعت رأسي، ثم تقدمت وأنا أتمايل، أراه قال من الهول، فقلت: رحمان سر بسر، إذ خلقتنا فلا تعذبنا، قال: فاني لا أعذبكم، أو قال: قد غفرت لكم. ثم رأيت بعد ذلك في رمضان، كأنه قد نزل إلى الأرض، فقال رجل: اللهم اغفر لي، فقال شيئا معناه سننزل إلى الأرض فنغفر لواحد، قال سريج: فقلت بيدي هكذا، ولم أتكلم، وفي نفسي أن يغفر للمؤمنين، فقال: إني قد غفرت للمؤمنين".

والمرتبة الثالثة: مرتبة المكاشف، وهي مرتبة المشاهدة القلبية لله سبحانه وتعالى، يقظة ومناما، تثمر معارف صادرة عن حضرة الحق. والتحقق في هذه

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

المرتبة يكون بإدراك حقيقة العجز عن الإدراك، بإسقاط الأمثال والصور، وظهور الحقيقة الواحدة في السرّ. وهذه مرتبة الكمّل يتفاضل فيها الأنبياء والرسل والصدّيقين والعارفين الكاملين. قال تعالى على لسان الحواريين: {رَبَّنَآ آمَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّاهِدِينَ} ٥٣ آل عمران.

وأهل هذه المرتبة لا يغيب عنهم الحق لامتناع الحجاب عن قلوبهم وأسرارهم، وهذا هو معنى كلام جعفر الصادق حين قيل له:

"أخبرني عن الله تعالى هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال: نعم، وقد رأوه قبل يوم القيامة، فقلت: متى؟ قال: حين قال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ ثم سكت ساعة، ثم قال: وإن المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيامة، ألست تراه في وقتك هذا؟"

ودخل عليه(جعفر الصادق) رجل من الخوارج فقال له: يا أبا جعفر أي شيء تعبد؟ قال: الله تعالى، قال: رأيته؟ قال: لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يعرف بالقياس ولا يدرك بالحواس ولا يشبه بالناس، موصوف بالآيات، معروف بالعلامات لا يجوز في حكمه، ذلك الله، لا إله إلا هو، قال: فخرج الرجل وهو يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته.

وهذا هو الوصل الذي يتحدّث عنه الشبلي في قولته:

"الأرواح تلطفت، فتعلقت عند لذعات الحقيقة، فلم تر غير الحق معبودا يستحق العبادة، فأيقنت أن المحدث لا يدرك القديم بصفات معلولة. فإذ صفاه الحق أوصله إليه، فيكون الحق أوصله إليه، ولا وصل هو".

هذه المراتب الكبيرة، وبصفة تقريبية، وبأسلوب تعليمي، تتطلّب مع كلّ تحقيق للتوحيد، تعظيم وتقديس لله، موازيا لهذا التحقيق، كما بيّناه في كلمة التقوى، وحقوقها، لأنه لا يكفي معرفة الله تعالى، بالنور أو الكشف أو المشاهدة، وإنما ينبغي تعظيمه وتقديسه، وذلك بمعرفة قدره، وجهاد النفس، حتى تكتمل دائرة التقوى والإيمان.

وبالمناسبة، فإن حديث صاحب البطاقة، الذي هو:

"يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فينشر له تسعة وتسعون سجلا كل سجل منها مد البصر ثم يقال أتنكر من هذا شيئا ؟فيقول: لا يا رب فيقال ألك عذر أو حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول لا فيقال بلى إن لك عندنا حسنات وإنه لا ظلم عليك فيخرج له بطاقة فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا عبده ورسوله فيقول يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات فيقال إنك لا تظلم فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة"

هذا الحديث أشكل فهمه على المصنف، حيث ذكر الشارح في الباب الثاني:

"ملاحظة : المصنف اختار حديث أبي سعيد مع أن هناك حديث البطاقة أصرح منه وأقرب للموضوع، لكن هناك سبب لعدم ذكر حديث البطاقة وهو أنه مشكل على المصنف، ذكر ذلك في تاريخ نجد ص٤٣٩ لما سُئل عن حديث البطاقة

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

قال: ذكر الشيخ (يعنى ابن تيمية) أنه رزق عند الخاتمة قولها على ذلك الوجه والأعمال بالخواتيم مع أن علىّ بقية إشكال والله أعلم أهـ "

لو كان صاحب البطاقة قد رزق بالتوبة وكلمة التوحيد في آخر حياته، قبل الموت، لكفّرت له كلّ ذنوبه، ولقابل الله تعالى بلا ذنب، لأن التوبة تكفّر السيئات، وتمحوها محوا تامّا. أمّا وأنه قابل الله بالسجلات المملوءة بالسيئات، فهذا يعني أنه لم تتم له التوبة آخر حياته، وأن كلمة التوحيد كانت سابقة بكثير لزمن موته. ونحن نرى، والله أعلم، أن صاحب البطاقة، تحقق بالله تعالى، في المرتبة الثانية التي سبق ذكرها، وأنه رأى ربّه في رؤيا حق، وشهد أنه لا إله إلا الله، وكانت هذه الرؤيا فضلا من الله ومنّة منه، لا دخل لصاحب البطاقة فيها، لأنها لا تنال بجهد شخصي، فكانت بطاقة توحيديّة، سلكت به مسلك النجاة يوم القيامة، لأن **الله الّذي تجلى له في المنام أجلّ وأكرم من أن يعاقب وجها شهده، ولو في المنام**.

وقد يكون صاحب البطاقة من أهل المرتبة الأولى الّذين قذف الله في قلوبهم النور، ثم ربط على قلبه، فلم يدخل الشرك والشك قلبه، رغم أعماله السوداء، فغفر له ببطاقة التوحيد الخالصة من الشوائب، المحفوظة بالله تعالى.

وذكرنا للمراتب الثلاثة، من باب التسهيل على القارئ، حتى يفهم بعض أسرار التحقق في التوحيد، وإلا فإن حقيقة التراتبيّة بين الأنبياء وسائر المؤمنين، لا يعقلها عقل، ولا يقبلها فكر، وإليك صورة تقريبية عنها، كشفها الوليّ سيدي أحمد الرفاعي:

"عالم النبوّة: العالم الأكبر، الجامع لجميع العوالم والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، خلفاء الله في الأرض على الحقيقة، وأصحاب الهمم السماويّة، والقلوب العرشية، والأسرار الربانية، والانخلاع عن الأغيار بالكلّيّة. قادات الخلق إلى الحق. بين مراتبهم البدائيّة ومراتب الصدّيقين النهائيّة، ثلاثمائة ألف وثمانية وستون ألف مرتبة، ليس للصديقين على مراتبهم من سبيل. وبين مراتب النبيين وسيّد المخلوقين صلى الله عليه وسلّم، مراتب ودرجات، في مرتبة محبوبيّته مراتب لا تعد ولا تحد، ولا تمرّ آونة إلا وله عليه الصلاة والسلام مرتبة ترفع، ودرجة تنصب، ومقام يدنو من الله، لا تحيط به الأسرار، ولا تدرك كيفيته الأوهام والأفكار، تتميما للنعمة، وتكميلا لشرف المحبّة. وبين مراتب الصديقين البدائية، ومراتب الأولياء المقربين النهائيّة، ألف ومائة واثنان وخمسون مرتبة، فتح السبيل إليها وإلى الأولياء، ولكن لا يصلون إلى مراتبهم النهاية أبدا. وأن للقطبيّة الجامعة: ثمانية وثمانين ألفا وستة عشر مرتبة، كل مرتبة متوجهة إلى عالم من العوالم. وكلّ مراتب أولياء العصر بالنسبة إلى مرتبة القطب الجامع واقفة في الأرض، ورتبته متسنمة أبواب السماوات. وبين مراتب الأولياء البدائيّة، ومراتب صلحاء الأمّة الّذين لم يحسبوا في أعداد الأولياء، كما بين السماء والأرض. وبين مراتب الصلحاء، وعامّة الأمّة الأحمّديّة، مرتبتان: التوبة والعمل الصالح."

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

فافهم، يا أخي هذا الكلام، واعتبر بهذا الكشف، وتذكر بضاعة ابن عبد الوهاب، وتلامذته، ولك الحرّية في الاختيار، بين الغثّ والسمين.

مسألة تكثير السواد في فكر ابن عبد الوهاب

الباب الثالث كتاب التوحيد

النص الأوّل:
قال الشارح: علي بن خضير الخضير:
" وقال تعالى:(إن إبراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين)
هذه الآية استخرج عليها المصنف مسألة واحدة وهي المسألة الثالثة قال: ثناؤه سبحانه على إبراهيم بكونه لم يك من المشركين. واقتصار المصنف على قوله (لم يك

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

من المشركين) يدل أن المصنف لم يرد الآية كلها وإنما أراد آخرها وهو نفي كونه من المشركين، وقد ذكر الشراح الثلاثة ونقلوا شرح المصنف لهذه الآية (الشيخ سليمان ص٧٨ ومثله عبد الرحمن في الفتح ص٥٩ وحمد ص١٨) في قوله (ولم يك من المشركين) قال المصنف خلافا لمن كثر سوادهم وزعم أنه من المسلمين أهـ وقال في تفسير سورة يونس في قوله (ولا تكونن من المشركين) قال: فلا بد أن يتبرأ من المشركين فلا يكثر سوادهم أهـ تاريخ نجد ص ٥٤٢ ."

الملخص:

يرى الشارح أن المصنف أراد من الآية الجزء الذي نفى الشرك عن إبراهيم عليه السلام.

ويفهم المصنف والشراح أن معنى لم يك من المشركين: نفي تكثير سوادهم والتبرؤ منهم.

النص الثاني:

قال الشارح: علي بن خضير الخضير:

"وتفسير المصنف يشعر بأنه لم يرد كل النفي بقوله تعالى (ولم يك من المشركين) وإنما نفى تكثير سوادهم ويقصد به مجالستهم ومخالطتهم مخالطة أنس وصداقة والسكنى معهم كذلك وعدم هجرهم والإقامة بين ظهرانيهم وهذا هو المقصود بمسألة تكثير السواد وهذا هو الذي أراده المصنف في هذا الباب بالذات، وإلا آية (لم يك من المشركين) لها معاني أخرى فليس منهم لا في الاعتقاد ولا في العمل ولا بما في القلب لكن هذه المعاني وإن كانت صحيحة فليست مقصودة في باب تحقيق التوحيد فليست هذه من باب التحقيق بل من باب أصل التوحيد وهي مسألة البراءة من المشركين ومعاداتهم وبغضهم وتكفيرهم واعتقاد بطلانهم وهذا أصل من أصول التوحيد، وليس من أصول تحقيق التوحيد."

الملخص:

يرى الشارح أن مقصود المصنف من الآية ومن الباب كلّه، هو نفي تكثير سواد المشركين.

معنى تكثير سواد المشركين: مجالستهم وصداقتهم والإقامة بين أظهرهم، وعدم هجرانهم.

يرى الشارح أن الآية لها عدّة معان، ولكن المصنف أراد هذا المعنى فقط للدلالة على تحقيق التوحيد.

النص الثالث:

قال الشارح: علي بن خضير الخضير:

" وهذه الآية تصور مرتبة من مراتب تحقيق التوحيد ومن حققها فقد حقق مرتبة من مراتب التوحيد وهى مرتبة في باب البراءة وهى شعبة من شعب تحقيق

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

المعاداة والتبرؤ من المشركين وطبيعة هذه المرتبة هجر المشركين والابتعاد عنهم وعدم مساكنتهم ومخالطتهم ويُقصد سكنى الأنس والصداقة.

وكذا الإقامة بين أظهرهم إقامة أنس ومداهنة فمن فعل ذلك فقد نقص تحقيقه للتوحيد ومن لم يفعل ذلك فهو محقق للتوحيد في باب مسألة السواد. ويدل على هذه المرتبة قوله تعالى (إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيما كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض)...إلى قوله (قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها). وقوله (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة...الآية) ومن الأحاديث حديث (أنا بريء ممن جامع المشركين أو ساكنهم) في السنن."

الملخص:

يرى الشارح أن معنى الآية، المقصود من المصنف، وهو البراءة من المشركين وعدم تكثير سوادهم، يحقق مرتبة من مراتب تحقيق التوحيد.

التعليق:

من عادة المصنّف، كما في أبواب الكتاب، اختيار الآيات والأحاديث بناء على فهم سرّي للقرآن. وفهمه السّرّي لا يعدو أن يكون أفكارا مسبّقة عن العقيدة، يريد من خلال اختياراته القرآنية، إثباتها، والتدليل على صحّتها، ثمّ نسبتها إلى الإجماع والسلف.

ولم يخرج المصنف عن هذه العادة في هذا الفصل. حيث ثبت في ذهنه مسألة تكثير سواد المشركين، ثمّ راح يطلب عليها دليلا من الكتاب الكريم، لإقناعنا بخيالاته. وإلا فما معنى أن يختار المصنّف ما يريده من الآيات، ثمّ يركّز على الجزء الّذي يريده، ثمّ يختار من بين التفاسير والتأويلات، المقصد الّذي يرمي إليه، دون أن نعرف من كلامه، أي فهم قصده، إلا بالاجتهاد؟؟؟ فهل هذا علم دين أم طلسم سحر؟؟؟.

ولنبدأ بالآية الكريمة، التي بنى المصنّف، على جزء منها، مسألة تكثير السواد، ولننظر هل وافق المفسرين أم لا.

قال الله تعالى:

{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * شَاكِراً لأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي ٱلآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ} ١٢٠-١٢٣ النحل.

وقد قصدنا ذكر الآية في سياقها القرآني، حتى نعرف مقاصد الشريعة من المسألة المطروحة للبحث، وسيكتشف القارئ معنا، زيف الفكر الوهابي وخيالاته. ونبدأ بتفسير الجزء الّذي بنى عليه المصنف قضيته، وهو: (ولم يك من المشركين).

يعتبر ابن كثير، إمام ابن عبد الوهاب في التفسير، أن هذا الجزء من الآية، تفسير لمعنى الحنفية. فيقول:

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

"يمدح تبارك وتعالى عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء ووالد الأنبياء، ويبرئه من المشركين ومن اليهودية والنصرانية، فقال: {إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَٰنِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا} فأما الأمة: فهو الإمام الذي يقتدى به، والقانت: هو الخاشع المطيع، والحنيف: المنحرف قصداً عن الشرك إلى التوحيد، ولهذا قال: {وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ}"

فقوله {وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ} معناها: أنه كان حنيفا، في عقيدته، منحرفا عن الشرك، مائلا عنه، إلى التوحيد. فأين هذا التفسير، من قضية تكثير سواد المشركين؟؟؟.

أمّا القرطبي، فإنه لم يفسّر المقطع المعني بالأمر إطلاقا، ولكنه، كما سنرى فسّر المقطع الآخر من الآية ١٢٣، وهو: "مَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ".

فلو كان المقطع الذي ذكره ابن عبد الوهاب، يعني هذه المسألة الهامّة: تكثير سواد المشركين، لما أهمل القرطبي ذكره، ولأفرد له ما يستحق من التفسير.

وفي البحر المحيط، جرى صاحبه مجرى التفاسير السابقة، بأن مرّ على المقطع، مرور الكرام، حيث قال:

"لما أبطل تعالى مذاهب المشركين في هذه السورة من إثبات الشركاء لله، والطعن في نبوّة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتحليل ما حرّم، وتحريم ما أحل، وكانوا مفتخرين بجدهم إبراهيم عليه السلام مقرين بحسن طريقته ووجوب الاقتداء به، ذكره في آخر السورة وأوضح منهاجه، وما كان عليه من توحيد الله تعالى ورفض الأصنام، ليكون ذلك حاملاً لهم على الاقتداء به. وأيضاً فلما جرى ذكر اليهوديين طريقة إبراهيم ليظهر الفرق بين حاله وحالهم، وحال قريش".

فأين قضيّة تكثير السواد التي تغنى بها ابن عبد الوهاب في هذا الفصل؟؟.

وفي تفسير أبو السعود، ننقل منه ما يلي:

"{إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً} على حياله لحيازته من الفضائل البشريةِ ما لا تكاد توجد إلا متفرّقةً في أمة جمّةً حسبما قيل:

ليس على الله بمستَنْكَر أن يجمع العالَمَ في واحدِ

وهو رئيسُ أهل التوحيد وقدوةُ أصحابِ التحقيق جادل أهلَ الشرك وألقمهم الحجرَ ببينات باهرةٍ لا تُبقي ولا تذر، وأبطل مذاهبَهم الزائفة بالبراهين القاطعة والحُجج الدامغة، أو لأنه عليه السلام كان مؤمناً وحده والناسُ كلُّهم كفارٌ. وقيل: هي فُعْلة بمعنى مفعول كالرُّحلة والنُّخبة، من أمّه إذا قصده أو اقتدىٰ به فإن الناسَ كانوا يقصِدونه ويقتدون بسيرته لقوله تعالى: {إِنِّى جَٰعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا} وإيرادُ ذكره عليه السلام عَقيبَ تزييفِ مذاهبِ المشركين من الشرك والطعن في النبوة وتحريم ما أحله الله تعالى للإيذان بأن حقّية دين الإسلام وبطلانَ الشرك وفروعِه أمرٌ ثابت لا ريب فيه {قَٰنِتًا لِلَّهِ} مطيعاً له قائماً بأمره {حَنِيفاً} مائلاً عن كل دينٍ باطل إلى الدين الحقِّ غيرَ زائلٍ عنه بحال {وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ} في أمر من أمور دينهم أصلاً وفرعاً صرح بذلك مع ظهوره لا رداً على كفار قريشٍ فقط في قولهم: نحن على ملة أبينا إبراهيمَ بل عليهم وعلى اليهود المشركين بقولهم: {عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ} في افترائهم وادعائهم أنه عليه

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الصلاة والسلام كان على ما هم عليه كقوله سبحانه: {مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيّا وَلَا نَصْرَانِيّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ} إذ به ينتظم أمر إيراد التحريم والسبت سابقاً ولاحقاً".

ونفس السؤال نوجهه إلى ابن عبد الوهاب: أين قضيّة تكثير سواد المشركين، التي يتحدّث بها، وجعلها أصلا من أصول التوحيد، ومرتبة من مراتب التحقيق في التوجيد؟؟؟.

وأمّا الزمخشري في الكشاف، فقد ذكر في تفسير المقطع:

"ونفى عنه الشرك تكذيباً لكفار قريش في زعمهم أنهم على ملة أبيهم إبراهيم"

ونختم بالرازي، الذي ذكر في تفسيره ما يلي:

" قوله: {وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ} معناه: أنه كان من الموحدين في الصغر والكبر والذي يقرر كونه كذلك أن أكثر همته عليه السلام كان في تقرير علم الأصول فذكر دليل إثبات الصانع مع ملك زمانه وهو قوله: {رَبّيَ ٱلَّذِى يُحْىِ وَيُمِيتُ} (البقرة: ٢٥٨) ثم أبطل عبادة الأصنام والكواكب بقوله: {لا أُحِبُّ ٱلاٰفِلِينَ} (الأنعام: ٧٦) ثم كسر تلك الأصنام حتى آل الأمر إلى أن ألقوه في النار، ثم طلب من الله أن يريه كيفية إحياء الموتى ليحصل له مزيد الطمأنينة، ومن وقف على علم القرآن علم أن إبراهيم عليه السلام كان غارقاً في بحر التوحيد".

فهذا تفسير ستة من أئمّة التفسير، من مختلف المذاهب التفسيرية، لم يذكر أيّ واحد منهم، مسألة تكثير سواد المشركين، وأنها مرتبة من مراتب التحقق في التوحيد، وأنها شرط من شروط العقيدة الصحيحة.

والسبب في عدم ذكر الأئمة هذه المسألة، أنهم لم يرووا عن السلف الصالح، ما يفيد هذا المعنى، ولم يحمّلوا هذا المقطع، تلك القضيّة. فلا ابن عباس، ولا مجاهد، ولا قتادة، ولا طاووس، ولا مسروق، ولا سعيد، ولا ابن عطية، ولا ابن العربي، ولا القاضي عياض، ولا أيّ واحد من السلف والخلف قال بهذا التفسير، ولا أحد من الأئمّة والعلماء، حمّل هذا المقطع: "وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ" مسألة تكثير سواد المشركين. فمن أين جاءت هذه الفكرة إلى ابن عبد الوهاب؟؟؟ لا بدّ أنها وهم وخيال من عنده، أحبّ أن يقنعنا بها، ويدلّل عليها من القرآن. وكأن التوحيد بحاجة إلى هذا الشرط الجديد، وكأن تحقيقه لا يتم إلا بهذه المسألة.

إن التوحيد الذي تكون مرتبة من مراتبه: هذا الإفك والوهم والخيال، المسمى: تكثير سواد المشركين، هو توحيد وهابي لا علاقة له بأمّة الإسلام. هو بدعة خارجة عن الصراط المستقيم، لم يقل بها، لا الرسول عليه الصلاة والسلام، ولا السلف من بعده رضوان الله عليهم أجمعين.

وأنت تتتبع ابن عبد الوهاب في فكره وكلماته، تصيبك الدهشة من اختياراته، وأسبابها. فليس هناك أي منطق فكري، ولا أي تبرير عقلاني موضوعي. ولك مثل واضح وضوح الشمس في يوم صيف حار، نسوقه إليك من تفسير الرازي للآية الكريمة من سورة النحل. يقول الرازي بتصرّف:

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

" واعلم أنه تعالى وصف إبراهيم عليه السلام بصفات:
الصفة الأول: أنه كان أمة....
الصفة الثانية: كونه قانتاً لله.....
الصفة الثالثة: كونه حنيفاً.....
الصفة الرابعة: قوله: {وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ}
الصفة الخامسة: قوله: {شَاكِراً لأنْعُمِهِ}.....
الصفة السادسة: قوله: {ٱجْتَبَـٰهُ} أي اصطفاه للنبوة.....
الصفة السابعة: قوله: {وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ}.....
الصفة الثامنة: قوله: {وَءاتَيْنَـٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً}.....
الصفة التاسعة: قوله: {وَإِنَّهُ فِى ٱلاٰخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ}."

فبالله عليك أيّها القارئ، انظر كيف، من جملة تسعة صفات وصف الله بها إبراهيم، اختار ابن عبد الوهاب صفة واحدة وهي المتعلقة بالشرك. لماذا؟؟ لماذا هذا الإصرار على ذكر الشرك في كل موقع، بمناسبة، وبغير مناسبة؟؟؟ لماذا هذا الهذيان بالشرك؟؟؟ لأنّ ابن عبد الوهاب يعتقد: عقيدة صادقة صريحة قبل القرآن والحديث، أن المسلمين كلّهم مشركون في زمانه، وأنه عليه مسؤولية إنقاذ الإسلام من الشرك. وأنه عليه أن يدلل بالقرآن على عقيدته، ثمّ يبحث في القرآن عن كلّ دليل، يؤيّد دعواه إلى التوحيد الخاصّ بفهمه، توحيد له شروط خاصّة ومراتب خاصّة، لم يقل بها الرسول ولا الصحابة ولا التابعين ولا تابع التابعين. ثمّ يقول لك: هذا منهج السلف الصالح؟؟؟.

لننتقل إلى تفسير بقية آيات النحل، والمقصود الآية ١٢٣ من النحل التي تتضمّن مقطعا شبيها بالمقطع الأوّل. قال تعالى:

{ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ}.

قال القرطبي في تفسيره:

" قال ابن عمر: أمِر بإتباعه في مناسك الحج كما علّم إبراهيمَ جبريل عليهما السلام.

وقال الطبري: أمِر بٱتباعه في التبرؤ من الأوثان والتزين بالإسلام.

وقيل: أمِر باتباعه في جميع ملته إلا ما أمر بتركه؛ قاله بعض أصحاب الشافعي على ما حكاه الماوردي. والصحيح الإتباع في عقائد الشرع دون الفروع؛ لقوله تعالى: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً} (المائدة: ٤٨)."

وقال صاحب البحر المحيط:

" وإتباع ملته. قال قتادة: في الإسلام، وعنه أيضاً: جميع ملته إلا ما أمر بتركه.

وعن عمرو بن العاص: مناسك الحج.

وقال القرطبي: الصحيح عقائد الشرع دون الفروع لقوله: {لِكُلّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَـٰجاً}

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وقيل: في التبري من الأوثان.

وقال قوم كان على شريعة إبراهيم، وليس له شرع ينفرد به، وإنما المقصود من بعثته إحياء شرع إبراهيم عليه السلام.

قال أبو عبد الله الرازي: وهذا القول ضعيف، لأنه وصف إبراهيم في هذه الآية بأنه ما كان من المشركين، فلما قال: اتبع ملة إبراهيم، كان المراد ذلك.

فإن قيل: النبي صلى الله عليه وسلم إنما نفى الشرك وأثبت التوحيد بناء على الدلائل القطعية، وإذا كان كذلك لم يكن متابعاً له، فيمتنع حمل قوله: أن اتبع، على هذا المعنى، فوجب حمله على الشرائع التي يصح حصول المتابعة فيها.

(قلت): يحتمل أن يكون المراد متابعته في كيفية الدعوة إلى التوحيد، وهي أن يدعو إليه بطريق الرفق والسهولة، وإيراد الدلائل مرة بعد أخرى بأنواع كثيرة على ما هو الطريقة المألوفة في القرآن. انتهى.

ولا يحتاج إلى هذا، لأنّ المعتقد الذي تقتضيه دلائل العقول لا يمتنع أنْ يوحي لتظافر المعقول والمنقول على اعتقاده. ألا ترى إلى قوله تعالى: {قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ} فليس اعتقاد الوحدانية بمجرد الوحي فقط، وإنما تظافر المنقول عن الله في ذلك مع دليل العقل. وكذلك هنا أخبر تعالى أنّ إبراهيم لم يكن مشركاً، وأمر الرسول بإتباعه في ذلك، وإن كان انتفاء الشرك ليس مستنده مجرد الوحي، بل الدليل العقلي والدليل الشرعي تظافراً على ذلك".

وقال الرازي في تفسيره:

" واعلم أنه تعالى لما وصف إبراهيم عليه السلام بهذه الصفات العالية الشريفة قال: {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا} وفيه مباحث:

البحث الأول: قال قوم: إن النبـي صلى الله عليه وسلم كان على شريعة إبراهيم عليه السلام، وليس له شرع هو به منفرد، بل المقصود من بعثته عليه السلام إحياء شرع إبراهيم عليه السلام وعول في إثبات مذهبه على هذه الآية وهذا القول ضعيف، لأنه تعالى وصف إبراهيم عليه السلام في هذه الآية بأنه ما كان من المشركين، فلما قال: {ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ} كان المراد ذلك.

فإن قيل: النبـي صلى الله عليه وسلم إنما نفى الشرك وأثبت التوحيد بناء على الدلائل القطعية وإذا كان كذلك لم يكن متابعاً له فيمتنع حمل قوله: {إِنْ أَتَّبِعُ} على هذا المعنى فوجب حمله على الشرائع التي يصح حصول المتابعة فيها.

قلنا: يحتمل أن يكون المراد الأمر بمتابعته في كيفية الدعوة إلى التوحيد وهو أن يدعو إليه بطريق الرفق والسهولة وإيراد الدلائل مرة بعد أخرى بأنواع كثيرة على ما هو الطريقة المألوفة في القرآن."

فتمعّن يا أخي في هذه التفاسير، واقرأها جيّدا، وقل لي بربّك: هل هناك ما يستدعي ذكر مسألة تكثير سواد المشركين؟؟. هل هذه القضية مطروحة في هذه المقاطع من الآيات؟؟؟.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وحتى نعطي ابن عبد الوهاب كلّ الفرص المتاحة أمامه لتبرير مقاصده، فإننا تتبعنا هذا المقطع: "وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ" في القرآن فوجدناه قد ذكر خمس مرات، ومرات أخرى بصيغ متقاربة، وهي:

{وَقَالُواْ كُونُواْ هُوداً أَوْ نَصَارَىٰ تَهْتَدُواْ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ} ١٣٥ البقرة.

{مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ} ٦٧ آل عمران.

{قُلْ صَدَقَ ٱللَّهُ فَٱتَّبِعُواْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ} ٩٥ آل عمران.

{إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ حَنِيفاً وَمَآ أَنَاْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ } ٧٩ الأنعام.

{قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّيۤ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِيناً قِيَماً مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ} ١٦١الأنعام.

{إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * شَاكِراً لأَنْعُمِهِ ٱجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * وَآتَيْنَاهُ فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي ٱلآخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّالِحِينَ * ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ} ١٢٠-١٢٣ النحل.

{قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيّاً فَاطِرِ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلاَ يُطْعَمُ قُلْ إِنِّيۤ أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ} ١٤ الأنعام.

{وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰۤ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} ١٢١ الأنعام.

{وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ} ١٠٥ يونس.

{وَكَأَيِّن مِّن آيَةٍ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ * وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِٱللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُّشْرِكُونَ * أَفَأَمِنُوۤاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ * قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَىٰ ٱللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَاْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ} ١٠٥-١٠٨ يوسف.

{ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلأَنْعَامُ إِلاَّ مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱجْتَنِبُواْ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلأَوْثَانِ وَٱجْتَنِبُواْ قَوْلَ ٱلزُّورِ * حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ ٱلريحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} ٣٠-٣١ الحج.

{إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْآنَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّيۤ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ * وَمَا كُنتَ تَرْجُوۤ أَن يُلْقَىٰۤ إِلَيْكَ ٱلْكِتَابُ إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ ظَهِيراً لِّلْكَافِرِينَ * وَلاَ يَصُدُّنَّكَ عَنْ آيَاتِ ٱللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * وَلاَ تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهاً آخَرَ لاَ إِلَـٰهَ إِلاَّ هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} ٨٥-٨٨ القصص.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

{مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} ٣١-٣٢ الروم.

وإذا ما تتبعنا تفسير هذه الآيات، وسياقاتها القرآنية، علمنا أن استثناء إبراهيم من المشركين، هو استثناء معرفي عقائدي، باعتبار مرتبة التحقق في التوحيد التي بلغها أبو الأنبياء. فهو عليه السلام، بلغ مرتبة في التوحيد والتعظيم والتقديس لله، جعلته، موحدا لله كأنه يراه، كأنه يشاهده، لو رآه لما تبدّل توحيده، ولو رآه لما أنكر من اعتقاده شيئا. النبي إبراهيم، تحقق في التوحيد، وبلغ أعلى مراتب التقديس، بجهاده لنفسه، ونجاحه في كلمات الابتلاء، فجرّد توحيده من الشرك، ولم يعد ينسب إلى المشركين نسبة معرفية أبدا، لأنه تمايز عنهم جملة وتفصيلا، وإذا كان الناس، عامّة الناس، لا يؤمنون بالله، إلا وهم مشركون به معرفيا، نظرا لتباعد درجة التحقق عنهم، ونظرا للشوائب الشركية التي ما انفكت عنها قلوبهم، ونظرا لتفاضلهم في حب الدنيا والهوى والنفس، والأهل والزوجة، وكلّها مظاهر شركية أمام التوحيد الصحيح "وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِٱللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُّشْرِكُونَ"، إذا كان الناس هكذا توحيدهم، مخلوط غير خالص، فإن أبانا إبراهيم، تحقق في توحيده، وخرج عن العامّة الذين أشركوا رغم إيمانهم: {إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضَ حَنِيفاً وَمَآ أَنَاْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ} ٧٩ الأنعام.

بل إن تفرّده هذا في التوحيد، جعله أمّة وحده، متميّزا عن الناس، وأمر الله تعالى نبيّه وحبيبه محمّد باتباعه، والتميّز عن المشركين: {وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً وَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ} ١٠٥ يونس.

كما أمرنا نحن بإتباع نهجه القويم في تحقيق التوحيد وتجريده عن كل شرك معرفي، لأن الشرك في هذه المرتبة ليس بشرك جليّ يخرج من الإسلام، بل هو شرك خفيّ نفساني خيالي معرفي، يمنع الكشف والمشاهدة، أي يمنع التحقق في التوحيد:

{مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ} ٣١-٣٢ الروم.

والدليل على أن التميّز عن المشركين هو من التحقق في التوحيد، ما قاله تعالى:

{إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُّشْفِقُونَ * وَٱلَّذِينَ هُم بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ * وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ آتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ} ٥٧-٦٠ المؤمنون.

فقد جعل الله عدم الانتماء للشرك خصلة من خصال الإيمان، وصفة من صفاتهم، كما صفة إبراهيم ومحمّد، ولا يعني الشرك هنا عبادة الأصنام، لأنهم تجاوزوا هذه المرحلة، حتى وصلوا إلى مرحلة الخشية والإشفاق، ورؤية الآيات والإيمان بها، أي الكشف الرباني لآياته، وانعدام الشرك، بمعنى التوحيد على المشاهدة، لا على الخيال والوهم والفكر والجدل.

قال صاحب البحر المحيط:

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

"وقيل: ليس المراد منه الإيمان بالتوحيد ونفي الشرك لله لأن ذلك داخل في قوله {وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ} المراد نفي الشرك للحق وهو أن يخلصوا في العبادة لا يقدم عليها إلا لوجه الله وطلب رضوانه.

وقال أبو عبد الله الرازي: ترتيب هذه الصفات في نهاية الحسن، لأن الأولى دلت على حصول الخوف الشديد الموجب للاحتراز، والثانية على تحصيل الإيمان بالله، والثالثة على ترك الرياء في الطاعة، والرابعة على أن المستجمع لهذه الصفات الثلاثة يأتي بالطاعات مع خوف من التقصير وهو نهاية مقامات الصديقين انتهى".

وقال الرازي في تفسيره:

"قوله: {وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمْ لاَ يُشْرِكُونَ} وليس المراد منه الإيمان بالتوحيد ونفي الشريك لله تعالى لأن ذلك داخل في قوله: {وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ} بل المراد منه نفي الشرك الخفي، وهو أن يكون مخلصاً في العبادة لا يقدم عليها إلا لوجه الله تعالى وطلب رضوانه والله أعلم."

وقد جعل المصنف هذه الآية مرتبة من مراتب التوحيد، ونحن لا ننكر أنها كذلك، ولكننا لا ننطلق من نفس المنطلق. فالشارح الخضير، احتار في فهم معنى الشرك المشار إليه في الآية ومقصد المصنف منه، وناقش في ذلك الشراح في نظريّتهم، حيث قال:

"ولكن في النفس شئ من الكلام السابق خصوصا ما صرح به الحفيدان من أن المقصود من التحقيق هنا ترك الشرك الأصغر.

والذي يظهر لي أن النفي هنا في قولة (لا يشركون) ليس نفيا محضا إنما نفي يراد به الإثبات أي لا يشركون لكمال توحيدهم وتعلقهم بالله ولمبالغة بعدهم عن الشرك. وسبب هذا الكلام أن ترك الشرك الأصغر ليس من باب تحقيق التوحيد بل من باب الإتيان بأصل التوحيد الواجب.

وقد يحتمل أن قوله (لا يشركون) تحمل على الشرك الخفي حسب اختيار المصنف (وهو تقسيمه الشرك إلى أكبر وأصغر وخفي)، أو أنها من باب الاستدلال بالأكبر (ولا أعني الشرك الأكبر بل كل شيء له أكبر وأصغر) على ما هو أصغر منه.

أو يقال أن نفي الشرك عنهم هنا مثل نفي ذلك عن إبراهيم علية السلام في قوله (ولم يك من المشركين) ومثل نفيه عن الرسول عليه الصلاة والسلام في قوله (ولا تكونن من المشركين)

أو يحمل على كلام الحفيد سليمان (ص٧٨) أنه نفى أن يقع منهم شرك في أي وقت من الأوقات أهـ، أي لا يتصور منهم الشرك بل هم الغاية في البعد عن الشرك، ومما يدل على أنه لا يراد به الوقوع في الشرك الأصغر قول الحفيد عبد الرحمن في أول الباب أن تحقيق التوحيد هو ترك شوائب الشرك ولم يصرح بأنه ترك الشرك الأصغر وتفسير الحفيد عبد الرحمن أقرب لروح الباب ويمكن أن يفسر به كلام المصنف ومن ثَم نخرج من الأشكال وتتضح المسألة.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ويكون الشيخ عبد الرحمن رحمه الله بلغ الغاية في الدقة في تعبيراته حينما قال (شوائب الشرك) ولم يقل الشرك عندما ذكر مراتب تحقيق التوحيد في مقدمة الباب، لكن عندما شرح الآية (ص٦١) ترك هذه اللفظة المتقنة الدقيقة وتابع الحفيد سليمان في شرحها، ولا أدري لماذا تنازل عن هذه الدقة ولم ينوّه عنها في شرح الآية؟"

وهذا الكلام للشارح الخضير، يدلّ دلالة لا لبس فيها، على أن الوهابيين يتخبطون في مسألة الشرك، كبيره وصغيره وخفيّه، وشوائبه، ولا يستقرّ لهم رأي أبدا، حيث نلامس الشراح يخالفون أستاذهم، والخضير يخالفهم جميعا، وينتهي بالحيرة والسؤال. والسبب في ذلك، فقدانهم لرؤية صحيحة للتوحيد وتحقيقه، وللشرك وأقسامه، ومن عرف معنى تحقيق التوحيد، لعرف أن المسألة، كلّ المسألة، في الخيال الّذي يدخل على الموحّد، فيعطيه صورة عن الله سبحانه وتعالى، فمن هذا الباب يدخل الشرك، والمحقق لا يشرك بالله، لأنه يعبده على الصورة التي أراه إياها، بقلبه وسرّه، وهذه الصورة ليست شركية، بل هي مثالية، من باب: "ولله المثل الأعلى" ومن ارتقى من الموحدين يعبد الله على المشاهدة القلبية، بلا تجسيم ولا تعطيل ولا تشبيه، من باب "ليس كمثله شيء" وهو باب التجريد والعجز عن الإدراك، وهو قبلة الموحدين، فلا حقيقة إلا حقيقته سبحانه، ويسقط دونه كلّ شيء: رؤية الخلق والنفس.

فالشرك في هذه المقامات لا يعدو أن يكون خيالات تصاحب الحقائق، ونفي الشرك هو نفي للخيالات التي تصاحب صورتك الذهنية عن الله تعالى، ونفي بالتالي، لكلّ تنقيص لحق الله في صفاته وأفعاله، لأن هذا التوحيد الصحيح يتطلب تعظيما وتقديسا لله سبحانه، ومن هذا الباب غلط النصارى وأشركوا بالتثليث، كما أشرك قبلهم اليهود بالتجسيم والتشبيه، وليس بقولهم العزير ابن الله فقط. وهذا النوع من الشرك هو مصداق الآية الكريمة: "وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِٱللَّهِ إِلاَّ وَهُمْ مُّشْرِكُونَ " فهو الشرك الخفيّ المصاحب للتوحيد.

فانظر عزيزي القارئ، كيف أن **مسألة تكثير سواد المشركين لا علاقة لها بهذه الآيات، لا من قريب ولا من بعيد**، وأن ما ذكره ابن عبد الوهاب، لا يعدو أن يكون، ترهات وخيالات، لا أساس لها من العلم والهدي.

إلا أننا قبل أن نختم هذا الفصل، سنريح أتباع ابن عبد الوهاب، ونقول لهم: إن العلماء ذكروا مسألة تكثير سواد المشركين في معرض تفسيرهم لآيات أخر، قال تعالى:

{إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ ٱلْمَلاۤئِكَةُ ظَالِمِيۤ أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلأَرْضِ قَالُوۤاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيراً * إِلاَّ ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرجَالِ وَٱلنسَآءِ وَٱلْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُوْلَـٰئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً * وَمَن يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي ٱلأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَن يَخْرُجْ مِن بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى ٱللَّهِ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً}٩٧-١٠٠ النساء.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وإليك تفسير ابن كثير لهذه الآيات:

" قال البخاري: حدثنا عبد الله بن يزيد المقرىء، حدثنا حيوة وغيره، قالا: حدثنا محمد بن عبد الرحمن أبو الأسود، قال: قطع على أهل المدينة بعث، فاكتتبت فيه، فلقيت عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته، فنهاني عن ذلك أشد النهي، ثم قال: أخبرني ابن عباس **أن ناساً من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على رسول الله صلى الله عليه وسلم،** يأتي السهم فيرمى به فيصيب أحدهم، فيقتله أو يضرب عنقه فيقتل، فأنزل الله {إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّـٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَـٰلِمِىٓ أَنفُسِهِمْ}، وراه الليث عن أبي الأسود.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا أبو أحمد يعني الزبيري، حدثنا محمد بن شريك المكي، حدثنا عمرو بن دينار عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: كان قوم من أهل مكة أسلموا وكانوا يستخفون بالإسلام، فأخرجهم المشركون يوم بدر معهم، فأصيب بعضهم بفعل بعض. قال المسلمون: كان أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم، فنزلت {إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّـٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَـٰلِمِىٓ أَنفُسِهِمْ} الآية. قال: فكتب إلى من بقي من المسلمين بهذه الآية لا عذر لهم. قال: فخرجوا، فلحقهم المشركون، فأعطوهم الفتنة، فنزلت هذه الآية {وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ}[البقرة:٨] الآية.

قال عكرمة: نزلت هذه الآية في شباب من قريش كانوا تكلموا بالإسلام بمكة منهم علي بن أمية بن خلف وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو العاص بن منبه بن الحجاج والحارث بن زمعة.

قال الضحاك: نزلت في ناس من المنافقين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة وخرجوا مع المشركين يوم بدر فأصيبوا فيمن أصيب، فنزلت هذه الآية الكريمة عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين، وهو قادر على الهجرة وليس متمكناً من إقامة الدين فهو ظالم لنفسه مرتكب حراماً بالإجماع، وبنص هذه الآية، حيث يقول تعالى: {إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّـٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ظَـٰلِمِىٓ أَنفُسِهِمْ} أي بترك الهجرة {قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ} أي لم مكثتم ها هنا وتركتم الهجرة {قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلأَرْضِ} أي لا نقدر على الخروج من البلد، ولا الذهاب في الأرض {قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً} الآية، وقال أبو داود: حدثنا محمد بن داود بن سفيان، حدثني يحيى بن حسان، أخبرنا سليمان بن موسى أبو داود، حدثنا جعفر بن سعد بن سمرة بن جندب، حدثني خبيب بن سليمان عن أبيه سليمان بن سمرة، عن سمرة بن جندب، أما بعد، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله»

وقال السدي: لما أسر العباس وعقيل ونوفل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للعباس:

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

«افد نفسك وابن أخيك» فقال: يا رسول الله، ألم نصل قبلتك، ونشهد شهادتك، قال «يا عباس، إنكم خاصمتم فخصمتم»، ثم تلا عليه هذه الاية {أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وٰسِعَةً} الآية، وراه ابن أبي حاتم."انتهى

ومن هذا التفسير عرفنا أن الآيات تتحدّث عمّن عصى الله ورسوله في الهجرة، وقعد مع الكفار لأسباب مختلفة، مع إمكانية هجرتهم. وهذا الأمر لا ينطبق على المسلمين في كلّ مكان ووقت وحين، كما اعتبره ابن عبد الوهاب. وحتى لو قبلنا ظاهر الكلام الوهابي، فإن القرطبي يبيّن لنا أن هؤلاء الذين كثروا سواد المشركين: مسلمون، وليسوا كفارا، وقد ماتوا مسلمين، ولم يموتوا كفارا. قال القرطبي:

"وقول الملائكة: {فِيمَ كُنتُمْ} سؤال تقريع وتوبيخ، أي أكنتم في أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أم كنتم مشركينا وقول هؤلاء: {كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي ٱلأَرْضِ} يعني مكة، اعتذار غير صحيح؛ إذ كانوا يستطيعون الحيل ويهتدون السبيل، ثم وقفتهم الملائكة على دينهم بقولهم {أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَاسِعَةً}. ويفيد هذا السؤال والجواب أنهم ماتوا مسلمين ظالمين لأنفسهم في تركهم الهجرة، وإلاّ فلو ماتوا كافرين لم يقل لهم شيء من هذا، وإنما أضرب عن ذكرهم في الصحابة لشدّة ما واقعوه، ولعدم تعيّن أحدهم بالإيمان، واحتمال ردّته. والله أعلم."

ويقول القرطبي في تفسيره للآية:

{وَلاَ تَأْكُلُواْ مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ ٱسْمُ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ ٱلشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} ١٢١ الأنعام.

"قوله تعالى: {وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ} أي في تحليل الميتة {إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ}. فدلّت الآية على أن من ٱستحلّ شيئاً مما حرّم الله تعالى صار به مُشركاً. وقد حرَّم الله سبحانه الميتة نصًّا؛ فإذا قَبل تحليلها من غيره فقد أشرك.

قال ابن العربيّ: إنما يكون المؤمن بطاعة المشرك مشركاً إذا أطاعه في الاعتقاد؛ فأما إذا أطاعه في الفعل وعقده سليم مستمر على التوحيد والتصديق فهو عاصٍ؛ فافهموه.".

فأين هذا الكلام من كلام ابن عبد الوهاب وتلامذته، الذين ينفخون في هذه المسألة (تكثير سواد المشركين) وينسبونها إلى الآيات السابقة، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا. قال الشارح الخضير:

"ومسألة السواد هي التي يسميها بعض العلماء مسألة الموالاة الصغرى ومن أمثلتها: مخالطة المشركين ومؤانستهم ومساكنتهم وتقديمهم على المسلمين ومنها جعلهم رؤساء على المسلمين ومنها اتخاذهم عمالا عند المسلمين، ومنها إقامتهم في جزيرة العرب كأفراد ضعفاء، أما إقامتهم في جزيرة العرب بقوة وقدرة وسيطرة فهذا الدم الأحمر والسم الزعاف والمسألة العظيمة التي ليست من مسألتنا هنا إنما شأنها آخر، وقد جاء في الأثر عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه أنكر على أبي موسى الأشعري رضى الله عنه أنه اتخذ نصرانيا عاملاً وكتب إليه بهذه الآية (يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء) هذا ما يتعلق بهذه الآية ومرتبتها.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وهذه فيها قضية معاصرة في أفراد الصحوة أو الجماعات أو التيارات أو الدول الإسلامية أنه لا بد أن تهتم بهذا التحقيق للتوحيد بعدم تكثير سواد العصرانيين أو العلمانيين والحداثيين والملحدين بجميع أصنافهم أو تكثير سواد الطغاة، فإن هذا نقص في تحقيق توحيدهم فلا بد من عدم تكثير سوادهم أو الأنس بهم أو مداهنتهم ونحو ذلك بل لا بد من البراءة منهم براءة مباعدة وهجر ومجانبة لهؤلاء الملاحدة، وهذا حسب القدرة والاستطاعة (فاتقوا الله ما استطعتم)

أما براءة التكفير والبغض والمعاداة واعتقاد بطلانهم فهذا أصل من أصول التوحيد لا بد منه وهو غير أصل تحقيق التوحيد الذي نحن فيه، فلا بد من التفريق بين الاثنين حتى لا نُفهم خطأ، أو يقع الناس في الخطأ."انتهى

وهذا كلام مخلوط، عامّ شامل، لا يتحرّى الحقيقة، ولا يبحث في أصل المسألة وحيثياتها، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلّم، لم يعامل الصحابة بهذا الشمول والعموم، بتطبيق القرارات والأوامر، دون تبيّن وتفصيل. والمثال التالي يبرّر ما نقوله. قال الله تعالى:

{يَأَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ عَدُوِي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُمْ مِنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَاداً فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَاْ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ * إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُواْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِٱلسُّوءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ * لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلاَ أَوْلاَدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ} ١-٣ الممتحنة.

قال ابن كثير في تفسيره للآيات:

"كان سبب نزول صدر هذه السورة الكريمة قصة حاطب بن أبي بلتعة، وذلك أن حاطباً هذا كان رجلاً من المهاجرين، وكان من أهل بدر أيضاً، وكان له بمكة أولاد ومال ولم يكن من قريش أنفسهم، بل كان حليفاً لعثمان، فلما عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على فتح مكة لما نقض أهلها العهد، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم المسلمين بالتجهيز لغزوهم وقال «اللهم عم عليهم خبرنا» فعمد حاطب هذا فكتب كتاباً وبعثه مع قريش إلى أهل مكة، يعلمهم بما عزم عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوهم، ليتخذ بذلك عندهم يداً فأطلع الله تعالى على ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم استجابة لدعائه، فبعث في أثر المرأة فأخذ الكتاب منها، وهذا بين في هذا الحديث المتفق على صحته.

قال الإمام أحمد: حدثنا سفيان عن عمه، أخبرني حسن بن محمد بن علي، أخبرني عبد الله بن أبي رافع وقال مرة إن عبيد الله بن أبي رافع أخبره أنه سمع علياً رضي الله عنه يقول: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا والزبير والمقداد فقال «انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتاب فخذوه منها، فانطلقنا تعادي بنا خيلنا حتى أتينا الروضة، فإذا نحن بالظعينة قلنا أخرجي الكتاب، قالت: ما معي كتاب، قلنا لتخرجن الكتاب أو لتلقين الثياب، قال: فأخرجت الكتاب من عقاصها،

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

فأخذنا الكتاب فأتينا به رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا فيه من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين بمكة، يخبرهم ببعض أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا حاطب ما هذا ؟» قال: لا تعجل علي إني كنت امرأ ملصقاً في قريش ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون أهليهم بمكة، فأحببت إذ فاتني ذلك من النسب فيهم، أن أتخذ فيهم يداً يحمون بها قرابتي، وما فعلت ذلك كفراً ولا ارتداداً عن ديني ولا رضاً بالكفر بعد الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه صدقكم».

فقال عمر: دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنه قد شهد بدراً وما يدريك لعل الله اطلع إلى أهل بدر، فقال: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» وهكذا أخرجه الجماعة إلا ابن ماجه من غير وجه عن سفيان بن عيينة به."

فانظر أخي القارئ كيف تصرّف سيّد الخلق مع هذه الحادثة، التي تعتبر من أبواب الخيانة العظمى الموجبة لأقسى العقوبات، إلا أنه تفهّم الموقف، وقبل له عذرا، وصدّقه. وهذه الحادثة نفسها، لو تكرّرت في حياة هؤلاء الوهابيين، لاتهم مرتكبها بالشرك والارتداد مباشرة، كيف لا وقد اتهم من صدر منه أقلّ من هذا؟؟؟.

وخلاصة القول في المسألة: إن قضيّة تكثير سواد المشركين، لا علاقة لها لا من قريب ولا من بعيد بالآية التي صدّر بها الفصل الثالث من كتاب التوحيد. ولا علاقة لها برتب تحقيق التوحيد، فهي ليست مرتبة كما ظن ابن عبد الوهاب وتلامذته، وقد بيّنا أن الآية، وخاصة المقطع منها، بعيد تفسيرها عن فهم المصنف. والله الموفق.

مفهوم التوسل في فكر ابن عبد الوهاب

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الآية الأولى: {أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه} ٥٧ الإسراء.

النص الأول:

قال الشارح: علي بن خضير الخضير:

"وأراد في نفس الوقت الرد على القبورية الجهلة الذين انحرفوا في ذلك، دل عليه كلام المصنف حيث قال في المسائل (فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين) وقد رد عليهم المصنف في كتابه كشف الشبهات في أوله وفي آخره، وقال صاحب التيسير ص١١٢ (وأراد الرد على الجاهلين الذين يظنون أنه اسم ليس له معنى، أو قول ليس له حقيقة، الذين يظنون أن التحقيق فيها: النطق بكلمة الشهادة من غير اعتقاد القلب، والحاذق منهم يظن أن معنى لا إله هو الخالق المتفرد بالملك، وأنه الإقرار بتوحيد الربوبية، وفي ص١١٣ ذكر الصنف الثالث وهو من يعرف ولا يعمل.)

وقال في الفتح ص٩٧ (وفيها الحجة على من تعلق على الأنبياء والصالحين يدعوهم ويسألهم) وقال في القرة (ص٤٢) أراد الرد على الجهال (أي الذين انحرفوا في تفسير معنى التوحيد)، وقال ص٤٢ وإقامة الحجة على من غلط في معنى لا إله إلا الله من أهل الجهل والإلحاد."

الملخص:

يرى الشارح أن معنى الآية، المقصود المصرّح به من المصنف، هو: الردّ على كلّ من دعا الأنبياء والصالحين وسألهم.

والمصنف والشراح يسمون كلّ من دعا الصالحين والأنبياء بالمشركين والجاهلين والقبوريين الجهلة.

وإنّما كان جعل هؤلاء حيث انحرفوا في تفسير معنى التوحيد.

النص الثاني:

قال الشارح: علي بن خضير الخضير:

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

" قال المصنف: ومنها آية الإسراء بيّن فيها الرد على المشركين الذين يدعون الصالحين، ففيها بيان أن هذا هو الشرك الأكبر، والمصنف فسر هذه الآية كما في تاريخ نجد ص ٤٧٠ كما قال ابن تيمية وقال: إنه قول المفسرين، أما كلام الشراح (التيسير ص١١٣ وهو أكثرهم إطالة، والفتح ص٩٩، والقرة ص٤٣ والإبطال ص ٢٨) في معنى الآية ذكروا فيها قول ابن مسعود وابن عباس رضى الله عنهما ومن التابعين إبراهيم ومجاهد وعطاء والضحاك، ومن المفسرين ما قاله ابن كثير والطبري الحنفي ثم قال: ويجمع ذلك كله كلام ابن تيمية قال (وهذه الأقوال كلها حق، فإن الآية تعم من كان معبوده عابدا لله من الملائكة أو الجن أو من البشر، والسلف في تفسيرهم يذكرون جنس المراد بالآية على نوع التمثيل، والآية خطاب لكل من دعا دون الله مدعوا، وذلك المدعو يبتغي إلى الله الوسيلة، ويرجو رحمته ويخاف عذابه، فكل من دعا ميتا أو غائبا من الأنبياء والصالحين، سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها، فقد تناولته هذه الآية، كما تتناول من دعا الملائكة والجن. ومعلوم أن هؤلاء كلهم يكونون وسائط فيما يقدره الله بأفعالهم، ومع هذا فقد نهى الله عن دعائهم.) اهـ وقالوا إن هذا المعنى هو قول جميع المفسرين."

الملخص:

يرى المصنف أن دعاء المشركين الصالحين شرك أكبر.

يجمع الشراح على كلام ابن تيمية في كلامه على الآية، حيث يرى أنها تخص كلّ من دعا دون الله مدعوا، وذلك المدعو يبتغي إلى الله الوسيلة، ويرجو رحمته، ويخاف عذابه.

فكلّ من دعا ميتا أو غائبا من الأنبياء والصالحين والملائكة والجن، فقد تناولته هذه الآية.

ويؤكد ابن تيميّة أنه رغم كون هؤلاء وسائط فيما يقدّره الله بأفعالهم، مع هذا فقد نهى الله عن دعائهم.

النص الثالث:

قال الشارح: علي بن خضير الخضير:

" مسألة: كيف تكون هذه الآية تفسرا للتوحيد مع أن المصنف في المسائل قال إن هذه الآية رد على المشركين؟ بيّن ذلك صاحب التيسير ص١١٥ حيث قال بعد شرح الآية في الباب (فتبين أن معنى التوحيد وشهادة أن لا اله إلا الله هو ترك ما عليه المشركون من دعوة الصالحين والاستشفاع بهم إلى الله في كشف الضر وتحويله، وأنه لابد من مفارقة لدين المشركين) وقال في الفتح ص٩٧ (إن هذه الآية تقرر معنى التوحيد، وأن دعاءهم من دون الله شرك ينافي التوحيد، وبيان أن التوحيد أن لا يُدعى إلا الله وحده) وعليه فالمصنف أراد من هذه الآية شيئين:

١ ـ أن يبين أن من تفسير التوحيد ترك ما عليه المشركون (ونقول أيضا وما عليه الديمقراطيون والعلمانيون والحداثيون والقوميون وجميع ملل الكفر المعاصرة).

2ـ أراد بها الرد على المشركين الذين انحرفوا في ذلك. "

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الملخص:
يرى الشارح وبقية الشراح أن الآية تبيّن معنى التوحيد الّذي هو: ترك ما عليه المشركون من دعوة الصالحين والاستشفاع بهم إلى الله في كشف الضرّ وتحويله.
والدعاء من دون الله شرك ينافي التوحيد.
والتوحيد أن لا يدعى إلا الله وحده.

النص الرابع:
قال الشارح: علي بن خضير الخضير:
" مسالة: إنفرد صاحب الفتح ببيان معنى الوسيلة في الآية فقال ص ٩٨ وفي القرة ص٤٣) أنها الطاعة والعمل الصالح ونقل عن قتادة قوله (تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه) ونقل كلام ابن القيم (أنها التوسل بالأعمال الصالحة) ونقل عن ابن كثير أنه قول جميع المفسرين هكذا قال (ولم أجده في تفسير ابن كثير عند شرح آية الإسراء) فربما أنه في موضع آخر.
وفيه قضية قديمة معاصرة: وهى الانحراف في مفهوم معنى الوسيلة حيث يظنها المبتدعة المعاصرة أن معناها أن تجعل لك واسطة أي أحد الصالحين الأموات يتوسط لك عند الله وهو وسيلتك في هذا، وبعضهم يقول أن معناها أن تدعو الله عند قبر صالح فيكون وسيلتك إلى الله، وكل هذا انحراف و ضلال، بل معنى الوسيلة ما ذكره صاحب الفتح ونقل الإجماع عليه."

الملخص:
يرى الشارح أن معنى الوسيلة هو الطاعة والعمل الصالح، وهو مفهوم اتفق عليه المفسرين.
وليست الوسيلة أن تجعل واسطة بينك وبين الله من الصالحين الأموات، يتوسّط لك عند الله.

التعليق:
من أعجب الشروحات، شرح كهذا الّذي بين أيدينا، حيث يصدر الأحكام الخاصة بالتوحيد، من اتهام بالشرك والجهل لمن دعا الصالحين والأنبياء، ثم بعد ذلك يأتي على شرح معنى: الوسيلة؟؟؟.
الغرابة ما تزال تلازمنا، حين نعرف أن أحد الشراح الثلاثة تناول شرح كلمة: الوسيلة: " إنفرد صاحب الفتح ببيان معنى الوسيلة" وباقي الشراح، لم يفعلوا، ولا أدري لماذا؟؟ هل لأنهم يعلمون أن كلّ المسلمين مفسرين للقرآن، عالمين بالتأويل، متقنين للغة العربية؟؟؟ أم لأنهم يؤمنون بأنه علينا تمرير اللفظة: الوسيلة، كما جاءت، وبلا شرح؟؟؟ أم هل وجدوا إشكالا في التفسير، قرّروا الهروب منه؟؟.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

طيّب، لنغضّ الطرف عن هذه المسألة، ونتجاوزها إلى تعريف الشارح للفظة الوسيلة، وكيف قدّمها لنا. يقول الخضير:

" إنفرد صاحب الفتح ببيان معنى الوسيلة في الآية فقال ص ٩٨ وفي القرة ص٤٣) أنها الطاعة والعمل الصالح"

في هذا الكلام: الوسيلة هي الطاعة والعمل الصالح. وحتى يكون هذا التعريف متأصّلا، استشهد بالتابعي قتادة وبابن القيّم، حيث قال:

"ونقل عن قتادة قوله (تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه) ونقل كلام ابن القيم (أنها التوسل بالأعمال الصالحة)"

ثمّ لكي يقفل علينا باب المناقشة والبحث قرّر أن ينقل إلينا الإجماع حول هذا التعريف، فقال:

"ونقل عن ابن كثير أنه قول جميع المفسرين هكذا قال (ولم أجده في تفسير ابن كثير عند شرح آية الإسراء) فربما أنه في موضع آخر."

والحقيقة المرّة، أنّ تلاعبا وكذبا وتحيلا من الصنف الكبير، وقع على هذا التعريف، وادعاء لا صدق فيه، تعرض له هذا التعريف، حتى يغيّر الحقائق، ويجعلنا نتبنى التعريف الساذج الذي قاله صاحب الفتح والقرّة.

وقد كان الشارح الخضير معذورا، عندما توقف أمام دعوى الإجماع التي نقلها الشارح عن ابن كثير، وقال الخضير: "ولم أجده في تفسير ابن كثير عند شرح آية الإسراء" وهو صحيح ما قاله، ولكنه ليس معذورا حيث لم يفتش عنه في مكان آخر، وهو القائل: " فربما أنه في موضع آخر". ولا ندري هل أن الخضير لم يعرف موضع الإجماع من تفسير ابن كثير، أم أن الشارح لم يذكر دعوى الإجماع؟؟ وإذا كان كذلك، فلربّما في النفس حاجة؟؟؟.

ونحن فتشنا عن النص الأصلي لابن كثير، ووجدناه في شرحه للآية ٣٥ من سورة المائدة التي تتحدث عن الوسيلة:

{يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}

ففي تفسير هذه الآية، يقول ابن كثير:

"{وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيهِ ٱلْوَسِيلَةَ} قال سفيان الثوري حدثنا أبي ، عن طلحة عن عطاء، عن ابن عباس: أي القربة، وكذا قال مجاهد وعطاء وأبو وائل والحسن وقتادة وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد. وقال قتادة: أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه، وقرأ ابن زيد {أُولَـئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ} وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه."

فانظر يا أخي، كيف يتم تحريف النصوص التفسيرية، وأقوال الأئمة والعلماء، وانظر كيف يعتدي هؤلاء على العلم والعالمين: يعتدون ويكذبون على ابن عباس وعطاء ومجاهد والحسن البصري وقتادة والسدي وابن زيد وغيرهم، ثمّ يبرزون إلينا على المنابر يعلّموننا التوحيد وحقيقته؟؟؟.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

النصّ الذي ذكرناه لابن كثير، يشير إلى أن معنى الوسيلة: القربة، وقول قتادة يؤكد معنى القربة، لا العمل الصالح. وتعريف الوسيلة بأنها القربة: هو الذي لا خلاف بين المفسرين فيه، وهو ما قاله الأئمة.

والمفسرون ذكروا القربة كتفسير للوسيلة حين اعتنوا بتفسير آية المائدة أو آية الإسراء، مثل:

الطبري نقلا عن ابن كثير: "وقال: والوسيلة هي القربة، كما قال قتادة، ولهذا قال: {أَيُّهُمْ أَقْرَبُ}."

وصاحب البحر المحيط: " و{ٱلْوَسِيلَةَ} القرب إلى الله تعالى"

والقرطبي: "الوسيلة هي القربة؛ عن أبي وائل والحسن ومجاهد وقَتَادة وعطاء والسّديّ وٱبن زيد وعبد الله بن كَثِير"

وأبو السعود في فسيره: "{ٱلْوَسِيلَةَ} القربة بالطاعة والعبادة"

والزمخشري في الكشاف: "الوسيلة وهي القربة إلى الله تعالى."

على أنه لا يخلو لفظ الوسيلة من تفاسير أخرى تتسع وتضيق حسب المعاني التي رآها المفسرون، من ذلك، الوسيلة: "فالوسيلة هي التي يتوسل بها إلى المقصود" قال به الرازي وابن كثير.

وجمع صاحب البحر المحيط أقوال المفسرين فيها فقال:

"وهل الوسيلة القربة التي ينبغي أن يطلب بها، أو الحاجة، أو الطاعة، أو الجنة، أو أفضل درجاتها، أقوال للمفسرين."

فما علاقة هذا التعريف: القربة، بالطاعة والعمل الصالح؟؟؟

القربة منتهى ومنى وغاية كلّ موحّد متحقق، لأنها مقام ودرجة ورتبة. أما العمل الصالح والطاعة، فهذا من أفعال الجوارح والقلوب. ففرق بين الفعل والمقام. نعم قد يؤدّي الفعل إلى ذلك المقام، وقد يوصلك الفعل إلى تلك الدرجة، ولكن من قال لنا في هذه الآية، أن ابتغاء الوسيلة التي هي القربة، تكون بالطاعة والعمل الصالح؟؟؟. الآية في سورة الإسراء تخبرنا أن هؤلاء الصالحين، سواء كانوا ملائكة أو جنّ أو بشر، يبتغون، أي يطلبون بسير حثيث، وبحرص وجهد، الوسيلة، التي هي مقام القرب من الله، كلّ ذلك بخوف ورجاء متزامنين.

هناك فرق بين أن نطلب معنى الوسيلة، وبين أن نطلب كيفيّة ابتغاء الوسيلة؟؟.

لو أردنا أن نعرف الوسيلة، قلنا – **في البداية** - هي مقام القرب، لأنها وسيلتنا إلى النجاة والفوز. وإذ أردنا أن نعرف كيف تطلب الوسيلة، وكيف نحقق مقام القرب، فهذا سؤال آخر، فلنبحث عن العمل المخصوص للقرب، ولا نقول كما قال الوهابيون ومن لف لفّهم: كلاما عاما غامضا، مثل: الطاعة والأعمال الصالحة.

الدليل على ما قلناه: أن آية المائدة، تفرق بين الإيمان والتقوى وابتغاء الوسيلة والجهاد. فقد قال تعالى: {يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُواْ فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ}. فدلّ ذلك على أن الإيمان والتقوى غير ابتغاء الوسيلة والجهاد.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ولكن ههنا إشكال هامّ، وهو: ما هو الشيء الذي يخرج عن الإيمان والتقوى والجهاد، ومع ذلك هو مطلوب؟؟؟

إذا اكتفينا بتعريف الوسيلة على أنه: القربة، أو مقام القرب، فلماذا لم تأت الآية على شكل واضح، وتذكر كلمة القرب مكان الوسيلة؟؟ الأكيد أنه، رغم اتفاق المفسرين على أن الوسيلة هي القربة، أكيد أن في التفسير سرّا آخر، يجعل الوسيلة شيئا خاصّا، يختلف عن الإيمان والتقوى والجهاد، ويختلف حتى عن القربة، فما هو يا ترى؟؟؟.

أي أنه علينا معرفة ذلك الشيء الذي يطلبه الصالحون، بكلّ قلوبهم وجوارحهم، من عند الله تعالى، ويتنافسون في القرب منه بهذا الشيء؟؟.

وبكلام أكثر توضيحا: هناك سرّ في الآية، وجب اكتشافه من خلال فهم انتظام ألفاظها، فالآية تشير إلى أن قوما من المؤمنين العارفين، يبتغون الوسيلة إلى الله تعالى، ولكن ممّن يبتغونها؟؟؟ لو كانوا يبتغونها من أنفسهم لما جاز أن نقول: يبتغون، لأن الابتغاء من طرف آخر خارج عنك، وليس من ذاتك، وعلى هذا الفهم، لا يمكن أن تكون الوسيلة هي الطاعة والأعمال الصالحة، لأنها لا يمكن ابتغاؤها من الخارج، لذلك وجب العدول إلى شيء، يكون ابتغاؤه جائزا من خارج الإنسان، ولا يوجد خارج الإنسان من نبتغي منه شيئا إلا الله سبحانه وتعالى، لذلك كان الابتغاء من الله وإلى الله. فما هي هذه الوسيلة التي تكون منه وإليه؟؟؟ وما هي القربة التي تكون من الله وإليه؟؟ هذا هو السرّ الذي لم يفهمه المفسرون، ولم يركّزوا عليه، واكتفوا بتفسير الوسيلة بمعنى القربة فقط، دون التعمّق في الشيء المؤدي للقربة، والذي يكون من الله وإليه.

قال الإمام سيدي أحمد الرفاعي:

"إذا قلت: اللهم إني أسألك برحمتك، فكأنك قلت: أسألك بولاية عبدك الشيخ منصور، وغيره من الأولياء، لأن الولاية اختصاص، "يختصّ برحمته من يشاء" ١٠٥. البقرة، ٧٤. آل عمران. فإذا: إياك وإعطاء قدرة الراحم إلى المرحوم، فإن الفعل والقوّة والحول له سبحانه، والوسيلة: رحمته التي اختص بها عبده الوليّ، فتقرب برحمته ومحبته وعنايته التي اختصّ بها خواصّ عباده إليه عند حاجتك. ووحده في كلّ فعل، فهو غيور."

هذا النصّ القصير في كلماته، حلّ إشكاليّة كبيرة لدى الوهابيين ومن اتبعهم، وردّ على كلّ أوهامهم، وعلّمهم ما جهلوه لقرون، حيث وضع الرسم على الحقيقة، وأظهرها واضحة، وضوح الشمس.

فحسب هذا النصّ، الوسيلة: هي الرحمة التي خصّ الله بها أولياؤه، أي أن الوسيلة هي الولاية، وهي رحمة مخصوصة، وليست رحمة عامّة، وهي ثمرة من ثمرات القرب منه عزّ وجلّ. لذلك كان ابتغاء الوسيلة في الحقيقة تعبيرا عن ابتغاء الرحمة الخاصّة للأولياء، والتنافس في القرب يكون في شمول الرحمة لهم، لأن القرب ليس مكاني بل هو صفاتي.

فمن سأل الله بالرحمة المخصوصة، فقد سأل الله بالولاية، ومن سأل الله بالولاية فقد سأله بالوسيلة. فالوسيلة بهذا التعريف المدقّق: رحمة مخصوصة من مقام

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

القرب، لذلك كان طلبها يختلف عن الإيمان والتقوى والجهاد، هو شيء آخر: هو طلب الرحمة المختصّة بالولاية الربانية لأهل القرب. ولا تظنّنّه طلب رخيص وسهل، حاشى لله، هو من أعظم الطلبات والمقاصد، لا بد له من الصدق وعلوّ الهمّة والتجرد من الأوهام الساترة والحجب، كما قال الإكمام الرفاعي:

"عرّج على حرم القرب بقوّة مطيّة الصدق، قامعا صفوف الوهم بعساكر الهمّة، ملتفتا عن دوائر الأكوان، مشتغلا بمراقبة المكوّن، معتصما بحبله من القطيعة، حاملا راية الافتقار إليه، ضاربا طبل الذل بين يديه، متجردا من حجاب الزوجة، من حجاب الولد، من حجاب المال، من حجاب وجودك، من حجاب عبادتك، من حجاب يقظتك، من حجاب غفلتك، فإن رؤياك اليقظة غفلة عظمى، ورؤياك نورك ظلمة دهما، كل شيء لك حجاب فافتح منه بابا إلى المقصود، وكل مقصود حائل فتجرد منه إلى المعبود."

فشتان، بين هذا التعريف والتدقيق من قبل الأئمّة العلماء، وبين هوس ووهم وظنّ الوهابيين وأمثالهم، الذين يعرفون الوسيلة بأنها: الطاعة والأعمال الصالحة، وأنهم مع جهلهم، يكذبون، ويدّعون الإجماع حوله.

أمّا بعد هذا التعريف، فإنه يجدر بنا الرجوع إلى الآية الكريمة من سورة الإسراء، موضوع بحثنا، لنقدّم لها ما قاله الرازي في تفسيره، حيث قال:

" اعلم أن المقصود من هذه الآية الرد على المشركين وقد ذكرنا أن المشركين كانوا يقولون ليس لنا أهلية أن نشتغل بعبادة الله تعالى فنحن نعبد بعض المقربين من عباد الله وهم الملائكة، ثم إنهم اتخذوا لذلك الملك الذي عبدوه تمثالاً وصورة واشتغلوا بعبادته على هذا التأويل والله تعالى احتج على بطلان قولهم في هذه الآية فقال: {قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مّن دُونِهِ} وليس المراد الأصنام لأنه تعالى قال في صفتهم: {أُولَـٰئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ} وابتغاء الوسيلة إلى الله تعالى لا يليق بالأصنام البتة.

إذا ثبت هذا فنقول: إن قوماً عبدوا الملائكة فنزلت هذه الآية فيهم، وقيل: إنها نزلت في الذين عبدوا المسيح وعزيراً، وقيل: إن قوماً عبدوا نفراً من الجن فأسلم النفر من الجن، وبقي أولئك الناس متمسكين بعبادتهم فنزلت هذه الآية، قال ابن عباس: كل موضع في كتاب الله تعالى ورد فيه لفظ زعم فهو كذب، ثم إنه تعالى احتج على فساد مذهب هؤلاء أن الإله المعبود هو الذي يقدر على إزالة الضرر، وإيصال المنفعة، وهذه الأشياء التي يعبدونها وهي الملائكة والجن والمسيح وعزير لا يقدرون على كشف الضر ولا على تحصيل النفع، فوجب القطع بأنها ليست آلهة."

وواضح أن الآية جاءت في معرض الردّ على المشركين الذين يعبدون مجموعة من الجنّ، أو الملائكة، ويظنون أنهم يتقربون إليهم للشفاعة، فأعلمهم الله أن الذين يتقربون إليهم قد أسلموا، وهم بدورهم يتقربون إلى الله، ويبتغون إليه الرحمة والولاية التي هي الوسيلة، ويتنافسون في القرب من، ويرغبون في شمول الرحمة لهم.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ولا ندري كيف انزلق الوهابيّون من هذا الخطاب الخاص بالمشركين إلى المسلمين، وتعميم الآية عليهم، لتشمل الذين يزورون الصالحين، ويتقربون إلى الله بمحبّتهم؟؟. ولا ندري من أين جاء ابن تيميّة بهذا التعميم، حيث يقول رحمه الله:

"فكل من دعا ميتا أو غائبا من الأنبياء والصالحين، سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها، فقد تناولته هذه الآية، كما تتناول من دعا الملائكة والجن"

ثمّ يقول الشارح: "وقالوا إن هذا المعنى هو قول جميع المفسرين "

فمن هم هؤلاء المفسرين الذين يربطون بين الآية وبين من يدعو صالحا أو نبيّا؟؟؟ ليس في التفاسير التي بأيدينا ما يظهر هذه العلاقة، ونحن نتحدى الوهابيّون أن يأتوا لنا بتفسير واحد من أهل السلف ومن جاء بعدهم، يقول بقولهم، ويفسّر الآية كما يفسرونها، أما نحن فعلى عكسهم، فإننا نقدّم دليلا من القرآن والسنة الطاهرة يخالف دعوى هؤلاء الفتانون، ويعتمد تحليلنا على سوق قصّة آية التخيير الواردة في الكتاب والسنة وبيان جواز الاستغاثة بالملائكة والصالحين وبالتالي بالنبي عليه السلام.

قال تعالى: {يَأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ * وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ * إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ * عَسَىٰ رَبُّهُ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا } ١-٥ التحريم.

وفي صحيح مسلم هذه القصّة التي تفسّر أوّل آيات التحريم:

"(٣٦٤٦) ـ حدّثني زُهَيرُ بْنُ حَرْبٍ: حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ يُونُسَ الْحَنَفِيُّ: حَدَّثَنَا عِكْرِمَةُ بْنُ عَمَّارٍ: عَنْ سِمَاكٍ أَبِي زُمَيْلٍ. حَدَّثَنِي عَبْدُ اللهِ بْنُ عَبَّاسٍ: حَدَّثَنِي عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، قَالَ: لَمَّا اعْتَزَلَ نَبِيُّ اللهِ نِسَاءَهُ قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا النَّاسُ يَنْكُتُونَ بِالْحَصَى وَيَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللهِ نِسَاءَهُ، وَذَلِكَ قَبْلَ أَنْ يُؤْمَرْنَ بِالْحِجَابِ. فَقَالَ عُمَرُ فَقُلْتُ: لأَعْلَمَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ. قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ. فَقُلْتُ: يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ! أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكِ أَنْ تُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ؟ فَقَالَتْ: مَا لِي وَمَا لَكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ عَلَيْكَ بِعَيْبَتِكَ. قَالَ: فَدَخَلْتُ عَلَى حَفْصَةَ بِنْتِ عُمَرَ. فَقُلْتُ لَهَا: يَا حَفْصَةُ أَقَدْ بَلَغَ مِنْ شَأْنِكِ أَنْ تُؤْذِي رَسُولَ اللهِ ؟ وَاللهِ! لَقَدْ عَلِمْتِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ لاَ يُحِبُّكِ، وَلَوْلاَ أَنَا لَطَلَّقَكِ رَسُولُ اللهِ ، فَبَكَتْ أَشَدَّ الْبُكَاءِ. فَقُلْتُ لَهَا: أَيْنَ رَسُولُ اللهِ ؟ قَالَتْ: هُوَ فِي خِزَانَتِهِ فِي الْمَشْرُبَةِ. فَدَخَلْتُ فَإِذَا أَنَا بِرَبَاحٍ غُلاَمِ رَسُولِ اللهِ قَاعِداً عَلَى أُسْكُفَّةِ الْمَشْرُبَةِ. مُدَلٍّ رِجْلَيْهِ عَلَى نَقِيرٍ مِنْ خَشَبٍ. وَهُوَ جِذْعٌ يَرْقَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ وَيَنْحَدِرُ. فَنَادَيْتُ: يَا رَبَاحُ اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ . فَنَظَرَ رَبَاحٌ إِلَى الْغُرْفَةِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ فَلَمْ يَقُلْ شَيْئاً، ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَبَاحُ! اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ . فَنَظَرَ رَبَاحٌ إِلَى الْغُرْفَةِ، ثُمَّ نَظَرَ إِلَيَّ. فَلَمْ يَقُلْ شَيْئاً، ثُمَّ رَفَعْتُ صَوْتِي فَقُلْتُ: يَا رَبَاحُ! اسْتَأْذِنْ لِي عِنْدَكَ عَلَى رَسُولِ اللهِ . فَإِنِّي أَظُنُّ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ظَنَّ أَنِّي جِئْتُ مِنْ أَجْلِ حَفْصَةَ، وَاللهِ! لَئِنْ أَمَرَنِي رَسُولُ اللهِ بِضَرْبِ عُنُقِهَا

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

لأضْرِبَنَّ عُنُقَهَا، ورَفَعْتُ صَوْتِي. فَأَوْمَأَ إِلَيَّ أن ارْقُهْ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ فَجَلَسْتُ، فَأَدْنَى عَلَيْهِ إِزَارَهُ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ. وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ. فَنَظَرْتُ بِبَصَرِي فِي خِزَانَةِ رَسُولِ اللّهِ ، فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ. وَمِثْلِهَا قَرَظاً فِي نَاحِيَةِ الْغُرْفَةِ. وَإِذَا أَفِيقٌ مُعَلَّقٌ. قَالَ: فَابْتَدَرَتْ عَيْنَايَ. قَالَ: «مَا يُبْكِيكَ؟ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللّهِ وَمَا لِي لاَ أَبْكِي؟ وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ. وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لاَ أَرَى فِيهَا إِلاَّ مَا أَرَى. وَذَاكَ قَيْصَرُ وَكِسْرَى فِي الثِّمَارِ وَالأَنْهَارِ. وَأَنْتَ رَسُولُ اللّهِ وَصِفْوَتُهُ. وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ. فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ أَلاَ تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا؟» قُلْتُ: بَلَى. قَالَ: وَدَخَلْتُ عَلَيْهِ حِينَ دَخَلْتُ وَأَنَا أَرَى فِي وَجْهِهِ الْغَضَبَ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! مَا يَشُقُّ عَلَيْكَ مِنْ شَأْنِ النِّسَاءِ؟ فَإِنْ كُنْتَ طَلَّقْتَهُنَّ **فَإِنَّ اللهَ مَعَكَ وَمَلاَئِكَتَهُ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَائِيلَ، وَأَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَالْمُؤْمِنُونَ مَعَكَ، وَقَلَّمَا تَكَلَّمْتُ، وَأَحْمَدُ اللّهَ، بِكَلاَمٍ إِلاَّ رَجَوْتُ أَنْ يَكُونَ اللّهُ يُصَدِّقُ قَوْلِي الَّذِي أَقُولُ. وَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ. آيَةُ التَّخْيِيرِ: {عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنَّ} التحريم ٥. {وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ مَوْلاَهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلاَئِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ} التحريم ٤**. وَكَانَتْ عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ وَحَفْصَةُ تَظَاهَرَانِ عَلَى سَائِرِ نِسَاءِ النَّبِيِ . فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَطَلَّقْتَهُنَّ؟ قَالَ: «لاَ» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنِّي دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ وَالْمُسْلِمُونَ يَنْكُتُونَ بِالْحَصَى، يَقُولُونَ: طَلَّقَ رَسُولُ اللّهِ نِسَاءَهُ، أَفَأَنْزِلُ فَأُخْبِرَهُمْ أَنَّكَ لَمْ تُطَلِّقْهُنَّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِنْ شِئْتَ» فَلَمْ أَزَلْ أُحَدِّثُهُ حَتَّى تَحَسَّرَ الْغَضَبُ عَنْ وَجْهِهِ، وَحَتَّى كَشَرَ فَضَحِكَ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ثَغْراً. ثُمَّ نَزَلَ نَبِيُّ اللّهِ وَنَزَلْتُ."

وفي صحيح ابن حبان، نفس القصّة من رواية ابن عباس، يقول فيها عمر للرسول صلى الله عليه وسلّم:

"فإنْ كنتَ طلقتهنَّ، فإنَّ اللَّهَ وملائكَتَهُ وجبريلَ وميكائيلَ وأنا وأبو بكرٍ مَعَكَ، وقلَّما تكلمتُ وأحْمَدُ اللَّهَ بكلامٍ إلا رَجَوْتُ أن يكونَ اللَّهُ يُصَدِّقُ قولي، وأُنْزِلَتْ هذه الآية آيةُ التخييرِ {عَسَى رَبُّهُ إن طَلَّقَكُنّ أَنْ يُبْدِلَه أَزْوَاجاً خَيْراً مِنْكُنّ} التحريم: ٥، {وإن تَظَاهَرا عَلَيْهِ فإنَّ الله هُوَ مَوْلاهُ} الآية التحريم: ٤"

لقد تعمّدنا سوق هذه النصوص حتى لا يبقى شك لدى القارئ، أن استنصار عمر واستغاثته بالله والملائكة وصالح المؤمنين كانت إلهاما وتوفيقا من الله، ونزل القرآن يؤيّده ويعزّزه، وهذا ما يسمى موافقات عمر. قال ابن كثير:

" وقد تقدم أنه وافق القرآن في أماكن: منها في نزول الحجاب، ومنها في أسارى بدر، ومنها قوله لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى}"

وكان من الممكن، على رأي ابن عبد الوهاب ومن ذهب مذهبه، أن يكتفي عمر بذكر الله فقط مولى ونصيرا لرسول الله، وتصح منه هذه الاستعانة وهذه الاستغاثة وهذا الاستنصار، لكنه استغاث أيضا بجبريل، وبصالح المؤمنين، وبالملائكة، فدخل بعض هذه المخلوقات في الولاية وبعضها اقتصر على الظهراء.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

فهل استغاثة عمر بغير الله شرك؟؟ أليست الولاية لله بالأصل؟؟ أليست استغاثة عمر بالملائكة والمؤمنين في أمر لا يقدر عليه إلا الله؟؟ هل هذه الاستغاثة شركا أكبر؟؟ أليست الاستغاثة بالملائكة من قبيل الاستغاثة بالحيّ الغائب؟؟.

ألم ينقل الشارح عن صاحب الفتح في النص الثالث الّذي قدّمناه: "التوحيد أن لا يُدعى إلا الله وحده"؟؟؟؟.

لقد بيّنت هذه النصوص جواز الاستغاثة بالله والملائكة والمؤمنين، وإذا جاز ذلك، فالأولى الاستغاثة برسول الله عليه السلام، في حياته وبعد مماته، لأنه حيّ في قبره، وحياته البرزخيّة من جنس حياة الدّنيا، وإذا جاز دعوة الحي الغائب مثل الملائكة جاز دعوة الميّت الّذي هو حيّ في البرزخ، لأن الاستغاثة استنصار وموالاة، والنصرة والموالاة روحية في أصلها لتطمين القلوب، وإن كان مددها مادّيّ لتثبيت النفوس. ألا ترى أن الله أنزل مدده يوم بدر ألف من الملائكة، وكان يكفي ملك واحد لمحاربة قريش؟؟ أليس للملائكة قوّة تفوق آلاف البشر؟ ألم تكن الأقوام السابقة أكثر قوّة وآثارا من قريش، ورغم ذلك لما أراد الله معاقبتها بعث إليها ملكا أو اثنين؟؟ ألم يقف الملك على رسول الله يستأذنه في إطباق الجبال على قريش لما رجع من الطائف ضعيفا؟؟ لماذا كلّ هذا الجند من الملائكة لمحاربة حفنة من كفار قريش؟؟ لا يمكن أن يكون الجواب إلا لطمأنة الرسول والمؤمنون يوم بدر، ولا يكون الاطمئنان إلا بذكر عدد مناسب في ميزان القوّة بين الفريقين.

ثمّ ألا ترى أن أهل الولاية والنصرة والشفاعة والاستعانة والاستغاثة هم، بعد الله الواحد الأحد: الرسول وصالح المؤمنين والملائكة، حسب آية التخيير؟؟ لأن ولايتهم ونصرتهم وشفاعتهم وغوثهم من الله، وليس من دون الله، وهذا هو الفرق بين المؤمن والمشرك.

وما الضير في التوسّل إلى الله بالصالحين والأنبياء، وهم أهل رحمته المختصّة؟؟ أليس التوسّل بهم: طلب الدخول ضمن الاختصاص الرحماني المسمّى: الولاية؟؟؟ فهل في هذا الطلب ما ينافي التوحيد؟؟؟.

في الحقيقة، الإشكال في التفريق بين الخطاب الموجه إلى الكفار المشركين، وبين الخطاب الموجه إلى المؤمنين. فكلّما توجّه الخطاب القرآني إلى المشركين، أكّد لهم أن الشفاعة بيد الله، وأن الأفعال كلّها بيد الله، وأنه تعالى هو المسبب الأوّل والأخير، فكلّما كان الكلام إلى الكفار، ترى القرآن يرجعهم إلى الله تعالى، لأنهم يعتقدون الشراكة مع الله، والله تعالى لا يقبل الشراكة، فمن هذا الباب يردهم إلى التوحيد الخالص.

أمّا إذا كان الخطاب موجها إلى المؤمنين، فإن الله تعالى، لا ينفي الأسباب والوسائط، لأنها منه وإليه، ولكن لا يجب الاغترار بها، والوقوف معها، والركون إليها، فهذا، وإن كان نقصا في التوحيد، فإنه لا يدخله في الشرك الأكبر. لذلك كان الخطاب في هذا المقام حاثا على إتباع الأسباب وعدم الوقوف معها، لتوصلك، بتوحيدك ومعرفتك، إلى المسبب الأوّل.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

فالملائكة، مثلا، التي هي وسائط في أفعال الله في خلقه، لما استغاث بها عمر ابن الخطاب، لم يعد ذلك نقصا في توحيده، بل نزل القرآن بموافقته، في حين أن نفس الملائكة، لما استغاث بها المشرك، عدّ ذلك كفرا وزيادة، وشركا وزيادة، لأن المشرك ينظر إلى الملائكة نظرة شراكة، والمؤمن ينظر إليها نظر ولاية، وشتان بين الشراكة والولاية، وهذا الحدّ الفاصل بين التوحيد والشرك.

وبرجوعنا إلى الآية، نجد أن قولة ابن تيمية: "وهذه الأقوال كلها حق، فإن الآية تعم من كان معبوده عابدا لله من الملائكة أو الجن أو من البشر" لا تنطبق على المسلمين، وبالذات على الصوفيّة ومحبّي الصالحين، والمنتسبين إلى الحبّ النبوي، والذين يسمّيهم الوهابيّون: القبوريّون، والجهلة، والمشركين. لأن شرط التفسير، أن يكون المعبود عابدا لله، والصوفية لا يعبدون أحدا من دون الله، ولم يصحّ أن ادّعى أحد الألوهية أو الربوبية في الأولياء الصالحين أو الأنبياء، ولم يطلب أي واحد من الصوفية الصالحين من دون الله، بل إن دعاء الصالحين، إنما جاز لولاية الصالحين، واختصاصهم بالرحمة، ومكانتهم لدى الله عزّ وجلّ، وهذا يختلف عن مضمون آية الإسراء.

قال سيدي أحمد الرفاعي:

"إذا استعنتم بعباد الله وأوليائه، فلا تشهدوا المعونة والإغاثة منهم، فإن ذلك شرك، ولكن اطلبوا من الله الحوائج بمحبته لهم. وفي الحديث الشريف: "ربّ أشعث أغبر ذي طمرين، مدفوع في الأبواب، لو أقسم على الله لأبرّه".

هذا هو أدب القوم مع الصالحين، نستعين بهم وستنصرهم من أجل الولاية المخصوصة التي لهم، ومن باب إتيان أبواب الله تعالى، الذي يحب أن يأتي المؤمنون أبوابه. لأنّ "القريب من القريب قريب" كما قال سيدي أحمد الرفاعي.

قال أبو موسى الديبلي :

" سمعت رجلا يسأل أبا يزيد فقال: دلني على عمل أتقرب به إلى ربي عز وجل؟ فقال: أحبب أولياء الله تعالى ليحبوك، فإن الله تعالى ينظر إلى قلوب أوليائه، فلعله أن ينظر إلى اسمك في قلب وليه فيغفر لك".

وقد يقودنا حبّ الصالحين والأولياء إلى ارتكاب الأخطاء إذا كنا جاهلين بالآداب والسنن والأخلاق، هذا ما وضّحه الشيخ حسن العدوي المصري المالكي في كتابه:"مشارق الأنوار" نقلا عن كتاب "شواهد الحق" للنبهاني ص ٩٠-٩١.:

"وما يقع من بعض العوام من قولهم: يا سيدي فلان إن قضيت لي كذا أو شفيت لي مريضي فلك عليّ كذا، فهو من الجهل بالسنّة بكيفيّة الطلب، ولكن لا يعدّ ذلك كفرا لأنّهم لا يقصدون بذلك الإيجاد من الوليّ، وإنّما يجعلونه في نيّاتهم وسيلة إلى مولاهم، حيث كان المتوسّل به في اعتقادهم من أهل القرب والمحبّة للخالق. ألا ترى أنّهم يكررون في أثناء كلامهم: يا صاحب النفس الطاهرة عند ربّك اطلب لي من مولاك يفعل بي كذا، فإن ذلك دليل منهم على انفراد الله بالفعل، وأنه لا شيء للوليّ إلا مجرد

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

التسبب، وأنّه لا يرد المتوسّل به لأن القريب المحبوب لا يرد فيما طلب، فهو من باب قوله صلّى الله عليه وسلّم:" ربّ رجل أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبرّه" وقد ذكر بعض العارفين أن الوليّ بعد موته أشد كرامة منه في حال حياته، لانقطاع تعلّقه بالمخلوق وتجرد روحه للخالق، فيكرمه الله تعالى بقضاء حاجة المتوسّلين به."

فهل هذا الكلام من السادات مناف للتوحيد؟؟؟ هل ابن عبد الوهاب أعرف بالله من أبي يزيد والرفاعي والغزالي وسائر السادات؟؟؟. لماذا يضع الإنسان نفسه موضع تهمة وفتنة؟؟ لو لا سابقة من الله تعالى. نعوذ بالله من الشقاء، دنيا وآخرة.

وثمّة حكاية عن أبي بكر بن يزدانيار، الّذي أنكر على الصوفيّة كثيرا من الأشياء، فرأى رؤيا أفزعته، رأى أبونا آدم عليه السلام غاضبا عنه، وهو يقول له: أنت الّذي تقول في أولادي الصوفية؟؟ فاعتذر له، وبرّر فيما بعد ما قاله في الصوفية بقوله:

"تراني تكلمت بما تكلمت به، إنكارا على التصوّف والصوفية؟!. والله! ما تكلّمت إلا غيرة عليهم، حيثوا أفشوا أسرار الحق، وأبدوها إلى غير أهلها، فحملني ذلك على الغيرة عليهم، والكلام فيهم، وإلا فهم السادة، وبمحبتهم أتقرب إلى الله تعالى."

فانظر يا أخي كيف أنه يتقرّب إلى الله بمحبته إياهم، شأنه شأن كلّ الأولياء والعارفين بالله.

ولمّا كانت الوسيلة هي الرحمة المخصوصة التي يتقرّب بها إلى الله تعالى إليه، بل ويتنافس في القرب منه، رأينا من المفيد أن نردّ على اتهام الوهابيين للصوفيّة بالشرك والجهل، بإيراد مجموعة من الأقوال والتعريفات والحكم، المنسوبة إلى أهل التصوّف، والتي تدور حول مصطلح القرب، مأخوذة من موسوعة الحكمة التي جمعناها.

- العادة جارية بتخصيص اسم الإخلاص بتجريد قصد التقرب إلى الله تعالى عن جميع الشوائب، كما أنّ الإلحاد عبارة عن الميل ولكن خصصته العادة بالميل عن الحق. **أبو حامد الغزالي**

- الإيمان إيمانان: تقليدي كإيمان العوام يصدّقون بما يستمعون ويستمرّون عليه، وإيمان كشفي يحصل بانشراح الصدر بنور الله حتى ينكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه، فيتضح أنّ الكل إلى الله مرجعه ومصيره، إذ ليس في الوجود إلا الله تعالى وصفاته وأفعاله، فهذا الصنف هم المقرّبون النازلون في الفردوس الأعلى، وهم على غاية القرب من الملأ الأعلى، وهم أيضاً على أصناف: فمنهم السابقون ومنهم من دونهم؛ وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى. **أبو حامد الغزالي**

- المقربون، ينقسمون إلى الصديقين وإلى أصحاب اليمين، ومراقبتهم على درجتين:

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الدرجة الأولى: مراقبة المقربين من الصديقين؛ وهي مراقبة التعظيم والإجلال، وهو أن يصير القلب مستغرقاً بملاحظة ذلك الجلال ومنكسراً تحت الهيبة فلا يبقى فيه متسع للالتفات إلى الغير أصلاً، وهذه مراقبة لا نطول النظر في تفصيل أعمالها فإنها مقصورة على القلب أما الجوارح فإنها تتعطل عن التلفت إلى المباحات فضلاً عن المحظورات، وإذا تحركت بالطاعات كانت كالمستعملة بها فلا تحتاج إلى تدبير وتثبيت في حفظها على سنن السداد.... ومن نال هذه الدرجة فقد يغفل عن الخلق حتى لا يبصر من يحضر عنده وهو فاتح عينيه، ولا يسمع ما يقال له مع أنه لا صمم به وقد يمرّ على ابنه مثلاً فلا يكلمه، حتى كان بعضهم يجري عليه ذلك فقال لمن عاتبه: إذا مررت بي فحركني.

الدرجة الثانية: مراقبة الورعين من أصحاب اليمين؛ وهم قوم غلب يقين اطلاع الله على ظاهرهم وباطنهم وعلى قلوبهم، ولكن لم تدهشهم ملاحظة الجلال بل بقيت قلوبهم على حدّ الاعتدال متسعة للتلفت إلى الأحوال والأعمال، إلا أنها مع ممارسة الأعمال لا تخلو عن المراقبة. نعم غلب عليهم الحياء من الله فلا يقدمون ولا يحجمون إلا بعد التثبت فيه، ويمتنعون عن كل ما يفتضحون به في القيامة فإنهم يرون الله في الدنيا مطلعاً عليهم فلا يحتاجون إلى انتظار القيامة. **أبو حامد الغزالي**

- قيل إنّ عمر بن العاص نظر إلى المقبرة فنزل وصلى ركعتين، فقيل له هذا شيء لم تكن تصنعه؟ فقال: ذكرت أهل القبور وما حيل بينهم وبينه فأحببت أن أتقرّب إلى الله بهما. **أبو حامد الغزالي**

- الذي يذكر هو قرب العبد من ربه عز وجل في الصفات التي أمر فيها بالاقتداء والتخلق بأخلاق الربوبية، حتى قيل تخلقوا بأخلاق الله، وذلك في اكتساب محامد الصفات التي هي من صفات الإلهية من العلم والبر والإحسان واللطف وإفاضة الخير والرحمة على الخلق والنصيحة لهم وإرشادهم إلى الحق ومنعهم من الباطل، إلى غير ذلك من مكارم الشريعة. فكل ذلك يقرّب إلى الله سبحانه وتعالى لا بمعنى طلب القرب بالمكان بل بالصفات. **أبو حامد الغزالي**

- قال تعالى: «لا يزال عبدي يتقرّب إلي بالنوافل حتى أحبه» فيكون تقرّبه بالنوافل سبباً لصفاء باطنه وارتفاع الحجاب عن قلبه وحصوله في درجة القرب من ربه، فكل ذلك فعل الله تعالى ولطفه به فهو معنى حبه. **أبو حامد الغزالي**

- من كان مقصده رب الدار ومالك الملك ولم يغلب عليه إلا حبه بالإخلاص والصدق: أنزل: {في مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ} فالأبرار يرتعون في البساتين ويتنعمون في الجنان مع الحور العين والولدان. والمقرّبون ملازمون للحضرة عاكفون بطرفهم عليها يستحقرونه نعيم الجنان بالإضافة إلى ذرّة منها. فقوم بقضاء شهوة البطن والفرج مشغولون، وللمجالسة أقوام آخرون، ولذلك قال رسول الله : «أَكْثَرُ أَهْلِ الجَنَّةِ البُلْهُ وَعَلِيُّونَ لِذَوِي الأَلْبَابِ» ، ولما قصرت الأفهام عن درك معنى عليين عظم أمره فقال: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ} كما قال تعالى: {القَارِعَةُ مَا القَارِعَةُ وَمَا أَدْرَاكَ مَا القَارِعَةُ}. **أبو حامد الغزالي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

- خوف الإبعاد: هذا المعنى في سورة هود هو الذي شيب سيد المحبين إذ سمع قوله تعالى: {أَلاَ بُعْداً لِّثَمُودَ} {ألا بُعداً لمَدْيَنَ كَمَا بَعدت ثَمود} وإنما تعظم هيبة البعد وخوفه في قلب من ألف القرب وذاقه وتنعم به، فحديث البعد في حق المبعدين يشيب سماعه أهل القرب في القرب، ولا يحن إلى القرب من ألف البعد، ولا يبكي لخوف البعد من لم يمكن من بساط القرب. **أبو حامد الغزالي**

- درجات القرب لا نهاية لها وحق العبد أن يجتهد في كل نفس حتى يزاد فيه قرباً، ولذلك قال رسول الله : «مَن اسْتَوَى يَوْماهُ فَهُوَ مَغْبُونٌ وَمَنْ كانَ يَوْمُهُ شَرّاً مِنْ أمسِهِ فَهُوَ مَلْعُونٌ» وكذلك قال عليه السلام: «إنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي فِي اليَوْمِ وَاللَّيْلَةِ حَتَّى أَسْتَغْفِرَ اللَّهَ سَبْعِينَ مَرَّةً» وإنما كان استغفاره من القدم الأوّل فإنه كان بعداً بالإضافة إلى القدم الثاني. **أبو حامد الغزالي**

- قال بعض العارفين من السلف: إني أستحب أن يكون لي في كل شيء نية حتى في أكلي وشربي ونومي ودخولي إلى الخلاء، وكل ذلك مما يمكن أن يقصد به التقرّب إلى الله تعالى. **أبو حامد الغزالي**

- قيل: من سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله نجا. وذلك لعزة الإخلاص وعسر تنقية القلب عن هذه الشوائب، بل الخالص هو الذي لا باعث عليه إلا طلب القرب من الله تعالى. أبو **حامد الغزالي**

- قيل لعبد الواحد بن زيد: هاهنا رجل قد تعبد خمسين سنة، فقصده فقال له: يا حبيب أخبرني عنك هل قنعت به؟ قال: لا، قال أنست به؟ قال: لا، قال: فهل رضيت عنه؟ قال: لا، قال: فإنما مزيدك منه الصوم والصلاة؟ قال: نعم، قال: لولا أني أستحي منك لأخبرتك بأن معاملتك خمسين سنة مدخولة. ومعناه أنك لم يفتح لك باب القلب فتترقى إلى درجات القرب بأعمال القلب، وإنما أنت تعدّ في طبقات أصحاب اليمين، لأن مزيدك منه في أعمال الجوارح التي هي مزيد أهل العموم. **أبو حامد الغزالي**

- روي أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام: ائتني بما ليس في خزائني. قال: يا ربّ، أنت ربّ العالمين، وأي شيء أنقصت خزائنك؟ فقال: يا موسى، اعلم أن خزائني مملوءة كبرياء وعزا وجلالا وجبروتا، ولكن ائتني بالذلّ والانكسار والمسكنة، فأنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي، يا موسى، ما تقرب المتقربون إليّ بأعظم من ذلك. **أحمد الرفاعي**

- يروى أن عيسى عليه السلام مرَّ بثلاثة نفر قد نحلت أبدانهم وتغيرت ألوانهم فقال لهم: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ فقالوا: الخوف من النار، فقال: حق على الله أن يؤمن الخائف. ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فإذا هم أشدّ نحولاً وتغيراً فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ قالوا: الشوق إلى الجنة، فقال: حق على الله أن يعطيكم ما ترجون، ثم جاوزهم إلى ثلاثة آخرين فإذا هم أشد نحولاً وتغيراً كأن على وجوههم المرائي من النور، فقال: ما الذي بلغ بكم ما أرى؟ قالوا: نحب الله عز وجل، فقال أنتم المقرّبون أنتم المقرّبون أنتم المقرّبون. **أبو حامد الغزالي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

- سئل عن القرب، فقال: قربك منه بملازمة الموافقات، وقربه منك بدوام التوفيق. **أبو عبد الله محمّد بن خفيف**

- القرب طيّ المسافات بلطيف المداناة. **أبو عبد الله محمّد بن خفيف**

- رأيت في المنام كأني أتكلم على الناس فوقف علي ملك فقال: أقرب ما تقرّب به المتقربون إلى الله تعالى ماذا؟ فقلت: عمل خفي بميزان وفيّ، فولّى الملك وهو يقول: كلام موفق والله. **الجنيد**

- قال لها سفيان الثوري: ما أقرب ما تقرّب به العبد إلى الله عزّ وجلّ؟ فبكت، وقالت: مثلي يسأل عن هذا؟ أقرب ما تقرّب العبد به إلى الله تعالى أن يعلم أنه لا يحب من الدنيا والآخرة غيره. **رابعة العدويّة**

- تقربوا من باب مغفرته بالتوبة والعمل المرضي عنده. **أحمد الرفاعي**

- السعادة الأخروية في القرب من الله، والنظر إلى وجهه، وذلك لا ينال أصلاً إلا بالمعرفة التي يعبر عنها بالإيمان والتصديق. **أبو حامد الغزالي**

- علام جهلك: اشتغالك بنفسك وأهلك؟ لا أقول لك دعهم على حافة الإهمال وخذ لك صومعة في الجبال، بل أقول لك: تقرب إلى الله بخدمة عيالك وروح نفسك، وطب بربك عن الكلّ. **أحمد الرفاعي**

- العارف، كلّ يوم أخشع، لأنه ـ كلّ ساعة ـ أقرب. **ذو النون المصري**

- جاءتها إمرأة من اهل بلخ، فقالت لها: ما حاجتك؟ قالت: جئت لأتقرب إلى الله بخدمتك. فقالت لها: لم لا تتقربين إليّ بخدمة ربّك؟. **أم علي إمرأة أحمد بن خضرويه البلخي**

- قيل له: نراك تبكر وتصلي في آخر الصفوف، فقال: إنما يراد قرب القلوب لا قرب الأجساد. **بشر بن الحارث**

- إن الله يرزق العباد الحلاوة، فمن أجل فرحهم بها يمنعهم حقائق القرب. **أبو يزيد البسطامي**

- أقرب الخلق إلى الله أوسعهم خلقا. **أحمد بن خضرويه البلخي**

- القرب بالوجد جمع، والغيبة بالبشريّة تفرقة. **الجنيد**

- قيل له: علّمني شيئا يقربني إلى الله تعالى، ويقربني من الناس؟ فقال: أما الّذي يقربك إلى الله فمسألته، وأما الّذي يقربك إلى الناس فترك مسألتهم. **أبو بكر الوراق**

- أرواح الأنبياء في حال الكشف والمشاهدة، وأرواح الصديقين في القربة والإطلاع. **ممشاذ الدينوري**

- من آواه الله إلى قربه، أرضاه بمجاري المقدور عليه، فإنه ليس على بساط القربة تسخط. **مظفر القرميسيني**

- من قتله الحب، أحياه القرب. **مظفر القرميسيني**

- إن الله تعالى يرزق العبد حلاوة ذكره، فإن فرح به وشكره، آنسه بقربه، وإن قصر في الشكر، أجرى الذكر على لسانه، وسلبه حلاوته. **أبو علي بن الكاتب**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

- ذكر الله باللسان يورث الدرجات، وذكره بالقلب يورث القربات. أبو الحسين بن بنان

- علامة القرب: الانقطاع عن كلّ شيء سوى الله تعالى. **أبو بكر الدقي**

- طلب القرب بلا أعمال محال وأي محال. أح**مد الرفاعي**

- إن أقرب الناس إلى الله تعالى يوم القيامة من طال جوعه وعطشه وحزنه في الدنيا فهم الأتقياء الأخفياء الذين إذا شهدوا لم يعرفوا ، وإذا غابوا لم يفقدوا الحديث. ابن سيرين

- من تقرب إلى الله عظم خوفه من الله. **أحمد الرفاعي**

- مهدوا سبيل القرب: فهو الانقطاع عن كلّ شيء سوى الله. **أحمد الرفاعي**

- أقبل مني كلمة: لا تجالسه إلا بأدب، فيمحوا أسمك من ديوان القرب. عائشة المكية

- الخوف سوط الله يسوق به عباده إلى المواظبة على العلم والعمل لينالوا بهما رتبة القرب من الله تعالى. **أبو حامد الغزالي**

- سئل المحاسبي عن المراقبة فقال: أوّلها علم القلب بقرب الرب تعالى. **أبو حامد الغزالي**

- أيّ حال أقرب؟ بلى والله، حال الإتعاظ بتجرد الرجل عن نفسه، وحوله وطوله، أقرب وأشدّ وقعا في النفوس، من الغلبة القاهرة، فإن الغلبة القاهرة تبقي بقية مضمرة في النفس كيف كانت، وحالة الانكسار تبقي ولا تذر، تدخل إلى دائرة النفس فتطهّرها، وإلى دائرة القلب فتقر فيه، ولا يبقى معها ضدّها أبدا. فإذا وعظتم الناس: إياكم والتصريح، وخذوا بالتلويح، فإن هناك رائحة السنة وشمّة النفحة النبوية، وبها، والله، يصلح الله القلوب، فلا حاجة معها لأحوالكم أبدا. **أحمد الرفاعي**

فيا أخي وصديقي: أي علاقة بين هذه الأقوال والحكم وبين ما قاله الوهابيّون حول الوسيلة: إنها الطاعة والأعمال الصالحة؟؟؟ أي فرق يجده قلبك، بين من يتكلّم عن تحقيق في التوحيد، وفي مقام القرب، وبين من يتكلّم عن أسماء لا تتعدّى الخيال والوهم في ذهنه؟؟؟.

إن آية الإسراء تتحدّث عن أهل المقام القربي العالي، الذين تحققوا بتوحيدهم، ابتغوا بقلوبهم المخلصة الرحمة المخصوصة، علم الولاية المنشور على سرّهم، فشاهدوا الحق عن قرب لا عن وصف، واستناروا بنور الوسيلة، ومع ذلك لم يقفوا عند هذا النور، بل صاحبهم خوف دائم من البعد، ورجاء دائم للرحمة والقرب. وما محبّة الصالحين والأنبياء والتوسل بهم والاستعانة بهم والاستغاثة بهم، والتشفع والتبرك بهم، واستنصارهم، إلا من هذا الباب: باب الولاية والوسيلة، وليس من باب الشراكة كما يفعل المشركون.

هذا هو الفرق الذي عجز الوهابيّون عن هضمه، وساءهم قبوله، لأنه يخالف رؤيتهم المسبّقة للموضوع. فأذهانهم ترسّخ فيها أن الصوفيّة جهلة ومشركون، وأنهم هم وحدهم أهل التوحيد، ويجب الهجرة إليهم. وإليك أخي القارئ، نصّا توسّليّا، لأحد

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

أشهر الأولياء الأقطاب الأغواث، الذي اعتبره مفتيو الفتنة الوهابية مشركا، ودعوا أتباعهم بعدم قراءة أحزابه الدعائيّة، وهو سيدي أبي الحسن الشاذلي قدّس الله سرّه الشريف، يقول في حزب التوسّل، والذي سبق وأن ذكرناه في فصل: مفهوم القضاء في فكر ابن عبد الوهاب:

"بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم إني أتوسّل بك إليك. اللهم إني أقسم بك عليك. اللهم كما كنت دليلي عليك، فكن شفيعي إليك. اللهم إن حسناتي من عطائك وسيئاتي من قضائك، فجد اللهم بما أعطيت على ما به قضيت، حتى تمحو ذلك بذلك، لا لمن أطاعك فيما أطاعك فيه له الشكر، ولا لمن عصاك فيما عصاك فيه له العذر، لأنك قلت وقولك الحق: لا يسأل عما يفعل وهم يسألون.

اللهم لو لا عطاؤك لكنت من الهالكين، ولو لا قضاؤك لكنت من الفائزين، وأنت أجلّ وأعظم وأعزّ وأكرم من أن تطاع إلا بإذنك ورضاك، أو أن تعصى إلا بحكمك وقضاك. إلهي ما أطعتك حتى رضيتَ ولا عصيتك حتى قضيتَ، أطعتك بإرادتك والمنّة لك عليّ، وعصيتك بتقديرك والحجّة لك عليّ. فبوجوب حجّتك وانقطاع حجّتي إلا ما رحمتني، وبفقري إليك وغناك عني إلا ما كفيتني، يا أرحم الراحمين.

اللهم إني لم آت الذّنوب جرأة مني عليك، ولا استخفافا بحقّك، ولكن جرى بذلك قلمك، ونفذ به حكمك، وأحاط به علمك، ولا حول ولا قوّة إلا بك، والعذر إليك، وأنت أرحم الراحمين.

اللهم إن سمعي وبصري ولساني وقلبي بيدك لم تملّكني من ذلك شيئا، فإذا قضيت بشيء فكن أنت وليّي واهدني إلى أقوم السبيل، يا خير من سئل، ويا أكرم من أعطى، يا رحمن الدنيا والآخرة، ارحم عبدا لا يملك الدنيا ولا الآخرة، إنك على كلّ شيء قدير.

وحسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير. ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم.

وصلّى الله على سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم."

فانظر يا أخي إلى هذه النظرة التوحيدية للتوسّل والوسيلة، حيث توسّل بأكبر وسيلة عرفها قلبه، وهو: الله سبحانه، توسّل به إليه، فكان الله هو وسيلته، فكيف يقول الوهابيّون: إن الوسيلة هي الأعمال الصالحة والطاعة؟؟؟. بل إن الشارح لا يستحي من قوله:

"وفيه قضية قديمة معاصرة: وهى الانحراف في مفهوم معنى الوسيلة حيث يظنها المبتدعة المعاصرة أن معناها أن تجعل لك واسطة أي أحد الصالحين الأموات يتوسط لك عند الله وهو وسيلتك في هذا، وبعضهم يقول أن معناها أن تدعو الله عند قبر صالح فيكون وسيلتك إلى الله، وكل هذا انحراف وضلال، بل معنى الوسيلة ما ذكره صاحب الفتح ونقل الإجماع عليه."

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

فهو لا يرضى أن تكون الوسيلة واسطة بينه وبين الله تعالى، ويراها انحرافا، فماذا يقول إذن في قول الوليّ: " اللهم إني أتوسّل بك إليك"؟؟. ومثله من توسّل بالنبيّ وبالصالحين؟؟؟.

ملحق المصطلحات الأساسية

الله

الله: علم دال على الإله الحق دلالة جامعة لمعاني الأسماء الحسنى كلّها. **علي الجرجاني**

النظر إلى ذات الله تعالى يورث الحيرة والدهش واضطراب العقل، فالصواب إذن أن لا يتعرّض لمجاري الفكر في ذات الله سبحانه وصفاته، فإنّ أكثر العقول لا تحتمله، بل القدر اليسير الذي صرح به بعض العلماء وهو: أنّ الله تعالى مقدّس عن المكان ومنزه عن الأقطار والجهات وأنه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا هو متصل بالعالم ولا هو منفصل عنه؛ قد حير عقول أقوام حتى أنكروه إذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته. بل ضعفت طائفة عن احتمال أقل من هذا إذ قيل لهم: إنه يتعاظم ويتعالى عن أن يكون له رأس ورجل ويد وعين وعضو، وأن يكون جسماً مشخصاً له مقدار وحجم. فأنكروا هذا وظنوا أن ذلك قدح في عظمة الله وجلاله حتى قال بعض الحمقى

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

من العوام إن هذا وصف بطيخ هندي لا وصف الإله لظن المسكين أن الجلالة والعظمة في هذه الأعضاء. وهذا لأن الإنسان لا يعرف إلا نفسه فلا يستعظم إلا نفسه فكل ما لا يساويه في صفاته فلا يفهم العظمة فيه نعم غايته أن يقدّر نفسه جميل الصورة جالساً على سريره وبين يديه غلمان يمتثلون أمره، فلا جرم غايته أن يقدّر ذلك في حق الله ـــ تعالى وتقدّس ـــ حتى يفهم العظمة. بل لو كان للذباب عقل وقيل له ليس لخالقك جناحان ولا يد ولا رجل ولا له طيران لأنكر ذلك وقال: كيف يكون خالقي أنقص مني؟ أفيكون مقصوص الجناح أو يكون زمناً لا يقدر على الطيران؟ أو يكون لي آلة وقدرة لا يكون له مثلها وهو خالقي ومصوري؟ وعقول أكثر الخلق قريب من هذا العقل، وإن الإنسان لجهول ظلوم كفار، ولذلك أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه: لا تخبر عبادي بصفاتي فينكروني ولكن أخبرهم عني بما يفهمون. **أبو حامد الغزالي**

الفكر في جلال الله وعظمته وكبريائه. وفيه مقامان: المقام الأعلى الفكر في ذاته وصفاته ومعاني أسمائه، وهذا مما منع منه حيث قيل تفكروا في خلق الله تعالى ولا تفكروا في ذات الله، وذلك لأنّ العقول تتحير فيه فلا يطيق مدّ البصر إليه، إلا الصدّيقون ثم لا يطيقون دوام النظر، بل سائر الخلق أحوال أبصارهم بالإضافة إلى جلال الله تعالى كحال بصر الخفاش بالإضافة إلى نور الشمس، فإنه لا يطيقه البتة،.... وأحوال الصدّيقين كحال الإنسان في النظر إلى الشمس فإنه يقدر على النظر إليها ولا يطيق دوامه ويخشى على بصره لو أدام النظر ونظره المختطف إليها يورث العمش ويفرق البصر.

المقام الثاني: وهو النظر في أفعاله ومجاري قدره وعجائب صنعه وبدائع أمره في خلقه فإنها تدل على جلاله وكبريائه وتقدّسه وتعاليه، وتدل على كمال علمه وحكمته وعلى نفاذ مشيئته وقدرته. فينظر إلى صفاته من آثار صفاته، فإنا لا نطيق النظر إلى صفاته كما أنّا نطيق النظر إلى الأرض مهما استنارت بنور الشمس. **أبو حامد الغزالي**

القصص وردت في القرآن لتعرف بها سنة الله في عباده الذين خلوا من قبل، فما في القرآن شيء إلا وهو هدى ونور وتعرف من الله تعالى إلى خلقه، فتارة يتعرّف إليهم بالتقديس فيقول: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ اللَّهُ الصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ} وتارة يتعرف إليهم بصفات جلاله فيقول: {المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلاَمُ المُؤْمِنُ المُهَيمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ المُتَكَبِّرُ} وتارة يتعرّف إليهم في أفعاله المخوفة والمرجوّة فيتلو عليهم سنته في أعدائه وفي أنبيائه فيقول: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بعَادٍ إرَمَ ذَاتِ العِمَادِ} ـــ {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بأَصْحَابِ الفِيلِ}. **أبو حامد الغزالي**

قال الله تعالى: {فَلَمَّا جَنَّ عَليهِ اللَّيلُ رَأى كَوْكَباً قَالَ هَذَا رَبِّـي} وليس المعنى به هذه الأجسام المضيئة فإنه كان يراها في الصغر ويعلم أنها ليست آلهة وهي كثيرة وليست واحداً، والجهال يعلمون أن الكوكب ليس بإله فمثل إبراهيم عليه السلام لا يغرّه الكوكب الذي لا يغرّ السوادية. ولكن المراد به أنه نور من الأنوار التي هي من حجب

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الله عز وجل وهي على طريق السالكين، ولا يتصوّر الوصول إلى الله تعالى إلا بالوصول إلى هذه الحجب، وهي حجب من نور بضعها أكبر من بعض وأصغر النيرات الكوكب فاستعير له لفظه وأعظمها الشمس وبينهما رتبة القمر، فلم يزل إبراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السموات حيث قال تعالى: {وَكَذَلِكَ نُري إبْراهيمَ مَلَكُوتَ السَّمَواتِ والأرْضِ} يصل إلى نور بعد نور ويتخيل إليه في أوّل ما كان يلقاه أنه قد وصل، ثم كان يكشف له أن وراءه أمراً فيترقى إليه ويقول: قد وصلت فيكشف له ما وراءه حتى وصل إلى الحجاب الأقرب الذي لا وصول إلا بعده، فقال: {هٰذَا أكْبَرُ} فلما ظهر له أنه مع عظمه غير خال عن الهوى في حضيض النقص والانحطاط عن ذروة الكمال {قال لا أحب الآفلين} إلى أن قال: {إنِّي وَجَّهْتُ وَجْهي للَّذي فَطَرَ السَّمواتِ والأرْضَ}. **أبو حامد الغزالي**

العزيز المقدّر واحد، أظهر القدرة على أشباح متفرقة وهياكل متباينة، وهو واحد في ذاته، غير متحيّز ولا منقسم ولا حال ولا متحد، ولكن تجلى لعباده بأفعاله وقدرته. **أحمد الرفاعي**

ما ثم اتصال ولا انفصال، ولا حلول ولا انتقال، ولا حركة ولا زوال، ولا مماسة ولا مجاورة، ولا محاذاة ولا مقابلة، ولا مساواة ولا مماثلة، ولا مجانسة ولا مشاكلة، ولا تجسد ولا تصوّر، ولا انفعال ولا تكوّن، ولا تغير، كلّ هذه نعوت حدثك، والحق سبحانه من وراء نعوتك وصفاتك. **أحمد الرفاعي**

قال تعالى: {أوَلَمْ يَكْفِ برَبِّكَ أنَّه عَلَى كُلِّ شيءٍ شهيدٍ} وقال: {شَهِدَ اللَّهُ أنَّهُ لاَ إلَهَ إلاَّ هُوَ} فبين أنه الدليل على نفسه. وذلك ليس متناقضاً بل طرق الاستدلال مختلفة، فكم من طالب عرف الله تعالى بالنظر إلى الموجودات، وكم من طالب عرف كل الموجودات بالله تعالى كما قال بعضهم: عرفت ربي بربي، ولولا ربي لما عرفت ربي، وهو معنى قوله تعالى: {أوَلَمْ يَكْفِ برَبِّكَ أنَّه على كُلِّ شيءٍ شهيدٍ}. **أبو حامد الغزالي**

الله تعالى هو أظهر الأمور وبه ظهرت الأشياء كلها، ولو كان له عدم أو غيبة أو تغير لانهدّت السموات والأرض وبطل الملك والملكوت، ولأدرك بذلك التفرقة بين الحالين. ولو كان بعض الأشياء موجوداً به وبعضها موجوداً بغيره لأدركت التفرقة بين الشيئين في الدلالة، ولكن دلالته عامة في الأشياء على نسق واحد ووجوده دائم في الأحوال يستحيل خلافه، فلا جرم أورثت شدّة الظهور خفاء، فهذا هو السبب في قصور الأفهام. **أبو حامد الغزالي**

قيل: أخبرنا عن الله ما هو؟ قال: إله واحد. قيل: كيف هو؟ قال: ملك قادر. قيل: أين هو؟ قال: بالمرصاد. قيل: ليس عن هذا أسألك! قال: فذاك صفة المخلوق، فأما صفة الخالق، فما أخبرتك به. **يحيى بن معاذ**

اعلم أن كلّ ما توهّمه قلبك أو سنح في مجارى فكرك أو خطر لك في معارضات قلبك، من حسن أو بهاء، أو جمال أو قبح، أو نور أو شبح، أو شخص أو خيال، فالله تعالى ذكره بعيد من ذلك كلّه، بل هو أعظم وأجلّ وأكبر، ألا تسمع إلى

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

قوله تعالى: "ليس كمثله شيء" الشورى ١١. وإلى قوله: "لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد" الإخلاص ٣-٤. عمرو بن عثمان المكي

ما انفصلت البشرية عنه ولا اتصلت به. **الحسين بن منصور الحلاج**

سئل بعض العارفين عن الخالق تقدست أسماءه، فقال للسائل: إن سألت عن ذاته فليس كمثله شيء، وإن سألت عن صفاته، فهو أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد، وإن سألت عن اسمه، فهو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم، وإن سألت عن فعله، فكلّ يوم هو في شأن. **أحمد الرفاعي**

من زعم أن الله في شيء أو من شيء أو على شيء فقد أشرك. إذ لو كان على شيء لكان محمولا، ولو كان في شيء لكان محصورا، ولو كان من شيء لكان محدثا. **جعفر الصادق**

دخل عليه رجل من الخوارج فقال له: يا أبا جعفر أي شيء تعبد؟ قال: الله تعالى، قال: رأيته؟ قال: لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يعرف بالقياس ولا يدرك بالحواس ولا يشبه بالناس، موصوف بالآيات، معروف بالعلامات لا يجوز في حكمه ذلك الله، لا إله إلا هو، قال: فخرج الرجل وهو يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالته. **جعفر الصادق**

قيل له: أخبرني عن الله تعالى هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال: نعم، وقد رأوه قبل يوم القيامة، فقلت: متى؟ قال: حين قال لهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ ثم سكت ساعة، ثم قال: وإن المؤمنين ليرونه في الدنيا قبل يوم القيامة، ألست تراه في وقتك هذا؟ جعفر الصادق

ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا بغير معاناة وحركة، فيكون كما هو في السماء السابعة على العرش، كذلك هو في السماء الدنيا، إنما يكشف عن عظمته ويرى أولياءه نفسه حيث شاء ويكشف ما شاء من قدرته، ومنظره في القرب والبعد سواء. **جعفر الصادق**

من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعاً أنه لا وجود له من ذاته وإنما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله وإلى الله وبالله، فهو المخترع الموجد له وهو المبقي له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الأسباب الموصلة إليه وخلق الهداية إلى استعمال الأسباب، وإلا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته، بل هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله تعالى عليه بالإيجاد، وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالإبقاء، وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته. وبالجملة فليس في الوجود شيء له بنفسه قوام إلا القيوم الحي الذي هو قائم بذاته، وكل ما سواه قائم به. **أبو حامد الغزالي**

الإحاطة بكنه جلال الله محال. **أبو حامد الغزالي**

من أحب غير الله لا من حيث نسبته إلى الله فذلك لجهله وقصوره في معرفة الله تعالى، وحب الرسول محمود لأنه عين حب الله تعالى، وكذلك حب العلماء والأتقياء، لأن محبوب المحبوب محبوب ورسول المحبوب محبوب ومحب المحبوب

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

محبوب، وكل ذلك يرجع إلى حب الأصل فلا يتجاوزه إلى غيره، فلا محبوب بالحقيقة عند ذوي البصائر إلا الله تعالى ولا مستحق للمحبة سواه. **أبو حامد الغزالي**

لا بدّ للعبد في كل حال من مولاه، فأحسن أحواله أن يرجع إليه في كل شيء فإن عصى قال يا رب استر عليَّ، فإذا فرغ من المعصية قال يا رب تب عليَّ، فإذا تاب قال يا رب ارزقني العصمة، وإذا عمل قال يا رب تقبل مني. **سهل بن عبد الله التستري**

إذا وجدت قلبك مع الله فاحذر من نفسك، وإذا وجدت قلبك مع نفسك فاحذر من الله. **الشبلي**

حجبهم بالاسم فعاشوا، ولو أبرز لهم علوم القدرة لطاشوا، ولو كشف لهم الحجاب عن الحقيقة لماتوا. **الحسين بن منصور الحلاج**

قال الشبلي: إن فاتكم الله، فلا يفوتنكم أمره. **أم الحسين الوراقة**

الله قبلة النيّة، والنية قبلة القلب، والقلب قبلة البدن، والبدن قبلة الجوارح، والجوارح قبلة الدنيا. **سهل بن عبد الله التسترى**

أدلّ الأشياء على الله ثلاثة: ملكه الظاهر، ثم تدبيره في ملكه، ثم كلامه الذي يستوفي كلّ شيء. **أبو محمّد الحريري**

وقال له رجل: أريد أن أصحبك، فقال: إذا مات أحدنا فمن يصحب الآخر؟ قال: الله قال: فليصحبه الآن. **سهل بن عبد الله التستري**

من كان لله كان الله له. **أبو حامد الغزالي**

من حصل له الله حصل له كلّ شيء، ومن فاته الله فاته كلّ شيء. أحمد الرفاعي

الدنيا عائق عن الله تعالى. **أبو حامد الغزالي**

لا تعطيل لكلمة الله، "إن وليّ الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولى الصالحين" الأعراف ١٩٦. يتولى أمورهم وأمور مناديهم، ولم يزل يناديهم، حال حياتهم، وبعد مماتهم، بلحوق علم منهم، وبغير لحوق علم منهم. **أحمد الرفاعي**

الله الله، أحذركم الله امتثالا، ويحذركم الله نفسه أمرا، فقابلوا النصيحة بالقبول، وقابلوا الأمر المطاع بالامتثال، وإياكم ومحاربة الله، فما فاز من حاد الله، ولا ذلّ من والى الله، "ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا يحزنون" يونس ٦٢. **أحمد الرفاعي**

قال مطرف: ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب والحمار: اللهم اخزه وما أشبه ذلك. **أبو حامد الغزالي**

قال بعض العلماء: الحلم أرفع من العقل لأن الله تعالى تسمى به. **أبو حامد الغزالي**

لا أريد من الله إلا الله. **أبو يزيد البسطامي**

دعوت نفسي إلى الله فأبت عليّ واستعصت، فتركتها ومضيت إلى الله عز وجل. **أبو يزيد البسطامي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

رأيت رب العزة تبارك وتعالى في المنام، فقلت :يا ربّ، كيف الطريق إليك؟ قال: اترك نفسك ثم تعالى. **أبو يزيد البسطامي**

رأيت رب العزة في منامي فقال لي: يا أحمد كل الناس يطلبون مني إلا أبا يزيد فإنه يطلبني. **أحمد بن خضرويه**

اجعل الصدق مطيتك والحق سيفك والله تعالى غاية طلبتك. **أبو سليمان الداراني**

لا يقولن أحدكم هذا لوجه الله ولوجهك ولا يقولن هذا لله وللرحم، فإن الله تعالى لا شريك له. **الضحاك**

كن مع الله ترى الله معك. **أحمد الرفاعي**

ما تركت طريقا صعبا، ولا مسلكا غضا إلا كشفت قناعه ورفعت بأكف عساكر الهمّة ستره المسدول وشراعه، ودخلت على الله من كلّ باب فرأيت على الكلّ ازدحاما عظيما، فجئته من باب الذلّ والانكسار، فرأيته خاليا، فوصلت وحصلت مطلوبي، والطلاب على الأبواب. أعطاني ربي من فضله ومواهبه ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من أهل هذا العصر. **أحمد الرفاعي**

أما قول ابن عطاء: إنّ الغني وصف الحق، فقد أجابه بعض الشيوخ فقال: أترى أنّ الله تعالى غني بالأسباب والأعراض، فانقطع ولم ينطق، وأجاب آخرون فقالوا: إنّ التكبر من صفات الحق فينبغي أن يكون أفضل من التواضع، ثم قالوا: بل هذا يدل على أنّ الفقر أفضل لأن صفات العبودية فضل للعبد كالخوف والرجاء، وصفات الربوبية لا ينبغي أن ينازع فيها، ولذلك قال تعالى فيما روى عنه نبينا : «الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا قَصَمْتُهُ» . **أبو حامد الغزالي**

بقدر ما يأنس العبد بالدنيا يستوحش من الآخرة؟ وبقدر ما يأنس بصفة من صفاته سوى صفة المعرفة بالله يستوحش من الله ومن حبه، ومهما انقطعت أسباب الأنس بالدنيا تجافى القلب عن الدنيا وزهرتها، والقلب إذا تجافى عما سوى الله تعالى وكان مؤمناً بالله انصرف لا محالة إلى الله، إذ لا يتصوّر قلب فارغ، وليس في الوجود إلا الله تعالى وغيره، فمن أقبل على غيره فقد تجافى عنه ومن أقبل عليه تجافى عن غيره، ويكون إقباله على أحدهما بقدر تجافيه عن الآخر، وقربه من أحدهما بقدر بعده من الآخر، ومثلهما مثل المشرق والمغرب فإنهما جهتان، فالمتردد بينهما يقدر ما يقرب من أحدهما يبعد عن الآخر، بل عين القرب من أحدهما هو عين البعد من الآخر، فعين حب الدنيا هو عين بغض الله تعالى. **أبو حامد الغزالي**

كل ما قسم الله تعالى بين عباده من رزق وأجل وسرور وحزن وعجز وقدرة وإيمان وكفر وطاعة ومعصية، فكله عدل محض لا جور فيه، وحق صرف لا ظلم فيه، بل هو على الترتيب الواجب الحق على ما ينبغي وكما ينبغي وبالقدر الذي ينبغي، وليس في الإمكان أصلاً أحسن منه ولا أتم ولا أكمل ولو كان وادخره مع القدرة ولم

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

يتفضل بفعله لكان بخلاً يناقض الجود وظلماً يناقض العدل، ولو لم يكن قادراً لكان عجزاً يناقض الإلهية. **أبو حامد الغزالي**

مرض أعرابـي فقيل له إنك تموت، فقال: أين يذهب بـي؟ قالوا: إلى الله، قال: فما كراهتي أن أذهب إلى من لا يرى الخير إلا منه. **أبو حامد الغزالي**

قيل لبعضهم وهو في النزع: قل: الله فقال: إلى متى تقولون الله وأنا محترق بالله. **أبو حامد الغزالي**

يبادر أقوام من شدة الفزع فيقولون للملائكة: أفيكم ربنا؟ وذلك لعظم موكبهم وشدة هيبتهم فتفزع الملائكة من سؤالهم إجلالاً لخالقهم عن أن يكون فيهم، فنادوا بأصواتهم منزهين لمليكهم عما توهمه أهل الأرض وقالوا: سبحان ربنا ما هو فينا ولكنه آت من بعد، وعند ذلك تقوم الملائكة صفاً محدقين بالخلائق من الجوانب وعلى جميعهم شعار الذل والخضوع وهيئة الخوف والمهابة لشدة اليوم. **أبو حامد الغزالي**

إذا ابتلي العبد ببليّة: تحرك أوّلا في نفسه بنفسه، فإن لم يتخلّص منها، استعان من الخلق، كالسلاطين وأرباب المناصب وأرباب الدنيا وأصحاب الأحوال وأهل الطب في الأمراض والأوجاع، فإن لم يجد في ذلك خلاصا، رجع إلى ربّه بالدعاء والتضرّع والثناء. ما دام يجد بنفسه نصرة لم يرجع إلى الخلق، وما دام يجد به عند الحق نصرة استطرح بين يديه مديما للسؤال والدعاء والتضرّع والثناء والافتقار مع الخوف والرجاء. ثمّ يعجزه الخالق عزّ وجلّ عن الدعاء ولم يجبه حتى ينقطع عن جميع الأسباب، فحينئذ ينفذ فيه القدر، ويفعل فيه الفعل، فيفنى العبد عن جميع الأسباب والحركات، فيبقى روحا فقط، فلا يرى إلا فعل الحق، فيصير موقنا موحدا ضرورة، يقطع أن لا فاعل في الحقيقة إلا الله، لا محرك ولا مسكن إلا الله، ولا خير ولا شرّ ولا نفع ولا ضرّ ولا نفع ولا عطاء ولا منع، ولا فتح ولا غلق، ولا موت ولا حياة، ولا عزّ ولا ذلّ إلا بيد الله، فيصير في القدر كالطفل الرضيع في يد الظئر، والميت الغسيل في يد الغاسل، والكرة في صولجان الفارس، بقلب ويغير ويبدل، ويكون ولا حراك به في نفسه ولا في غيره، فهو غائب عن نفسه في فعل مولاه، فلا يرى غير مولاه وفعله. **عبد القادر الجيلاني**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

أدب

الأدب: عبارة عن معرفة ما يحترز به عن جميع أنواع الخطإ. **علي الجرجاني**

الأدب: عند أهل الحقيقة أربعة أنواع: أدب الشريعة، وأدب الخدمة، وأدب الحق، وأدب الحقيقة وهو جماع كل خير. **محمد عبد الرؤوف المناوي**

أتقنوا الأدب: فهو وضع الشيء موضعه. **أحمد الرفاعي**

الآداب رشح المعارف. **أبو حامد الغزالي**

الأدب ترجمان العقل. **السري السقطي**

كان يقال: الأدب سند الفقراء، وزين الأغنياء. **أبو عثمان النيسابوري**

من ألزم نفسه آداب السنة، نوّر الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من مقام متابعة الحبيب صلى الله عليه وسلم في أوامره وأفعاله وأخلاقه، والتأدب بآدابه قولا وفعلا، وعزما وعقدا ونيّة. **أبو العباس بن عطاء**

من تأدب بآداب الصالحين، فإنه يصلح لبساط الكرامة، ومن تأدب بآداب الأولياء، فإنه يصلح لبساط القربة، ومن تأدب بآداب الصدّيقين، فإنه يصلح لبساط المشاهدة، ومن تأدب بآداب الأنبياء، فإنه يصلح لبساط الأنس والانبساط. **أبو العباس بن عطاء**

العلماء بالله هم الواقفون معه على حدود الآداب، لا يتجاوزونها إلا بإذن. **محمّد بن حامد الترمذي**

أقبل مني كلمة: لا تجالسه إلا بأدب، فيمحوا أسمك من ديوان القرب. **عائشة المكية**

التصوّف كلّه آداب: لكلّ وقت أدب، ولكلّ مقام أدب، فمن لزم آداب الأوقات، بلغ مبلغ الرجال، ومن ضيّع الآداب، فهو بعيد من حيث يظن القرب، ومردود من حيث يرجو القبول. **أبو حفص النيسابوري**

أدنى الأدب أن تقف عند الجهل، وآخر الأدب أن تقف عند الشبهة. **سهل بن عبد الله التسترى**

الأدب للعارف، كالتوبة للمستأنف. **أبو بكر الوراق**

من لم ترضه أوامر المشايخ وتأديبهم، فإنه لا يتأدب بكتاب ولا سنة. **محمّد بن حامد الترمذي**

ابتلينا بزمان ليس فيه آداب الإسلام، ولا أخلاق الجاهلية، ولا أحلام ذوي المروءة. **أبو بكر الواسطي**

من تأدب بآداب الشرع، تأدب به متبعوه، ومن تهاون بالآداب، هلك وأهلك. **مظفر القرميسيني**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

السياحة ـ بالنفس ـ لآداب الظواهر علما وخلقا، والسياحة ـ بالقلب ـ لآداب البواطن حالا ووجدا وكشفا. **إبراهيم بن المولد**

من كان مؤدبه ربّه لا يغلبه أحد. **أبو العباس بن مسروق**

أدب المريد في أربعة أشياء: التزام حرمات المشايخ، وخدمة الإخوان، والخروج عن الأسباب، وحفظ آداب الشرع على نفسه. **ممشاذ الدينوري**

القلوب أوعية وظروف. وكل وعاء وظرف يصلح لنوع من المحمولات: فقلوب الأولياء أوعية للمعرفة، وقلوب العارفين أوعية المحبة، وقلوب المحبين أوعية الشوق، وقلوب المشتاقين أوعية الأنس، ولكلّ من هذه الأحوال آداب، من لم يستعملها في أوقاتها هلك، من حيث يرجو النجاة. **أبو الحسين بن هند**

أصل كلّ خير ملامة الأدب في جميع الأحوال والأفعال. **أبو الحسين بن هند**

لو أن رجلا جمع العلوم كلّها، وصحب طوائف الناس، لا يبلغ مبلغ الرجال إلا بالرياضة من شيخ، أو إمام أو مؤدب، أو ناصح. ومن لم يأخذ أدبه من آمر له وناه، يريه عيوب أعماله، ورعونات نفسه، لا يجوز الاقتداء به في تصحيح المعاملات. **أبو علي الثقفي**

من لم يأخذ الأدب عن حكيم، لا يتأدب به مريد. **مظفر القرميسيني**

لا تلبس تقويم ما لا يستقيم، ولا تأديب من لا يتأدب. **أبو علي الثقفي**

استعمال الآداب دليل الجنسية. بل تكون علّة الضم. **أحمد الرفاعي**

التصوّف كلّه أدب، وهذا الأدب الّذي أشارت إليه الطائفة: أدب الشرع. **رويم**

الصوفي أدبه يدلّ على مقامه. زنوا أقواله وأفعاله وأحواله وأخلاقه بميزان الشرع، يعلم لديكم ثقل ميزانه وخفته. **أحمد الرفاعي**

آداب الظواهر عنوان آداب البواطن. **أبو حامد الغزالي**

عليكم بالأدب، فإن الأدب باب الأرب. **أحمد الرفاعي**

حكي عن سعيد بن المسيّب، أنه قال: من لم يعرف ما لله عليه في نفسه، ولم يتأدب بأمره ونهيه، كان من الأدب في عزلة. قال الله تعالى: "إنما يخشى الله من عباده العلماء" فاطر ٢٨. **أحمد الرفاعي**

سئل عن أنفع الأدب، فقال: التفقه في الدين، والزهد في الدنيا، والمعرفة بحقوق الله تعالى على عبده. **الحسن البصري**

من قهر نفسه بالأدب، عبد الله بإخلاص. **سهل بن عبد الله التستري**

أدب صحبة من فوقك: الخدمة، وأدب صحبة من هو مثلك الإيثار والفتوة، وأدب صحبة من دونك: الشفقة والتربية والمناصحة، وأدب صحبتك مع النفس بالمخالفة، وأدب صحبتك مع الشيطان بالعداوة. **أحمد الرفاعي**

كونوا مع الشرع في آدابكم كلها ظاهرا وباطنا، فإن من كان مع الشرع ظاهرا وباطنا، كان الله حظه ونصيبه، وكان من أهل مقعد صدق عند مليك مقتدر. **أحمد الرفاعي**

من عرف الله زاد أدبه معه. **أحمد الرفاعي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

والله ما أظنّ أن على بساط الغبراء صاحب عقل يميّز فيه بين الخبيث والطّيّب، إلاّ ويعتقد قلبه، ويذعن لبّه، أن العبادة التي شرعها الحبيب عليه أفضل الصلاة والسلام، والعادة التي كان عليها، هي الحالة المضية عند الرب والخلق، وهي الآداب المقبولة عند الخالق، والمحبوبة عند المخلوقين، وبها يطمئن القلب ويسكن الروع. **أحمد الرفاعي**

إن من خلق الله حجب وأبواب: فإن أدركتم سرّ الأدب مع خلق الله، فتحت لكم أبواب القبول عند الله. وإن جهلتم أمر الأدب مع خلق الله، حجبتم بالخلق عن الله. أح**مد الرفاعي**

ما من إنسان أصيب ببلاء إلا ولو تأمل حق التأمل في سوء أدبه ظاهراً وباطناً في حق مولاه لكان يرى أنه يستحق أكثر مما أصيب به عاجلاً وآجلاً ومن استحق عليك أن يضربك مائة سوط فاقتصر على عشرة فهو مستحق للشكر. **أبو حامد الغزالي**

حسن أدب الظاهر، عنوان حسن أدب الباطن، لأن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم قال: "لو خشع قلبه، لخشعت جوارحه". **أبو حفص النيسابوري**

الزمي الأدب ظاهرا وباطنا، فما أساء أحد الأدب ظاهرا إلا عوقب ظاهرا، وما أساء أحد الأدب باطنا إلا عوقب باطنا. **عائشة بنت أبي عثمان سعيد بن إسماعيل النيسابوري**

سئل: ما بال الناس يعرفون عيوبهم، وعيوب ما هم فيه، ولا ينتقلون من ذلك؟ ولا يرجعون إلى طريق الصواب؟. فقال: لأنهم اشتغلوا بالمباهاة بالعلم، ولم يشتغلوا باستعماله بآداب الظواهر، وتركوا آداب البواطن، فأعمى الله قلوبهم عن النظر إلى الصواب، وقيّد جوارحهم عن العبادات. **عبد الله الرازي**

قال لي أبي: تعلم العلم لآداب الظاهر، واستعمل الورع لآداب الباطن، وإياك أن يشغلك عن الله شاغل، فقلّ من أعرض عنه، فأقبل عليه. (اسحاق بن) إبراهيم بن شيبان

ما بلغ أحد إلى حالة شريفة إلا بملازمة الموافقة، ومعانقة الأدب، وأداء الفرائض، وصحبة الصالحين، وحرمة الفقراء الصادقين. **أبو الخير الأقطع**

القيام بآداب العلم وشرائعه، يبلغ بصاحبه إلى مقام الزيادة والقبول. **إبراهيم بن المولد**

من افتقر إلى الله تعالى، وصحح فقره إليه بملازمة آدابه، أغناه الله به عن كلّ ما سواه. **أبو الحسن المزيّن**

من التزم الآداب الظاهرة دخل في جنسية القوم، وحسب في عدادهم. **أحمد الرفاعي**

أقوى القوّة غلبتك نفسك، ومن عجز عن أدب نفسه، كان عن أدب غيره أعجز، ومن أطاع من فوقه، أطاعه من دونه. **السري السقطي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

قيل لعيسى عليه السلام: من أدبك؟ قال ما أدبني أحد، رأيت جهل الجاهل شيناً فاجتنبته. **أبو حامد الغزالي**

الخوف سوط الله يقوم به أنفسنا، وقد تعودت سوء الأدب، ومتى أساءت الجوارح الأدب فهو من غفلة القلب وظلمة السر. **خير النساج**

ورب خاطر بسوء أدب في حق الله تعالى وفي صفاته أعظم وأطم من شرب الخمر والزنى وسائر المعاصي بالجوارح، ولذلك قال تعالى في مثله: {وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ} فمن أين تعلم أن غيرك أعصى منك؟، ثم لعله قد أخرت عقوبته إلى الآخرة وعجلت عقوبتك في الدنيا فلم لا تشكر الله تعالى على ذلك؟. **أبو حامد الغزالي**

سئل عن أحكام الفقر، وآدابها على الفقراء، فقال: حفظ حرمات المشايخ، وحسن العشرة مع الإخوان، والنصيحة للأصاغر، وترك الخصومات في الأرزاق، وملازمة الإيثار، ومجانبة الإدخار، وترك صحبة من ليس من طبقتهم، والمعاونة في أمور الدين والدنيا. **أبو حفص النيسابوري**

من آداب الفقير في فقره: ترك الملامة، والتعبير لمن ابتلي بطلب الدنيا، والرحمة والشفقة عليه والدعاء له، ليريحه الله من تعبه فيها. **محمد بن أبي الورد**

سئل عن سوء أدب الفقراء مع الله تعالى في أحوالهم، فقال: ذاك انحطاطهم عن حقيقة العلم إلى ظاهر العلم. **أبو بكر الدقي**

أربع خصال ترفع العبد: العلم والأدب والأمانة والعفّة. **السري السقطي**

بالأدب تفهم العلم، وبالعلم يصحّ لك العمل، وبالعمل تنال الحكمة، وبالحكمة تفهم الزهد وتوفق له، وبالزهد تترك الدنيا، وبترك الدنيا ترغب في الآخرة، وبالرغبة في الآخرة تنال رضى الله. **يوسف بن الحسين الرازي**

قعدت ليلة في محرابي، فمددت رجلي، فهتف لي هاتف: من يجالس الملوك، ينبغي أن يجالسهم بحسن الأدب. **أبو يزيد البسطامي**

من خدم الفقراء أكرم بثلاثة أشياء: التواضع، وحسن الأدب، وسخاوة النفس. **أحمد بن خضرويه البلخي**

ما دخلت قطّ على أحد من شيوخي، إلا وأنا خال من جميع ما لي، انظر بركات ما يرد عليّ من رؤيته أو كلامه، فإن من دخل على شيخ بحظّه، انقطع بحظه عن بركات رؤيته، ومجالسته، وأدبه وكلامه. **ممشاذ الدينوري**

ليس من الأدب أن تسأل رفيقك: إلى أين؟ وفي إيش؟. **بندار بن الحسين**

الخوف سوط الله في الأرض، يقوم به أنفسا قد تعودت سوء الأدب، ومتى ما أساءت الجوارح الأدب، فهو من غفلة القلب، وظلمة السّرّ. **خير النساج**

سئل عن أدب المسافر؟ فقال: لا يجاوز همّه قدمه، وحيثما وقف قلبه يكون منزله. **رويم**

الأدب في الأكل ألا يمدوا أيديهم إلى الأرفاق إلا في أوقات الضرورات، ثم على قدر إمساك الرمق. **إبراهيم بن المولد**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

من أكل خبز الحنطة بحتاً بأدب لم يعتل إلا علة الموت. قيل: وما الأدب؟ قال: تأكل بعد الجوع وترفع قبل الشبع. **ابن سالم**

السخاء خلق من أخلاق الله تعالى؛ والإيثار أعلى درجات السخاء. وكان ذلك من أدب رسول الله حتى سماه الله تعالى عظيماً فقال تعالى: {وإنَّكَ لعَلَى خُلُقٍ عَظيمٍ}. **أبو حامد الغزالي**

صليت ليلة، ثم جلست ساعة، ومددت رجلي، فنوديت في سري: يا سري من جالس الملوك ينبغي أن يحسن الأدب. **السري السقطي**

سأل جعفر بن نصير بكران الدينوري ـــ خادم الشبلي ـــ ما الذي رأيت منه؟ فقال: قال عليّ درهم مظلمة، وتصدقت عن صاحبه بألوف فما على قلبي شغل أعظم منه، ثم قال: وضئني للصلاة؛ ففعلت فنسيت تخليل لحيته ـــ وقد أمسك على لسانه ـــ فقبض على يدي وأدخلها في لحيته ثم مات فبكى جعفر وقال: ما تقولون في رجل لم يفته في آخر عمره أدب من آداب الشريعة؟ **أبو حامد الغزالي**

كل ما راعاه الأنبياء والأولياء من الآداب وتسامحنا فيه في الفقه مع العوام فسببه هذه الضرورة، وإلا فكل هذه المكاره عدول عن العدل وكفران للنعمة ونقصان عن الدرجة المبلغة للعبد إلى درجات القرب، نعم بعضها يؤثر في العبد بنقصان القرب وانحطاط المنزلة وبعضها يخرج بالكلية عن حدود القرب إلى عالم البعد الذي هو مستقرّ الشياطين. **أبو حامد الغزالي**

أصول وأصل

ما ظهرت حالة عالية، إلا من ملازمة أصل صحيح. **أبو حفص النيسابوري**

الفروع الصحيحة لا تتفرع إلا من أصل صحيح، فمن أراد أن تصح له أفعاله على السنة، فليصحح الإخلاص من قلبه، فإن تصحيح ظواهر الأعمال بصحة بواطن الإخلاص. **أبو علي الثقفي**

رؤية الأصول باستعمال الفروع، وتصحيح الفروع بمعارضة الأصول، ولا سبيل إلى مقام مشاهدة الأصول إلا بتعظيم ما عظم الله من الوسائط والفروع. **أبو محمّد الجريري**

أصل الرجل عقله وحسبه دينه وكرمه تقواه والناس في آدم مستوون. **جعفر الصادق**

يا ابن آدم: قد مضت لنا أصول، نحن فروعها، فما بقاء الفرع بعد أصله؟. **وهب بن منبه**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

أصولنا سبعة أشياء: التمسّك بكتاب الله تعالى، والإقتداء بسنّة رسوله صلّى الله عليه وسلّم، وأكل الحلال، واجتناب الآثام، والتوبة وآداء الحقوق. **سهل بن عبد الله التسترى**

أصول التوحيد ثلاثة أشياء: معرفة الله تعالى بالربوبية، والإقرار له بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة. **أبو محمّد المرتعش**

سئل عن أصول الدين، فقال: إثبات صدق الافتقار إلى الله تعالى، وحسن الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلّم. وفروعه أربعة أشياء: الوفاء بالعهود، وحفظ الحدود، والرضا بالموجود، والصبر على المفقود. **أبو عبد الله الصبيحي**

أصول الخيرات أربعة: السخاء، والتواضع، والنسك، وحسن الخلق. **أبو الحسين بن هند**

إيمان ومؤمن

الإيمان: على خمسة أوجه: إيمان مطبوع وإيمان مقبول وإيمان معصوم وإيمان موقوف وإيمان مردود. فالإيمان المطبوع هو إيمان الملائكة، والإيمان المعصوم هو إيمان الأنبياء، والإيمان المقبول هو إيمان المؤمنين، والإيمان الموقوف هو إيمان المبتدعين، والإيمان المردود هو إيمان المنافقين. **علي الجرجاني**

ينقسم الإيمان إلى علم المكاشفة وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته ورسله، وإلى علوم المعاملة. **أبو حامد الغزالي**

الإيمان تصديق القلب بما أعلمه الحق من الغيوب. أبو عبد الله **محمّد بن خفيف**

أول الإيمان منوط بآخره، ألا ترى أن عقد الإيمان: لا إله إلا الله، والإسلام منوط بأداء الشريعة بالإخلاص، قال الله تعالى: "وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين" البينة ٥. **أبو الحسن البوشنجي**

الذي آمن وتحقق: إنما يؤول إليه من النعيم المقيم، والمقام الكريم، أشرف مما يفارقه. **أحمد الرفاعي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

بصحّة الإيمان، وكمال التقوى، يفتح الله تعالى على العبد، خير الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: "ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض" الأعراف ٩٦. **مظفر القرميسيني**

سئل عن قوله تعالى: "فألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها" الفتح ٢٦. فقال: أهّلهم في الأزل للتقوى، فأظهر عليهم - في الوقت - كلمة الايمان والاخلاص. **أبو العباس السياري**

من قال أنا مؤمن عند الله فهو من الكذابين، ومن قال أنا مؤمن حقاً فهو بدعة، قيل له فماذا نقول؟ قال: قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا. **سفيان الثوري**

أعظم نعمة الله على عباده هو العلم وكشف الحق، والإيمان عبارة عن نوع كشف وعلم ولذلك قال تعالى امتناناً على عبده: {وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيماً} وأراد به العلم وقال تعالى: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} وقال تعالى: {إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى} وقال: {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} وقال: {وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ}. **أبو حامد الغزالي**

قيل: أمؤمن أنت؟ فقال إن شاء الله، فقيل له: لم تستثني يا أبا سعيد في الإيمان؟ فقال: أخاف أن أقول نعم فيقول الله سبحانه كذبت يا حسن فتحق عليَّ الكلمة. **الحسن البصري**

إذا قيل لك أمؤمن أنت؟ فقل لا إله إلا الله. وقال مرة: قل أنا لا أشك في الإيمان وسؤالك إياي بدعة. **إبراهيم بن أدهم**

نحن مؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وما ندري ما نحن عند الله تعالى؟ **سفيان الثوري**

آمنت به بلا تشبيه، وصدقت بلا تمثيل، واتهمت نفسي في الإدراك، وأمسكت عن الخوض فيه كلّ الإمساك. **الشافعي**

إن أردت أن ترتقي من درجة الإيمان إلى درجة العلم. فاقرأ قول الله تعالى: {يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ والَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ}. **أبو حامد الغزالي**

ابن آدم إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بصلاح ذلك الغيب فتصلحه من نفسك، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك، وأحب العباد إلى الله من كان هكذا. **الحسن البصري**

قيل: اتقوا الغضب فإنه يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل. **أبو حامد الغزالي**

ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان بالله، إذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له. **محمد بن كعب**

قد قال تعالى: {وأَنْتُمْ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} تفضيلاً للمؤمنين على المسلمين والمراد به المؤمن العارف دون المقلد. **أبو حامد الغزالي**

قال عز وجل: {يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ والَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ} فأراد ههنا بالذين آمنوا الذين صدقوا من غير علم وميزهم عن الذين أوتوا العلم. ويدل ذلك

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

على أن اسم المؤمن يقع على المقلد وإن لم يكن تصديقه عن بصيرة وكشف. **أبو حامد الغزالي**

كان يقول لأصحابه امشوا بنا نزدد أيمانا يعني يتفقهون. **علقمة بن قيس النخعي**

جاء رجل إليه، فشتمه، فقال: "والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بغير ما اكتسبوا فقد احتملوا بهتانا وإثما مبينا" الآية، فقال الرجل: أمؤمن أنت؟ قال: أرجو. **علقمة بن قيس النخعي**

الناس رجلان: مؤمن وجاهل. فأما المؤمن فلا تؤذه، وأما الجاهل فلا تجاهله. **الربيع بن خيثم**

سئل: يا أبا سعيد ما الإيمان؟ قال: الصبر والسماحة. فقال الرجل: يا أبا سعيد، فما الصبر والسماحة؟ قال: الصبر عن معصية الله والسماحة بأداء فرائض الله عز وجل. **الحسن البصري**

للمؤمن أربع علامات: كلامه ذكر، وصمته تفكر، ونظره عبرة، وعمله برّ. **أبو بكر الوراق**

المؤمن يقوى بذكر الله، والمنافق يقوى بالأكل. **أبو العباس بن مسروق**

المسلم محبوب إلى الخلق، والمؤمن غني عن الخلق. **أبو محمّد المرتعش**

يأتي على هذه الأمة زمان لا تطيب المعيشة فيه للمؤمن، إلا بعد استناده إلى منافق. **أبو علي الثقفي**

المؤمن وقاف متأن وليس كحاطب ليل. **الحسن البصري**

قال رجل له: هل يحسد المؤمن؟ قال: ما أنساك بني يعقوب؟ نعم، ولكن غمه في صدرك فإنه لا يضرك ما لم تعد به يداً ولا لساناً. **الحسن البصري**

أغبط الناس في زماننا، مؤمن عرف زمانه، وحفظ لسانه، ولزم شأنه، وكان من الصالحين. **أحمد الرفاعي**

المؤمن من يعلم، أن ما قال الله عز وجل كما قال. والمؤمن أحسن الناس عملا، وأشد الناس خوفا، لو أنفق جبلا من مال ما أمن دون أن يعاين، لا يزداد صلاحا وبرا وعبادة إلا إزداد فرقا، يقول: لا أنجو، والمنافق يقول: سواد الناس كثير، وسيغفر لي، ولا بأس عليّ، فينسئ العمل ويتمنى على الله تعالى. **الحسن البصري**

الرجاء والخوف مطيتا المؤمن. **الحسن البصري**

أعطوا الإيمان حقه: فهو إقرار باللسان، واعتقاد بالجنان. **أحمد الرفاعي**

الإيمان عريان، ولباسه التقوى، وزينته الحياء، وماله الفقه. **وهب بن منبه**

الإيمان قائد، والعمل سائق، والنفس بينهما حرون، فإذا قاد القائد ولم يسق السائق لم يغن ذلك شيئا، وإذا ساق السائق ولم يقد القائد لم يغن ذلك شيئا، وإذا قاد القائد وساق السائق اتبعته النفس طوعا وكرها وطاب العمل. **وهب بن منبه**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ثلاث من كن فيه استكمل الإيمان: من إذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا رضي لم يخرجه رضاه إلى الباطل، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له. **السري السقطي**

يحاسب الله المؤمنين ـ يوم القيامة ـ بالمنّة والفضل، ويحاسب الكفار بالحجة والعدل. **مظفر القرميسيني**

المؤمن مشغول بالفكر والعبر، والمنافق مشغول بالحرص والأمل، والمؤمن آيس من كل أحد إلا من الله، والمنافق راج كل أحد إلا الله، والمؤمن آمن من كل أحد إلا من الله، والمنافق خائف من كل أحد إلا من الله، والمؤمن يقدم ماله دون دينه، والمنافق يقدم دينه دون ماله، والمؤمن يحسن ويبكي، والمنافق يسيء ويضحك، والمؤمن يحب الخلوة والوحدة، والمنافق يحب الخلطة والملأ، والمؤمن يزرع ويخشى الفساد، والمنافق يقلع ويرجو الحصاد، والمؤمن يأمر وينهى للسياسة فيصلح، والمنافق يأمر وينهى للرئاسة فيفسد. **حاتم الأصم**

المؤمن مثل العنيزة يكفيه الكف من الحشف والقبضة من السويق والجرعة من الماء، والمنافق مثل السبع الضاري بلعاً بلعاً وسرطاً سرطاً لا يطوي بطنه لجاره ولا يؤثر أخاه بفضله، وجهوا هذه الفضول أمامكم. **الحسن البصري**

الإيمان إيمانان: تقليدي كإيمان العوام يصدّقون بما يستمعون ويستمرّون عليه، وإيمان كشفي يحصل بانشراح الصدر بنور الله حتى ينكشف فيه الوجود كله على ما هو عليه، فيتضح أنّ الكل إلى الله مرجعه ومصيره، إذ ليس في الوجود إلا الله تعالى وصفاته وأفعاله، فهذا الصنف هم المقرّبون النازلون في الفردوس الأعلى، وهم على غاية القرب من الملأ الأعلى، وهم أيضاً على أصناف: فمنهم السابقون ومنهم من دونهم؛ وتفاوتهم بحسب تفاوت معرفتهم بالله تعالى. **أبو حامد الغزالي**

إنما قوّة الإيمان يعبر عنها باليقين وهو المحرك لعزيمة الصبر، وأقل ما أتى الناس اليقين وعزيمة الصبر. **أبو حامد الغزالي**

قال بعض الصحابة رضوان الله عليهم: ما كنا نعدّ إيمان الرجل إيماناً إذا لم يصبر على الأذى. **أبو حامد الغزالي**

لا نعمة لله على عباده أعظم من الإيمان والمعرفة. **أبو حامد الغزالي**

الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر كما وردت به الآثار وشهدت له الأخبار. وهما أيضاً وصفان من أوصاف الله تعالى واسمان من أسمائه الحسنى إذ سمى نفسه صبوراً وشكوراً. **أبو حامد الغزالي**

كل من أحكم أصل الإيمان واجتنب جميع الكبائر وأحسن جميع الفرائض ـــ أعني الأركان الخمسة ـــ ولم يكن منه إلا صغائر متفرّقة لم يصر عليها، فيشبه أن يكون عذابه المناقشة في الحساب فقط، فإنه إذا حوسب رجحت حسناته على سيئاته، إذ ورد في الأخبار أن الصلوات الخمسة والجمعة وصوم رمضان كفارات لما بينهنّ، وكذلك اجتناب الكبائر بحكم نص القرآن مكفراً للصغائر، وأقل درجات التكفير أن يدفع العذاب إن لم يدفع الحساب، وكل من هذا حاله فقد ثقلت موازينه، فينبغي أن

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

يكون بعد ظهور الرجحان في الميزان وبعد الفراغ من الحساب في عيشة راضية. **أبو حامد الغزالي**

الكافر كل من أعرض عن الله تعالى ولم يرد إلا الحياة الدنيا ورضي بها واطمأنّ إليها، والمؤمن كل منقطع بقلبه عن الدنيا شديد الحنين إلى الخروج منها، والكفر بعضه ظاهر وبعضه خفي، وبقدر حب الدنيا في القلب يسري فيه الشرك الخفي، بل الموحد المطلق هو الذي لا يحب إلا الواحد الحق. **أبو حامد الغزالي**

قال أهل المعرفة: إذا تعلق الإيمان بظاهر القلب أحب الدنيا والآخرة جميعاً وعمل لهما، وإذا بطن الإيمان في سويداء القلب وباشره أبغض الدنيا فلم ينظر إليها ولم يعمل لها، ولهذا ورد في دعاء آدم عليه السلام: اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي. **أبو حامد الغزالي**

الإيمان هو التصديق، وكل تصديق بالقلب فهو علم، وإذا قوي سمي يقيناً، ولكن أبواب اليقين كثيرة، ونحن إنما نحتاج منها إلى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) والإيمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك: (له الملك) والإيمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك: (وله الحمد) فمن قال: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) تم له الإيمان الذي هو أصل التوكل، أعني أن يصير معنى هذا القول وصفاً لازماً لقلبه غالباً عليه. **أبو حامد الغزالي**

ما لم يكمل الإيمان بأن لا فاعل إلا الله ولا رازق سواه وأن كل ما يقدّره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه العبد؛ لم يكمل حال التوكل؛ فبناء التوكل على قوة الإيمان بهذه الأمور ـــ كما سبق ـــ وكذا سائر مقامات الدين من الأقوال والأعمال تنبني على أصولها من الإيمان.**أبو حامد الغزالي**

جعل رسول الله الحب لله من شرط الإيمان في أخبار كثيرة؛ إذ قال أبو رزين العقيلي: يا رسول لله ما الإيمان؟ قال: «أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِمَّا سِوَاهُمَا» ، وفي حديث آخر «لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا» ، وفي حديث آخر: «لا يُؤْمِنُ العَبْدُ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ» وفي رواية: «وَمِنْ نَفْسِهِ». **أبو حامد الغزالي**

قال الثوري لرابعة: ما حقيقة إيمانك؟ قالت: ما عبدته خوفاً من ناره ولا حباً لجنته فأكون كالأجير السوء، بل عبدته حباً له وشوقاً إليه. وقالت في معنى المحبة نظماً:

أحبك حبين حب الهـــــــوى وحباً لأنـــــــــك أهْلٌ لذاكـــــــــــــــــا

فأما الذي هو حب الهـــــوى فشغلي بذكرك عمـــــــــن سواكا

وأما الذي أنت أهلٌ لـــــــــــــــه فكشفك لي الحجب حتى أراكا

فلا الحمد في ذا ولا ذاك لي ولكن لك الحمد في ذا وذاكـــــــــا

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ولعلها أرادت بحب الهوى: حب الله لإحسانه إليها وإنعامه عليها بحظوظ العاجلة، وبحبه لما هو أهل له: الحب لجماله وجلاله الذي انكشف لها؛ وهو أعلى الحبين وأقواهما، ولذة مطالعة جمال الربوبية هي التي عبر عنها رسول الله حيث قال حاكياً عن ربه تعالى: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ» ، وقد تعجل بعض هذه اللذات في الدنيا لمن انتهى صفاء قلبه إلى الغاية، ولذلك قال بعضهم: إني أقول: يا رب يا الله، فأجد ذلك على قلبي أثقل من الجبال، لأن النداء يكون من وراء حجاب، وهل رأيت جليساً ينادي جليسه؟ وقال: إذا بلغ الرجل في هذا العلم الغاية رماه الخلق بالحجارة، أي يخرج كلامه عن حدّ عقولهم فيرون ما يقوله جنوناً أو كفراً. **أبو حامد الغزالي**

قال بعض العارفين: إذا كان الإيمان في ظاهر القلب أحب الله تعالى حباً متوسطاً، فإذا دخل سويداء القلب أحبه الحب البالغ وترك المعاصي. **أبو حامد الغزالي**

أصل السعادات هي المعرفة التي عبر الشرع عنها بالإيمان. **أبو حامد الغزالي**

لما دخل الزنج البصرة فقتلوا الأنفس ونهبوا الأموال اجتمع إلى سهل إخوانه فقالوا: لو سألت الله تعالى دفعهم؟ فسكت ثم قال: إنّ لله عباداً في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الأرض ظالم إلا مات في ليلة واحدة؛ ولكن لا يفعلون، قيل: لم؟ قال: لأنهم لا يحبون ما لا يحب، ثم ذكر من إجابة الله تعالى أشياء لا يستطاع ذكرها، حتى قال: ولو سألوه أن لا يقيم الساعة لم يقمها. وهذه أمور ممكنة في أنفسها فمن لم يحظ بشيء منها، فلا ينبغي أن يخلو عن التصديق والإيمان بإمكانها، فإن القدرة واسعة والفضل عميم وعجائب الملك والملكوت كثيرة، ومقدورات الله تعالى لا نهاية لها وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له. **أبو حامد الغزالي**

من لا يطيق الدواء فلا ينبغي أن ينكر إمكان الشفاء في حق من داوى نفسه بعد المرض أو لم يمرض بمثل هذا المرض أصلاً. فأقل درجات الصحة الإيمان بإمكانها، فويل لمن حرم هذا القدر القليل أيضاً. **أبو حامد الغزالي**

من لم يبلغ إلى أن يغلبه الحب إلى هذا الحد فمن أين يعرف ما وراء الحب من الكرامات والمكاشفات؟ وكل ذلك وراء الحب والحب وراء كمال الإيمان، ومقامات الإيمان وتفاوته في الزيادة والنقصان لا حصر له. ولذلك قال عليه السلام للصديق رضي الله تعالى عنه: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَعْطَاكَ مِثْلَ إيمان كُلِّ مَنْ آمَنَ بِي مِنْ أُمَّتِي وَأَعْطَانِي مِثْلَ إيمانِ كُلِّ مَنْ آمَنَ بِهِ مِنْ وَلَد آدَمَ»، وفي حديث آخر: «إِنَّ للَّهِ تَعَالَى ثَلاثَمِائَةَ خُلُقٍ مَنْ لَقِيَهُ بِخُلُقٍ مِنْهَا مَعَ التَّوْحِيدِ دَخَلَ الجَنَّةَ» فقال أبو بكر: يا رسول الله هل فيَّ منها خلق؟ فقال: «كُلُّها فِيكَ يا أبا بَكْرٍ وَأَحَبُّها إلى اللَّهِ تَعَالَى السَّخَاءِ»، وقال عليه السلام:«رَأَيْتُ مِيزَاناً دُلِّيَ مِنَ السَّمَاءِ فَوَضِعْتُ فِي كِفَّةٍ وَوَضِعَتْ أُمَّتِي فِي كِفَّةٍ فَرَجَحْتُ بِهِمْ وَوَضِعَ أَبُو بَكْرٍ فِي كِفَّةٍ وَجِيءَ بِأُمَّتِي فَوَضِعَتْ فِي كِفَّةٍ فَرَجَحَ بِهِمْ». ومع هذا كله فقد كان استغراق رسول الله بالله تعالى بحيث لم يتسع قلبه للخلة مع غيره فقال: «لَوْ كُنْتَ مُتَّخِذاً مِنَ النَّاسِ خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أبا بَكْرٍ خَلِيلاً وَلَكِنْ صَاحِبُكُمْ خَلِيلُ اللَّهِ تَعَالَى» يعني نفسه. **أبو حامد الغزالي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

قال تعالى: {وَلَكِنَّ البرَّ مَنْ آمَنَ باللَّهِ واليَوْمِ الآخِرِ} إلى قوله: {أُولئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا} وسئل أبو ذرّ عن الإيمان فقرأ هذه الآية فقيل له: سألناك عن الإيمان؟ فقال: سألت رسول الله عن الإيمان فقرأ هذه الآية. **أبو حامد الغزالي**

لو رآنا السلف الصالحون لقالوا قطعاً: إن هؤلاء لا يؤمنون بيوم الحساب، فما أعمالنا أعمال من يؤمن بالجنة والنار فإن من خاف شيئاً هرب منه ومن رجا شيئاً طلبه، وقد علمنا أن الهرب من النار بترك الشبهات والحرام وبترك المعاصي ونحن منهمكون فيها، وأن طلب الجنة بتكثير نوافل الطاعات ونحن مقصرون في الفرائض منها. **أبو حامد الغزالي**

إياكم ونسيان الموت، فإنه ينتج من الغفلة، وهي قلّة ذكر الله، وذلك من قلّة الإيمان، وأمّ ذلك: الجهل، وهو من الضلال. **أحمد الرفاعي**

لا بدّ لكلّ مؤمن في سائر أحواله من ثلاثة أشياء: أمر يمتثله، ونهي يجتنبه، وقدر يرضى به. فأقلّ حال المؤمن لا يخلو فيها من أحد هذه الأشياء الثلاثة، فينبغي له أن يلزم همّها قلبه، ويحدّث بها نفسه، ويؤاخذ الجوارح بها في سائر أحواله. **عبد القادر الجيلاني**

ما مثال المكاشفين والمعتقدين إلا كسحرة فرعون مع أصحاب السامري؛ فإن سحرة فرعون لما كانوا مطلعين على منتهى تأثير السحر لطول مشاهدتهم وتجربتهم رأوا من موسى عليه السلام، ما جاوز حدود السحر وانكشف لهم حقيقة الأمر فلم يكترثوا بقول فرعون: {لاقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلافٍ} بل {قَالُوا لَنْ نُؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ البَيِّنَاتِ والَّذي فَطَرَنَا فاقْضِ ما أَنْتَ قاضٍ إنَّما تَقْضي هذِهِ الحياةَ الدُّنيَا} فإنّ البيان والكشف يمنع التغيير. وأما أصحاب السامري لما كان إيمانهم عن النظر إلى ظاهر الثعبان، فلما نظروا إلى عجل السامري وسمعوا خواره تغيروا وسمعوا قوله: {هَذَا إلهُكُمْ وإلهُ مُوسَى} ونسوا أنه لا يرجع إليهم قولاً ولا يملك لهم ضراً ولا نفعاً: فكل من آمن بالنظر إلى ثعبان يكفر لا محالة إذا نظر إلى عجل، لأنّ كليهما من عالم الشهادة والاختلاف والتضاد في عالم الشهادة كثير. وأما عالم الملكوت فهو من عند الله تعالى فلذلك لا تجد اختلافاً وتضاداً أصلاً. **أبو حامد الغزالي**

قال المسيح عليه السلام: لا تنظروا إلى أموال أهل الدنيا فإن بريق أموالهم يذهب بنور إيمانكم. **أبو حامد الغزالي**

قال بعض العلماء: تقليب الأموال يمص حلاوة الإيمان. **أبو حامد الغزالي**

قال عز وجل: {وَخَافُونِ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} فأمر بالخوف وأوجبه وشرطه في الإيمان،فلذلك لا يتصوّر أن ينفك مؤمن عن خوف وإن ضعف، ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه. **أبو حامد الغزالي**

قيل في قوله تعالى: {وَتَمَّتْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ صِدْقاً وَعَدْلاً} صدقاً لمن مات على الإيمان وعدلاً لمن مات على الشرك. **أبو حامد الغزالي**

كفر أهل الهمّة أسلم من إيمان أهل المنّة. **أبو يزيد البسطامي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ما استصغرت أحدا من المسلمين، إلا وجدت نقصا في إيماني ومعرفتي. **محمّد بن حامد الترمذي**

من التمس الحق بنور الإيمان، كان كمن طلب الشمس بنور الكواكب. **الحسين بن منصور الحلاج**

حسن الخلق هو الإيمان، وسوء الخلق هو النفاق. **أبو حامد الغزالي**

من علامات المسلم قوة في دين وحزم في لين وإيمان في يقين وعلم في حلم وكيس في رفق وإعطاء في حق وقصد في غنى وتجمل في فاقة وإحسان في قدرة وتحمل في رفاقة وصبر في شدّة، لا يغلبه الغضب ولا تجمح به الحمية ولا تغلبه شهوة ولا تفضحه بطنه ولا يستخفه حرصه ولا تقصر به نيته، فينصر المظلوم ويرحم الضعيف ولا يبخل ولا يبذر ولا يسرف ولا يقتر، يغفر إذا ظلم ويعفو عن الجاهل. نفسه منه في عناء والناس منه في رخاء. الحسن البصري

قال لقمان عليه السلام لابنه: يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل، وحشوها الإيمان بالله تعالى، وشراعها التوكل على الله عز وجل، لعلك تنجو وما أراك ناجياً. **أبو حامد الغزالي**

تأويل

القرآن..له ظهر وبطن، وحدّ ومطلع: وهذه أربعة أركان بني عليها فهم القرآن.

فالظاهر هو التنزيل. " نزل به الروح الأمين" ١٩٣. الشعراء. والباطن هو التأويل، كما قال صلى الله عليه وسلّم: اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل". والحد هو الّذي يتوقف عنده، وهو الّذي يفصل بين التشبيه والتعطيل. والمطلع هو موضع

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

إشراف المكاشفين على حقائق ما أريد به بإلهام الملك وفطنة الروح، ولا يشهد معانيه ويطلع على حقائقه إلا من كان له كشف ومشاهدة، وقلب سالم مسلم. "قال أسلمت لربّ العالمين" ١٣١. البقرة. "إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد" ٣٧. ق. **أحمد الرفاعي**

أول مراتب القرآن معرفة التنزيل، والثاني معرفة التأويل، والتنزيل ينبغي أن يكون أمرا كما جاء، لا يحرّف ولا يبدّل، لأنه أساس التأويل. والتأويل منزل عن التنزيل، لا يخرج به عن مطابقة التنزيل، فلا يعدل بمعانيه إلى التعطيل، ولا يحاد به عن موافقة طريق السنة الواردة عن سيّد المرسلين، والرتبة الثالثة، وهي الوسطى، وهي الحد المانع الجامع، يجمع بين ظاهر التنزيل وباطن التأويل، ويمنع من التشبيه والتعطيل. والرتبة الرابعة: هي الاطلاع عليه بالنور المبين، الّذي لا يوجد إلا عند المتقين، وهو تعليم العزيز الرحيم. "يا أيها الّذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته ويجعل لكم نورا تمشون به" ٢٨. الحديد. "واتقوا الله ويعلّمكم الله" ٢٨٢. البقرة. **أحمد الرفاعي**

جاءت مخة أخت بشر بن الحارث إلى أبي، فقالت: إني امرأة رأس مالي دانقان، أشتري القطن فأغزله وأبيعه بنصف درهم، فأتقوت بدانق من الجمعة (إلى الجمعة)، فمرّ ابن طاهر الطائف، ومعه مشعل، فوقف يكلم أصحاب المسالح، فاستغنمت ضوء المشعل، فغزلت طاقات، ثم غاب عني المشعل، فعلمت أن لله فيّ مطالبة، فخلصني خلصك الله. فقال لها: تخرجين الدانقين، ثم تبقين بلا رأس مال حتى يعوضك الله خيرا منه. قال عبد الله: قلت لأبي: يا أبت، لو قلت لها لو أخرجت الغزل الذي أدرجت فيه الطاقات؟ فقال: يا بنيّ، سؤالها لا يحتمل هذا التأويل. ثم قال: من هذه؟ قلت: مخة أخت بشر بن الحارث، فقال: من ها هنا أتيت. **عبد الله بن أحمد بن حنبل**

الرضا ثمرة من ثمار المحبة وهو من أعلى مقامات المقرّبين وحقيقته غامضة على الأكثرين، وما يدخل عليه من التشابه والإيهام غير منكشف إلا لمن علمه الله تعالى التأويل وفهمه وفقهه في الدين. **أبو حامد الغزالي**

أنكر منكرون تصوّر الرضا بما يخالف الهوى ثم قالوا: إن أمكن الرضا بكل شيء لأنه فعل الله فينبغي أن يرضى بالكفر والمعاصي وانخدع بذلك قوم فرأوا الرضا بالفجور والفسوق وترك الاعتراض والإنكار من باب التسليم لقضاء الله تعالى. ولو انكشفت هذه الأسرار لمن اقتصر على سماع ظواهر الشرع لما دعا رسول الله لابن عباس حيث قال: «اللّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّين وَعلمْهُ التَّأويلَ». **أبو حامد الغزالي**

غلط في بعض البطالين المغترين وزعم أن المعاصي والفجور والكفر من قضاء الله وقدره عز وجل فيجب الرضا به، وهذا جهل بالتأويل وغفلة عن أسرار الشرع. أبو حامد الغزالي

ليس شيء أضرّ بالمريد من مسامحة النفس في ركوب الرخص، وقبول التأويلات. **أبو عبد الله محمّد بن خفيف**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

بدعة

جميع دقائق الجدل في الفقه بدعة لم يعرفها السلف. **أبو حامد الغزالي**

أعني بالبدعة: أن يعتقد الرجل في ذات الله وصفاته وأفعاله خلاف الحق فيعتقده على خلاف ما هو عليه، إما برأيه ومعقوله ونظره الذي به يجادل الخصم وعليه يعوّل وبه يغتر، وإما أخذاً بالتقليد ممن هذا حاله. **أبو حامد الغزالي**

لباس الصوف في السفر سنَّة، وفي الحضر بدعة. **الأوزاعي**

أي حالة باطنة للقوم لم يأمر بظاهر الشرع بعملها، وأي حالة ظاهرة لم يأمر ظاهر الشرع بإصلاح الباطن لها؟ لا تعملوا بالفرق والتفريق بين الظاهر والباطن، فإن ذلك زيغ وبدعة. **أحمد الرفاعي**

أيدوا هذه العصابة بترك الدعوى، شيّدوا أركان هذه الطريقة المحمّديّة بإحياء السنة، وإماتة البدعة. **أحمد الرفاعي**

سئل: ما البدعة؟ فقال: التعدي في الأحكام، والتهاون بالسنن، وإتباع الآراء، وترك الإقتداء والإتباع. **أبو حفص النيسابوري**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

من يجلس مع صاحب بدعة لم يعط الحكمة. **الفضيل بن عياض**

قليل في سنّة خير من كثير مع بدعة. كيف يقلّ عمل مع التقوى؟. **السري السقطي**

من طبع على البدعة، متى يشيع فيه الحق؟ **الحارث المحاسبي**

سئل: متى يجوز للرجل أن يتكلّم على الناس؟ فقال: إذا تعيّن عليه أداء فرض من فرائض الله تعالى في علمه، أو خاف هلاك إنسان في بدعة، يرجو أن ينجيه الله تعالى منها بعلمه. **حمدون القصار**

لم يجد أحد تمام الهمّة بأوصافها، إلا أهل المحبة، وإنما وجدوا ذلك من إتباع السنة، ومجانبة البدعة، فإن رسول الله كان أعلى الخلق همّة، وأقربهم زلفة. **محمّد بن حامد الترمذي**

لم يضيع أحد فريضة من الفرائض إلا ابتلاه الله بتضييع السنين، ولم يبتل أحد بتضييع السنين إلا أوشك أن يبتلى بالبدع. **عبد الله بن منازل**

الاعتصام بالله هو الامتناع به من الغفلة والمعاصي، والبدع والضلالات. **أبو بكر بن أبي سعدان**

صحبة أهل البدع تورث الإعراض عن الحق. **بندار بن الحسين**

قال جابر بن عبد الله: قال رسول الله : «بِحَسْبِ المَرْءِ مِنَ الشَّرِّ إلاَّ مِنْ عَصَمَهُ الله مِنَ السُّوءِ أنْ يُشِيرَ النَّاسُ إلَيْه بالأَصَابِعِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ. إنَّ الله لا يَنْظُرُ إلى صُوَرِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إلى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ» ، ولقد ذكر الحسن رحمه الله للحديث تأويلاً، ولا بأس به، إذ روى هذا الحديث فقيل له: يا أبا سعيد إن الناس إذا رأوك أشاروا إليك بالأصابع، فقال: إنه لم يعن هذا وإنما عنى به المبتدع في دينه والفاسق في دنياه. **أبو حامد الغزالي**

دخل عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز، على عمر، فقال: يا أمير المؤمنين إن لي إليك حاجة فأخلني، وعنده مسلمة بن عبد الملك، فقال عمر: أسر دون عمك، قال نعم. فقام مسلمة وخرج، وجلس بين يديه، فقال: يا أمير المؤمنين، ما أنت قائل لربك غدا، إذا سألك فقال: رأيت بدعة لم تمتها أو سنة فلم تحيها؟ فقال له: يا بنيّ، أشيء حملك الرغبة إليّ، أم رأى رأيته من قبل نفسك؟ قال: لا والله، ولكن رأي رأيته من قبل نفسي، عرفت أنك مسئول، فما أنت قائل؟ فقال له أبوه: رحمك الله وجزاك من ولد خيرا. فوالله إني لأرجو أن تكون من الأعوان على الخير، يا بني: إن قومك قد شدوا هذا الأمر عقدة عقدة، وعروة عروة، ومتى ما أريد مكابرتهم على انتزاع ما في أيديهم، لم آمن أن يفتقوا عليّ فتقا تكثر فيه الدماء، والله، لزوال الدنيا أهون علي من أن يهراق في سببي محجة من دم، أو ما ترضى أن لا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا، إلا وهو يميت فيه بدعة ويحيي فيه سنة حتى يحكم الله بيننا بالحق وهو خير الحاكمين؟. **أبو الفرج ابن الجوزي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

براءة

البراءة من الحظوظ صفة الإلهية، ومن ادعى ذلك فهو كافر. وقد قضى القاضي أبو بكر الباقلاني بتكفير من يدّعي البراءة من الحظوظ، ومن ادعى ذلك فهو كافر. وقال: هذا من الصفات الإلهية وما ذكره حق، ولكن القوم إنما أرادوا به البراءة عما يسميه الناس حظوظاً، وهو الشهوات الموصوفة في الجنة فقط، فأما التلذذ بمجرّد المعرفة والمناجاة والنظر إلى وجه الله تعالى فهذا حظ هؤلاء، وهذا لا يعدّه الناس حظاً بل يتعجبون منه. وهؤلاء لو عوّضوا عما هم فيه من لذة الطاعة والمناجاة وملازمة السجود للحضرة الإلهية سراً وجهراً جميع نعيم الجنة لاستحقروه ولم يلتفتوا إليه؛ فحركتهم لحظ، وطاعتهم لحظ، ولكن حظهم معبودهم فقط دون غيره. **أبو حامد الغزالي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

بركة

أوائل بركة الدخول في التصوّف، أن تصدق الصادقين في الإخبار عن أنفسهم، وعن مشايخهم. **أبو عبد الله المقرئ الرازي**

لو صح لعبد في عمره نَفَسٌ من غير رياء ولا شرك، لأثرت بركات ذلك عليه إلى آخر الدهر. **عبد الله بن منازل**

من صحب الأكابر على غير طريق الحرمة، حرم فوائدهم، وبركات نظرهم، ولا يظهر عليه من أنوارهم شيء. **أبو علي الثقفي**

لو خدم رجل في جميع عمره يوما فتى من الفتيان، للحقته بركة خدمته. فكيف بمن أفنى في خدمتهم عمره!. **أبو عبد الله النزوغبذي**

من احتجت إلى شيء من علومه، فلا تنظر إلى عيوبه، فإن نظرك يحرمك بركة الانتفاع بعلمه. **عبد الله بن منازل**

ما هيّمتني إلا الظنون، لو تحققت في شيء لخرست وخمدت، وظهرت عليّ بركاته. **قريشية النسوية**

من رأيت فيه خصلة من الخير، فلا تفارقه، فإنه يصيبك من بركاته. **حمدون القصار**

عليكم بمحبتهم (أولياء الله) والتقرب إليهم، تحصل لكم بهم البركة، وكونوا معهم "اولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون" المجادلة ٢٢. **أحمد الرفاعي**

ذكر الله يثبت في القلب ببركة الصحبة. **أحمد الرفاعي**

قال أبو حفص النيسابوري لزوجته لما أراد أن يخرج من الريّ: إن أردت أن أطلقك وأدفع إليك مهرك حتى أقفل، فإني خارج ولا أدري متى أصل إليك. فقالت: لا أختار ذلك، ولكن دعني أكون في حبالتك. وتلحقني بركات ذلك، وأكون في ذكرك ودعائك. **صفراء الرازية**

لما حضرت إبراهيم بن شيبان الوفاة، قلت له: أوصني، قال: تبركي بكلّ ما يدفعه إليك الشيوخ. **عائشة الدينورية**

قيل لها: ما الذي أصابك من بركات خدمة شعوانة؟ قالت: ما أحببت الدنيا منذ خدمتها، ولا اهتممت لرزقي، ولا عظم في عيني أحد من أرباب الدنيا لطمع لي فيه، وما استقصرت أحدا من المسلمين قطّ. **كردية بنت عمرو**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

كان الواجب على أبي علي الثقفي أن يتكلم لنفسه، لا للخلق، لذلك لا يصل إليه بركات كلامه. **عبد الله بن منازل**

توفي ببغداد سنة خمس وثمانين ومائتين، وقبره ظاهر يتبرك الناس به. **إبراهيم الحربي**

كنا نتبرك بأبي الفتح القواس (من الأبدال) وهو صبي. **أبو الحسن الدارقطنى**

باطن

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

سئل بعض العلماء عن العلم الباطن ما هو؟ فقال: هو سر من أسرار الله تعالى يقذفه الله تعالى في قلوب أحبابه لم يطلع عليه ملكاً ولا بشراً. **أبو حامد الغزالي**

كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرّين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب: كان الإمام الشافعي رضي الله عنه يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يقعد الصبي في المكتب ويسأله: كيف يفعل في كذا وكذا؟ فيقال له: مثلك يسأل هذا البدوي؟ فيقول: إنّ هذا وفق لما أغفلناه. وكان أحمد بن حنبل رضي الله عنه ويحيى بن معين يختلفان إلى معروف الكرخي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسألانه. **أبو حامد الغزالي**

كونوا مع الشرع في آدابكم كلها ظاهرا وباطنا، فإن من كان مع الشرع ظاهرا وباطنا، كان الله حظه ونصيبه، وكان من أهل مقعد صدق عند مليك مقتدر. **أحمد الرفاعي**

لا تقولوا كما يقول بعض المتصوفة: نحن أهل الباطن، وهم أهل الظاهر. هذا الدين جامع، باطنه لبّ ظاهره، وظاهره ظرف باطنه. لو الظاهر لما بطن، ولو لا الظاهر لما كان ولما صحّ. القلب لا يقوم بلا جسد، بل لو لا الجسد لفسد القلب ونور الجسد. **أحمد الرفاعي**

قل: نحن من أهل الظاهر، وكأنك قلت: ومن أهل الباطن؟ قل: نحن من أهل ظاهر الشرع، وقد ذكرت باطن الحقيقة. **أحمد الرفاعي**

أي حالة باطنة للقوم لم يأمر بظاهر الشرع بعملها، وأي حالة ظاهرة لم يأمر ظاهر الشرع بإصلاح الباطن لها؟ لا تعملوا بالفرق والتفريق بين الظاهر والباطن، فإن ذلك زيغ وبدعة. **أحمد الرفاعي**

اعلم أن الشيطان لا يغوي الإنسان إلا بكلام مقبول الظاهر مردود الباطن، ولولا حسن ظاهره لما انخدعت به القلوب. **أبو حامد الغزالي**

لو شاهدت بنور البصيرة باطنك لرأيته مشحوناً بأصناف السباع وأنواع الهوام مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر والعجب والرياء وغيرها، وهي التي لا تزال تفترسك وتنهشك إن غفلت عنها لحظة، إلا أنك محجوب العين عن مشاهدتها؛ فإذا انكشف الغطاء ووضعت في قبرك عاينتها وقد تمثلت لك بصورها وأشكالها الموافقة لمعانيها، فترى بعينك العقارب والحيات وقد أحدقت بك في قبرك وإنما هي في صفاتك الحاضرة الآن قد انكشفت لك صورها، فإن أردت أن تقتلها وتقهرها وأنت قادر عليها قبل الموت فافعل، وإلا فوطّن نفسك على لدغها ونهشها لصميم قلبك فضلاً عن ظاهر بشرتك. **أبو حامد الغزالي**

ليس حب الإنسان مقصوراً على من أحسن إليه، بل المحسن في نفسه محبوب وإن كان لا ينتهي قط إحسانه إلى المحب، لأن كل جمال وحسن فهو محبوب، والصورة ظاهرة وباطنة والحسن والجمال يشملهما، وتدرك الصور الظاهرة بالبصر الظاهر والصور الباطنة بالبصيرة الباطنة؛ فمن حرم البصيرة الباطنة لا يدركها ولا يلتذ بها ولا يحبها ولا يميل إليها، ومن كانت البصيرة الباطنة أغلب عليه من الحواس

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الظاهرة كان حبه للمعاني الباطنة أكثر من حبه للمعاني الظاهرة، فشتان بين من يحب نقشاً مصوّراً على الحائط لجمال صورته الظاهرة وبين من يحب نبياً من الأنبياء لجمال صورته الباطنة. **أبو حامد الغزالي**

ما ذكرناه فهو تفكر في عمارة الباطن ليصلح للقرب والوصال، فإذا ضيع جميع عمره في إصلاح نفسه فمتى يتنعم بالقرب، ولذلك كان الخواص يدور في البوادي فلقيه الحسين بن منصور وقال: فيم أنت؟ قال: أدور في البوادي أصلح حالي في التوكل، فقال الحسين: أفنيت عمرك في عمران باطنك فأين الفناء في التوحيد؟ فالفناء في الواحد الحق هو غاية مقصد الطالبين ومنتهى نعيم الصدّيقين. **أبو حامد الغزالي**

لو تكلّم المتكلم حتى أصمّ الأسماع، وكان كلامه مردودا عند الظاهر، فتركه الكلام أولى له. وإذا سكت حتى ظن جليسه أنه لا يتكلّم، ثمّ تكلّم بكلمة واحدة سانحة من الباطن، سابحة في الظاهر، مقبولة عند الشرع، فتح الله لسماع كلمته القلوب، وتلقاها السامعون بالإذعان، وتكفيه. **أحمد الرفاعي**

الفروع الصحيحة لا تتفرع إلا من أصل صحيح، فمن أراد أن تصح له أفعاله على السنة، فليصحح الإخلاص من قلبه، فإن تصحيح ظواهر الأعمال بصحة بواطن الإخلاص. **أبو علي الثقفي**

السياحة ـ بالنفس ـ لآداب الظواهر علما وخلقا، والسياحة ـ بالقلب ـ لآداب البواطن حالا ووجدا وكشفا. **إبراهيم بن المولد**

قال لي أبي: تعلم العلم لآداب الظاهر، واستعمل الورع لآداب الباطن، وإياك أن يشغلك عن الله شاغل، فقلّ من أعرض عنه، فأقبل عليه. **اسحاق بن إبراهيم بن شيبان**

من اجتهد في باطنه ورثه الله حسن معاملة ظاهره، ومن حسن معاملته في ظاهره، مع جهد باطنه، ورثه الله تعالى الهداية إليه، لقوله عزّ وجلّ: ":والّذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا" العنكبوت ٢٩. **الحارث المحاسبي**

من صحّح باطنه بالمراقبة والإخلاص، زيّن الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السنّة. **الحارث المحاسبي**

أعاذنا الله وإياكم من غرور حسن الأعمال، مع فساد بواطن الأسرار. **عليّ بن سهل الأصبهانيّ**

كلّ باطن يخالف ظاهرا، فهو باطل. **أبو سعيد الخرّاز**

ما أظهر من نعمه، دليل على ما أبطن من كرمه. **أبو علي الروذباري**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

تجريد

عليكم بتجريد التوحيد وهو فقدان رؤية ما سواه لوحدانيته. **أحمد الرفاعي**

القلب مثل الإناء لا يتسع للخل مثلاً ما لم يخرج منه الماء: {مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ في جَوْفِهِ} وكمال الحب في أن يحب الله عز وجل بكل قلبه. وما دام يلتفت إلى غيره فزاوية من قلبه مشغولة بغيره، فبقدر ما يشغل بغير الله ينقص منه حب الله، وبقدر ما يبقى من الماء في الإناء ينقص من الخل المصبوب فيه. وإلى هذا التفريد والتجريد الإشارة بقوله تعالى: {قُل اللَّهُ ثمَّ ذَرْهُمْ في خَوْضِهِمْ} وبقوله تعالى: {إنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا} بل هو معنى قولك: «لا إله إلا الله» أي لا معبود ولا محبوب سواه، فكل محبوب فإنه معبود، فإن العبد هو المقيد والمعبود هو المقيد به. وكل محب فهو مقيد بما يحبه. ولذلك قال الله تعالى: {أرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إلهَهُ هَوَاهُ} وقال : «أبْغَضُ إلهٍ عُبِدَ فِي الأَرْضِ الهَوَى» ، ولذلك قال عليه السلام: «مَنْ قَالَ لا إله إلاَّ اللَّهُ مُخْلِصاً دَخَلَ الجَنَّةَ» ، ومعنى الإخلاص أن يخلص قلبه لله فلا يبقى فيه شرك لغير الله، فيكون الله محبوب قلبه ومعبود قلبه ومقصود قلبه فقط. **أبو حامد الغزالي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

من أسكرته أنوار التوحيد، حجبته عن عبارة التجريد، بل من أسكرته أنوار التجريد، نطق عن حقائق التوحيد، لأن السكران هو الذي ينطق بكلّ مكتوم. **الحسين بن منصور الحلاج**

لو تكلّم أهل التوحيد بلسان التجريد لما بقي محقّ إلا مات. **أبو علي الروذباري**

تجلي

والله لقد تجلى الله عز وجل لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون. **جعفر بن محمد الصادق**

للعارف مرآة، إذا نظر فيها تجلى له مولاه. **ممشاذ الدينوري**

جملة عالم الملك والملكوت إذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية، لأن الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات. إذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وأفعاله، ومملكته وعبيده من أفعاله، فما يتجلى من ذلك للقلب هي الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق، ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله وصفاته وأفعاله. **أبو حامد الغزالي**

لما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي أيضاً على درجات متفاوتة، فاختلاف التجلي بالإضافة إلى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالإضافة إلى اختلاف البذر، إذ تختلف لا محالة بكثرتها وقلتها وحسنها وقوّتها وضعفها، ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ يَتَجَلَّى لِلنَّاسِ عَامَّةً وَلِأَبِي بَكْرٍ خَاصَّةً» ، فلا ينبغي أن يظنّ أنّ غير أبي بكر ممن هو دونه يجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجده أبو بكر، بل لا يجد إلا عشر عشيره إن كانت معرفته في الدنيا عشر عشيره، ولما فضل من الناس بسر وقر في صدره فضل لا محالة بتجل انفرد به. **أبو حامد الغزالي**

العزيز المقدّر واحد، أظهر القدرة على أشباح متفرقة وهياكل متباينة، وهو واحد في ذاته، غير متحيّز ولا منقسم ولا حال ولا متحد، ولكن تجلى لعباده بأفعاله وقدرته، وجعل إليه طرقا، والطرق أدلاء، والكلّ دليل آية مخصوصة، ولكل طريق

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

باب مخصوص وحجاب مضروب. " وما كان لبشر أن يكلّمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب" ٥١. الشورى. وثمّ في الطرق حدودا مضروبة، وأعلام منصوبة، لا يمكن عبورها إلا بإذن. فمن كان مأذونا له في تجاوز الحد المضروب إلى ما وراء، فتح له الباب وأدخل، والدخول لا يكون إلا مع الشرح، والشرح سئل عنه رسول الله عليه الصلاة والسلام، فقال: "هو نور يقذفه الله في القلب" قيل يا رسول الله: ما علامته؟ فقال: "التجافي عن دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل حلول الموت". وبالشرح النوراني تنفتح أبواب القلوب، والرحمة باب من أبواب الله سبحانه يفتحها على القلب متى يشاء. **أحمد الرفاعي**

الخيالات لا تفتر في هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات، وهي مكدرات للمعارف ومنغصات، وكذلك ينضاف إليها شواغل الدنيا، فإنما كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام إشراق التجلي، ولا يكون ذلك إلا في الآخرة، وذلك بالضرورة يوجب الشوق فإنه منتهى محبوب العارفين. **أبو حامد الغزالي**

لن ترتحل نفس عن هذا العالم إلا ويصحبها غبرة وكدورة ما، وإن قلت، ولذلك قال الله تعالى: {وإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً ثمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ونَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً} فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدور عنها، فإذا أكمل الله تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب أجله ووقع الفراغ عن جملة ما وعد به الشرع من الحساب والعرض وغيره ووافى استحقاق الجنة ـــ وذلك وقت مبهم لم يطلع الله عليه أحداً من خلقه فإنه واقع بعد القيامة؛ ووقت القيامة مجهول ـــ فعند ذلك يشتغل بصفائه ونقائه عن الكدورات حيث لا يرهق وجهه غبرة ولا قترة لأنّ فيه يتجلى الحق سبحانه وتعالى، فيتجلى له تجلياً يكون انكشاف تجلية بالإضافة إلى ما علمه كانكشاف تجلي المرآة بالإضافة إلى ما تخيله. وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية. **أبو حامد الغزالي**

في الحديث «إن الله تعالى يتجلى للمؤمنين فيقول سلوني؟فيقولون: رضاك»، فسؤالهم الرضا بعد النظر نهاية التفضيل. **أبو حامد الغزالي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ربوبية

الخلق كلهم صبيان بالنسبة إلى العلماء، ينظرون إلى هذه الأشخاص فيظنون أنها المتحركة فيحيلون عليها، والعلماء يعلمون أنهم محركون إلا أنهم لا يعرفون كيفية التحريك وهم الأكثرون إلا العارفون والعلماء الراسخون فإنهم أدركوا بحدة أبصارهم خيوطاً دقيقة عنكبوتية بل أذق منها بكثير معلقة من السماء متشبثة الأطراف بأشخاص أهل الأرض لا تدرك تلك الخيوط لدقتها بهذه الأبصار الظاهرة، ثم شاهدوا رؤوس تلك الخيوط في مناطات لها هي معلقة بها، وشاهدوا لتلك المناطات مقابض هي في أيدي الملائكة المحركين للسموات، وشاهدوا أيضاً ملائكة السموات مصروفة إلى حملة العرش ينتظرون منهم ما ينزل عليهم من الأمر من حضرة الربوبية كي لا يعصوا الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وعبر عن هذه المشاهدات في القرآن وقيل: {وفي السَّماءِ رزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} وعبر عن انتظار ملائكة السموات لما ينزل إليهم من القدر والأمر فقيل: {خَلَقَ سَبْعَ سَمَواتٍ ومِنَ الأرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأمْرُ بيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أنَّ اللَّه عَلَى كُلِّ شيءٍ قَديرٍ وأنَّ اللَّهَ قَدْ أحَاطَ بكُلِّ شيءٍ عِلْماً} وهذه أمور لا يعلم تأويلها إلا الله والراسخون في العلم وعبر ابن عباس رضي الله عنهما عن اختصاص الراسخين في العلوم بعلوم لا تحتملها أفهام الخلق حيث قرأ قوله تعالى: {يَتَنَزَّلُ الأمْرُ بَيْنَهُنَّ} فقال: لو ذكرت ما أعرفه من معنى هذه الآية لرجمتموني، وفي لفظ آخر: لقلتم إنه كافر. **أبو حامد الغزالي**

لذة الرياسة والغلبة والاستعلاء والاستتباع أغلب اللذات في الدنيا على نفوس العقلاء، وكيف لا تكون أغلب اللذات ومطلوبها صفة من صفات الله تعالى وهي الربوبية؟ والربوبية محبوبة ومطلوبة بالطبع للقلب لما فيه من المناسبة لأمور الربوبية، وعنه العبارة بقوله تعالى: {قُلِ الرُّوحُ مِنْ أمرِ رَبِّي} وليس القلب مذموم على حبه ذلك، وإنما هو مذموم على غلط وقع له بسبب تغرير الشيطان اللعين المبعد عن عالم الأمر إذ حسده على كونه من عالم الأمر. **أبو حامد الغزالي**

صفات العبودية فضل للعبد كالخوف والرجاء، وصفات الربوبية لا ينبغي أن ينازع فيها، ولذلك قال تعالى فيما روى عنه نبينا : «الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالعَظَمَةُ إزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا قَصَمْتُهُ». **أبو حامد الغزالي**

من صح له علم حقيقة العبودية، فإنه عما قريب يصل إلى علم الربوبية. **أم علي بنت عبد الله بن حمشاذ**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

لا ينبغي أن تشك في أن الاطلاع على أسرار الربوبية والعلم بترتب الأمور الإلهية المحيطة بكل الموجودات هو أعلى أنواع المعارف والاطلاعات وألذها وأطيبها وأشهاها، وأحرى ما تستشعر به النفوس عند الاتصاف به كمالها وجمالها، وأجدر ما يعظم به الفرح والارتياح والاستبشار. **أبو حامد الغزالي**

الموحد لا يرى إلا ربوبيّة صرفا، تولّت عبودية محضا. **أبو بكر الواسطي**

الربوبية سبقت العبودية، وبالربوبية ظهرت العبودية، وتمام وفاء العبودية مشاهدة الربوبية. **أبو عبد الله الصبيحي**

أنت تظهر دعوى العبودية، وتضمر أوصاف الربوبية. **عبد الله بن منازل**

من افتقر إلى الله تعالى، وصحح فقره إليه بملازمة آدابه، أغناه الله به عن كلّ ما سواه. **أبو الحسن المزيّن**

من أفقره الله إليه أغناه به، ليعرفه بالفقر عبوديته، وبالغنى ربوبيته. **مظفر القرميسيني**

الربوبية نفاذ الأمر والمشيئة، والتقدير والقضية، والعبودية معرفة المعبود، والقيام بالعهود. **أبو العباس السياري**

المنتهى، فيما يقال، من دقائق العلوم، علم الربوبية والعبودية، ثم تتلاشى العبودية، وتبقى الربوبية. **سريرة الشرقية**

قال عيسى عليه السلام: لا تتخذوا الدنيا رباً فتتخذكم عبيداً اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فإن صاحب كنز الدنيا يخاف عليه الآفة وصاحب كنز الله لا يخاف عليه الآفة. **أبو حامد الغزالي**

قال بعض مشايخ الصوفية: ما من إنسان إلا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله: {أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى} ولكنه ليس يجد له مجالاً وهو كما قال، فإن العبودية قهر على النفس. والربوبية محبوبة بالطبع. **أبو حامد الغزالي**

قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدونِ} أي ليكونوا عبيداً لي. ولا يكون العبد عبداً ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية ولا بدّ أن يعرف نفسه وربه. أبو حامد الغزالي

الشكر خلق من أخلاق الربوبية إذ قال تعالى: {واللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ}. **أبو حامد الغزالي**

حضرة الربوبية هي ينبوع كل نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشأ كل ترتيب وتأليف. **أبو حامد الغزالي**

حب العز والبقاء شرك في الربوبية ومنازعة فيها لأنهما من صفات الرب تعالى. **سهل بن عبد الله التستري**

قال تعالى: {مِنْ بَعْدِ ما أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ} قيل العوافي: {إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى} وكذلك إذا استغنى بالعافية. قال بعضهم: إنما قال فرعون: أنا ربكم الأعلى لطول العافية، لأنه لبث أربعمائة سنة لم يصدع له رأس ولم يحم له جسم ولم

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

يضرب عليه عرق فادعى الربوبية ـــ لعنه الله ـــ ولو أخذته الشقيقة يوماً لشغلته عن الفضول فضلاً عن دعوى الربوبية. **أبو حامد الغزالي**

الربوبية تقدست وجلّت عن وصف المشاركة. في كل حال ردّت أعمال الشرك إلى المشركين وقبلت أعمال التوحيد من الموحدين. "ألا لله الدين الخالص" ٣. الزمر. **أحمد الرفاعي**

الحسين عليه السلام طلبت بشريّته حقها الشرعي الّذي لا نزاع فيه، فغارت الربوبية، فرفعت روحه إلى مقعد صدق، فلما قرّت الروح في مقامها حنّت لقالبها المبارك. "فقطع دابر القوم الّذين ظلموا" ٤٥. الأنعام. وتحكم سيف العدل في الأمرين: فكانت شهادة الإمام رفعة له، وكان ظفر أعداء الله خزيا لهم. وإنما الغارة الإلهية فعلت في بشرية الإمام ما فعلت، وكأنها تقول لها: طلبت قود الرقاب إليّ، وأنا اريد قودك بالكلية إليّ، فطلبك إليّ اضمحل عند إرادتي إياك. **أحمد الرفاعي**

تسبيح

رأيت مع علي الجرجاني سويقاً يستف منه فقلت: ما حملك على هذا؟ قال: إني حسبت ما بين المضغ إلى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة. **السري السقطي**

روي أن سليمان بن داود عليهما السلام مرَّ في موكبه، والطير تظله والجن والإنس عن يمينه وشماله قال: فمر بعابد من بني إسرائيل فقال: والله يا ابن داود لقد

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

آتاك الله ملكاً عظيماً، قال: فسمع سليمان وقال: لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطي ابن داود، فإن ما أعطي ابن داود يذهب والتسبيحة تبقى. **أبو حامد الغزالي**

كان سيد أهل اليمن، وكان يصلي الليل، فإذا غلبه النوم، ألقى نفسه في البحر، وقال: أسبح لله عز وجل مع الحيتان. **الحكم بن أبان العدني**

الذكر طاعة الله، فمن أطاع الله فقد ذكره، ومن لم يطعه فليس بذاكر، وإن أكثر التسبيح وتلاوة القرآن. **سعيد بن جبير**

هلكت جارية في الطاعون الجارف، فرآها أبوها في المنام، فقال لها: يا بنية، أخبريني عن الآخرة؟ قالت: يا أبت قدمنا على أمر عظيم، نعلم ولا نعمل وتعلمون ولا تعملون، والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان في فسحة عمل أحب إليَّ من الدنيا وما فيها. **يزيد بن نعامة**

الفقر أصلح لكافة الخلق وأفضل، لأنّ علاقة الفقير وأنسه بالدنيا أضعف وبقدر ضعف علاقته يتضاعف ثواب تسبيحاته وعباداته، فإنّ حركات اللسان ليست مرادة لأعيانها بل ليتأكد بها الأنس بالمذكور، ولا يكون تأثيرها في إثارة الأنس في قلب فارغ من غير المذكور كتأثيرها في قلب مشغول. **أبو حامد الغزالي**

المدركات كلها التي هي شاهدة على الله إنما يدركها الإنسان في الصبا عند فقد العقل، ثم تبدو فيه غريزة العقل قليلاً قليلاً وهو مستغرق الهم بشهواته، وقد أنس بمدركاته ومحسوساته وألفها، فسقط وقعها عن قلبه بطول الأنس، ولذلك إذا رأى على سبيل الفجأة حيواناً غريباً أو نباتاً غريباً أو فعلاً من أفعال الله تعالى خارقاً للعادة عجيباً، انطلق لسانه بالمعرفة طبعاً فقال: «سبحان الله». **أبو حامد الغزالي**

حكي أن شاهداً عظيم القدر من أعيان أهل بسطام كان لا يفارق مجلس أبي يزيد، فقال له يوماً: أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر لا أفطر وأقوم الليل لا أنام ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئاً وأنا أصدّق به وأحبه، فقال أبو يزيد: ولو صمت ثلاثمائة سنة وقمت ليلها ما وجدت من هذا ذرّة قال: ولم؟ قال: لأنك محجوب بنفسك، قال: فلهذا دواء؟ قال: نعم، قال: قل لي حتى أعمله، قال: لا تقبله، قال: فاذكره لي حتى أعمل، قال: اذهب الساعة إلى المزين فاحلق رأسك ولحيتك وانزع هذا اللباس واتزر بعباءة وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزاً، واجمع الصبيان حولك وقل: كل من صفعني صفعة أعطيته جوزة، وادخل السوق وطف الأسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك وأنت على ذلك، فقال الرجل: سبحان الله تقول لي مثل هذا فقال أبو يزيد: قولك: سبحان الله شرك، قال: وكيف؟ قال: لأنك عظمت نفسك فسبحتها وما سبحت ربك فقال: هذا لا أفعله ولكن دلني على غيره فقال: ابتدىء بهذا قبل كل شيء. فقال: لا أطيقه، قال: قد قلت لك إنك لا تقبل؟. **أبو حامد الغزالي**

قبض ملك الموت روح جبار من الجبابرة، ما في الأرض مثله، ثم عرج إلى السماء، فقالت الملائكة: لمن كنت أشدّ رحمة ممن قبضت روحه؟ قال: أمرت بقبض نفس امرأة في فلاة من الأرض، فأتيتها وقد ولدت مولوداً، فرحمتها لغربتها، ورحمت ولدها لصغره، وكونه في فلاة لا متعهد له بها. فقالت الملائكة: الجبار الذي قبضت

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الآن روحه هو ذلك المولود الذي رحمته، فقال ملك الموت: سبحان اللطيف لما يشاء. **وهب بن منبه**

رئي مالك بن أنس فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بكلمة كان يقولها عثمان بن عفان رضي الله عنه عند رؤية الجنازة: سبحان الحي الذي لا يموت. **أبو حامد الغزالي**

إسلام

يا هذا: إنما أفردت على ظاهر توحيدك مهادنة لك، ومسالمة لدخولك تحت قهر الدعوة. وبالمسالمة والتسليم، دون المنازعة، قنع منك بالطاعة والدعوة، لئلا ترجع على عقبك، وترتد بعد إسلامك. ولهذا سميت: مسلما، ولم يطلب منك حقيقة هذا، إذ لا طاقة لك به، والله "لا يكلّف نفسا إلا وسعها" ٢٨٦. البقرة. ولا يحملها فوق طاقتها. فما أفردت به من شهادة التوحيد: هو حظّك من الإسلام الذي خرجت به عن جملة الجاحدين، وإن لم تثبت به في زمرة المؤمنين، فضلا أن تصل به رتبة العارفين، أو ترقى إلى ذروة المكاشفين: "قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا" ١٤. الحجرات. **أحمد الرفاعي**

الإسلام: حبل الوصلة إلى الله. **أحمد الرفاعي**

الإسلام، وما الإسلام؟ السر والعلانية فيه مشتبهة، وأن يسلم قلبك لله، وإن يسلم منك كل مسلم وكل ذي عهد. **الحسن البصري**

ألزموا حكم الإسلام، فهو متابعة الشريعة، والإعراض عن الطبيعة. **أحمد الرفاعي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

أول الإيمان منوط بآخره، ألا ترى أن عقد الإيمان: لا إله إلا الله، والإسلام منوط بأداء الشريعة بالإخلاص، قال الله تعالى: "وما أمروا إلا ليعبدوا الله خلصين له الدين" البينة ٥. **أبو الحسن البوشنجي**

قال بعضهم: أجمع الفقهاء والعلماء على ثلاث خصال أنها إذا صحت ففيها النجاة ـــ ولا يتم بعضها إلا ببعض ـــ الإسلام الخالص عن البدعة والهوى، والصدق لله تعالى في الأعمال، وطيب المطعم. **أبو حامد الغزالي**

من شان الفاسقين، وغضب لله، وجاهد في الله، ولم يبتغ غير الإسلام دينا، غفر الله له، مثل رجال السنة رضي الله عنهم. **أحمد الرفاعي**

قيل إن مجوسياً استضاف إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام فقال: إن أسلمت أضفتك؛ فمرّ المجوسي، فأوحى الله تعالى إليه: يا إبراهيم لم تطعمه إلا بتغيير دينه ونحن من سبعين سنة نطعمه على كفره، فلو أضفته ليلة ماذا كان عليك؛ فمر إبراهيم يسعى خلف المجوسي فرده وأضافه؛ فقال له المجوسي: ما السبب فيما بدا لك؟ فذكر له؛ فقال له المجوسي: أهكذا يعاملني ثم قال: اعرض علي الإسلام فأسلم. **أبو حامد الغزالي**

كان يوماً يبكي فقيل له: علام تبكي؟ فقال: بكينا على الذنوب زماناً، فالآن نبكي على الإسلام. **سفيان الثوري**

مشاهدة

أنوار البصائر ـــ المستفادة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ومن مناهج الاعتبار ـــ تعرفنا أحوال الموتى على الجملة وانقسامهم إلى سعداء وأشقياء. ولكن حال زيد وعمرو بعينه فلا ينكشف أصلاً، فإنا إن عوّلنا على إيمان زيد وعمرو فلا ندري على ماذا مات وكيف ختم له؟ وإن عوّلنا على صلاحه الظاهرة فالتقوى محله القلب وهو غامض يخفى على صاحب التقوى فكيف على غيره؟ فلا حكم لظاهر الصلاح دون التقوى الباطن، قال الله تعالى: {إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ المُتَّقِينَ} فلا يمكن معرفة حكم زيد وعمرو إلا بمشاهدته ومشاهدة ما يجري عليه، وإذا مات فقد تحوّل من عالم الملك والشهادة إلى عالم الغيب والملكوت فلا يرى بالعين الظاهرة، وإنما يرى بعين أخرى خلقت تلك العين في قلب كل إنسان، ولكنّ الإنسان جعل عليها غشاوة كثيفة من شهواته وأشغاله الدنيوية فصار لا يبصر بها، ولا يتصور أن يبصر بها شيئاً من عالم الملكوت ما لم تنقشع تلك الغشاوة عن عين قلبه. **أبو حامد الغزالي**

لما كانت الغشاوة منقشعة عن أعين الأنبياء عليهم السلام فلا جرم نظروا إلى الملكوت وشاهدوا عجائبه، والموتى في عالم الملكوت فشاهدوهم وأخبروا. ولذلك رأى رسول الله ضغطة القبر في حق سعد بن معاذ وفي حق زينب ابنته. وكذلك حال أبي جابر لما استشهد إذ أخبره أن الله أقعده بين يديه وليس بينهما ستر. ومثل هذه المشاهدة لا مطمع فيها لغير الأنبياء والأولياء الذين تقرب درجتهم منهم.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

إنما الممكن من أمثالنا مشاهدة أخرى ضعيفة إلا أنها أيضاً مشاهدة نبوية وأعني بها المشاهدة في المنام وهي من أنوار النبوّة. قال رسول الله : «الرُّؤْيَا الصَّالِحَة جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءاً مِنَ النُّبوَّةِ» . وهو أيضاً انكشاف لا يحصل إلا بانقشاع الغشاوة عن القلب. **أبو حامد الغزالي**

القرآن...له ظهر وبطن، وحدّ ومطلع: وهذه أربعة أركان بني عليها فهم القرآن.

فالظاهر هو التنزيل. " نزل به الروح الأمين" ١٩٣. الشعراء. والباطن هو التأويل، كما قال صلى الله عليه وسلّم: اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل". والحد هو الّذي يتوقف عنده، وهو الّذي يفصل بين التشبيه والتعطيل. والمطلع هو موضع إشراف المكاشفين على حقائق ما أريد به بإلهام الملك وفطنة الروح، ولا يشهد معانيه ويطلع على حقائقه إلا من كان له كشف ومشاهدة، وقلب سالم مسلم. "قال أسلمت لربّ العالمين" ١٣١. البقرة. "إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد" ٣٧. ق. **أحمد الرفاعي**

اعلم أن لله تعالى ـ في خلقه ـ رياضات، ليتجلى لهم بربوبيته يراضون ـ لهم ـ في مشاهدات الأشياء، ليتحققوا بحقيقة الأشياء، كما راض إبراهيم خليله، صلوات الله عليه، حين رأى النجوم، فقال في بدايته: هذا ربي، وإنما هي عين الجمع، من فرط البلاء، وغلبة الشوق، وحصول الجمع في الجمع، من حيث ما ورد عليه من الحق للحق، حتى قال: "هذا ربي" راضه ليحوله إلى ما هو من ورائه، ألم تسمع إلى قوله: "فلما أفل قال لا أحب الآفلين" الأنعام ٧٦. **أبو العباس الدينوري**

العالم متفاوتون في ترتيب مشاهدات الأشياء: فقوم رجعوا من الأشياء إلى الله تعالى، فشاهدوا الأشياء ـ من حيث الأشياء ـ ثم رجعوا عنها إلى الله عزّ وجلّ. وقوم رجعوا من الله تعالى إلى الأشياء ـ من غير غيبتهم عنه ـ فلم يروا شيئا إلا ورأوا الحق قبله. وقوم بقوا مع الأشياء لأنهم لم يكن لهم طريق منها إلى الله ليجتازوا بها عليها. **أبو العباس الدينوري**

مشاهدة القلب لا يمكن الغلط فيها، وإنما الشأن في انفتاح بصيرة القلب، وإلا فما يرى بها بعد الانفتاح فلا يتصور فيه الكذب، وإليه الإشارة بقوله تعالى: {مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رأى}. **أبو حامد الغزالي**

لا تظنن أن معرفة النبـي عليه السلام لأمر الآخرة ولأمور الدين تقليد لجبريل عليه السلام بالسماع منه، كما أن معرفتك تقليد للنبـي حتى تكون معرفتك مثل معرفته، وإنما يختلف المقلد فقط وهيهات فإنّ التقليد ليس بمعرفة، بل هو اعتقاد صحيح والأنبـياء عارفون ومعنى معرفتهم أنه كشف لهم حقيقة الأشياء كما هي عليها فشاهدوها بالبصيرة الباطنة كما تشاهد أنت المحسوسات بالبصر الظاهر، فيخبرون عن مشاهدة لا عن سماع وتقليد. **أبو حامد الغزالي**

من أنس بالله وملك الحق قلبه وصار ابن وقته مشاهداً لجمال الحق على الدوام: لم يبق له التفات إلى المستقبل فلم يكن له خوف ولا رجاء بل صار حاله أعلى

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

من الخوف والرجاء فإنهما زمانان يمنعان النفس عن الخروج إلى رعوناتها، وإلى هذا أشار الواسطي حيث قال: الخوف حجاب بين الله وبين العبد. وقال أيضاً: إذا ظهر الحق على السرائر لا يبقى فيها فضلة لرجاء ولا لخوف؛ وبالجملة فالمحب إذا شغل قلبه في مشاهدة المحبوب بخوف الفراق كان ذلك نقصاً في الشهود، وإنما دوام الشهود غاية المقامات. **أبو حامد الغزالي**

إذا كانت الحوالة ترجع إلى القضاء الأزلي من غير جناية ولا وسيلة فالخوف ممن يقضي بما يشاء ويحكم بما يريد حزم عند كل عاقل، ووراء هذا المعنى سر القدر لا يجوز إفشاؤه ولا يمكن أن تفهم الخوف منه في صفاته جل جلاله إلا بمثال لولا إذن الشرع لم يستجرىء على ذكره ذو بصيرة، فقد جاء في الخبر: «إنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمَ: يا دَاوُدُ خَفْنِي كما تَخَافُ السَّبُعَ الضَّارِي» . فهذا المثال يفهمك حاصل المعنى وإن كان لا يقف بك على سببه فإنّ الوقوف على سببه وقوف على سر القدر، ولا يكشف ذلك إلا لأهله. والحاصل أن السبع يخاف لا لجناية سبقت إليه منك بل لصفته وبطشه وسطوته وكبره وهيبته، ولأنه يفعل ما يفعل ولا يبالي، فإن قتلك لم يرق قلبه ولا يتألم بقتلك وإن خلاك لم يخلك شفقة عليك وإبقاء على روحك بل أنت عنده أخس من أن يلتفت إليك حياً كنت أو ميتاً بل إهلاك ألف مثلك وإهلاك نملة عنده على وتيرة واحد، إذ لا يقدح ذلك في عالم سبعيته وما هو موصوف به من قدرته وسطوته، ولله المثل الأعلى، ولكن من عرفه عرف بالمشاهدة الباطنة التي هي أقوى وأوثق وأجلى من المشاهدة الظاهرة أنه صادق في قوله «هؤلاء إلى الجنة لا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي» ويكفيك من موجبات الهيبة والخوف المعرفة بالاستغناء وعدم المبالاة. **أبو حامد الغزالي**

من طلب كشف حقائق الأمور من أقاويل الناس رآها مختلفة فلا يستفيد إلا الحيرة، وأما من انكشف له الحق في نفسه وأدركه بمشاهدة من قلبه لا بتلقف من سمعه، فقد وثق بالحق، واطلع على قصور من قصر لقصور بصيرته، وعلى اقتصار من اقتصر مع كمال المعرفة لاقتصار حاجته. **أبو حامد الغزالي**

فإن قلت: كيف يتصوّر أن لا يشاهد إلا واحد وهو يشاهد السماء والأرض وسائر الأجسام المحسوسة وهي كثيرة: فكيف يكون الكثير واحداً؟

فاعلم أنّ هذه غاية علوم المكاشفات. وأسرار هذا العلم لا يجوز أن تسطر في كتاب، فقد قال العارفون: إفشاء سر الربوبية كفر، ثم هو غير متعلق بعلم المعاملة، نعم ذكر ما يكسر سورة استبعادك ممكن. وهو أنّ الشيء قد يكون كثيراً بنوع مشاهدة واعتبار، ويكون واحداً بنوع آخر من المشاهدة والاعتبار، وهذا كما أنّ الإنسان كثير إن التفت إلى روحه وجسده وأطرافه وعروقه وعظامه وأحشائه، وهو باعتبار آخر ومشاهدة أخرى واحد إذ نقول إنه إنسان واحد؛ فهو بالإضافة إلى الإنسانية واحد، وكم من شخص يشاهد إنساناً ولا يخطر بباله كثرة أمعائه وعروقه وأطرافه وتفصيل روحه وجسده وأعضائه، والفرق بينهما أنه في حالة الاستغراق والاستهتار به مستغرق بواحد ليس فيه تفريق وكأنه في عين الجمع، والملتفت إلى الكثرة في تفرقة،

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

فكذلك كل ما في الوجود من الخالق والمخلوق له اعتبارات ومشاهدات كثيرة مختلفة، فهو باعتبار واحد من الاعتبارات واحد، وباعتبارات أخر سواه كثير، وبعضها أشدّ كثرة من بعض، ومثاله الإنسان وإن كان لا يطابق الغرض ولكنه ينبه في الجملة على كيفية مصير الكثرة في حكم المشاهدة واحداً، ويستبين بهذا الكلام ترك الإنكار والجحود لمقام لم تبلغه وتؤمن به إيمان تصديق، فيكون لك من حيث إنك مؤمن بهذا التوحيد نصيب، وإن لم يكن ما آمنت به صفتك كما أنك إذا آمنت بالنبوّة وإن لم تكن نبياً كان لك نصيب منه بقدر قوّة إيمانك. وهذه المشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الأكثر، والدوام نادر عزيز وإلى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخوّاص يدور في الأسفار فقال: فيماذا أنت؟ فقال: أدور في الأسفار لأصحح حالتي في التوكل وقد كان من المتوكلين؛ فقال الحسين: قد أفنيت عمرك في عمران باطنك، فأين الفناء في التوحيد؟ فكأنّ الخوّاص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد، فطالبه بالمقام الرابع، فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الإجمال. **أبو حامد الغزالي**

حاصل (قدر التوحيد الذي يرتبط به التوكل): أن ينكشف لك أن لا فاعل إلا الله تعالى، وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقر إلى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم. فالمنفرد بإبداعه واختراعه هو الله عز وجل لا شريك له فيه، وإذا انكشف لك هذا لم تنظر إلى غيره، بل كان منه خوفك وإليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك، فإنه الفاعل على الانفراد دون غيره، وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرّة من ملكوت السموات والأرض، وإذا انفتحت لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحاً أتم من المشاهدة بالبصر. **أبو حامد الغزالي**

قال رسول الله في وصف ملك الأرحام: «إِنَّهُ يَدْخُلُ الرَّحِمَ فَيَأْخُذُ النُّطْفَةَ فِي يَدِهِ ثُمَّ يُصَوِّرُها جَسَداً، فَيَقُولُ: يا رَبِّ، أذَكَرٌ أمْ أُنْثَى، أسَوِيَّ أمْ مُعْوَجّ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى ما شَاءَ وَيَخْلُقُ المَلَكُ» ، وفي لفظ آخر: «وَيُصَوِّرَ المَلَكُ ثُمَّ يَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ بِالسَّعَادَةِ أوْ بِالشَّقَاوَةِ» . وقد قال بعض السلف: إنّ الملك الذي يقال له الروح هو الذي يولج الأرواح في الأجساد، وأنه يتنفس بوصفه فيكون كل نفس من أنفاسه روحاً يلج في جسم، ولذلك سمي روحاً، وما ذكره في مثل هذا الملك وصفته فهو حق شاهده أرباب القلوب ببصائرهم فأما كون الروح عبارة عنه فلا يمكن أن يعلم إلا بالنقل والحكم به دون النقل تخمين مجرّد. **أبو حامد الغزالي**

محبة الله للعبد تقريبه من نفسه بدفع الشواغل والمعاصي عنه وتطهير باطنه عن كدورات الدنيا ورفع الحجاب عن قلبه حتى يشاهده كأنه يراه بقلبه. **أبو حامد الغزالي**

سنة الله تعالى جارية بأن تطبيق الأجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجاباً بين البصر والمرئي، ولا بدّ من ارتفاع الحجب لحصول الرؤية، وما لم ترتفع كان الإدراك الحاصل مجرّد التخيل فكذلك مقتضى سنة الله تعالى أن النفس ما دامت محجوبة بعوارض البدن ومقتضى الشهوات وما غلب عليها من الصفات البشرية،

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

فإنها لا تنتهي إلى المشاهدة واللقاء في المعلومات الخارجة عن الخيال، بل هذه الحياة حجاب عنها بالضرورة كحجاب الأجفان عن رؤية الأبصار. والقول في سبب كونها حجاباً يطول ولا يليق بهذا العلم. ولذلك قال تعالى لموسى عليه السلام: {لَنْ تَرَانِي} وقال تعالى: {لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ} أي في الدنيا، والصحيح أن رسول الله ما رأى الله تعالى ليلة المعراج. **أبو حامد الغزالي**

المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة، ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة، والمعلوم في الدنيا اختلاف إلا من حيث زيادة الكشف والوضوح، كما ضربناه من المثال في استكمال الخيال بالرؤية. **أبو حامد الغزالي**

إذا لم يكن في معرفة الله تعالى إثبات صورة وجهة، فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح إلى غاية الكشف أيضاً جهة وصورة لأنها هي بعينها لا تفترق منها إلا في زيادة الكشف، كما أن الصورة المرئية هي المتخيلة بعينها إلا في زيادة الكشف، وإليه الإشارة بقوله تعالى: {يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وبأَيْمانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا} إذ تمام النور لا يؤثر إلا في زيادة الكشف، ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية إلا العارفون في الدنيا، لأن المعرفة هي البذر الذي ينقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة والحب زرعاً، ومن لا نواة في أرضه كيف يحصل له نخل؟ ومن لم يزرع الحب فكيف يحصل الزرع، فكذلك من لم يعرف الله تعالى في الدنيا فكيف يراه في الآخرة؟ **أبو حامد الغزالي**

لن ترتحل نفس عن هذا العالم إلا ويصحبها غبرة وكدورة ما، وإن قلت، ولذلك قال الله تعالى: {وإِنْ مِنْكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيّاً ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا ونَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً} فكل نفس مستيقنة للورود على النار وغير مستيقنة للصدور عنها، فإذا أكمل الله تطهيرها وتزكيتها وبلغ الكتاب أجله ووقع الفراغ عن جملة ما وعد به الشرع من الحساب والعرض وغيره ووافى استحقاق الجنة ـــ وذلك وقت مبهم لم يطلع الله عليه أحداً من خلقه فإنه واقع بعد القيامة؛ ووقت القيامة مجهول ـــ فعند ذلك يشتغل بصفائه ونقائه عن الكدورات حيث لا يرهق وجهه غبرة ولا قترة لأنّ فيه يتجلى الحق سبحانه وتعالى، فيتجلى له تجلياً يكون انكشاف تجلية بالإضافة إلى ما علمه كانكشاف تجلي المرآة بالإضافة إلى ما تخيله. وهذه المشاهدة والتجلي هي التي تسمى رؤية. **أبو حامد الغزالي**

لما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي أيضاً على درجات متفاوتة، فاختلاف التجلي بالإضافة إلى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالإضافة إلى اختلاف البذر، إذ تختلف لا محالة بكثرتها وقلتها وحسنها وقوّتها وضعفها، ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ يَتَجَلَّى لِلنَّاسِ عَامَّةً وَلِأَبِي بَكْرٍ خَاصَّةً» ، فلا ينبغي أن يظنّ أنّ غير أبي بكر ممن هو دونه يجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجده أبو بكر، بل لا يجد إلا عشر عشيره إن كانت معرفته في الدنيا عشر عشيره، ولما فضل من الناس بسر وقر في صدره فضل لا محالة بتجل انفرد به. **أبو حامد الغزالي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ليس يستأنف لأحد في الآخرة ما لم يصحبه من الدنيا، ولا يحصد أحد إلا ما زرع، ولا يحشر المرء إلا على ما مات عليه، ولا يموت إلا على ما عاش عليه، فما صحبه من المعرفة هو الذي يتنعم به بعينه فقط، إلا أنه ينقلب مشاهدة بكشف الغطاء فتتضاعف اللذة به؛ كما تتضاعف لذة العاشق إذا استبدل بخيال صورة المعشوق رؤية صورته فإنّ ذلك منتهى لذته، وإنما طيبة الجنة أن لكل أحد فيها ما يشتهي، فمن لا يشتهي إلا لقاء الله تعالى فلا لذة له في غيره، بل ربما يتأذى به. فإذن نعيم الجنة بقدر حب الله تعالى وحب الله تعالى بقدر معرفته. **أبو حامد الغزالي**

للعارفين في معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلاً عنها لم يستبدلوا بها لذة الجنة، ثم هذه اللذة مع كمالها لا نسبة لها أصلاً إلى لذة اللقاء والمشاهدة، كما لا نسبة للذة المعشوق إلى رؤيته، ولا لذة استنشاق روائح الأطعمة الشهية إلى ذوقها، ولا للذة اللمس باليد إلى لذة الوقاع. **أبو حامد الغزالي**

الخيالات لا تفتر في هذا العالم عن التمثيل والمحاكاة لجميع المعلومات، وهي مكدرات للمعارف ومنغصات، وكذلك ينضاف إليها شواغل الدنيا، فإنما كمال الوضوح بالمشاهدة وتمام إشراق التجلي، ولا يكون ذلك إلا في الآخرة، وذلك بالضرورة يوجب الشوق فإنه منتهى محبوب العارفين. **أبو حامد الغزالي**

الشوق الأول ينتهى في الدار الآخرة بالمعنى الذي يسمى رؤية ولقاء ومشاهدة، ولا يتصور أن يسكن في الدنيا. وقد كان إبراهيم بن أدهم من المشتاقين فقال: قلت ذات يوم؛ يا رب إن أعطيت أحداً من المحبين لك ما يسكن به قلبه قبل لقائك فأعطني ذلك فقد أضرّ بي القلق، قال: فرأيت في النوم أنه أوقفني بين يديه وقال: يا إبراهيم أما استحييت مني أن تسألني أن أعطيك ما يسكن به قلبك قبل لقائي وهل يسكن المشتاق قبل لقاء حبيبه فقلت يا رب تهت في حبك فلم أدر ما أقول فاغفر لي وعلمني ما أقول، فقال: قل اللهم رضني بقضائك وصبرني على بلائك وأوزعني شكر نعمائك. فإن هذا الشوق يسكن في الآخرة. أبو حامد الغزالي

المقصود أن تصدق بأن الشيطان ينكشف لأرباب القلوب وكذلك الملك، تارة بطريق التمثيل والمحاكاة كما يكون ذلك في النوم، وتارة بطريق الحقيقة والأكثر هو التمثيل بصورة محاكية للمعنى ـــ هو مثال المعنى لا عين المعنى ـــ إلا أنه يشاهد بالعين مشاهدة محققة وينفرد بمشاهدته المكاشف دون من حوله كالنائم. **أبو حامد الغزالي**

العمل تابع الحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر. فالفكر إذن هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها، وهذا هو الذي يكشف لك عن فضيلة التفكر وأنه خير من الذكر والتذكر لأن الفكر ذكر وزيادة. وذكر القلب خير من الجوارح، بل شرف العمل لما فيه من الذكر. فإذن التفكر أفضل من جملة الأعمال. ولذلك قيل: تفكر ساعة خير من عبادة سنة، فقيل هو الذي ينقل من المكاره إلى المحاب ومن الرغبة والحرص إلى

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الزهد والقناعة، وقيل: هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى، ولذلك قال تعالى: {لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً}. **أبو حامد الغزالي**

دواهي الموت ثلاث:

الأولى: شدة النزع،..وهو عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه، حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشر في أعماق البدن إلا وقد حل به الألم.

الداهية الثانية: مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب؛ فلو رأى صورته التي يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوّة لم يطق رؤيته.... وأما المطيع فإنه يراه في أحسن صورة وأجملها.

الداهية الثالثة: مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة؛ فإنهم في حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم، ولن تخرج أرواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت بأحد البشريين: إما أبشر يا عدوّ الله بالنار، أو أبشر يا ولي الله بالجنة. ومن هذا كان خوف أرباب الألباب. **أبو حامد الغزالي**

قيل لأبي يزيد البسطامي مرة حدّثنا عن مشاهدتك من الله تعالى، فصاح ثم قال: ويلكم لا يصلح لكم أن تعلموا ذلك قيل: فحدّثنا بأشد مجاهدتك لنفسك في الله تعالى، فقال: وهذا أيضاً لا يجوز أن أطلعكم عليه. قيل: فحدّثنا عن رياضة نفسك في بدايتك، فقال: نعم، دعوت نفسي إلى الله فجمحت عليَّ فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم سنة فوفت لي بذلك. **أبو حامد الغزالي**

أسعد الخلق حالاً في الآخرة أقواهم حباً لله تعالى، فإن الآخرة معناها القدوم على الله تعالى ودرك سعادة لقائه، وما أعظم نعيم المحب إذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدة أبد الآباد من غير منقص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع إلا أن هذا النعيم على قدر قوّة الحب فكلما ازدادت المحبة ازدادت اللذة، وإنما يكتسب العبد حب الله تعالى في الدنيا، وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لأنه لا ينفك عن أصل المعرفة. **أبو حامد الغزالي**

من تجرّع كأس الشوق يهيم هياما، لا يفيق إلا عند المشاهدة واللقاء. **أبو حفص النيسابوري**

شاهد بمشاهدة الحق إياك، ولا تشهده بمشاهدتك له. **أبو بكر الواسطي**

أرواح الأنبياء في حال الكشف والمشاهدة، وأرواح الصديقين في القربة والإطلاع. **ممشاذ الدينوري**

سئل عن الاستدلال بالشاهد على الغائب، فقال: كيف يستدل بصفات من يشاهد ويعاين، وهو ذو مثل، على صفة من لا يشاهد في الدنيا، ولا يعاين، ولا مثل له، ولا نظير؟. **أبو الحسن الدينوري**

قيل له: هل شاهده أحد بحقيقته؟ فقال: الحقيقة بعيدة، ولكن ظنون، وأماني، وحسبان. وأنشد:

وكذبت طرفي فيك والطرف صادق وأسمعت أذني منك ما ليس تسمع

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ولم أسكن الأرض التي تسكـــــــــنونها لكيلا يقولوا إنني بك مولـــع
فلا كبدي تهدا ولا لك رحـــــــــــــــــــــــــــــــمة ولا عنك إقصاء ولا فيك مطمـــــــــــــــــــع

فإذا تراءى له تحقيق حال، شوشه بالتلبيس والإشكال. **أبو بكر الشبلي**

ابتلى الخلائق بأسرهم بالدعاوى العريضة في المغيب، فإذا أظلتهم هيبة المشهد خرسوا، وانقمعوا، وصاروا لا شيء. ولو صدقوا في دعاواهم لبرزوا ـ عند المشاهدة ـ كما برز نبيّنا صلّى الله عليه وسلّم، وتقدّم الخلائق بقدم الصدق حين طلب إليه الشفاعة، فقال: أنا لها، لم ترعه هيبة الموقف، لما كان عليه من قدم الصدق. وما أشبه هذه الدعاوى الباطلة إلا بقول بعضهم، حيث يقول:

ينوي العتاب له من قبل رؤيته فإن رآه فدمع العين مســــــــــكوب
لا يستطيع كلاما حين يبصـــــــــــره كلّ اللسان وفي الأحشاء تلهيب

وليس تخرس الألسنة ـ في المشاهدة ـ إلا لبعدها من الصدق، فمن صدق في المحبّة تكلّم عنه الضمير، إذا سكت عن النطق اللسان. **أبو عبد الله الصبيحي**

الربوبية سبقت العبودية، وبالربوبية ظهرت العبودية، وتمام وفاء العبودية مشاهدة الربوبية. **أبو عبد الله الصبيحي**

المبقي في أوصافه يحوم حول الشرك، لفرحه ببقائه، فإنه أبدا يشاهد شاهده. **أبو عبد الله الصبيحي**

أفضل الأعمال تصحيح العبودية على المشاهدة، وملازمة الخدمة على السنة. **أبو محمّد المرتعش**

مشاهدة الأرواح تحقيق، ومشاهدة القلوب تعريف. **أبو يعقوب النهرجوري**

أحكام الغيب لا تشاهد في الدنيا، ولكن تشاهد فضائح الدعوى. **عبد الله بن منازل**

تشوقت القلوب إلى مشاهدة ذات الحق، فألقيت إليها الأسامى، فركنت إليها، والذات مستترة إلى أوان التجلي، وذلك قوله تعالى: "ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها" أي وقفوا معها عن إدراك الحقائق. **أبو علي الروذباري**

المشاهدات للقلوب، والمكاشفات للأسرار، والمعاينات للبصائر، والمراعات للأبصار. **أبو علي الروذباري**

من أعرض عن مشاهدة ربّه، شغله الله بطاعته وخدمته، ولو بدا له نجم الاحتراق لغيبه عن وساوس الافتراق. **أبو الحسن المزيّن**

أهل المشاهدة لا يغيبون عنه قياما ولا قعودا، ولا نائمين ولا منتبهين. ولهم أحوال، يشتمل عليهم أنوار قربه، فيغرقون فيها، ولا يتفرغون إلى الخلق، وما هم فيه. وتلك أحوال الدهشة، تراهم دهشين كتحيرين، غائبين حاضرين، غائبين بأسرارهم، حاضرين بأبدانهم. **إبراهيم بن شيبان**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

المتمسّك بكتاب الله، هو الملاحظ للحق على دوام الأوقات، والمتمسك بكتاب الله لا يخفى عليه شيء من أمور دينه ودنياه، بل يجري ـ في أوقاته ـ على المشاهدة، لا على الغفلة، يأخذ الأشياء من معدنها، ويضعها في معدنها. **أبو الحسين بن هند**

ما التذ عاقل بمشاهدة قطّ، لأن مشاهدة الحق فناء ليس فيه لذّة ولا التذاذ، ولا حظ ولا احتظاظ. **أبو العباس السياري**

المجاهدات في السياحات، والسياحة سياحتان: سياحة النفس، ليجول في الملكوت، فيورد على صاحبه بركات مشاهدات الغيوب، فيطمئن القلب عند الموارد، لمشاهدة الغيوب، وتطمئن النفس عن المرادات، لبركة آثار القدرة عليه. **جعفر بن محمد الخلدي**

من ألقي إليه الصلاح التزم الحرمة للخلق، ومن ألقى إليه روح الصديقية، طالب نفسه بالصدق في أحواله، ومن ألقي إليه روح المعرفة، عرف موارد الأمور ومصادرها، ومن ألقي إليه روح المشاهدة، أكرم بالعلم اللدني. **جعفر بن محمد الخلدي**

من صحب العلم، فليس له بدّ من مشاهدة الأمر والنهي. **أبو بكر الطمستاني الفارسي**

المشاهدة اطلاع القلوب بصفاء اليقين إلى ما أخبر الحق عن الغيوب. **أبو عبد الله محمّد بن خفيف**

من عمل على رؤية الجزاء، كانت أعماله بالعدد والإحصاء. ومن عمل على المشاهدة أذهلته المشاهدة عن التعداد والعدد. ومن عمل بالعدد كان ثوابه بالعدد. قال الله تعالى: "من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها" الأنعام ١٦٠. ومن عمل بالمشاهدة كان أجره بلا عدد، قال الله تعالى: "إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب" الزمر ١٠. **أبو القاسم النصراباذي**

لا أحد أقلّ قدرا ممّن يشتغل بالفضائل، فيقدّم ذا، ويؤخر ذا. في الدنيا يكون ناس بناس مع ناس، وفي الآخرة: "ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم" فصّلت ٣٢. من المطاعم والمشارب والمناكح. ليت الجنة على قفا أهلها! لعلّنا إذا نجونا منها، ومن طالبيها، تفرغنا إلى مشاهدة من أكرمنا بمعرفته، وبدأنا بأنواع مباره!. بل لو عرفناه، ما شهدنا سواه. **أبو الحسن الحصري**

من عمل لله على المشاهدة فهو عارف، ومن عمل على مشاهدة الله إياه فهو المخلص. **فاطمة النيسابورية**

احذروا ألا يكون شغلكم طلب راحات النفوس، وتوهمون أنكم في طلب العلم. وطالب العلم هو العامل به. وليس العمل بالعلم كثرة الصوم والصدقة والصلاة، وإنما العمل بالعلم إخلاص العمل لله، بصحة النية، ومراقبة نظر الله تعالى إليه، إن لم يكن هو ناظرا إلى ربّه، ومشاهدا له. **أم الفضل الوهيطة**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

تصحيح

لن يصفو قلبك إلا بتصحيح النية لله تعالى، ولن يصفو بدنك إلا بخدمة أولياء الله تعالى. **أبو الخير الأقطع**

الفروع الصحيحة لا تتفرع إلا من أصل صحيح، فمن أراد أن تصح له أفعاله على السنة، فليصحح الإخلاص من قلبه، فإن تصحيح ظواهر الأعمال بصحة بواطن الإخلاص. **أبو علي الثقفي**

يروي في الحديث أن الله تبارك وتعالى يبعث على رأس كل مائة عام من يصحح لهذه الأمة دينها، فنظرنا في المائة الأولى، فإذا هو عمر بن عبد العزيز، ونظرنا في المائة الثانية، فإذا هو الشافعي. **أحمد بن حنبل**

عند تصحيح الضمائر تغفر الكبائر، وإذا عزم العبد على ترك الآثام، أتته الفتوح. **أبو حازم الأعرج**

تقولون: قال الحارث، قال أبو زيد، قال الحلاج، ما هذا الحال؟ قبل هذه الكلمات، قولوا: قال الشافعي، قال مالك، قال أحمد، قال النعمان. صححوا المعاملات البينية، وبعدها تفكهوا بالمقولات الزائدة. **أحمد الرفاعي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

أفضل الأعمال تصحيح العبودية على المشاهدة، وملازمة الخدمة على السنة. **أبو محمّد المرتعش**

تصحيح المعاملات كلّها بشيئين، وهما: الصبر والإخلاص. الصبر عليها، والإخلاص فيها. **أبو محمّد المرتعش**

أصنام

روي أنه لما ولد عيسى ابن مريم عليه السلام أتت الشياطين إبليس فقالوا: أصبحت الأصنام قد نكست رؤوسها، فقال: هذا حادث قد حدث، مكانكم، فطار حتى أتى خافقي الأرض فلم يجد شيئاً، ثم وجد عيسى عليه السلام قد ولد وإذا الملائكة حافين به، فرجع إليهم فقال: إن نبياً قد ولد البارحة ما حملت أنثى قط ولا وضعت إلا وأنا حاضرها إلا هذا، فأيسوا من أن تعبد الأصنام بعد هذه الليلة، ولكن ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة. **أبو حامد الغزالي**

والله لقد عبدت بنو إسرائيل الأصنام بعد عبادتهم الرحمن بحبهم الدنيا. **الحسن البصري**

القلوب الموقوفة مع ملاحظة الأجسام، عابدة للأصنام. **أحمد الرفاعي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

تصوف

قيل لهذه الطائفة الصوفية، واختلف الناس في سبب التسمية، وسببها غريب لا يعرفه الكثير من الفقراء، وهو أن جماعة من مضر يقال لهم بنو الصوفة، وهو الغوث بن مر بن أد بن طابخة الربيط، كانت أمّه لا يعيش لها ولد، فنذرت إن عاش لها ولد لتربطنّ برأسه صوفة، وتجعله ربيط الكعبة، وقد كانوا يجيزون الحاج، إلى أن منّ الله بظهور الإسلام، فأسلموا وكانوا عبادا. ونقل عن بعضهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلّم، فمن صحبهم سمّي بالصوفي، وكذلك من صحب من صحبهم، أو تعبّد ولبس الصوف مثلهم، ينسبونه عليهم، فيقال: صوفي. **أحمد الرفاعي**

أصل التصوّف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمات المشايخ، ورؤية أعذار الخلق، وحسن صحبة الرفقاء، والقيام بخدمتهم، واستعمال الأخلاق الجميلة، والمداومة على الأوراد، وترك ارتكاب الرخص والتأويلات. وما ضلّ أحد في هذا الطريق، إلا بفساد الابتداء، فإن فساد الابتداء يؤثر في الانتهاء. **أبو القاسم النصراباذي**

أرفع العلوم في التصوف: علم الأسماء والصفات، وتمييز الخلاف من الاختلاف، وإخلاص أعمال الظاهر، وتصحيح أحوال الباطن. **أبو عبد الله الدينوري**

الصوفيّة متفقون في الوحدانية ـ في الجملة ـ قولا، متفرقون في الوصول إليها معاينة ومنازلة. وكلّ واحد يستحق اسم ما ظهر عليه، من حاله الّذي هو به موصوف، بعد اتفاقهم في الوحدانية قولا، فمن بين مجتهد، وزاهد، وعابد، وخائف، وراج، وغنيّ، وفقير، ومريد، ومراد، وصابر، وراض، ومتوكّل، ومحبّ، ومستهتر، ومستأنس، ومشتاق، ووالهه، وهائم، وواجد، ويسمى بما عليه من الجميع. **بندار بن الحسين**

كلام المتصوّفة أبداً يكون قاصراً، فإن عادة كل واحد منهم أن يخبر عن حال نفسه فقط ولا يهمه حال غيره فتختلف الأجوبة لاختلاف الأحوال، وهذا نقصان بالإضافة إلى الهمة والإرادة والجدّ حيث يكون صاحبه مقصور النظر على حال نفسه لا يهمه أمر غيره، إذ طريقه إلى الله نفسه ومنازله أحواله. وقد يكون طريق العبد إلى

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الله العلم فالطرق إلى الله تعالى كثيرة وإن كانت مختلفة في القرب والبعد، والله أعلم بمن هو أهدى سبيلاً مع الاشتراك في أصل الهداية؟ **أبو حامد الغزالي**

إن نهاية طريق الصوفية نهاية طريق الفقهاء، ونهاية طريق الفقهاء نهاية طريق الصوفية. وعقبات القطع التي ابتلي بها الفقهاء في الطلب، هي العقبات التي ابتلي بها في السلوك. والطريقة هي الشريعة، والشريعة هي الطريقة، والفرق بينهما لفظيّ، والمادة والمعنى والنتيجة واحدة. وما أرى الصوفيّ إذا أنكر حال الفقيه إلا ممكورا، ولا الفقيه إذا أنكر حال الصوفيّ إلا معبودا، إلا إذا كان الفقيه آمرا بلسانه لا بلسان الشرع، والصوفي سالكا بنفسه لا بسلوك الشرع، فلا جناح عليهما، والشرط هنا: الصوفي الكامل والفقيه العارف كما ذكرنا. **أحمد الرفاعي**

إنما هذا الإسم ـ يعني التصوّف ـ نعت أقيم العبد فيه. قيل: يا سيدي ! نعت للعبد؟ أم نعت للحق؟ فقال: نعت للحق حقيقة، ونعت للعبد رسما. **الجنيد**

التصوّف كلّه آداب: لكلّ وقت أدب، ولكلّ مقام أدب، فمن لزم آداب الأوقات، بلغ مبلغ الرجال، ومن ضيّع الآداب، فهو بعيد من حيث يظن القرب، ومردود من حيث يرجو القبول. **أبو حفص النيسابوري**

قال الحسين بن منصور الحلاج ـــ حين كان يصلب ـــ وقد سئل عن التصوّف ما هو؟ فقال: هي نفسك إن لم تشغلها شغلتك. **أبو حامد الغزالي**

سئل عن التصوّف، فقال: ليس التصوّف رسوما ولا علوما، ولكنها أخلاق. **أبو الحسين النوري**

التصوّف: ترك كلّ حظّ للنفس. **أبو الحسين النوري**

التصوف: التبري عمّن دونه، والتخلي عمّن سواه. **عليّ بن سهل الأصبهانيّ**

سئل عن التصوّف، فقال: خلوّ الأسرار ممّا عنه بدّ، وتعلّقها بما ليس منه بدّ. **أبو العباس بن مسروق**

ليس من التصوّف: أحبوني، ولا: أكرموني، ولا: زوروني. **أحمد الرفاعي**

التصوف: رؤية الكون بعين النقص، بل غض الطرف عن كلّ ناقص، ليشاهد من هو منزه عن كلّ نقص. **أبو عمرو الدمشقي**

سئل: لم سمّيت الصوفية بهذا الاسم؟ فقال: لاستتارها عن الخلق بلوائح الوجد، وانكشافها بشمائل القصد. **طاهر المقدسي**

التصوف ضبط حواسك، ومراعاة أنفاسك. **أبو بكر الشبلي**

كن صوفيا صافيا، ولا تكن صوفيا منافقا فتهلك. **أحمد الرفاعي**

التصوف: الإعراض عن غير الله، وعدم شغل الفكر بذات الله، والتوكل على الله، وإلقاء زمام الحال في باب التفويض، وانتظار فتح باب الكرم، والاعتماد على فضل الله، والخوف من الله في كلّ الأوقات، وحسن الظن به في جميع الحالات. **أحمد الرفاعي**

التصوف: التآلف والتعاطف. **أبو بكر الشبلي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

سئل عن الصوفي، فقال: من صفي من كلّ درن، فلم يبق فيه وسخ المخالفات بحال. **أبو حمزة الخراساني**

سئل عن التصوف، فقال: الإشكال والتلبيس والكتمان. ثم أنشأ يقول:

سري وسرك لم يعلم به أحد إلا الجليل ولم ينطق به نطق **أبو محمّد المرتعش**

الصوفية: عبيد الظواهر، أحرار البواطن. **محمّد بن علي الكتاني**

سئل عن الصوفي، فقال: من عزفت نفسه عن الدنيا تظرفا، وعلت همّته عن الآخرة، وسخت نفسه بالكلّ، طلبا وشوقا إلى من له الكلّ. **محمّد بن علي الكتاني**

سئل عن التصوف، فقال: هذا مذهب كلّه جدّ، فلا تخلطوه بشيء من الهزل. **أبو علي الروذباري**

سئل عن الصوفي، فقال: من إذا نطق، أبان نطقه عن الحقائق، وإن سكت نطقت عنه الجوارح بقطع العلائق. **ذو النون المصري**

يقال: الصوفي من صفى سرّه من كدورات الأكوان، وما رأى لنفسه على غيره مزية. **أحمد الرفاعي**

التصوف خلق فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في التصوف. **محمّد بن علي الكتاني**

قيل: إن التصوف انتصاب الارتقاء وارتقاء الالتقاء. **أبو نعيم الأصبهاني**

قيل إن التصوف: مشارفة السرائر ومصارفة الظواهر. **أبو نعيم الأصبهاني**

قيل: التصوف التشمر للورود واللحوق، والتبصر في الوجود والطروق. **أبو نعيم الأصبهاني**

قيل: إن التصوف الاحتراق حذار الافتراق والاشتياق لدار الاستباق. **أبو نعيم الأصبهاني**

قيل: إن التصوف التخلي عن المنقضى الفاني والتسلي بالمتحدي الباقي. **أبو نعيم الأصبهاني**

قيل: إن التصوف التنقية من الدرن والتوقية من البدن للتبقية في العدن. **أبو نعيم الأصبهاني**

سئل عن التصوف، فقال: الأخلاق المرضية. **مظفر القرميسيني**

سمعت الجنيد وسئل عن التصوف، يقول: العلو إلى كلّ خلق شريف، والعدول عن كلّ خلق دنيء. فقيل له: ما تقول أنت؟ فقال: مثل قوله، ثم قال: المتناهي ـ في حاله ـ يتوقى كلّ شيء، ويدخل في كلّ شيء، ويأخذ من كلّ شيء، ولا يسترقه شيء، ولا يأخذ منه شيء. واستدلّ بأمر النبي صلى الله عليه وسلّم في أوّليّته، إذا رأى نزول الوحي عليه، يقول: دثروني! دثروني! حتى تمكّن. **جعفر بن محمد الخلدي**

سئل عن التصوف، فقال: اسم ولا حقيقة، وقد كان حقيقة ولا اسم. أبو الحسن البوشنجي

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

سئل عن التصوّف، فقال: هو الحرّيّة والفتوّة، وترك التكلّف في السخاء، والتظرف في الأخلاق. أبو الحسن البوشنجي

سئل: ما التصوّف؟ فقال: الصبر تحت الأمر والنهي. **أبو عمرو اسماعيل بن نجيد**

سئل عن التصوّف، فقال: تصفية القلب عن موافقة البشرية، ومفارقة أخلاق الطبيعة، وإخماد صفات البشرية، ومجانبة دعاوى النفسانية، ومنازلة صفات الروحانية، والتعلق بعلوم الحقيقة، واستعمال ما هو أولى على السرمدية، والنصح لجميع الأمة، والوفاء لله على الحقيقة، واتباع الرسول صلى الله عليه وسلّم في الشريعة. **أبو عبد الله محمّد بن خفيف**

التصوّف اضطراب، فإذا وقع سكون، فلا تصوّف. **أبو بكر الطمستاني الفارسي**

الصوفي لا ينزعج في انزعاجه، ولا يقر في قراره. **أبو الحسن الحصري**

الصوفي: الّذي لا يوجد بعد عدمه، ولا يعدم بعد وجوده. **أبو الحسن الحصري**

الصوفي: وجده وجوده، وصفاته حجابه. **أبو الحسن الحصري**

الصوفي: إن وصف جحد، وإن تجلى كشف. **أبو الحسن الحصري**

التصوّف استقامة الأحوال مع الحق. **أبو القاسم المقرئ الرازي**

سئلت عن التصوف، فقالت: نقص الأسباب، وقطع العلائق. **أم الفضل الوهيطة**

شيدوا منار التصوّف: فهو ترك الاختيار. **أحمد الرفاعي**

التصوف فهو عبارة عن تجرد القلب لله تعالى واستحقار ما سوى الله. **أبو حامد الغزالي**

التصوّف كلّه أدب، وهذا الأدب الّذي أشارت إليه الطائفة: أدب الشرع. **رويم**

الصوفي أدبه يدلّ على مقامه. زنوا أقواله وأفعاله وأحواله وأخلاقه بميزان الشرع، يعلم لديكم ثقل ميزانه وخفته. **أحمد الرفاعي**

سئل: ما التصوّف؟ فقال: إسقاط رؤية الخلق، ظاهرا وباطنا. **أبو الحسن الصيرفي**

ثمن التصوف فناؤك فيه، فإذا فنيت فيه بقيت بقاء الأبد، لأن من فنى عن محسوسه، بقي بمشاهدة المطلوب، وذلك بقاء الأبد. **إبراهيم بن المولد**

من لم ينظر في التصوف فهو غبيّ. **أبو بكر بن أبي سعدان**

من صحب الصوفية فليصحبهم بلا نفس، ولا قلب، ولا ملك، فمتى نظر إلى شيء من أسبابه قطعه ذلك عن بلوغ مقصده. **أبو بكر بن أبي سعدان**

المعرفة كلها: الاعتراف بالجهل، والتصوّف كلّه ترك الفضول، والزهد كلّه أخذ ما لا بدّ منه، وإسقاط ما بقي، والمعاملة كلها: استعمال الأولى فالأولى من العلم، والتوكل كلّه ترك الكنف، والرضا كلّه ترك الاعتراض، والمحبة كلها إيثار المحبوب على الكلّ، والعافية كلّها إسقاط التكلف، والصبر كلّه تلقي البلاء بالرحب، والتفويض

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

كلّه الطمأنينة عند الموارد، واليقين كلّه ترك الشكوى عندما يضاد مرادك، والثقة بالله علمك أنه بك، وبمصالحك، أعلم منك بنفسك. **أبو سعيد بن الأعرابي**

التصوّف ينفي عن صاحبه البخل، وكتب الحديث ينفي عن صاحبه الجهل، فإذا اجتمعا في شخص، فناهيك به نبلا. **أحمد بن عطاء الروذباري**

أوائل بركة الدخول في التصوّف، أن تصدق الصادقين في الإخبار عن أنفسهم، وعن مشايخهم. **أبو عبد الله المقرئ الرازي**

لا يكون الصوفيّ صوفيّا، حتى لا تقلّه أرضا، ولا تظلّه سماء، ولا يكون له قبول عند الخلق. ويكون مرجعه في كلّ أحواله إلى الحق عزّ وجلّ. **أبو محمّد الراسبي**

دخلت امرأة عليها، وعليها جبة صوف وقميص صوف، فقالت لها: من لبس الصوف يجب أن يكون أصفى الناس وقتا، وأحسن الناس خلقا، وأكرم الخلق حركة، وأعذب الناس طبعا، وأجودهم نفسا، واسخاهم يدا، كما تميّز عن الخلق بلباسه، كذلك يتميّز عنهم بأوصافه. **أمة العزيز، المعروفة بهورة**

من أخلاق الصوفي في المعاشرة: أن من قصده قبله، ومن غاب عنه لا يفتقده، ومن عاشره تخلق معه، ومن كره عشرته لم يجبره على صحبته. **فطيمة امرأة حمدون القصار**

قال لي السري شيخي يوماً: إذا قمت من عندي فمن تجالس؟ قلت: المحاسبي، فقال: نعم خذ من علمه وأدبه، ودع عنك تشقيقه الكلام ورده على المتكلمين، ثم لما وليت سمعته يقول: جعلك الله صاحب حديث صوفياً ولا جعلك صوفياً صاحب حديث. **الجنيد**

سئل عن أحوال الصوفية، فقال: الثقة بالمضمون، والقيام بالأوامر، ومراعاة السرّ، والتخلي عن الكونين بالتشبث بالحق. **بنان الحمال**

تكلّم يوما في جامع المدينة، فتغير عليه حاله، وسقط عن كرسيه، ومات في الجمعة الثانية. وكان أحمد بن حنبل، إذا جرى في مجلسه شيء من كلام القوم، يقول له: ما تقول فيها يا صوفي؟. **أبو حمزة البغدادي البزاز**

الّذي يلزم الصوفي ثلاثة أشياء: حفظ سرّه، وأداء فرضه، وصيانة فقره. **سهل بن عبد الله التسترى**

كلّ صوفي يكون همّ الرزق قائما في قلبه، فلزوم العمل أقرب له إلى الله. وعلامة ركون القلب، والسكون إلى الله، أن يكون قويّا عند زوال الدنيا وإدبارها عنه، وفقده إياها، ويكون بما في يد الله أقوى وأوثق منه بما في يده. **أبو الحسين بن بنان**

سئل عن الفرق بين المتصوفة والمتقرية، فقال: إن الصوفي من اختاره الله لنفسه فصافاه، وعن نفسه فبرّاه، ولم يرده إلى تعمل وتطلف ودعوى، وصوفي على زنة عوفي، أي عافاه الله، وكوفي أي كافأه الله، وجوزي، أي جازاه الله، ففعل الله تعالى ظاهر على اسمه.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

وأما المتقري، فهو المتكلف بنفسه، المظهر لزهده، مع كمون رغبته، وتربيته لبشريته، فاسمه مضمر في فعله، لرؤية نفسه ودعواه. **بندار بن الحسين**

الصوفي من يملك الأشياء اقتدارا، ولا يملكه شيء اقتهارا. **أبو عثمان المغربي**

أحب للصوفي أن لا يكتب ولا يقرأ لأنه أجمع لهمه؛ فإذا ظهر أن لذة النكاح كلذة الأكل فما شغل عن الله فهو محذور فيهما جميعاً. **الجنيد**

قال بعضهم: العبيد كلهم في رزق الله تعالى، لكن بعضهم يأكل بذل كالسؤال، وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار، وبعضهم بامتهان كالصناع، وبعضهم بعز كالصوفية يشهدون العزيز فيأخذون رزقهم من يده ولا يرون الواسطة. **أبو حامد الغزالي**

روي أنّ أبا تراب النخشي نظر إلى صوفي مدّ يده إلى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة أيام، فقال له: لا يصلح لك التصوّف، الزم السوق. أي لا تصوّف إلا مع التوكل. ولا يصح التوكل إلا لمن يصبر عن الطعام أكثر من ثلاثة أيام. **أبو حامد الغزالي**

لا تنقطع بفلسفتك وأنت مفلس من محبته، لا تقف عند تصوفك، وأنت موصوف بالبعد عنه. **أحمد الرفاعي**

من تصوّف فليتصوّف بهمّة كهمّة أم علي، زوجة أحمد بن خضرويه، أو حال كحالها. **أبو يزيد البسطامي**

ليس في الدنيا صوفي أخس ممّن يرى السبب. **فاطمة النيسابورية**

ما من قبيح إلا وأقبح منه صوفي شحيح. **أحمد بن عطاء الروذباري**

المعتزلة نزهوا الله تعالى من حيث العقول فأخطأوا، والصوفية نزهوه تعالى من حيث العلم، فأصابوا. **أبو علي بن الكاتب**

الصوفي هو الخارج عن النعوت والرسوم. والفقير هو الفاقد للأسباب، ففقد السبب أوجب له اسم الفقر، وسهل له الطريق إلى المسبب، وصفاء الصوفي عن النعوت والرسوم ألزمه اسم التصوف، فصفا عن ممازجة الأكوان كلّها، بمصافاة من صافاه ـ في الأزل ـ بالأنوار. **أبو بكر بن أبي سعدان**

سئل عن الفرق بين الفقر والتصوّف، فقال: الفقر حال من أحوال التصوّف. فقيل له: ما علامة الصوفي؟ فقال: أن يكون مشغولا بكلّ ما هو أولى به من غيره، ويكون معصوما عن المذمومات. **أبو بكر الدقي**

سئل عن الصوفي والزاهد، فقال: الصوفي بربّه، والزاهد بنفسه. **أبو عبد الله النزوغبذي**

رأيت إبليس في النوم يمشي عرياناً فقلت: ألا تستحي من الناس فقال: بالله هؤلاء ناس لو كانوا من الناس ما كنت ألعب بهم طرفي النهار كما يتلاعب الصبيان بالكرة بل الناس قوم غير هؤلاء قد أسقموا جسمي، وأشار بيده إلى أصحابنا الصوفية. **المسوحي**

متصوّفة أهل الزمان إلا من عصمة الله اغتروا بالزي والهيئة والمنطق، فساعدوا الصادقين من الصوفية في زيهم وهيئتهم وفي ألفاظهم وفي آدابهم ومراسمهم

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

واصطلاحاتهم، وفي أحوالهم الظاهرة في السماع والرقص والطهارة والصلاة والجلوس على السجادات مع إطراق الرأس وإدخاله في الجيب كالمتفكر وفي تنفس الصعداء وفي خفض الصوت في الحديث إلى غير ذلك من الشمائل والهيئات، فلما تكلفوا هذه الأمور وتشبهوا بهم فيها ظنوا أنهم أيضاً صوفية ولم يتعبوا قط في المجاهدة والرياضة ومراقبة القلب، وتطهير الباطن والظاهر من الآثام الخفية والجلية، وكل ذلك من أوائل منازل التصوف، ولو فرغوا عن جميعها لما جاز لهم أن يعدوا أنفسهم في الصوفية؟ كيف ولم يحوموا قط حولها ولم يسوموا أنفسهم شيئاً منها؟ **أبو حامد الغزالي**

ما أخذنا التصوّف عن القيل والقال، لكن عن الجوع، وترك الدنيا، وقطع المألوفات والمستحسنات، لأن التصوّف هو صفاء المعاملة مع الله تعالى، وأصله التعزف عن الدنيا، كما قال حارث: عزفت نفسي عن الدنيا، فأسهرت ليلي، وأظمأت نهاري. **الجنيد**

(للفقهاء والمتصوفة) تحفرون آبار قطعكم بأيديكم. يا خاصة، يا عامة، يا رجال الطائفتين: أنتم طائفة واحدة. **أحمد الرفاعي**

قعودك مع كلّ طبقة من الناس أسلم من قعودك مع الصوفية، فإن كلّ الخلق قعدوا على الرسوم، وقعدت هذه الطائفة على الحقائق، وطالب الخلق كلّهم أنفسهم بظواهر الشرع، وطالبوا هم أنفسهم بحقيقة الورع ومداومة الصدق. فمن قعد معهم، وخالفهم في شيء مما يتحققون فيه، نزع الله نور الإيمان من قلبه. **رويم**

سئل: أوصني؟ فقال: أقلّ ما في هذا الأمر بذل الروح، فإن أمكنك الدخول مع هذا فيه، وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية. **رويم**

لا يزال الصوفية بخير ما تنافروا، فإن اصطلحوا هلكوا. **رويم**

نظرت في آفات الخلق، فعرفت من أين أتوا، ورأيت آفة الصوفية في صحبة الأحداث، ومعاشرة الأضداد، وأرفاق النسوان. **يوسف بن الحسين الرازي**

وردت القيامة، فرأيت آدم عليه السلام، والناس يسلمون عليه، ويصافحونه. فذهبت لأصافحه وأسلّم، فقال: أغرب عني! أنت الّذي وقعت في أولادي الصوفيّة؟! لقد قرّت عيناي بهم!، فجاء قوم، فحالوا بيني وبينه. **أبو بكر بن يزدانيار**

تراني تكلمت بما تكلمت به، إنكارا على التصوّف والصوفية؟!. والله! ما تكلّمت إلا غيرة عليهم، حيثوا أفشوا أسرار الحق، وأبدوها إلى غير أهلها، فحملني ذلك على الغيرة عليهم، والكلام فيهم، وإلا فهم السادة، وبمحبتهم أتقرب إلى الله تعالى. **أبو بكر بن يزدانيار**

لا تقولوا كما يقول بعض المتصوفة: نحن أهل الباطن، وهم أهل الظاهر. هذا الدين جامع، باطنه لبّ ظاهره، وظاهره ظرف باطنه. لو الظاهر لما بطن، ولو لا الظاهر لما كان ولما صحّ. القلب لا يقوم بلا جسد، بل لو لا الجسد لفسد القلب ونور الجسد. **أحمد الرفاعي**

ليس إلا بذل الروح وإلا فلا تشتغل بترهات الصوفية. **رويم بن أحمد**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

عبودية

قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنْسَ إلاَّ لِيَعْبدون} أي ليكونوا عبيداً لي. ولا يكون العبد عبداً ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية ولا بدّ أن يعرف نفسه وربه. أبو حامد الغزالي

قال بعض مشايخ الصوفية: ما من إنسان إلا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله: {أنَا رَبُّكُمُ الأعْلى} ولكنه ليس يجد له مجالاً وهو كما قال، فإن العبودية قهر على النفس. والربوبية محبوبة بالطبع. **أبو حامد الغزالي**

صدق العبودية أن يسلّم العبد لسيده. **أحمد الرفاعي**

صفة العبودية لا ترى لنفسك ملكا، وتعلم أنك لا تملك لنفسك ضرّا ولا نفعا. **الحارث المحاسبي**

من ادعى الجمع بابتلاء الحق، يحتاج أن يلزم نفسه علل العبودية. **أبو يزيد البسطامي**

في الحرية تمام العبوديّة، وفي تحقيق العبودية تمام الحرية. **أحمد بن خضرويه البلخي**

سئل عن العبودية؟ فقال: ترك ما لك، والتزام ما أمرت به. **أبو حفص النيسابوري**

سئل عن العبودية، فقال: هي اضطرار، لا اختيار فيه. **عبد الله بن منازل**

العبد هو العاجز عن درك منيته إلا من جهة سيّده. **عبد الله بن محمّد الخراز**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

العبوديّة ظاهرا، والحرّيّة باطنا، من أخلاق الكرام. **عبد الله بن محمّد الخراز**
الموحد لا يرى إلا ربوبيّة صرفا، تولّت عبودية محضا. **أبو بكر الواسطي**
أنت تظهر دعوى العبودية، وتضمر أوصاف الربوبية. **عبد الله بن منازل**
العبودية: الرجوع في كل شيء إلى الله تعالى على حد الاضطرار. **عبد الله بن منازل**
كمال العبودية هو العجز والقصور عن تدارك معرفة علل الأشياء بالكلية. **أبو علي الثقفي**
الشهوة زمام الشيطان، فمن أخذ بزمامه كان عبده. **محمّد بن علي الكتاني**
الربوبية سبقت العبودية، وبالربوبية ظهرت العبودية، وتمام وفاء العبودية مشاهدة الربوبية. **أبو عبد الله الصبيحي**
أفضل الأعمال تصحيح العبودية على المشاهدة، وملازمة الخدمة على السنة. **أبو محمّد المرتعش**
إنك لن تكون له على الحقيقة عبدا، وشيء مما دونه لك مسترقّ، وإنّك لن تصل إلى صريح الحرّيّة، وعليك من حقيقة عبوديّته بقيّة، فإذا كنت له وحده عبدا، كنت مما دونه حرّا. **الجنيد**
من جهل أوصاف العبودية، فهو بنعوت الربانية أجهل. **محمد بن على الترمذي**
من ادعى العبودية، وله مراد باق فيه، فهو كذاب في دعواه. إنما تصحّ العبودية لمن أفنى مراداته، وقام بمراد سيّده. يكون إسمه ما سمي به، ونعته ما حلي به. إذا سمّي باسم أجاب عن العبودية، فلا اسم له ولا وسم. لا يجيب إلا لمن يدعوه بعبودية سيّده. ثم بكى وأنشأ يقول:

لا تدعني إلا بيا عبدها فإنها أصدق أسمائي **أبو عبد الله المغربي**

في ارتفاع الغفلة ارتفاع العبودية. ثم الغفلة غفلتان: غفلة رحمة وغفلة نقمة. فأما التي هي رحمة، فلو كشف الغطاء، وشهد القوم العظمة، ما انقطعوا عن العبودية، ومراعاة السرّ. وأما التي هي نقمة، فهي الغفلة التي تشغل العبد عن طاعة الله بمعصيته. **محمد بن أبي الورد**
إن أفردته بالعبوديّة، أفردك بالعناية، والأمر بيدك: إن نصحت صافوك، وإن خلطت جافوك. **بنان الحمال**
أحسن العبيد حالا من أبصر نعم الله عليه، بأن أهّله لمعرفته، وأذن له في قربه، وأباح له سبيل مناجاته، وخاطبه على لسان أعزّ السفراء محمّد صلّى الله عليه وسلّم، وعرف تقصيره عن القيام بمواجب أداء شكره، إذ شكره يستوجب شكرا إلى ما لا نهاية.

وأخسّ العبيد عبد عدّ تسبيحه وصلاته، وظنّ أنه يستحق بها على ربّه شيئا، فلو لا الفضل والرحمة، لعاينت الأنبياء عليهم السلام في مقام الإفلاس. كيف! وأجلّهم حالا، وأقربهم منزلة، والقائم بمقام الصدق حيث عجز عنه الرسل، يقول: "ولا أنا إلا

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

أن يتغمّدني الله برحمته". فمن رأى بعد هذا لنفسه مقاما، فهو لبعده عن طريق المعارف. **عبد الله بن محمّد الخراز**

كن لله عبدا خالصا، تكن عن الأغيار حرّا. **جعفر بن محمد الخلدي**

من افتقر إلى الله تعالى، وصحح فقره إليه بملازمة آدابه، أغناه الله به عن كلّ ما سواه. **أبو الحسن المزيّن**

من أفقره الله إليه أغناه به، ليعرفه بالفقر عبوديته، وبالغنى ربوبيته. **مظفر القرميسيني**

الحرّيّة: أن يكون السر حرا إلا من عبودية سيّده، يصح له بذلك العبودية للحق، والحرية عن الخلق. **أبو الحسين بن بنان**

علم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوحدانية، وصحّة العبودية، وما كان غير هذا فهو المغاليط والزندقة. **إبراهيم بن شيبان**

الربوبية نفاذ الأمر والمشيئة، والتقدير والقضية، والعبودية معرفة المعبود، والقيام بالعهود. **أبو العباس السياري**

سئل: ما الّذي لا بد للعبد منه؟ فقال: ملازمة العبودية على السنّة، ودوام المراقبة. **أبو عمرو اسماعيل بن نجيد**

لا يصفو لأحد قدم في العبودية، حتى تكون أفعاله كلّها ـ عنده ـ رياء، وأحواله كلها ـ عنده ـ دعاوى. **أبو عمرو اسماعيل بن نجيد**

من تحقق في العبوديّة، طهر سرّه بمشاهدة الغيوب، وأجابته القدرة إلى كلّ ما يريد. **أبو عثمان المغربي**

قيل لها: إن فلانا لم يقبل رفقك، وقال: في قبول أرفاق النسوان مذلّة. فقالت: إذا طلب العبد التعزز في عبوديته فقد أظهر رعونته. **عائشة بنت أحمد الطويل زوجة عبد الواحد السياري**

المنتهى، فيما يقال، من دقائق العلوم، علم الربوبية والعبودية، ثم تتلاشى العبودية، وتبقى الربوبية. **سريرة الشرقية**

من صح له علم حقيقة العبودية، فإنه عما قريب يصل إلى علم الربوبية. **أم علي بنت عبد الله بن حمشاذ**

قوالب البشرية معادن العبودية. **عنيزة البغدادية**

من عرف نفسه، لم يتسم إلا بالعبودية، ولا يفتخر إلا بمولاه. **فطيمة امرأة حمدون القصار**

كلّ العبودية في معرفة مقام العبدية. **أحمد الرفاعي**

ويحكى أن إبراهيم بن أدهم خرج يوماً إلى بعض البراري فاستقبله رجل جندي فقال: أنت عبد؟ قال: نعم، فقال له: أين العمران؟ فأشار إلى المقبرة، فقال الجندي: إنما أردت العمران؟ فقال: هو المقبرة، فغاظه ذلك فضرب رأسه بالسوط فشجه ورده إلى البلد فاستقبله أصحابه فقالوا ما الخبر؟ فأخبرهم الجندي ما قال له فقالوا، هذا إبراهيم بن أدهم فنزل الجندي عن فرسه وقبّل يديه ورجليه وجعل يعتذر

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

إليه، فقيل بعد ذلك له: لم قلت له أنا عبد؟ فقال: إنه لم يسألني: عبد من أنت بل قال: أنت عبد؟ فقلت: نعم، لأني عبد الله، فلما ضرب رأسي سألت الله له الجنة قيل كيف وقد ظلمك؟ فقال: علمت أنني أؤجر على ما نالني منه فلم أرد أن يكون نصيبي منه الخير ونصيبه مني الشر. **هيم بن أدهم**

أتقنوا طريق العبودية: فهي ترك الدنيا، وترك الدعوى، واحتمال البلوى، وحب المولى. **أحمد الرفاعي**

الناس كلهم يهربون من الحساب ويتجافون عنه، وأسأل الله تعالى أن يحاسبني. فقيل له: لم؟ قال: لعله يقول لي فيما بين ذلك: يا عبدي، فأقول: لبيك، فقوله لي: عبدي، أعجب إليّ من الدنيا وما فيها، ثم بعد ذلك يفعل بي ما شاء. **أبو يزيد البسطامي**

قال بعض الملوك لبعض الزهاد: هل من حاجة؟ قال كيف أطلب منك حاجة وملكي أعظم من ملكك؟ فقال كيف؟ قال: من أنت عبده فهو عبد لي. فقال كيف ذلك؟ قال: أنت عبد شهوتك وغضبك وفرجك وبطنك، وقد ملكت هؤلاء كلهم فهم عبيد لي. **أبو حامد الغزالي**

صفات العبودية فضل للعبد كالخوف والرجاء، وصفات الربوبية لا ينبغي أن ينازع فيها، ولذلك قال تعالى فيما روى عنه نبينا : «الكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِداً مِنْهُمَا قَصَمْتُهُ». **أبو حامد الغزالي**

سمع إبراهيم بن أدهم قائلاً يقول وهو في سياحة وكان على الجبل:

كل شيء منك مغفو ر سوى الإعراض عنـــــــــــا

قد وهبنا لك ما فـــــا ت فهب لنا ما فات منا

فاضطرب وغشي عليه فلم يفق يوماً وليلة وطرأت عليه أحوال ثم قال: سمعت النداء من الجبل: يا إبراهيم كن عبداً، فكنت عبداً واسترحت. **أبو حامد الغزالي**

قال الخوّاص: من شرب من كأس الرئاسة فقد خرج عن إخلاص العبودية. **أبو حامد الغزالي**

العبد الحق ـــ لله عز وجل ـــ من أعتق أوّلاً من غير الله تعالى فصار حرّاً مطلقاً، فإذا تقدّمت هذه الحرّية صار القلب فارغاً فحلت فيه العبودية لله فتشغله بالله وبمحبته وتقيد باطنه وظاهره بطاعته فلا يكون له مراد إلا الله تعالى، ثم تجاوز هذا إلى مقام آخر أسمى منه يسمى الحرّية وهو أن يعتق أيضاً عن إرادته لله من حيث هو بل يقنع بما يريد الله له من تقريب أو إبعاد فتفنى إرادته في إرادة الله تعالى. وهذا عبد عتق عن غير الله فصار حرّاً، ثم عاد وعتق عن نفسه فصار حرّاً. وصار مفقوداً لنفسه موجوداً لسيده ومولاه إن حرّكه تحرك وإن سكنه سكن وإن ابتلاه رضي، لم يبق فيه متسع لطلب والتماس واعتراض، بل هو بين يدي الله كالميت بين يدي الغاسل وهذا منتهى الصدق في العبودية لله تعالى. **أبو حامد الغزالي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

العبد الحق هو الذي وجوده لمولاه لا لنفسه وهذه درجة الصدّيقين. وأما الحرّية عن غير الله فدرجات الصادقين، وبعدها تتحقق العبودية لله تعالى، وما قبل هذا فلا يستحق صاحبه أن يسمى صادقاً ولا صديقاً. **أبو حامد الغزالي**

معرفة

جميع مقامات الدين إنما تنتظم من ثلاثة أمور: معارف وأحوال وأعمال. فالمعارف هي الأصول وهي تورث الأحوال والأحوال تثمر الأعمال فالمعارف كالأشجار، والأحوال كالأغصان، والأعمال كالثمار. وهذا مطرد في جميع منازل السالكين إلى الله تعالى. **أبو حامد الغزالي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الخوف من المعصية خوف الصالحين، والخوف من الله خوف الموحدين والصدّيقين، وهو ثمرة المعرفة بالله تعالى، وكل من عرفه وعرف صفاته علم من صفاته ما هو جدير بأن يخاف من غير جناية؛ بل العاصي لو عرف الله حق المعرفة لخاف الله ولم يخف معصيته. **أبو حامد الغزالي**

اللذة تبع المحبة بالضرورة، والمحبة تبع المعرفة بالضرورة، ولا يوصل إلى هذه المعرفة بعد انقطاع شواغل الدنيا من القلب إلا بالفكر الصافي والذكر الدائم والجدّ البالغ في الطلب والنظر المستمرّ في الله تعالى وفي صفاته وفي ملكوت سمواته وسائر مخلوقاته. **أبو حامد الغزالي**

المؤمنين مشتركون في أصل الحب لاشتراكهم في أصل المحبة، ولكنهم متفاوتون لتفاوتهم في المعرفة وفي حب الدنيا، إذ الأشياء إنما تتفاوت بتفاوت أسبابها، وأكثر الناس ليس لهم من الله تعالى إلا الصفات والأسماء التي قرعت سمعهم فتلقنوها وحفظوها، وربما تخيلوا لها معاني يتعالى عنها رب الأرباب، وربما لم يطلعوا على حقيقتها ولا تخيلوا لها معنى فاسداً بل آمنوا بها إيمان تسليم وتصديق واشتغلوا بالعمل وتركوا البحث، وهؤلاء هم أهل السلامة من أصحاب اليمين، والمتخيلون هم الضالون، والعارفون بالحقائق هم المقرّبون. وقد ذكر الله حال الأصناف الثلاثة في قوله تعالى: {فأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ المُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحانٌ وَجَنَّةُ نعيمٍ} الآية. **أبو حامد الغزالي**

الموت لا يهدم محل معرفة الله تعالى ومحلها الروح الذي هو أمر رباني سماوي، وإنما الموت بغير أحوالها ويقطع شواغلها وعوائقها ويخليها من حبسها فأما أن يعدمها فلا. {وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ} الآية. ولا تظنن أنّ هذا مخصوص بالمقتول في المعركة فإن للعارف بكل نفس درجة ألف شهيد وفي الخبر: «إنّ الشهيد يتمنى في الآخرة أن يردّ إلى الدنيا فيقتل مرة أخرى لعظم ما يراه من ثواب الشهادة وإن الشهداء يتمنون لو كانوا علماء لما يرونه من علو درجة العلماء». **أبو حامد الغزالي**

المعرفة الحاصلة في الدنيا بعينها هي التي تستكمل فتبلغ كمال الكشف والوضوح وتنقلب مشاهدة، ولا يكون بين المشاهدة في الآخرة، والمعلوم في الدنيا اختلاف إلا من حيث زيادة الكشف والوضوح، كما ضربناه من المثال في استكمال الخيال بالرؤية. **أبو حامد الغزالي**

إذا لم يكن في معرفة الله تعالى إثبات صورة وجهة، فلا يكون في استكمال تلك المعرفة بعينها وترقيها في الوضوح إلى غاية الكشف أيضاً جهة وصورة لأنها هي بعينها لا تفترق منها إلا في زيادة الكشف، كما أن الصورة المرئية هي المتخيلة بعينها إلا في زيادة الكشف، وإليه الإشارة بقوله تعالى: {يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وبأَيْمانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا} إذ تمام النور لا يؤثر إلا في زيادة الكشف، ولهذا لا يفوز بدرجة النظر والرؤية إلا العارفون في الدنيا، لأن المعرفة هي البذر الذي

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ينقلب في الآخرة مشاهدة كما تنقلب النواة شجرة والحب زرعاً، ومن لا نواة في أرضه كيف يحصل له نخل؟ ومن لم يزرع الحب فكيف يحصل الزرع، فكذلك من لم يعرف الله تعالى في الدنيا فكيف يراه في الآخرة؟ **أبو حامد الغزالي**

لما كانت المعرفة على درجات متفاوتة كان التجلي أيضاً على درجات متفاوتة، فاختلاف التجلي بالإضافة إلى اختلاف المعارف كاختلاف النبات بالإضافة إلى اختلاف البذر، إذ تختلف لا محالة بكثرتها وقلتها وحسنها وقوّتها وضعفها، ولذلك قال النبي عليه الصلاة والسلام: «إِنَّ اللَّهَ يَتَجَلَّى لِلنَّاسِ عَامَّةً وَلِأَبِي بَكْرٍ خَاصَّةً» ، فلا ينبغي أن يظنّ أنّ غير أبي بكر ممن هو دونه يجد من لذة النظر والمشاهدة ما يجده أبو بكر، بل لا يجد إلا عشر عشيره إن كانت معرفته في الدنيا عشر عشيره، ولما فضل من الناس بسر وقر في صدره فضل لا محالة بتجل انفرد به. **أبو حامد الغزالي**

المعرفة كالبذر وبحر المعرفة لا ساحل له. **أبو حامد الغزالي**

بحر هذه المعرفة ـــ أعني معرفة عجائب صنع الله تعالى ـــ بحر لا ساحل له. **أبو حامد الغزالي**

للعارفين في معرفتهم وفكرتهم ومناجاتهم لله تعالى لذات لو عرضت عليهم الجنة في الدنيا بدلاً عنها لم يستبدلوا بها لذة الجنة، ثم هذه اللذة مع كمالها لا نسبة لها أصلاً إلى لذة اللقاء والمشاهدة، كما لا نسبة للذة المعشوق إلى رؤيته، ولا لذة استنشاق روائح الأطعمة الشهية إلى ذوقها، ولا للذة اللمس باليد إلى لذة الوقاع. **أبو حامد الغزالي**

كلما كثرت المعرفة بالله وبصفاته وأفعاله وبأسرار مملكته وقويت؛ كثر النعيم في الآخرة وعظم. **أبو حامد الغزالي**

المعرفة إنما تكمل وتكثر وتتسع في العمر الطويل بمداومة الفكر والمواظبة على المجاهدة والانقطاع عن علائق الدنيا والتجرّد للطلب، ويستدعي ذلك زماناً لا محالة، فمن أحب الموت أحبه لأنه رأى نفسه واقفاً في المعرفة بالغاً إلى منتهى ما يسر له، ومن كره الموت كرهه لأنه كان يؤمل مزيد معرفة تحصيل له بطول العمر ورأى نفسه مقصراً عما تحتمله قوّته لو عمر، فهذا سبب كراهة الموت وحبه عند أهل المعرفة. **أبو حامد الغزالي**

إنما العمل الصالح كله في تطهير القلب أوّلاً من الدنيا ثم إدامة طهارته، فلا يراد العمل إلا لهذه المعرفة، وأما العلم بكيفية العمل فيراد للعمل، فالعلم هو الأوّل وهو الآخر، وإنما الأوّل علم المعاملة وغرضه العمل، وغرض المعاملة صفاء القلب وطهارته ليتضح فيه جلية الحق، ويتزين بعلم المعرفة وهو علم المكاشفة، ومهما حصلت هذه المعرفة تبعتها المحبة بالضرورة. **أبو حامد الغزالي**

الواصلون إلى هذه الرتبة (أهل المعرفة) ينقسمون إلى: الأقوياء: ويكون أوّل معرفتهم بالله تعالى، ثم به يعرفون غيره. وإلى الضعفاء: ويكون أوّل معرفتهم بالأفعال ثم يترقون منها إلى الفاعل. وإلى الأوّل الإشارة بقوله تعالى: {أَوَلَمْ يَكفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شيءٍ شهيد} وبقوله تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّه لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ} ومنه نظر بعضهم

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

حيث قيل له: بم عرفت ربك؟ قال: عرفت ربي بربي، ولولا ربي لما عرفت ربي، وإلى الثاني الإشارة بقوله تعالى: {سَنُرِيهِمْ آياتِنَا في الآفَاقِ وفي أَنْفُسِهِمْ حتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الحَقُّ} الآية. وبقوله عز وجل: {أَوَلَمْ يَنْظُرُوا في مَلَكُوتِ السَّمَواتِ والأَرْضِ} وبقوله تعالى: {قُلِ انْظُرُوا ماذَا في السَّمَواتِ والأَرْضِ} وبقوله تعالى: {الَّذي خَلَقَ سَبْعَ سَمَواتٍ طِباقاً ما ترى في خَلْقِ الرَّحْمٰنِ مِنْ تَفَاوُتٍ فارْجِعِ البَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ البَصَرَ كرّتَيْنِ يَنْقَلِب إِلَيْكَ البَصَرُ خَاسِئاً وَهُوَ حَسِيرٌ} وهذا الطريق هو الأسهل على الأكثرين وهو الأوسع على السالكين، وإليه أكثر دعوة القرآن عند الأمر بالتدبر والتفكر والاعتبار والنظر في آيات خارجة عن الحصر. **أبو حامد الغزالي**

يروى أنّ عيسى عليه السلام مرّ برجل أعمى أبرص مقعد مضروب الجنبين بفالج وقد تناثر لحمه من الجذام وهو يقول الحمد لله الذي عافاني مما ابتلى به كثيراً من خلقه، فقال له عيسى: يا هذا أي شيء من البلاء أراه مصروفاً عنك؟ فقال: يا روح الله أنا خير ممن لم يجعل الله في قلبه ما جعل في قلبي من معرفته، فقال له: صدقت هات يدك، فناوله يده فإذا هو أحسن الناس وجهاً وأفضلهم هيئة وقد أذهب الله عنه ما كان به، فصحب عيسى عليه السلام وتعبد معه. **أبو حامد الغزالي**

المراقبة حالة للقلب يثمرها نوع من المعرفة، وتثمر تلك الحالة أعمالاً في الجوارح وفي القلب. أما الحالة فهي مراعاة القلب للرقيب واشتغاله به والتفاته إليه وملاحظته إياه وانصرافه إليه. وأما المعرفة التي تثمر هذه الحالة فهو العلم بأن الله مطلع على الضمائر عالم بالسرائر رقيب على أعمال العباد قائم على كل نفسٍ بما كسبت، وأن سر القلب في حقه مكشوف كما أن ظاهر البشرة للخلق مكشوف بل أشدّ من ذلك. فهذه المعرفة إذا صارت يقيناً ـــ أعني أنها خلت على الشك ـــ ثم استولت بعد ذلك على القلب وقهرته؛ فرب علم لا شك فيه لا يغلب على القلب كالعلم بالموت، فإذا استولت على القلب استجرت القلب إلى مراعاة جانب الرقيب وصرفت همه إليه، والموقنون بهذه المعرفة هم المقربون، وهم ينقسمون إلى الصديقين وإلى أصحاب اليمين. **أبو حامد الغزالي**

إن أردت أن تفهم كيفية تغير الحال بالفكر فمثاله ما ذكرناه من أمر الآخرة، فإنّ الفكر فيه يعرّفنا أنّ الآخرة أولى بالإيثار، فإذا رسخت هذه المعرفة يقيناً في قلوبنا تغيرت القلوب إلى الرغبة في الآخرة والزهد في الدنيا. وهذا ما عنيناه بالحال، إذ كان حال القلب قبل هذه المعرفة حب العاجلة والميل إليها، والنفرة عن الآخرة وقلة الرغبة فيها.

وبهذه المعرفة تغير حال القلب وتبدلت إرادته ورغبته. ثم أثمر تغير الإرادة أعمال الجوارح في طراح الدنيا والإقبال على أعمال الآخرة. فهاهنا خمس درجات.

أولاها: التذكر وهو إحضار المعرفتين في القلب.

وثانيتها: التفكر وهو طلب المعرفة المقصودة منهما.

والثالثة: حصول المعرفة المطلوبة واستنارة القلب بها.

والرابعة: تغير حال القلب عما كان بسبب حصول نور المعرفة.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

والخامسة: خدمة الجوارح للقلب بحسب ما يتجدّد له من الحال. **أبو حامد الغزالي**

روي في بعض الأخبار: أنّ بعض الصديقين سأله بعض الأبدال أن يسأل الله تعالى أن يرزقه ذرّة من معرفته، ففعل ذلك، فهام في الجبال وحار عقله وولّه قلبه وبقي شاخصاً سبعة أيام لا ينتفع بشيء ولا ينتفع به شيء، فسأل له الصديق ربه تعالى فقال: يا رب أنقصه من الذرّة بعضها، فأوحى الله تعالى إليه إنما أعطيناه جزءاً من مائة ألف جزء من المعرفة، وذلك أنّ مائة ألف عبد سألوني شيئاً من المعرفة في الوقت الذي سألني هذا، فأخرت إجابتهم إلى أن شفعت أنت لهذا، فلما أجبتك فيما سألت أعطيتهم كما أعطيته، فقسمت ذرّة من المعرفة بين مائة ألف عبد، فهذا ما أصابه من ذلك، فقال: سبحانك يا أحكم الحاكمين أنقصه مما أعطيته فأذهب الله عنه جملة الجزء، وبقي معه عشر معشاره وهو جزء من عشرة آلاف جزء من مائة ألف جزء من ذرة، فاعتدل خوفه وحبه ورجاؤه وسكن وصار كسائر العارفين. **أبو حامد الغزالي**

الناس في طلبهم معرفة الله كالمدهوش الذي يضرب به المثل إذا كان راكباً لحماره وهو يطلب حماره، والجليات إذا صارت مطلوبة صارت معتاصة. فهذا سر هذا الأمر فليحقق. **أبو حامد الغزالي**

أصل السعادات هي المعرفة التي عبر الشرع عنها بالإيمان. **أبو حامد الغزالي**

كل من لم يعرف الله في الدنيا فلا يراه في الآخرة، وكل من لم يجد لذة المعرفة في الدنيا فلا يجد لذة النظرة في الآخرة. **أبو حامد الغزالي**

الرؤية حق، بشرط أن لا يفهم من الرؤية استكمال الخيال في متخيل متصوّر مخصوص بجهة ومكان، فإن ذلك مما يتعالى عنه رب الأرباب علواً كبيراً، بل كما عرفته في الدنيا معرفة حقيقية تامة من غير تخيل وتصوّر وتقدير شكل وصورة، فتراه في الآخرة كذلك. **أبو حامد الغزالي**

غاية المقصد في الدنيا هو حب الله تعالى والأنس به. ولا يكون ذلك إلا بعد معرفته، وسلوك سبيل المعرفة مع الشواغل غير ممكن. **أبو حامد الغزالي**

من عرف الله تعالى عرف أنه يفعل ما يشاء ولا يبالي، ويحكم ما يريد ولا يخاف، قرّب الملائكة من غير وسيلة سابقة، وأبعد إبليس من غير جريمة سالفة، بل صفته ما ترجمه قوله تعالى: هؤلاء في الجنة ولا أبالي وهؤلاء في النار ولا أبالي. **أبو حامد الغزالي**

المتفكر قد تحضره هذه المعارف وتحصل له الثمرة وهو لا يشعر بكيفية حصولها، ولا يقدر على التعبير عنها لقلة ممارسته لصناعة التعبير في الإيراد. فكم من إنسان يعلم أنّ الآخرة أولى بالإيثار علماً حقيقياً، ولو سئل عن سبب معرفته لم يقدر على إيراده والتعبير عنه مع أنه لم تحصل معرفته إلا عن المعرفتين السابقتين: وهو أنّ الأبقى أولى بالإيثار وأنّ الآخرة أبقى من الدنيا، فتحصل له معرفة ثالثة وهو أنّ الآخرة أولى بالإيثار، فرجع حاصل حقيقة التفكر إلى إحضار معرفتين للتوصل بهما إلى معرفة ثالثة. **أبو حامد الغزالي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

المعارف إذا اجتمعت في القلب وازدوجت على ترتيب مخصوص أثمرت معرفة أخرى، فالمعرفة نتاج المعرفة. فإذا حصلت معرفة أخرى وازدوجت مع معرفة أخرى حصل من ذلك نتاج آخر. وهكذا يتمادى النتاج وتتمادى العلوم ويتمادى الفكر إلى غير نهاية، وإنما تنسدّ طريق زيادة المعارف بالموت. أو بالعوائق وهذا لمن يقدر على استثمار العلوم ويهتدي إلى طريق التفكير. **أبو حامد الغزالي**

قيل لذي النون ـــ عند موته ـــ، ما تشتهي؟ قال: أن أعرفه قبل موتي بلحظة. **أبو حامد الغزالي**

زناد نور المعرفة هو الفكر. **أبو حامد الغزالي**

معنى الفكر هو إحضار معرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة ثالثة. **أبو حامد الغزالي**

قوّة المراقبة والمحاسبة والمجاهدة بحسب قوّة الخوف الذي هو تألم القلب واحتراقه، وقوّة الخوف بحسب قوّة المعرفة بجلال الله وصفاته وأفعاله وبعيوب النفس وما بين يديها من الأخطار والأهوال. **أبو حامد الغزالي**

إذا كملت المعرفة أورثت جلال الخوف واحتراق القلب، ثم يفيض أثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات. أما في البدن فبالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكاء، وقد تنشق به المرارة فيفضي إلى الموت، أو يصعد إلى الدماغ فيفسد العقل، أو يقوى فيورث القنوط واليأس. وأما في الجوارح فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات تلافياً لما فرط واستعداداً للمستقبل،.... وأما في الصفات فبأن يقمع الشهوات ويكدّر اللذات فتصير المعاصي المحبوبة عنده مكروهة.....فتحترق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح، ويحصل في القلب الذبول والخشوع والذلة والاستكانة، ويفارقه الكبر والحقد والحسد، بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته فلا يتفرّغ لغيره ولا يكون له شغل إلا المراقبة والمحاسبة والمجاهدة والضنة بالأنفاس واللحظات ومؤاخذة النفس بالخطرات والخطوات والكلمات.... هذا حال من غلبه الخوف واستولى عليه، وهكذا كان حال جماعة من الصحابة والتابعين. **أبو حامد الغزالي**

هذه (سرّ الروح ومعرفة النفس والرب) إشارة إلى أسرار يهتز لاستنشاق روائحها العارفون وتشمئز من سماع ألفاظها القاصرون فإنها تضر بهم كما تضر رياح الورد بالجعل، وتبهر أعينهم الضعيفة كما تبهر الشمس أبصار الخفافيش. وانفتاح هذا الباب من سر القلب إلى عالم الملكوت يسمى معرفة وولاية، ويسمى صاحبه ولياً عارفاً، وهي مبادي مقامات الأنبياء. وآخر مقامات الأولياء أوّل مقامات الأنبياء. **أبو حامد الغزالي**

من عرف سرّ الروح فقد عرف نفسه، وإذا عرف نفسه فقد عرف ربه، وإذا عرف نفسه وربه عرف أنه أمر رباني بطبعه وفطرته، وأنه في العالم الجسماني غريب، وأن هبوطه إليه لم يكن بمقتضى طبعه في ذاته، بل بأمر عارض غريب من ذاته، وذلك العارض الغريب ورد على آدم وعبر عنه بالمعصية، وهي التي حطته عن

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الجنة التي هي أليق به بمقتضى ذاته، فإنها في جوار الرب تعالى، وأنه أمر رباني وحنينه إلى جوار الرب تعالى له طبعي ذاتي، إلا أن يصرفه عن مقتضى طبعه عوارض العالم الغريب من ذاته فينسى عند ذلك نفسه وربه. ومهما فعل ذلك فقد ظلم نفسه إذ قيل له: {وَلاَ تَكُونُوا كالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أنفسهم أُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ} أي الخارجون عن مقتضى طبعهم ومظنة استحقاقهم. **أبو حامد الغزالي**

لا نعمة لله على عباده أعظم من الإيمان والمعرفة. **أبو حامد الغزالي**

المؤمن إذا عرف ربه عز وجل أحبه، وإذا أحبه أقبل عليه، وإذا وجد حلاوة الإقبال عليه لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بعين الفترة، وهي تحسره في الدنيا وتروّحه في الآخرة. **هرم بن حيان**

سمى الله تعالى جميع معارف الإيمان تذكراً، فقال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} وقال تعالى: {وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الألباب} وقال تعالى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ للذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ}. **أبو حامد الغزالي**

من لم يذق لم يعرف ولم يشتق، إذ الشوق تبع الذوق. **أبو حامد الغزالي**

تنقسم القلوب إلى أربعة أقسام: قلب لا يحب إلا الله تعالى ولا يستريح إلا بزيادة المعرفة به والفكر فيه، وقلب لا يدري ما لذة المعرفة وما معنى الأنس بالله وإنما لذته بالجاه والرئاسة والمال وسائر الشهوات البدنية وقلب أغلب أحواله الأنس بالله سبحانه والتلذذ بمعرفته والفكر فيه ولكن قد يعتريه في بعض الأحوال الرجوع إلى أوصاف البشرية. وقلب أغلب أحواله التلذذ بالصفات البشرية ويعتريه في بعض الأحوال تلذذ بالعلم والمعرفة. أما الأول فإن كان ممكناً في الوجود فهو في غاية البعد. وأما الثاني فالدنيا طافحة به. وأما الثالث والرابع فموجدان ولكن على غاية الندور، ولا يتصوّر أن يكون ذلك نادراً شاذاً، وهو مع الندور يتفاوت في القلة والكثرة، وإنما تكون كثرته في الأعصار القريبة من أعصار الأنبياء عليهم السلام، فلا يزال يزداد العهد طولاً وتزداد مثل هذه القلوب قلة، إلى أن تقرب الساعة ويقضي الله أمراً كان مفعولاً. **أبو حامد الغزالي**

سئل عن الاستغفار الذي يكفر الذنوب فقال: أوّل الاستغفار الاستجابة ثم الإنابة ثم التوبة، فالاستجابة: أعمال الجوارح، والإنابة: أعمال القلوب والتوبة: إقباله على مولاه، بأن يترك الخلق ثم يستغفر الله من تقصيره الذي هو فيه، ومن الجهل بالنعمة وترك الشكر، فعند ذلك يغفر له ويكون عنده مأواه. ثم التنقل إلى الانفراد ثم الثبات ثم البيان ثم الفكر ثم المعرفة ثم المناجاة ثم المصافاة ثم الموالاة ثم محادثة السر وهو الخلة، ولا يستقرّ هذا في قلب عبد حتى يكون العلم غذاءه والذكر قوامه والرضا زاده والتوكل صاحبه، ثم ينظر الله إليه فيرفعه إلى العرش فيكون مقامه مقام حملة العرش. **سهل بن عبد الله التستري**

درجات العارفين في المعرفة بالله تعالى لا تنحصر، إذ الإحاطة بكنه جلال الله غير ممكنة وبحر المعرفة ليس له ساحل وعمق. وإنما يغوص فيه الغوّاصون بقدر قواهم وبقدر ما سبق لهم من الله تعالى في الأزل. **أبو حامد الغزالي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

من ألزم نفسه بآداب السنة، عمر الله قلبه بنور المعرفة، ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب في أوامره وأفعاله وأخلاقه والتأدب بآدابه. **أبو العباس بن عطاء**

ليس يضر المدح من عرف نفسه. **سفيان الثوري**

لم يعرفوا حتى أحبوا أن لا يعرفوا. **سفيان الثوري**

السعادة الأخروية في القرب من الله والنظر إلى وجهه وذلك لا ينال أصلاً إلا بالمعرفة التي يعبر عنها بالإيمان والتصديق. **أبو حامد الغزالي**

الرتبة الأولى في معارف الإيمان: التقديس. ثم إذا عرف ذاتاً مقدسة فيعرف أنه لا مقدس إلا واحد وما عداه غير مقدس: وهو التوحيد. ثم يعلم أن كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط، فالكل نعمة منه، فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة (الحمد والشكر)، إذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد: كمال القدرة والانفراد بالفعل. وعن هذا عبر رسول الله حيث قال: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ فَلَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فَلَهُ عشْرُونَ حَسَنَة، وَمَنْ قَالَ الحَمْدُ لِلَّهِ فَلَهُ ثَلاثُونَ حَسَنَةٍ» ، وقال : «أَفْضَلَ الذِّكْرِ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ لِلَّهِ» ، وقال: «لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الأَذْكَارِ يُضَاعَفُ ما يُضَاعَفُ الحَمْدُ لِلَّهِ». **أبو حامد الغزالي**

قال موسى عليه السلام في مناجاته: إلهي خلقت آدم بيدك وفعلت وفعلت فكيف شكرك؟ فقال الله عز وجل: اعلم أن كل ذلك مني فكانت معرفته شكراً. **أبو حامد الغزالي**

المعرفة شكر، ولكن إنما يكون شكراً إذا كان حاوياً شرطه، وشرطه أن يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالإنعام. **أبو حامد الغزالي**

نظر رسول الله إلى السماء وقرأ قوله تعالى: {ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار} ثم قال : «وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَ هٰذِهِ الآيَة ثُمَّ مَسَحَ بِهَا سَبَلَتَهُ» ، ومعناه أن يقرأ ويترك التأمل، ويقتصر من فهم ملكوت السموات على أن يعرف لون السماء وضوء الكواكب وذلك مما تعرفه البهائم أيضاً، فمن قنع منه بمعرفة ذلك فهو الذي مسح بها سبلته، فلله تعالى في ملكوت السموات والآفاق والأنفس والحيوانات عجائب يطلب معرفتها المحبون لله تعالى. **أبو حامد الغزالي**

كانوا يكرهون سماع علم المعرفة من الأغنياء. **أبو حامد الغزالي**

علامة المعرفة المحبة فمن عرف الله تعالى أحبه وعلامة المحبة أن لا يؤثر عليه الدنيا ولا غيرها من المحبوبات. كما قال الله تعالى: {قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وأبنَاؤُكُمْ وإِخْوَانُكُمْ وأَزْوَاجُكُمْ} إلى قوله: {أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وجِهَادٍ في سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يأتي اللَّهُ بأَمْرِهِ} فمن عنده شيء أحب إليه من الله فقلبه مريض. **أبو حامد الغزالي**

من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعاً أنه لا وجود له من ذاته وإنما وجود ذاته ودوام وجوده وكمال وجوده من الله وإلى الله وبالله، فهو المخترع الموجد له وهو المبقي له وهو المكمل لوجوده بخلق صفات الكمال وخلق الأسباب الموصلة إليه وخلق الهداية إلى استعمال الأسباب، وإلا فالعبد من حيث ذاته لا وجود له من ذاته، بل

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

هو محو محض وعدم صرف لولا فضل الله تعالى عليه بالإيجاد، وهو هالك عقيب وجوده لولا فضل الله عليه بالإبقاء، وهو ناقص بعد الوجود لولا فضل الله عليه بالتكميل لخلقته. وبالجملة فليس في الوجود شيء له بنفسه قوام إلا القيوم الحي الذي هو قائم بذاته، وكل ما سواه قائم به. **أبو حامد الغزالي**

معرفة الله تعالى وتعظيمه والخوف منه لا نهاية لها، ولذلك قال النبـي لجبريل عليه السلام: «أحِبُّ أنْ أرَاكَ فِي صُورَتِكَ الَّتِي هِيَ صُورَتُكَ» فقال لا تطيق ذلك قال: «بل أرني» فواعده البقيع في ليل مقمرة فأتاه فنظر النبـي فإذا هو به قد سدّ الأفق ـــ يعني جوانب السماء ـــ فوقع النبـي مغشياً عليه فأفاق وقد عاد جبريل لصورته الأول، فقال النبـي : «ما ظننت أن أحداً من خلق الله هكذا» قال: وكيف لو رأيت إسرافيل؟ إن العرش لعلى كاهله، وإن رجليه قد مرقتا تحت تخوم الأرض السفلى وإنه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالصوع يعني كالعصفور الصغير، فانظر ما الذي يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع إلى ذلك الحد؟ وسائر الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم في المعرفة فهذا هو الصدق في التعظيم. **أبو حامد الغزالي**

يحكى عن يحيـى بن معاذ أنه رأى أبا يزيد ـــ في بعض مشاهداته من بعد صلاة العشاء إلى طلوع الفجر ـــ مستوفزاً على صدور قدميه رافعاً أخمصيه مع عقبـيه عن الأرض ضارباً بذقنه على صدره شاخصاً بعينيه لا يطرف، قال: ثم سجد عند السحر فأطاله ثم قعد فقال: اللهم إنّ قوماً طلبوك فأعطيتهم المشي على الماء والمشي في الهواء فرضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك، وإن قوماً طلبوك فأعطيتهم طي الأرض فرضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك، وإن قوماً طلبوك فأعطيتهم كنوز الأرض فرضوا بذلك وإني أعوذ بك من ذلك، حتى عدّ نيفاً وعشرين مقاماً من كرامات الأولياء، ثم التفت فرآني فقال: يحيـى فقلت: نعم يا سيدي؛ فقال: منذ متى أنت هاهنا؟ قلت: منذ حين، فسكت، فقلت: يا سيدي حدّثني بشيء فقال: أحدّثك بما يصلح لك، أدخلني في الفلك الأسفل فدوّرني في الملكوت السفليّ وأراني الأرضين وما تحتها إلى الثرى، ثم أدخلني في الفلك العلوي فطوّف بـي في السموات وأراني ما فيها من الجنان إلى العرش، ثم أوقفني بـين يديه فقال: سلني أي شيء رأيت حتى أهبه لك؟ فقلت: يا سيدي ما رأيت شيئاً استحسنته فأسألك إياه فقال: أنت عبدي حقاً تعبدني لأجلي صدقاً لأفعلن بك ولأفعلن فذكر أشياء. قال يحيـى: فهالني ذلك وامتلأت به وعجبت منه فقلت: يا سيدي لم لا سألته المعرفة به؟ وقد قال لك ملك الملوك سلني ما شئت، قال: فصاح بـي صيحة وقال: اسكت ويلك غرت عليه مني حتى لا أحب أن يعرفه سواه. **أبو حامد الغزالي**

ما وقف على باب أهل الدنيا رجل كامل المعرفة. **أحمد الرفاعي**

ذهبت المعارف وبقيت المناكر ومن بقي من المسلمين فهو مغموم. **الحسن البصري**

دعا رجل له فقال: أعطاك الله ما ترجوه، فقال: إنّ الرجاء يكون بعد المعرفة، فأين المعرفة؟ **عبد الله بن المبارك**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

رحم الله امرءا: عرف ثم صبر ثم أبصر فبصّر. فإن أقواما عرفوا فانتزع الجزع أبصارهم، فلا هم أدركوا ما طلبوا، ولا هم رجعوا إلى ما تركوا. **الحسن البصري**

لا يتواضع العبد حتى يعرف نفسه. **أبو سليمان الداراني**

الكمال في معرفة الله ومعرفة صفاته وأفعاله، وينطوي فيه جميع المعارف المحيطة بالموجودات إذ الموجودات كلها من أفعاله، فمن عرفها من حيث هي فعل الله تعالى. ومن حيث ارتباطها بالقدرة والإرادة والحكمة، فهي من تكملة معرفة الله تعالى. **أبو حامد الغزالي**

روي أن رجلاً صحب ابن محيريز في سفر فلما فارقه قال: أوصني، فقال: إن استطعت أن تعرف ولا تعرف وتمشي ولا يمشى إليك وتسأل ولا تُسأل فافعل. **أبو حامد الغزالي**

من عرف الله زاد أدبه معه. **أحمد الرفاعي**

إن كنت لا تشتاق إلى معرفة الله تعالى ولم تجد لذتها وفتر عنها رأيك وضعفت فيها رغبتك فأنت في ذلك معذور؛ إذ العنين لا يشتاق إلى لذة الوقاع، والصبي لا يشتاق إلى لذة الملك، فإن هذه لذات يختص بإدراكها الرجال دون الصبيان والمخنثين، فكذلك لذة المعرفة يختص بإدراكها الرجال {رِجَالٌ لاَ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ} ولا يشتاق إلى هذه اللذة غيرهم، لأن الشوق بعد الذوق، ومن لم يذق لم يعرف، ومن لم يعرف لم يشتق، ومن لم يشتق لم يطلب، ومن لم يطلب لم يدرك، ومن لم يدرك بقي مع المحرومين في أسفل السافلين {وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَاناً فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ}. **أبو حامد الغزالي**

لا يتصوّر أن يكون في الجنة محاسدة ولا أن يكون بين أهل الدنيا في الجنة محاسدة، لأن الجنة لا مضايقة فيها ولا مزاحمة، ولا تنال إلا بمعرفة الله تعالى التي لا مزاحمة فيها في الدنيا أيضاً، فأهل الجنة بالضرورة براء من الحسد في الدنيا والآخرة جميعاً. **أبو حامد الغزالي**

نعيم العارف وجنته معرفته التي هي صفة ذاته، يأمن زوالها وهو أبداً يجني ثمارها. **أبو حامد الغزالي**

كان معروف الكرخي يهدي إليه طيبات الطعام فيأكل، فقيل له: إن أخاك بشراً لا يأكل مثل هذا؟ فقال: إن أخي بشراً قبضه الورع وأنا بسطتني المعرفة، ثم قال: إنما أنا ضيف في دار مولاي فإذا أطعمني أكلت وإذا جوعني صبرت، ما لي والاعتراض والتمييز؟ **أبو حامد الغزالي**

من خساسة النفس ودناءة الهمّة وقلّة المعرفة اشتغالك بالنعمة عن المنعم. **أحمد الرفاعي**

معدن المعرفة القلب. قال تعالى: "إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب" ق ٣٧. وقال تعالى: "ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب" الحج٣٢. **أحمد الرفاعي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

من عرف الله زال همّه. **أحمد الرفاعي**

سئل عن أنفع الأدب، فقال: التفقه في الدين، والزهد في الدنيا، والمعرفة بحقوق الله تعالى على عبده. **الحسن البصري**

أحق الناس بالرضا عن الله، أهل المعرفة بالله عزّ وجلّ. **الفضيل بن عياض**

من عرف الناس استراح. **الفضيل بن عياض**

إياك تكون بالمعرفة مدّعيا، أو بالزهد محترفا، أو بالعبادة متعلّقا.(فقيل له: يرحمك الله فسّر لنا ذلك. فقال: أما علمت أنك إذا أشرت في المعرفة إلى نفسك بأشياء، وأنت معرى من حقائقها كنت مدّعيا؟ وإذا كنت في الزهد موصوفا بحالة وبك دون الأحوال، كنت محترفا، وإذا علقت بالعبادة قلبك، وظننت أنك تنجو من الله بالعبادة لا بالله، كنت بالعبادة متعلقا، لا بوليّها المنان عليك؟.). **ذو النون المصري**

يا معشر المريدين: من أراد منكم الطريق، فليلق العلماء بالجهل، والزهاد بالرغبة، وأهل المعرفة بالصمت. **ذو النون المصري**

من عرف ما يطلب، هان عليه ما يبذل، ومن أطلق بصره، طال أسفه، ومن أطلق أمله، ساء عمله، ومن أطلق لسانه، قتل نفسه. **إبراهيم بن أدهم**

حبك لمعرفة الناس، رأس محبة الدنيا. **بشر بن الحارث**

من علامة المعرفة بالله، القيام بحقوق الله، وإيثاره على النفس، فيما أمكنت فيه القدرة. **السري السقطي**

العلم يورث المخافة، والزهد يورث الراحة، والمعرفة تورث الإنابة. **الحارث المحاسبي**

من أراد أن يعرف معرفته بالله، فلينظر إلى ما وعده الله ووعده الناس، بأيّهما قلبه أوثق؟. **شقيق بن إبراهيم**

من لم يعرف الله بالقدرة، فإنه لا يعرفه. قيل وكيف يعرفه بالقدرة؟ فقال: يعرف أن الله قادر، إذا كان معه شيء أن يأخذ منه، ويعطيه غيره، وإذا لم يكن معه شيء أن يعطيه. **شقيق بن إبراهيم**

من عرف الله، فإنه يزهد في كلّ شيء يشغله عنه. **أبو يزيد البسطامي**

المعرفة في ذات الحق جهل، والعلم في حقيقة المعرفة حيرة، والإشارة من المشير شرك في الإشارة، وأبعد الخلق من الله أكثرهم إشارة إليه. **أبو يزيد البسطامي**

سئل: بأي شيء وجدت هذه المعرفة؟ فقال: ببطن جائع، وبدن عار. **أبو يزيد البسطامي**

عرفت الله بالله، وعرفت ما دون الله بنور الله عزّ وجلّ. **أبو يزيد البسطامي**

سئل: بماذا نالوا المعرفة؟ قال: بتضييع ما لهم، والوقوف مع ما له. **أبو يزيد البسطامي**

اطلع الله على قلوب أوليائه، فمنهم من لم يكن يصلح لحمل المعرفة صرفا، فشغلهم بالعبادة. **أبو يزيد البسطامي**

لا يعرف نفسه من صحبته شهوته. **أبو يزيد البسطامي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

غلطت في ابتدائي في أربعة أشياء: توهّمت أني أذكره، وأعرفه، وأحبه، وأطلبه، فلمّا انتهيت، رأيت ذكره سبق ذكري، ومعرفته تقدّمت معرفتي، ومحبّته أقدم من محبّتي، وطلبه لي أولا حتى طلبته. **أبو يزيد البسطامي**

علّموا النفوس الرضا بمجاري المقدور، فنعم الوسيلة إلى درجات المعرفة. أبو سليمان الداراني

من لم يعرف نفسه، فهو من دينه في غرور. **أحمد بن أبي الحوارى**

يعرف الإخلاص بالاستقامة، والاستقامة بالرجاء، والرجاء بالإرادة، والإرادة بالمعرفة. **حاتم الأصمّ**

من أصبح وهو مستقيم في أربعة أشياء، فهو يتقلّب في رضا الله، أولها: الثقة بالله، ثمّ التوكل، ثمّ الإخلاص، ثمّ المعرفة، والأشياء كلّها تتم بالمعرفة. **حاتم الأصمّ**

حقيقة المعرفة: المحبة له بالقلب، والذكر له باللسان، وقطع الهمّة عن كلّ شيء سواه. **أحمد بن خضرويه البلخي**

ما دخل قلبي حقّ ولا باطل منذ عرفت الله. **أبو حفص النيسابوري**

من علامة قلّة معرفة العبد بنفسه، قلّة الحياء وقلّة الخوف. **أحمد بن عاصم الأنطاكي**

ذكر رجل المعرفة فقال: أهل المعرفة بالله يصلون إلى ترك الحركات، من باب البرّ والتقرّب إلى الله تعالى. فقال له: إن هذا قول قوم تكلّموا بإسقاط الأعمال، وهذه عندي عظيمة، والذي يسرق ويزنى أحسن حالا من الّذي يقول هذا، وإن العارفين بالله أخذوا الأعمال عن الله، وإليه رجعوا فيها، ولو بقيت ألف عام لم أنقص من أعمال البرّ ذرّة، إلا أن يحال بي دونها، وإنه لأوكد في معرفتي، وأقوى في حالي. **الجنيد**

من عرف الله لا يسرّ إلا به. **الجنيد**

الرضا ثاني درجات المعرفة، فمن رضي صحّت معرفته بالله، بدوام رضاه. **الجنيد**

حقّ لمن أعزّه الله بالمعرفة ألا يذلّه بالمعصية. **أبو عثمان النيسابوري**

يحتاج أن يكون للعبد شيء يعرف به كلّ شيء. **أبو عبد الله بن الجلاء**

قيل: دلّني على طريق المعرفة؟ فقال: أر الله الصدق منك في جميع أحوالك بعد أن تكون موافقا للحق، ولا ترق إلى حيث لم يرق بك، فتزلّ قدمك، فإنك إذا رقيت سقطت، وإذا رقي بك لم تسقط، وإياك أن تترك اليقين لما ترجوه ظنا. **يوسف بن الحسين الرازي**

من عرف ربّه نسي كلّ ما دونه، ومن جهل ربّه تعلّق بكلّ شيء دونه، ومن اعتزّ بالعلم فاز، ومن اعتز بالجهل خاب وخسر. **شاه الكرماني**

من عرف ربّه طمع في عفوه ورجا فضله. **شاه الكرماني**

المعرفة: صحّة التوكل على الله تعالى. **عمرو بن عثمان المكي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

من عرف نفسه وعرف ربه واستحيا منه حق الحياء خرس لسانه عن التظاهر بالدعوى. **أبو حامد الغزالي**

المعرفة: دوام محبّة الله تعالى، ودوام مخافته، ودوام الإقبال عليه، ودوام انتصاب القلب بذكره، وهي علم القلوب بفسخ العزوم، وخلع الإرادات، وإحياء الفهوم. **عمرو بن عثمان المكي**

من استوى عنده ما دون الله، نال المعرفة بالله. **محمد بن الفضل البلخي**

أعرف الناس بالله أشدّهم مجاهدة في أوامره، وأتبعهم لسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلّم. **محمد بن الفضل البلخي**

من عرف الله اكتفى به، بعد قوله تعالى: "أو لم يكف بربك أنه على كلّ شيء شهيد" فصّلت ٥٣. **محمد بن الفضل البلخي**

من صحت معرفته بالله ظهرت عليه الهيبة والخشية. **أبو بكر الوراق**

كان نائما فانتبه، فقال: اكتبوا ما وقع لي في هذا النوم! إن الله تعالى جعل العلم دليلا عليه (إليه؟) ليعرف، وجعل الحكمة رحمة منه عليهم ليؤلف، فالعلم دليل إلى الله، والمعرفة دالة على الله، فبالعلم تنال المعلومات، وبالمعرفة تنال المعروفات، والعلم بالتعلم، والمعرفة بالتعرف، فالمعرفة تقع بتعريف الحق، والعلم يدرك بتعريف الخلق، ثم تجري الفوائد بعد ذلك. **أبو سعيد الخرّاز**

حرام على من عرف الله أن يسكن إلى شيء غيره. **عليّ بن سهل الأصبهانيّ**

متى طمعت في المعرفة، ولم تحكم قبلها مدارج الإرادة، فأنت في جهل. ومتى طلبت الإرادة قبل تصحيح مقام التوبة، فأنت في غفلة ممّا تطلبه. **أبو العباس بن مسروق**

شجرة المعرفة تسقى بماء الفكرة، وشجرة الغفلة تسقى بماء الجهل، وشجرة التوبة تسقى بماء الندامة، وشجرة المحبّة تسقى بماء الإتفاق والمراقبة والإيثار. **أبو العباس بن مسروق**

حدّ المعرفة: التجرد من النفوس وتدبيرها، فيما يجلّ أو يصغر. **طاهر المقدسي**

الاستهانة بالأولياء من قلّة المعرفة بالله تعالى. **محمّد بن حامد الترمذي**

ما استصغرت أحدا من المسلمين، إلا وجدت نقصا في إيماني ومعرفتي. **محمّد بن حامد الترمذي**

إذا تخلّص العبد إلى مقام المعرفة، أوحى الله تعالى إليه بخاطره، وحرس سرّه أن يسنح فيه خاطر غير الحق. **الحسين بن منصور الحلاج**

أربعة أشياء لا تليق بالمعرفة: الزهد والصبر والتوكل والرضا، لأن كلّ ذلك من صفة الأشباح. **أبو بكر الواسطي**

جماع المعرفة: صدق الافتقار إلى الله تعالى. **ممشاذ الدينوري**

سئل: ما المعرفة؟ فقال: رؤية المنّة في كلّ الأحوال، والعجز عن أداء شكر النعم من كلّ الوجوه، والتبري من الحول والقوّة في كلّ شيء. **أبو الحسن الدينوري**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

المعرفة إثبات الربّ ـ أو قال: الحق ـ عزّ وجلّ، خارجا عن كلّ موهوم، لأن النبيّ صلى الله عليه وسلّم، قال: "تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله". **إبراهيم القصار**

قلوب أهل الحق طائرة إليه بأجنحة المعرفة، ومستبشرة إليه بموالاة المحبّة. **أبو بكر الشبلي**

من عرف الله خضع له كلّ شيء، لأنه عاين أثر ملكه فيه. **أبو بكر الشبلي**

لو أمرك بمعرفته، ولم يتعرف إليك، كنت أجهل به ممن أنكره. **أبو جعفر بن سنان**

من عرف من الدنيا قدرها، وجد من الآخرة حقها، ومن جهل من الآخرة حقها، قتله من الدنيا نزرها. **خير النساج**

أعرف الناس بالله، أشدّهم تحيّرا فيه. **أبو يعقوب النهرجوري**

من عرف الله، لم يغترّ بالله. **أبو يعقوب النهرجوري**

الّذي حصّل أهل الحقائق في حقائقهم: أن الله تعالى غير مفقود فيطلب، ولا ذو غاية فيدرك، ومن أراد موجودا فهو بالموجود مغرور، وإنما الموجود ـ عندنا ـ معرفة حال، وكشف علم بلا حال. **أبو يعقوب النهرجوري**

الأمور الإلهية لا نهاية لها وإنما ينكشف لكل عبد من العباد بعضها وتبقى أمور لا نهاية لها غامضة. والعارف يعلم وجودها وكونها معلومة لله تعالى، ويعلم أن ما غاب عن علمه من المعلومات أكثر مما حضر، فلا يزال متشوقاً إلى أن يحصل له أصل المعرفة فيما لم يحصل مما بقي من المعلومات التي لم يعرفها أصلاً، لا معرفة واضحة ولا معرفة غامضة. **أبو حامد الغزالي**

إن الله نظر إلى عبيد من عبيده، فلم يرهم أهلا لمعرفته، فشغلهم بخدمته. **محمّد بن علي الكتاني**

سئل عن المعرفة، فقال: أن تعرف الله تعالى بكمال الربوبية، وتعرف نفسك بالعبودية، وتعلم أن الله تعالى أول كلّ شيء، وبه يقوم كلّ شيء، وإليه مصير كلّ شيء، وعليه رزق كلّ شيء. **أبو الحسن المزيّن**

التوكل ألا تعجز عن حكم وقتك، والمعرفة ألا تضيع وقتك. **أبو بكر بن طاهر الأبهري**

المعرفة صحة العلم بالله، واليقين النظر بعين القلب إلى ما عند الله تعالى، مما وعده وادخره. **أبو بكر بن يزدانيار**

المعرفة تحقق القلب بوحدانية الله تعالى. **أبو بكر بن يزدانيار**

المعرفة ظهور الحقائق وتلاقي الشواهد. **أبو بكر بن يزدانيار**

الروح مزرعة الخير، لأنها معدن الرحمة، والنفس والجسد مزرعة الشرّ، لأنها معدن الشهوة. والروح مطبوعة بإرادة الخير، والنفس مطبوعة بإرادة الشر. والهوى مدبر الجسد، والعقل مدبر الروح، والمعرفة حاضرة فيها بين العقل والهوى، والمعرفة في القلب، والهوى والعقل يتنازعان ويتحاربان، والهوى صاحب جيش

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

النفس، والعقل صاحب جيش القلب، والتوفيق من الله مدد العقل، والخذلان مدد الهوى، والظفر لمن أراد الله سعادته، والخذلان لمن أراد الله شقاوته. **أبو بكر بن يزدانيار**

إن الله تعالى جعل نعمته سببا لمعرفته، وتوفيقه سببا لطاعته، وعصمته سببا لاجتناب معصيته، ورحمته سببا للتوبة، والتوبة سببا لمغفرته والدنو منه. أبو سعيد بن الأعرابي

المعرفة كلها: الاعتراف بالجهل، والتصوّف كلّه ترك الفضول، والزهد كلّه أخذ ما لا بدّ منه، وإسقاط ما بقي، والمعاملة كلها: استعمال الأولى فالأولى من العلم، والتوكل كلّه ترك الكنف، والرضا كلّه ترك الاعتراض، والمحبة كلها إيثار المحبوب على الكلّ، والعافية كلّها إسقاط التكلف، والصبر كلّه تلقي البلاء بالرحب، والتفويض كلّه الطمأنينة عند الموارد، واليقين كلّه ترك الشكوى عندما يضاد مرادك، والثقة بالله علمك أنه بك، وبمصالحك، أعلم منك بنفسك. **أبو سعيد بن الأعرابي**

سئل عن المعرفة، فقال: حقيقة المعرفة الخروج عن المعارف. **أبو العباس السياري**

حقيقة المعرفة ألا يخطر بالقلب ما دونه. **أبو العباس السياري**

من عرف الله، خضع له كلّ شيء، لأنه عاين أثر ملكه فيه. **أبو العباس السياري**

من عرف ربّه لم ينقطع رجاؤه، ومن عرف نفسه، لم يعجب بعلمه، ومن عرف الله لجأ إليه، ومن نسي الله لجأ إلى المخلوقين، والمؤمن لا يسهو حتى يغفل، فإذا تفكّر حزن واستغفر. **أبو بكر الدقي**

خلق الله تعالى الخلائق كلهم متحركين، يدبون على الأرض، وجعل الحياة منهم لأهل المعرفة. فالخلق متحركون في أسبابهم، وأهل المعرفة أحياء بحياة معروفهم، فلا حياة ـ حقيقة ـ إلا لأهل المعرفة، لا غير. **أبو بكر الدقي**

المعرفة على ستة أوجه: معرفة الوحدانية، ومعرفة التعظيم، ومعرفة المنّة، ومعرفة القدرة، ومعرفة الأزل، ومعرفة الأسرار. **أبو عمرو الزجاجي**

سئل عن قوله تعالى: "ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله" المائدة ٥. فقال: من لا يجتهد في معرفته، لا يقبل خدمته. **جعفر بن محمد الخلدي**

من ألقي إليه الصلاح التزم الحرمة للخلق، ومن ألقى إليه روح الصديقية، طالب نفسه بالصدق في أحواله، ومن ألقي إليه روح المعرفة، عرف موارد الأمور ومصادرها، ومن ألقي إليه روح المشاهدة، أكرم بالعلم اللدني. **جعفر بن محمد الخلدي**

دلائل المعرفة العلم، والعمل بالعلم، والخوف على العمل. **عبد الله الرازي**

المعرفة تهتك الحجب بين العبيد وبين مولاهم، والدنيا هي التي تحجبهم عن مولاهم. **عبد الله الرازي**

الخلق كلّهم يدّعون المعرفة، ولكنهم عن صدق المعرفة بمعزل.، وصدق المعرفة خصّ بها الأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ والسادة من الأولياء، رضي الله عنهم. **عبد الله الرازي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

التوحيد ـ حقيقة ـ معرفته، كما عرف نفسه إلى عباده، ثم الاستغناء به عن كلّ ما سواه. **أبو الحسن البوشنجي**

قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدون} أي ليكونوا عبيداً لي. ولا يكون العبد عبداً ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية ولا بدّ أن يعرف نفسه وربه. **أبو حامد الغزالي**

التهاون بالأمر من قلّة المعرفة بالآمر. **أبو عمرو اسماعيل بن نجيد**

من أراد أن يعرف قدر معرفته بالله تعالى، فلينظر قدر هيبته له، وقت خدمته له. **أبو عمرو اسماعيل بن نجيد**

إن لله عبادا، لم يستصلحهم لمعرفته، فشغلهم بخدمته. وله عباد لم يستصلحهم لخدمته فأهملهم. **أبو العباس الدينوري**

رأى مرّة في يدي ابنه كتابا، فقال: ما هذا؟ فقال: كتاب المعرفة. فقال: ألو تكن المعرفة في القلوب؟ فقد صارت في الكتب!. **أبو الحسن الصيرفي**

لا يعرف الشيء من لا يعرف ضدّه، لذلك لا يصحّ لمخلص إخلاصه إلا بعد معرفته الرياء، ومفارقته له. **أبو عثمان المغربي**

لا أحد أقلّ قدرا ممّن يشتغل بالفضائل، فيقدّم ذا، ويؤخر ذا. في الدنيا يكون ناس بناس مع ناس، وفي الآخرة: "ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم" فصّلت ٣٢. من المطاعم والمشارب والمناكح. ليت الجنة على قفا أهلها! لعلّنا إذا نجونا منها، ومن طالبيها، تفرغنا إلى مشاهدة من أكرمنا بمعرفته، وبدأنا بأنواع مباره!. بل لو عرفناه، ما شهدنا سواه. **أبو الحسن الحصري**

مازلت أكره حديث النسوان، حتى لقيت أم علي، زوجة أحمد بن خضرويه. فعلمت أن الله تعالى يجعل معرفته حيث يشاء. **أبو حفص النيسابوري**

قالت صفراء الرازية لزوجها وقت خروجه من عندها: علمني كلمة أحفظها عنك: فقال لها: اعلمي أن اعرف الناس بالله أشدّهم خوفا منه وخشية له. وأكثرهم محبة له من آثر خدمته على جميع حركاته، لا يتحرك إلا له، ولا يسعى إلا في مرضاته. **أبو حفص النيسابوري**

من صحّ تقواه ومعرفته لا يكون عليه شيء أحب من لقاء ربّه والقدوم عليه. **عبيدة بنت أبي كلاب**

المعرفة لله تورث المحبة له، والمحبة لله تورث الشوق إليه، والشوق إليه يورث الأنس به، والأنس به يورث المداومة على خدمته وموافقته. **لبابة العابدة**

إني لأستحي من الله تعالى أن يراني مشغولة بغيره بعد أن عرفته. **لبابة العابدة**

لكلّ شيء ثمرة، وثمرة المعرفة الإقبال. **رابعة العدويّة**

إن الله تعالى وهب لكلّ عبد من معرفته مقدارا، وحمله من البلاء على مقدار ما وهب له من المعرفة، لتكون معرفته عونا له على خمل بلائه. **أبو عبد الله النزوغبذي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

العلم يورث الخشية، والمعرفة تورث الهيبة. **عنيزة البغدادية**

دخلت على الشيخ أبي الحسين الخضري، فقال لي: من صحبت؟ قلت: النصراباذي. فقال لي: أيش تحفظين من كلامه؟ قلت: إنه يقول: من صحت نسبته كملت معرفته. فسكت الخضري. فلما رجعت، رضي النصراباذي ذلك، وقال: كذا يجب على من يدخل على شيخ. **أم الحسين القرشية**

صحة الإقرار أن يكون عن الجهل خاليا، و(صحة) المعرفة أن تكون عن التشبيه نقية، و(صحة) العمل أن يكون عن الشرك صافيا. **سريرة الشرقية**

من عرف نفسه، لم يتسم إلا بالعبودية، ولا يفتخر إلا بمولاه. **فطيمة امرأة حمدون القصار**

سألته فاطمة بنت أحمد بن هانئ: كيف السبيل إلى معرفة الله عزّ وجلّ؟ فقال لها: بنسيانك نفسك والخلق، وإنكارك كلّ شيء سوى الله، حتى تبلغي إلى حقيقة معرفة الله. **أبو عثمان النيسابوري**

من تهاون بالعبيد فهو لقلّة معرفته بالسيد. فمن أحب الصانع عظم صنعه. **عائشة بنت أبي عثمان سعيد بن إسماعيل النيسابوري**

روي أنه رئي صورة حكيمين من الحكماء المتقدمين في مسجد وفي يد أحدهما رقعة فيها: إن أحسنت كل شيء فلا تظنن أنك أحسنت شيئاً حتى تعرف الله تعالى وتعلم أنه مسبب الأسباب وموجد الأشياء. وفي يد الآخر: كنت قبل أن أعرف الله أشرب وأظمأ، حتى إذا عرفته رويت بلا شرب. **أبو حامد الغزالي**

وقيل لبعض العارفين: أترى أن من تكون المعاصي قرة عينه لا يعرف الله؟ قال لا شك أن من تكون الدنيا عنده آثر من الآخرة أنه لا يعرف الله تعالى. **أبو حامد الغزالي**

قال بعض العلماء: ليس في الجنة نعيم أعلى من نعيم أهل المعرفة والمحبة ولا في جهنم عذاب أشدّ من عذاب من ادعى المعرفة والمحبة ولم يتحقق بشيء من ذلك. **أبو حامد الغزالي**

المعرفة إلى السكوت أقرب منها إلى الكلام وقيل: إذا كثر العلم قل الكلام، وإذا كثر الكلام قل العلم. **أبو سليمان الداراني**

قال بعضهم: ما عرف الله بالحقيقة سوى الله عز وجل. **أبو حامد الغزالي**

الحمد لله الذي لم يجعل للخلق سبيلاً إلى معرفته إلا بالعجز عن معرفته. **أبو بكر الصديق**

أقل من معرفة الناس فإنك لا تدري ما يكون يوم القيامة، فإن تكن فضيحة كان من يعرفك قليلاً. **بشر بن عبد الله**

بينما أويس القرني جالس إذ أتاه هرم بن حيان فقال له أويس: ما جاء بك؟ قال: جئت لآنس بك، فقال أويس: ما كنت أرى أن أحداً يعرف ربه فيأنس بغيره. **أويس القرني**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

جملة عالم الملك والملكوت إذا أخذت دفعة واحدة تسمى الحضرة الربوبية، لأن الحضرة الربوبية محيطة بكل الموجودات. إذ ليس في الوجود شيء سوى الله تعالى وأفعاله، ومملكته وعبيده من أفعاله، فما يتجلى من ذلك للقلب هي الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند أهل الحق، ويكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما تجلى له من الله وصفاته وأفعاله. **أبو حامد الغزالي**

سبب معرفة العبد ربه، معرفة العبد نفسه. من عرف نفسه فقد عرف ربه، ومن عرف نفسه لربه، أفنى كليتيه بربه. **أحمد الرفاعي**

أوحى الله إلى داود عليه السلام: ألا من عرفني أرادني وطلبني، ومن طلبني وجدني، ومن وجدني لم يختر عليّ حبيبا سواي. **أحمد الرفاعي**

تحققوا بالمعرفة: وهي أن تعرفوا الله بالوحدانية. **أحمد الرفاعي**

بالمعرفة هانت على العاملين العبادة، وبالرضا عن الله عز وجل في تدبيره زهدوا في الدنيا ورضوا منها لأنفسهم بتقديره. **أبو عبد الله بن أبي جعفر البراثي**

المعرفة تأتي القلوب من جهتين: من عين الجود، ومن بذل المجهود. **أبو سعيد الخراز**

من عرف الله عز وجل لا يكون له غم. **الشبلي**

من عرف ربه أحبه، ومن عرف الدنيا زهد فيها. **الحسن البصري**

المؤمن إذا عرف ربه عز وجل أحبه وإذا أحبه أقبل إليه، وإذا وجد حلاوة الإقبال إليه لم ينظر إلى الدنيا بعين الشهوة ولم ينظر إلى الآخرة بعين الفترة وهي تحسره في الدنيا وتروّحه في الآخرة. **هرم بن حيان**

لا يتصور محبة إلا بعد معرفة وإدراك. **أبو حامد الغزالي**

أسعد الخلق حالاً في الآخرة أقواهم حباً لله تعالى، فإن الآخرة معناها القدوم على الله تعالى ودرك سعادة لقائه، وما أعظم نعيم المحب إذا قدم على محبوبه بعد طول شوقه وتمكن من دوام مشاهدة أبد الآباد من غير منقص ومكدر ومن غير رقيب ومزاحم ومن غير خوف انقطاع إلا أن هذا النعيم على قدر قوّة الحب فكلما ازدادت المحبة ازدادت اللذة، وإنما يكتسب العبد حب الله تعالى في الدنيا، وأصل الحب لا ينفك عنه مؤمن لأنه لا ينفك عن أصل المعرفة. **أبو حامد الغزالي**

معنى كون معرفة الله وصفاته وأفعاله وملكوت سمواته وأسرار ملكه أعظم لذة من الرياسة فهذا يختص بمعرفته من نال رتبه المعرفة وذاقها، ولا يمكن إثبات ذلك عند من لا قلب له لأن القلب معدن هذه القوة. **أبو حامد الغزالي**

من طال فكره في معرفة الله سبحانه وقد انكشف له من أسرار ملك الله ولو الشيء اليسير فإنه يصادف في قلبه عند حصول الكشف من الفرح ما يكاد يطير به، ويتعجب من نفسه في ثباته واحتماله لقوة فرحه وسروره، وهذا مما لا يدرك إلا بالذوق، والحكاية فيه قليلة الجدوى. فهذا القدر ينبهك على أنّ معرفة الله سبحانه ألذ الأشياء وأنه لا لذة فوقها. **أبو حامد الغزالي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

قال بعض إخوان معروف الكرخي له: أخبرني يا أبا محفوظ أي شيء هاجك إلى العبادة والانقطاع عن الخلق؟ فسكت فقال: ذكر الموت، فقال: وأي شيء الموت؟ فقال: ذكر القبر والبرزخ، فقال: وأي شيء القبر؟ فقال: خوف النار ورجاء الجنة، فقال: وأي شيء هذا؟ إن ملكاً، هذا كله بيده، إن أحببته أنساك جميع ذلك، وإن كانت بينك وبينه معرفة كفاك جميع هذا. **أبو حامد الغزالي**

تعظيم

معرفة الله تعالى وتعظيمه والخوف منه لا نهاية لها، ولذلك قال النبي لجبريل عليه السلام: «أحِبُّ أنْ أرَاكَ فِي صُورَتِكَ الَّتِي هِيَ صُورَتُكَ» فقال لا تطيق ذلك قال: «بل أرني» فواعده البقيع في ليل مقمرة فأتاه فنظر النبي فإذا هو به قد سدّ الأفق ـــ يعني جوانب السماء ـــ فوقع النبي مغشياً عليه فأفاق وقد عاد جبريل لصورته الأول،

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

فقال النبـي : «ما ظننت أن أحداً من خلق الله هكذا» قال: وكيف لو رأيت إسرافيل؟ إن العرش لعلى كاهله، وإن رجليه قد مرقتا تحت تخوم الأرض السفلى وإنه ليتصاغر من عظمة الله حتى يصير كالصوع يعني كالعصفور الصغير، فانظر ما الذي يغشاه من العظمة والهيبة حتى يرجع إلى ذلك الحد؟ وسائر الملائكة ليسوا كذلك لتفاوتهم في المعرفة فهذا هو الصدق في التعظيم. **أبو حامد الغزالي**

قال بشر: لو تفكر الناس في عظمة الله ما عصوا الله عز وجل. **أبو حامد الغزالي**

قال مطرف: ليعظم جلال الله في قلوبكم فلا تذكروه عند مثل قول أحدكم للكلب والحمار: اللهم اخزه وما أشبه ذلك. **أبو حامد الغزالي**

تعظيم حرمات المؤمنين من تعظيم حرمات الله تعالى، وبه يصل العبد إلى مجمل حقيقة التقوى. **أبو العباس بن مسروق**

رؤية الأصول باستعمال الفروع، وتصحيح الفروع بمعارضة الأصول، ولا سبيل إلى مقام مشاهدة الأصول إلا بتعظيم ما عظم الله من الوسائط والفروع. أبو محمّد الجريري

لا يعظم حرمات الله إلا من عظم الله، ولا يعظ الله إلا من عرفه، ومن عرفه خضع له، وانقاد في خضوعه. وخضوعه يتولّد من تعظيمه لربّه. فإذا عظمه صغر كلّ ما سواه عنده، فيتولّد له من ذلك تعظيم حرمات المؤمنين، وذلك لعظيم حرمة الله في قلبه، أن يعظم كلّ من يطيع ربّه أو يعرفه. **أبو جعفر بن سنان**

من عظم قدره عند الناس يجب أن يحتقر نفسه عنده، ألا ترى أن إبراهيم عليه السلام لما اتخذه الله خليلا، قال: "واجنبني وبنيّ أن نعبد الأصنام" إبراهيم ٣٥. **عبد الله بن منازل**

لا يعظم أقدار الأولياء، إلا من كان عظيم القدر عند الله تعالى. **أبو الحسين بن بنان**

من عظم قدر الخلق كلهم عنده، فذاك لعلمه بتخصيص خلقهم من بين الحيوانات، وذلك من تعظيم الله في أن يعظم ما خصصه الله عزّ وجلّ. **أبو الحسين بن هند**

قيل لها: ما الّذي أصابك من بركات خدمة شعوانة؟ قالت: ما أحببت الدنيا منذ خدمتها، ولا اهتممت لرزقي، ولا عظم في عيني أحد من أرباب الدنيا لطمع لي فيه، وما استقصرت أحدا من المسلمين قطّ. **كردية بنت عمرو**

سئلت: من أين استفدت هذه الأحوال؟ قالت: من إتباع أمر الله، على سنّة رسول الله صلى الله عليه وسلّم، وتعظيم حقوق المسلمين، والقيام بخدمة الأبرار الصالحين. **مؤمنة بنت بهلول**

من تهاون بالعبيد فهو لقلّة معرفته بالسيد. فمن أحب الصانع عظم صنعه. **عائشة بنت أبي عثمان سعيد بن إسماعيل النيسابوري**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

قال أبو حازم: إياكم والدنيا فإنه بلغني أنه يوقف العبد يوم القيامة إذا كان معظماً للدّنيا فيقال: هذا عظَّم ما حقره الله. **أبو حامد الغزالي**

أرأيت لو أنّ رجلاً صام الدهر لا يفطر، وقام الليل لا ينام، وتصدق بماله، وجاهد في سبـيل الله، واجتنب محارم الله، غير أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال: إن هذا عظم في عينه ما صغره الله، وصغر في عينه ما عظمه الله كيف ترى يكون حاله؟ فمن منا ليس هكذا الدنيا عظيمة عنده مع ما اقترفنا من الذنوب والخطايا؟ **محمد بن المنكدر**

عظموا شأن العلم تعظيما يقوم بواجباته، لأنه أدرك حقائق الأشياء مسموعا ومعقولا. **أحمد الرفاعي**

استعانة

من يستعن بالله يظفر. **وهب بن منبه**

استعانة المخلوق بالمخلوق، كاستعانة المسجون بالمسجون. **حمدون القصار**

إذا استعنتم بعباد الله وأوليائه، فلا تشهدوا المعونة والإغاثة منهم، فإن ذلك شرك، ولكن اطلبوا من الله الحوائج بمحبته لهم. وفي الحديث الشريف: "ربّ أشعث أغبر ذي طمرين، مدفوع في الأبواب، لو أقسم على الله لأبرّه". **أحمد الرفاعي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

استغاثة

يروى أنّ الله عز وجل قال لموسى عليه السلام: يا موسى استغاث بك قارون فلم تغثه، وعزتي وجلالي لو استغاث بـي لأغثته وعفوت عنه. **أبو حامد الغزالي**

إذا استعنتم بعباد الله وأوليائه، فلا تشهدوا المعونة والإغاثة منهم، فإن ذلك شرك، ولكن اطلبوا من الله الحوائج بمحبته لهم. وفي الحديث الشريف: "ربّ أشعث أغبر ذي طمرين، مدفوع في الأبواب، لو أقسم على الله لأبرّه". **أحمد الرفاعي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

تفسير

كم من معان دقيقة من أسرار القرآن تخطر على قلب المتجرّدين للذكر والفكر تخلو عنها كتب التفاسير، ولا يطلع عليها أفاضل المفسرين، وإذا انكشف ذلك للمريد المراقب وعرض على المفسرين استحسنوه وعلموا أن ذلك من تنبيهات القلوب الزكية وألطاف الله تعالى بالهمم العالية المتوجهة إليه. **أبو حامد الغزالي**

من فهم حكمة الله تعالى في جميع أنواع الموجودات قدر على القيام بوظيفة الشكر، واستقصاء ذلك يحتاج إلى مجلدات ثم لا تفي إلا بالقليل، وإنما أوردنا هذا القدر ليعلم علة الصدق في قوله تعالى: {وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ} وفرح إبليس لعنه الله بقوله: {وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ} فلا يعرف معنى هذه الآية من لم يعرف معنى هذا كله وأموراً أخر وراء ذلك تنقضي الأعمار دون استقصاء مباديها؛ فأما تفسير الآية ومعنى لفظها فيعرفه كل من يعرف اللغة،وبهذا يتبين لك الفرق بين المعنى والتفسير. **أبو حامد الغزالي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

تقديس

الرتبة الأولى في معارف الإيمان: التقديس. ثم إذا عرف ذاتاً مقدسة فيعرف أنه لا مقدس إلا واحد وما عداه غير مقدس: وهو التوحيد. ثم يعلم أن كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط، فالكل نعمة منه، فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة (الحمد والشكر)، إذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد: كمال القدرة والانفراد بالفعل. وعن هذا عبر رسول الله حيث قال: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ فَلَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فَلَهُ عشْرُونَ حَسَنَةً، وَمَنْ قَالَ الحَمْدُ لِلَّهِ فَلَهُ ثَلاثُونَ حَسَنَةٍ» ، وقال : «أَفْضَلَ الذِّكْرِ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ لِلَّهِ» ، وقال: «لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الأَذْكَارِ يُضَاعَفُ ما يُضَاعَفُ الحَمْدُ لِلَّهِ». **أبو حامد الغزالي**

لا يعدو القرآن هذه الأقسام الثلاثة وهي: الإرشاد إلى معرفة ذات الله وتقديسه، أو معرفة صفاته وأسمائه، أو معرفة أفعاله وسنته مع عباده. ولما اشتملت سورة الإخلاص على أحد هذه الأقسام الثلاثة وهو التقديس وازنها رسول الله بثلث القرآن فقال: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الإِخْلاَصِ فَقَدْ قَرَأَ ثُلُثَ القُرْآنِ» ، لأنّ منتهى التقديس أن يكون واحداً في ثلاثة أمور؛ لا يكون حاصلاً منه من هو نظيره وشبهه. ودل عليه قوله: {لَمْ يَلِدْ} ولا يكون حاصلاً ممن هو نظيره وشبهه. ودل عليه قوله: {وَلَمْ يُولَدْ} ولا يكون في درجته وإن لم يكن أصلاً له ولا فرعاً من هو مثله. ودل عليه قوله: {وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ} ويجمع جميع ذلك قوله تعالى: {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ} وجملته تفصيل قول: «لا إله إلا الله». **أبو حامد الغزالي**

من لم يقدّس علمه لم يقدس فعله، ومن لم يقدس فعله لم يقدس بدنه، ومن لم يقدس بدنه لم يقدس قلبه، ومن لم يقدس قلبه لم يقدس نيته، والأمور كلّها مبنيّة على النية. **أبو عبد الله السجزى**

تكفير

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

كل من أحكم أصل الإيمان واجتنب جميع الكبائر وأحسن جميع الفرائض ـــ أعني الأركان الخمسة ـــ ولم يكن منه إلا صغائر متفرّقة لم يصر عليها، فيشبه أن يكون عذابه المناقشة في الحساب فقط، فإنه إذا حوسب رجحت حسناته على سيئاته، إذ ورد في الأخبار أن الصلوات الخمسة والجمعة وصوم رمضان كفارات لما بينهنّ، وكذلك اجتناب الكبائر بحكم نص القرآن مكفراً للصغائر، وأقل درجات التكفير أن يدفع العذاب إن لم يدفع الحساب، وكل من هذا حاله فقد ثقلت موازينه، فينبغي أن يكون بعد ظهور الرجحان في الميزان وبعد الفراغ من الحساب في عيشة راضية. **أبو حامد الغزالي**

قال بعض العلماء: إنما يكفر الذنب الذي ارتكبه العاصي أن يتمكن منه عشر مرات مع صدق الشهوة ثم يصبر عنه ويكسر شهوته خوفاً من الله تعالى، واشتراط هذا بعيد وإن كان لا ينكر عظم أثره لو فرض. **أبو حامد الغزالي**

في المحن ثلاثة أشياء: تطهير وتكفير وتذكير. فالتطهير من الكبائر، والتكفير من الصغائر، والتذكير لأهل الصفاء. **أبو بكر بن طاهر الأبهري**

مجلس علم يكفر سبعين مجلساً من مجالس اللهو. **عطاء**

تنزيه

المعتزلة نزهوا الله تعالى من حيث العقول فأخطأوا، والصوفية نزهوه تعالى من حيث العلم، فأصابوا. **أبو علي بن الكاتب**

سبيل المتقين من السلف، تنزيه الله تعالى عما دلّ عليه ظاهره، وتفويض معناه المراد منه إلى الحق تعالى وتقدّس، وبهذا سلامة الدين. **أحمد الرفاعي**

إن القلوب التي نزهت عن العيوب، لتَأييد وَرَدَ عليها من الغيوب. **أبو بكر الدقي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

خرج الشافعي رحمه الله تعالى يوماً من سوق القناديل فتبعناه، فإذا رجل يسفه على رجل من أهل العلم، فالتفت الشافعي إلينا وقال: نزهوا أسماعكم عن استماع الخنا كما تنزهون ألسنتكم عن النطق به، فإن المستمع شريك القائل، وإن السفيه لينظر إلى أخبث شيء في إنائه فيحرص أن يفرغه في أوعيتكم، ولو ردت كلمة السفيه لسعد رادها كما شقي بها قائلها. **أحمد بن يحيى بن الوزير**

توحيد

التوحيد هو الأصل والقول فيه يطول، وهو من علم المكاشفة؛ ولكن بعض علوم المكاشفات متعلق بالأعمال بواسطة الأحوال، ولا يتم علم المعاملة إلا بها، فإذن لا نتعرض إلا للقدر الذي يتعلق بالمعاملة، وإلا فالتوحيد هو البحر الخضم الذي لا ساحل له. **أبو حامد الغزالي**

للتوحيد أربع مراتب، وينقسم إلى لب، وإلى لب اللب، وإلى قشر، وإلى قشر القشر. ولنمثل ذلك تقريباً إلى الأفهام الضعيفة بالجوز في قشرته العليا فإنّ له قشرتين، وله لب، وللب دهن هو لب اللب. **أبو حامد الغزالي**

الرتبة الأولى من التوحيد: هي أن يقول الإنسان بلسانه (لا إله إلا الله) وقلبه غافل عنه أو منكر له كتوحيد المنافقين.

والثانية: أن يصدّق بمعنى اللفظ قلبه كما صدّق به عموم المسلمين وهو اعتقاد العوام.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

والثالثة: أن يشاهد ذلك بطريق الكشف بواسطة نور الحق وهو مقام المقرّبين، وذلك بأن يرى أشياء كثيرة ولكن يراها على كثرتها صادرة عن الواحد القهار.

والرابعة: أن لا يرى في الوجود إلا واحداً، وهي مشاهدة الصدّيقين وتسميه الصوفية الفناء في التوحيد، لأنه من حيث لا يرى إلا واحداً فلا يرى نفسه أيضاً، وإذا لم ير نفسه لكونه مستغرقاً بالتوحيد كان فانياً عن نفسه في توحيده، بمعنى أنه فني عن رؤية نفسه والخلق.

فالأوّل موحد بمجرّد اللسان ويعصم ذلك صاحبه في الدنيا عن السيف والسنان.

والثاني موحد بمعنى أنه معتقد بقلبه مفهوم لفظه وقلبه خال عن التكذيب بما انعقد عليه قلبه وهو عقدة على القلب ليس فيه انشراح وانفساح ولكنه يحفظ صاحبه من العذاب في الآخرة إن توفي عليه ولم تضعف بالمعاصي عقدته، ولهذا العقد حيل يقصد بها تضعيفه وتحليله تسمى بدعة، وله حيل يقصد بها دفع حيلة التحليل والتضعيف ويقصد بها أيضاً إحكام هذه العقدة وشدّها على القلب وتسمى كلاماً، والعارف به يسمى متكلماً، وهو في مقابلة المبتدع ومقصده دفع المبتدع عن تحليل هذه العقدة عن قلوب العوام، وقد يخص المتكلم باسم الموحد من حيث إنه يحمي بكلامه مفهوم لفظ التوحيد على قلوب العوام حتى لا تنحل عقدته.

والثالث موحد بمعنى أنه لم يشاهد إلا فاعلاً واحداً إذا انكشف له الحق كما هو عليه. ولا يرى فاعلاً بالحقيقة إلا واحداً وقد انكشفت له الحقيقة كما هي عليه، لا أنه كلف قلبه أن يعقد على مفهوم لفظ الحقيقة فإنّ تلك رتبة العوام والمتكلمين، إذ لم يفارق المتكلم العامي في الاعتقاد بل في صنعة تلفيق الكلام الذي به حيل المبتدع عن تحليل هذه العقدة.

والرابع موحد بمعنى أنه لم يحضر في شهوده غير الواحد، فلا يرى الكل من حيث إنه كثير بل من حيث إنه واحد، وهذه هي الغاية القصوى في التوحيد.

فالأوّل كالقشرة العليا من الجوز، والثاني كالقشرة السفلى، والثالث كاللب، والرابع كالدهن المستخرج من اللب. **أبو حامد الغزالي**

الرتبة الأولى في معارف الإيمان: التقديس. ثم إذا عرف ذاتاً مقدسة فيعرف أنه لا مقدس إلا واحد وما عداه غير مقدس: وهو التوحيد. ثم يعلم أن كل ما في العالم فهو موجود من ذلك الواحد فقط، فالكل نعمة منه، فتقع هذه المعرفة في الرتبة الثالثة (الحمد والشكر)، إذ ينطوي فيها مع التقديس والتوحيد: كمال القدرة والانفراد بالفعل. وعن هذا عبر رسول الله حيث قال: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ فَلَهُ عَشْرُ حَسَنَاتٍ، وَمَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ فَلَهُ عشْرُونَ حَسَنَةً، وَمَنْ قَالَ الحَمْدُ لِلَّهِ فَلَهُ ثَلاثُونَ حَسَنَةٍ» ، وقال : «أَفْضَلُ الذِّكْرِ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ لِلَّهِ» ، وقال: «لَيْسَ شَيْءٌ مِنَ الأَذْكَارِ يُضَاعَفُ ما يُضَاعَفُ الحَمْدُ لِلَّهِ». **أبو حامد الغزالي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

كان العلم بالقرآن هو العلم كله، وكان التوحيد عندهم عبارة عن أمر آخر لا يفهمه أكثر المتكلمين، وإن فهموه لم يتصفوا به: وهو أن يرى الأمور كلها من الله عز وجل رؤية تقطع التفاته عن الأسباب والوسائط، فلا يرى الخير والشر كله إلا منه جل جلاله؛ فهذا مقام شريف إحدى ثمراته التوكل. ومن ثمراته أيضاً ترك شكاية الخلق، وترك الغضب عليهم، والرضا والتسليم لحكم الله تعالى. وكانت إحدى ثمراته قول أبـي بكر الصدّيق رضي الله عنه لما قيل له في مرضه أنطلب لك طبيباً فقال: الطبـيب أمرضني، وقول آخر لما مرض فقيل له ماذا قال لك الطبيب في مرضك؟ فقال: قال لي إني فعَّال لما أريد. **أبو حامد الغزالي**

والتوحيد جوهر نفيس وله قشران: أحدهما أبعد عن اللب من الآخر، فخصص الناس الاسم بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر وأهملوا اللب بالكلية؛ فالقشر الأوّل: هو أن تقول بلسانك لا إله إلا الله، وهذا يسمى توحيداً مناقضاً للتثليث الذي صرح به النصارى، ولكنه قد يصدر من المنافق الذي يخالف سره جهره. والقشر الثاني: أن لا يكون في القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول، بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاده وكذلك التصديق به وهو توحيد عوام الخلق والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر عن تشويش المبتدعة. والثالث: وهو اللباب ـ أن يرى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع التفاته عن الوسائط، وأن يعبده عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره، ويخرج عن هذا التوحيد أتباع الهوى، فكل متبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده. قال الله تعالى: {أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ} . وقال : «أَبْغَضُ إِلَهٍ عُبِدَ فِي الأَرْضِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَىٰ هُوَ الْهَوَىٰ». **أبو حامد الغزالي**

الجمع بين التوحيد والشرع (في الفعل): ومعنى التوحيد: أن لا فاعل إلا الله تعالى؛ ومعنى الشرع إثبات الأفعال للعباد؛ فإن كان العبد فاعلاً فكيف يكون الله تعالى فاعلاً؟ وإن كان الله تعالى فاعلاً فكيف يكون مردداً بينهما لم يتناقض، كما يقال: قتل الأمير فلاناً، ويقال: قتله الجلاد، ولكن الأمير قاتل بمعنى، والجلاد قاتل بمعنى آخر؛ فكذلك العبد فاعل بمعنى، والله عز وجل فاعل بمعنى آخر؛ فمعنى كون الله تعالى فاعلاً أنه المخترع الموجد. ومعنى كون العبد فاعلاً أنه المحل الذي خلق فيه القدرة بعد أن خلق فيه الإرادة بعد أن خلق فيه العلم، فارتبطت القدرة بالإرادة، والحركة بالقدرة ارتباط الشرط بالمشروط، وارتبط بقدرة الله ارتباط المعلول بالعلة وارتباط المخترع بالمخترع، وكل ماله ارتباط بقدرة فإن محل القدرة يسمى فاعلاً له كيفما كان الارتباط، كما يسمى الجلاد قاتلاً والأمير قاتلاً؛ لأنّ القتل ارتبط بقدرتهما ولكن على وجهين مختلفين، فلذلك سمي فعلاً لهما، فكذلك ارتباط المقدورات بالقدرتين، ولأجل توافق ذلك وتطابقه نسب الله تعالى الأفعال في القرآن مرة إلى الملائكة ومرة إلى العباد، ونسبها بعينها مرة أخرى إلى نفسه، فقال تعالى في الموت: {قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ المَوْتِ} ثم قال عز وجل: {اللَّهُ يَتَوفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا} وقال تعالى: {أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ} أضاف إلينا ثم قال تعالى: {أَنَّا صَبَبْنَا الماءَ صَبّاً ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقّاً فَأَنْبَتْنَا فِيها حَبّاً وعِنَباً} وقال عز وجل: {فأَرْسَلْنَا إليهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّل لَهَا بَشَراً سَوِيّاً} ثم قال

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

تعالى: {فَنفَخْنَا فيهَا مِنْ رُوحِنَا} وكان النافخ جبريل عليه السلام، وكما قال تعالى: {فإذا قَرَأْنَاهُ فاتَّبعْ قُرْآنَهُ} قيل في التفسير: معناه إذا قرأه عليه جبريل. وقال تعالى: {قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بأيْدِيكُمْ} فأضاف القتل إليهم والتعذيب إلى نفسه،والتعذيب هو عين القتل، بل صرح وقال تعالى: {فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ} وقال تعالى: {وَمَا رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} وهو جمع بين النفي والإثبات ظاهراً، ولكن معناه: وما رميت بالمعنى الذي يكون الرب به رامياً إذ رميت بالمعنى الذي يكون العبد به رامياً، إذ هما معنيان مختلفان. **أبو حامد الغزالي**

التوحيد يورث النظر إلى مسبب الأسباب، والإيمان بالرحمة وسعتها هو الذي يورث الثقة بمسبب الأسباب، ولا يتم حال التوكل كما سيأتي إلا بالثقة بالوكيل وطمأنينة القلب إلى حسن نظر الكفيل، وهذا الإيمان أيضاً باب عظيم من أبواب الإيمان. **أبو حامد الغزالي**

المشاهدة التي لا يظهر فيها إلا الواحد الحق تارة تدوم وتارة تطرأ كالبرق الخاطف وهو الأكثر، والدوام نادر عزيز وإلى هذا أشار الحسين بن منصور الحلاج حيث رأى الخوّاص يدور في الأسفار فقال: فيماذا أنت؟ فقال: أدور في الأسفار لأصحح حالتي في التوكل وقد كان من المتوكلين؛ فقال الحسين: قد أفنيت عمرك في عمران باطنك، فأين الفناء في التوحيد؟ فكأنّ الخوّاص كان في تصحيح المقام الثالث في التوحيد، فطالبه بالمقام الرابع، فهذه مقامات الموحدين في التوحيد على سبيل الإجمال. **أبو حامد الغزالي**

ملاحظة الأسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد، والتثاقل عنها بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع، والاعتماد على الأسباب من غير أن ترى أسباباً تغيير في وجه العقل، وانغماس في غمرة الجهل. **أبو حامد الغزالي**

كل ما ذكر في القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الأغيار والتوكل على الواحد القهار. **أبو حامد الغزالي**

الإيمان هو التصديق، وكل تصديق بالقلب فهو علم، وإذا قوي سمي يقيناً، ولكن أبواب اليقين كثيرة، ونحن إنما نحتاج منها إلى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) والإيمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك: (له الملك) والإيمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك: (وله الحمد) فمن قال: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) تم له الإيمان الذي هو أصل التوكل، أعني أن يصير معنى هذا القول وصفاً لازماً لقلبه غالباً عليه. **أبو حامد الغزالي**

كل العالم تصنيف الله تعالى، فمن نظر إليه من حيث إنه فعل الله وعرفه من حيث إنه فعل الله وأحبه من حيث إنه فعل الله لم يكن ناظراً إلا في الله ولا عارفاً إلا بالله ولا محباً إلا له، وكان هو الموحد الحق الذي لا يرى إلا الله، بل لا ينظر إلى نفسه من حيث نفسه بل من حيث إنه عبداً لله، فهذا الذي يقال فيه إنه فني في التوحيد وإنه

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

فني عن نفسه. وإليه الإشارة بقول من قال: كنا بنا ففنينا عنا فبقينا بلا نحن. **أبو حامد الغزالي**

التوحيد: وجدان تعظيم في القلب، يمنع من التعطيل والتشبيه. **أحمد الرفاعي**

يا هذا: إنما أفردت على ظاهر توحيدك مهادنة لك، ومسالمة لدخولك تحت قهر الدعوة. وبالمسالمة والتسليم، دون المنازعة، قنع منك بالطاعة والدعوة، لئلا ترجع على عقبك، وترتد بعد إسلامك. ولهذا سميت: مسلما، ولم يطلب منك حقيقة هذا، إذ لا طاقة لك به، والله "لا يكلّف نفسا إلا وسعها" ٢٨٦. البقرة. ولا يحملها فوق طاقتها. فما أفردت به من شهادة التوحيد: هو حظّك من الإسلام الّذي خرجت به عن جملة الجاحدين، وإن لم تثبت به في زمرة المؤمنين، فضلا أن تصل به رتبة العارفين، أو ترقى إلى ذروة المكاشفين: "قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا" ١٤. الحجرات. **أحمد الرفاعي**

سئل عن حقيقة التوحيد، فقال: قريب من الظنون، بعيد من الحقائق، وأنشد لبعضهم:

فقلت لأصحابي هي الشمس ضوءها قريب ولكن في تناولها بعد **عليّ بن سهل الأصبهانيّ**

التوحيد ـ حقيقة ـ معرفته، كما عرف نفسه إلى عباده، ثم الاستغناء به عن كلّ ما سواه. **أبو الحسن البوشنجي**

جمع إمامنا الشافعي رضي الله عنه، جميع ما قيل في التوحيد بقوله: من انتهض لمعرفة مدبّره، فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكره فهو مشبه، وإن اطمئن إلى العدم والصرف، فهو معطل، وإن اطمئن لموجود واعترف بالعجز عن إدراكه فهو موحد. **أحمد الرفاعي**

أصول التوحيد ثلاثة أشياء: معرفة الله تعالى بالربوبية، والإقرار له بالوحدانية، ونفي الأنداد عنه جملة. **أبو محمّد المرتعش**

سئل عن التوحيد، فقال: أن توحد الله بالمعرفة، وتوحده بالعبادة، وتوحده بالرجوع إليه في كلّ ما لك وعليك، وتعلم أن ما خطر بقلبك، أو أمكنك الإشارة إليه، فالله تعالى بخلاف ذلك، وتعلم أن أوصافه مباينة لأوصاف خلقه، باينهم بصفاته قدما، كما باينوه بصفاتهم حدثا. **أبو الحسن المزيّن**

توحيد كلّ مخلوق ناقص، لقيامه بغيره، وحاجته إلى غيره. قال الله تعالى: "يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله" أي المحتاجون إليه في كلّ نفس "والله هو الغني" عنكم، وعن توحيدكم، وأفعالكم، "الحميد" فاطر ١٠. الّذي لا يقبل منك ما لا يحتاج إليه، ويثيبك على ما تحتاج إليه. **خير النساج**

عليكم بتجريد التوحيد وهو فقدان رؤية ما سواه لوحدانيته. **أحمد الرفاعي**

تسلسل أمر القوم وصح توحيدهم، وتجردوا عن الأغيار بالكلّيّة، وأسقطوا وهم التأثير من الآثار، وردوها بيد اعتقادهم الخالص إلى المؤثر، وقاموا على قدم الإستقامة، فكملت معرفتهم، وعلت طريقتهم. **أحمد الرفاعي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

(إذا) وحدت الله ووقفت على الباب بسائح الدموع، ولثمت الأرض بالذل والخضوع، وعرفت إلى أين المصير والرجوع، وتهيّأت لما يليق بمقام الملاقاة، وأخلصت في أعمالك كلها، فصرت إخلاصا خالصا،(عندها) تليق لك المراتب، وتسحب عليك سحب المواهب، وتعود عليك عوائد الكرم، وتمد لك موائد النعم، وتنتشر شبكة عرفانك على الخلق حتى لا تبقى ولا تذر، وتصل دعوة نيابتك إلى الظهور (في) البطون بإذن الله. **أحمد الرفاعي**

كمال التوحيد أن لا يرى الأمور كلها إلا من الله. وعلامته أن لا يغضب على أحد من الخلق بما يجري عليه، إذ لا يرى الوسائط وإنما يرى مسبب الأسباب. **أبو حامد الغزالي**

اترك الخوض في بحور التوحيد، واجعل اعتقادك ثبوتيا لا يتغير، واشغل ذهنك عن الوساوس الشيطانية. **أحمد الرفاعي**

اختلاف العلماء رحمة إلا في تجريد التوحيد. **أبو يزيد البسطامي**

لا تظن أن أحدا حصل من التوحيد على حقيقة مدركة، إنما ذلك توحيد ذلك الشخص، أعني حظّه من الكشف. **أحمد الرفاعي**

وحدوا المطلوب تندرج تحت توحيدكم كلّ المطالب. **أحمد الرفاعي**

ثلاث أشياء من عقد التوحيد: الخوف والرجاء والمحبّة. فزيادة الخوف من كثرة الذنوب، لرؤية الوعيد، وزيادة الرجاء من اكتساب الخير، لرؤية الوعد، وزيادة المحبّة من كثرة الذكر، لرؤية المنّة. فالخائف لا يستريح من الهرب، والراجي لا يستريح من الطلب، والمحب لا يستريح من ذكر المحبوب. فالخوف نار منوّرة، والرجاء نور منور، والمحبّة نور الأنوار. **أبو علي الجوزجاني**

من أسكرته أنوار التوحيد، حجبته عن عبارة التجريد، بل من أسكرته أنوار التجريد، نطق عن حقائق التوحيد، لأن السكران هو الذي ينطق بكلّ مكتوم. الحسين بن منصور الحلاج

من حال به الحال كان مصروفا عن التوحيد، ومن انقطع به انقطع، ومن وصل به وصل، وفي الحقيقة لا فصل ولا وصل، ولذلك قيل:

ولا عن قلبي كان القطيعة بيننا ولكنه دهر يشب ويجمع **أبو بكر الواسطي**

الموحد لا يرى إلا ربوبيّة صرفا، تولّت عبودية محضا. **أبو بكر الواسطي**

اليقين: ثمرة التوحيد، فمن صفا في التوحيد، صفا له اليقين. **أبو الحسين الوراق**

كيف يصح لك التوحيد، وكلما أبصرت شيئا أسرّك؟ **أبو بكر الشبلي**

لو تكلّم أهل التوحيد بلسان التجريد لما بقي محقّ إلا مات. **أبو علي الروذباري**

علم الفناء والبقاء يدور على إخلاص الوحدانية، وصحّة العبودية، وما كان غير هذا فهو المغاليط والزندقة. **إبراهيم بن شيبان**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

من توحد ببثه، وتفرد بهمّه، أورده ذلك إلى رياض تكشف عنه بثه، وتزيل عنه همّه، ومن شكا بثه كان مترددا في الشكوى إلى أن يحكم الله فيه حكمه. **أبو عبد الله بن سالم البصري**

إن للتوحيد نوراً وللشرك ناراً، وإن نور التوحيد أحرق لسيئات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين. وأراد به اليقين. **يحيى بن معاذ**

قال بعض العارفين: لو عُرِضَتْ عليَّ الشهادة عند باب الدار والموت على التوحيد عند باب الحجرة لاخترت الموت على التوحيد عند باب الحجرة لأني لا أدري ما يعرض لقلبي من التغيير عن التوحيد إلى باب الدار. **أبو حامد الغزالي**

قال بعضهم: لو عرفت واحداً بالتوحيد خمسين سنة، ثم حال بيني وبينه سارية ومات لم أحكم أنه مات على التوحيد. **أبو حامد الغزالي**

قال رجل لسهل رضي الله تعالى عنه: دخل اللص بيتي وأخذ متاعي فقال: اشكر الله تعالى، لو دخل الشيطان قلبك فأفسد التوحيد ماذا كنت تصنع؟ **أبو حامد الغزالي**

لما احتضر سفيان جعل يبكي ويجزع، فقيل له: يا أبا عبد الله عليك بالرجاء فإنّ عفو الله أعظم من ذنوبك، فقال: أو على ذنوبي أبكي؟ لو علمت أني أموت على التوحيد، لم أبال بأن ألقى الله بأمثال الجبال من الخطايا. **أبو حامد الغزالي**

حكي عن بعض الخائفين أنه أوصى بعض إخوانه فقال: إذا حضرتني الوفاة فاقعد على رأسي، فإن رأيتني مت على التوحيد فخذ جميع ما أملكه فاشتر به لوزاً وسكراً وانثره على صبيان أهل البلد، وقل هذا عرس المنفلت، وإن مت على غير التوحيد فأعلم الناس بذلك حتى لا يغتروا بشهود جنازتي، ليحضر جنازتي من أحب على بصيرة لئلا يلحقني الرياء بعد الوفاة. قال: وبم أعلم ذلك؟ فذكر له علامة، فرأى علامة التوحيد عند موته فاشترى السكر واللوز وفرّقه. **أبو حامد الغزالي**

حكي أن بعض الناس دعا شقيقاً في خمسين من أصحابه، فوضع الرجل مائدة حسنة، فلما قعد قال لأصحابه: إن هذا الرجل يقول: من لم يرن صنعت هذا الطعام وقدّمته فطعامي عليه حرام، فقاموا كلهم وخرجوا إلا شاباً منهم كان دونهم في الدرجة، فقال صاحب المنزل لشقيق: ما قصدت بهذا؟ قال: أردت أن أختبر توحيد أصحابي كلهم. **أبو حامد الغزالي**

حاصل (قدر التوحيد الذي يرتبط به التوكل): أن ينكشف لك أن لا فاعل إلا الله تعالى، وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقر إلى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم. فالمنفرد بإبداعه واختراعه هو الله عز وجل لا شريك له فيه، وإذا انكشف لك هذا لم تنظر إلى غيره، بل كان منه خوفك وإليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك، فإنه الفاعل على الانفراد دون غيره، وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرّة من ملكوت السموات والأرض، وإذا انفتحت لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحاً أتم من المشاهدة بالبصر. **أبو حامد الغزالي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

سئل ذو النون المصري عن التوكل؟ فقال: خلع الأرباب وقطع الأسباب، فخلع الأرباب إشارة إلى علم التوحيد، وقطع الأسباب إشارة إلى الأعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وإن كان اللفظ يتضمنه فقيل له: زدنا فقال: إلقاء النفس في العبودية وإخراجها من الربوبية، وهذا إشارة إلى التبري من الحول والقوة فقط. **أبو حامد الغزالي**

من طعن على التكسب فقد طعن على السنة، ومن طعن على ترك التكسب فقد طعن على التوحيد. **سهل بن عبد الله التستري**

حكي عن عابد أنه عكف في مسجد ولم يكن له معلوم، فقال له الإمام: لو اكتسبت لكان أفضل لك، فلم يجبه حتى أعاد عليه ثلاثاً، فقال في الرابعة: يهودي في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين، فقال: إن كان صادقاً في ضمانه فعكوفك في المسجد خير لك، فقال: يا هذا لو لم تكن إماماً تقف بين يدي الله وبين العباد مع هذا النقص في التوحيد كان خيراً لك إذ فضلت وعد يهودي على ضمان الله تعالى بالرزق. **أبو حامد الغزالي**

تقوى

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

التقوى فرض عين فلا يجزي فيه والد عن ولده شيئاً وكذا العكس، وعند الله جزاء التقوى {يَوْمَ يَفِرُّ المرءُ مِنْ أَخِيه وأُمِّهِ وأبـيهِ} إلا على سبـيل الشفاعة لمن لم يشتدّ غضب الله عليه فيأذن في الشفاعة له. **أبو حامد الغزالي**

أقل درجات الخوف مما يظهر أثره في الأعمال: أن يمنع عن المحظورات ويسمى الكف الحاصل عن المحظورات ورعاً، فإن زادت قوّته كف عما يتطرّق إليه إمكان التحريم فيكف أيضاً عما لا يتيقن تحريمه ويسمى ذلك تقوى، إذ التقوى: أن يترك ما يريبه إلى ما لا يريبه وقد يحمله على أن يترك ما لا بأس به مخافة ما به بأس وهو الصدق في التقوى، فإذا انضم إليه التجرّد للخدمة فصار لا يبني ما لا يسكنه ولا يجمع ما لا يأكله ولا يلتفت إلى دنيا يعلم أنها تفارقه ولا يصرف إلى غير الله تعالى نفساً من أنفاسه فهو الصدق، وصاحبه جدير بأن يسمى صدّيقاً، ويدخل في الصدق التقوى، ويدخل في التقوى الورع، ويدخل في الورع العفة فإنها عبارة عن الامتناع عن مقتضى الشهوات خاصة؛ فإذن الخوف يؤثر في الجوارح بالكف والإقدام ويتجدّد له بسبب الكف اسم العفة، وهو كف عن مقتضى الشهوة وأعلى منه الورع فإنه أعم لأنه كف عن كل محظور، وأعلى منه التقوى فإنه اسم للكف عن المحظور والشبهة جميعاً، ووراءه اسم الصديق والمقرّب، وتجري الرتبة الآخرة مما قبلها مجرى الأخص من الأعم؛ فإذا ذكرت الأخص فقد ذكرت الكل. **أبو حامد الغزالي**

التقوى عبارة عن كف بمقتضى الخوف ـــ كما سبق ـــ ولذلك قال تعالى: {إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ} ولذلك أوصى الله تعالى الأوّلين والآخرين بالتقوى فقال تعالى: {وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وإيَّاكم أن تَّقُوا اللَّهَ} وقال عز وجل: {وَخَافُونِ إنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} فأمر بالخوف وأوجبه وشرطه في الإيمان،فلذلك لا يتصوّر أن ينفك مؤمن عن خوف وإن ضعف، ويكون ضعف خوفه بحسب ضعف معرفته وإيمانه. **أبو حامد الغزالي**

العمل تابع الحال والحال تابع العلم والعلم تابع الفكر. فالفكر إذن هو المبدأ والمفتاح للخيرات كلها، وهذا هو الذي يكشف لك عن فضيلة التفكر وأنه خير من الذكر والتذكر لأن الفكر ذكر وزيادة. وذكر القلب خير من الجوارح، بل شرف العمل لما فيه من الذكر. فإذن التفكر أفضل من جملة الأعمال. ولذلك قيل: تفكر ساعة خير من عبادة سنة، فقيل هو الذي ينقل من المكاره إلى المحاب ومن الرغبة والحرص إلى الزهد والقناعة، وقيل: هو الذي يحدث مشاهدة وتقوى، ولذلك قال تعالى: {لَعَلَّهُمْ يتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْراً}. **أبو حامد الغزالي**

رأيت في النوم شاباً لم أر أحسن منه، فقلت له: من أنت؟ قال: التقوى، قلت: فأين تسكن؟ قال: كل قلب حزين، ثم التفت، فإذا امرأة سوداء، فقلت من أنت؟ قالت: أنا السقم، قلت: فأين تسكنين؟ قالت: كل قلب فرح مرح، قال: فانتبهت وتعاهدت أن لا أضحك إلا غلبة. **أبو بكر الكتاني**

التقوى: ألا تمدّ عينيك إلى زهرة الدنيا، ولا تفكّر بقلبك فيها. **أبو العباس بن مسروق**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

التقوى مجانبة ما يبعدك عن الله تعالى. **أبو عبد الله محمّد بن خفيف**

التقوى هي الوقوف مع الحدود، لا يقصر فيها ولا يتعداها، قال الله تعالى: "ومن يتعدّ حدود الله فقد ظلم نفسه" الطلاق ١. **أبو عثمان المغربي**

التقوى تتولّد من الخوف. **أبو عثمان المغربي**

لا يصل العبد إلى شيء من التقوى، وعليه بقية من الزهد والورع. والتقوى مقرونة بالراحة، قال الله تعالى: "ومن يتق الله يجعل له مخرجا" الطلاق ٣. **أبو الحسين الوراق**

أجلّ شيء يفتح الله به على عبده: التقوى، فإن منه يتشعب جميع الخيرات، وأسباب القربة والتقرب. وأصل التقوى والإخلاص، وحقيقته، التخلي عن كلّ شيء إلا ممن إليه تقواك. **أبو الحسين الوراق**

أحسن لباس العبد التواضع والانكسار، وأحسن لباس العارفين التقوى: "ولباس التقوى ذلك خير" الأعراف ٢٦. **منصور بن عمار**

من تحقق بالتقوى هان عليه الإعراض عن الدنيا. **أبو العباس بن مسروق**

الإيمان عريان، ولباسه التقوى، وزينته الحياء، وماله الفقه. **وهب بن منبه**

تعرف تقوى الرجل في ثلاثة أشياء: في أخذه ومنعه وكلامه. **شقيق بن إبراهيم**

من يتق الله بحفظ السرّ عن آفات الالتفات إلى السوى، يجعل له مخرجا من حجب الأبعاد، ويرزقه المشاهدة والوصلة من حيث لا يحتسب. **أحمد الرفاعي**

علامة التقوى: الورع، والوقوف عند الشبهات. وعلامة الخوف: الحزن، وعلامة الرخاء: حسن الطاعة، وعلامة الزهد: قصر الأمل. **شاه الكرماني**

وسئل: أي أهل المدينة أفقه؟ فقال: أتقاهم لله تعالى. **سعد بن إبراهيم الزهري**

إن لأهل التقوى علامات يعرفون بها: صدق الحديث، والوفاء بالعهد، وصلة الرحم، ورحمة الضعفاء، وقلة الفخر والخيلاء، وبذل المعروف، وقلة المباهاة للناس، وحسن الخلق، وسعة الخلق مما يقرب إلى الله عز وجل. **الحسن البصري**

قال داود لسليمان عليهما السلام: يستدل على تقوى المؤمن بثلاث: حسن التوكل فيما لم ينل، وحسن الرضا فيما قد نال، وحسن الصبر فيما قد فات. **أبو حامد الغزالي**

رضا الناس غاية لا تدرك، فعليك بما يصلحك فالزمه، فإنه لا سبيل إلى رضاهم. واعلم أنه من تعلم القرآن جل في عيون الناس، ومن تعلم الحديث قويت حجته، ومن تعلم النحو هيب، ومن تعلم العربية رقّ طبعه، ومن تعلم الحساب جزل رأيه، ومن تعلم الفقه نبل قدره، ومن لم يصن نفسه لم ينفعه علمه، وملاك ذلك كله التقوى. **الشافعي**

القرآن مصرح بأن التقوى مفتاح الهداية والكشف: وذلك علم من غير تعلم: قال الله تعالى: {وَمَا خَلَقَ اللَّهُ في السَّمَواتِ والأَرْضِ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَّقُون} خصصها بهم {هَذَا بَـيَانٌ للنَّاسِ وَهُدى ومَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ}. **أبو حامد الغزالي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

(قيل له): لا تطمع في إلهام الحكمة مع ترك التقوى. **إبراهيم بن أدهم**

العاقبة للتقوى: كلّ الخير جعله الله في بيت، وجعل مفتاحه التقوى. قال تعالى: "من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن، فلنحيينّه حياة طيبة" النحل ٩٧. **أحمد الرفاعي**

قال لقمان عليه السلام لابنه: يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل، وحشوها الإيمان بالله تعالى، وشراعها التوكل على الله عز وجل، لعلك تنجو وما أراك ناجياً. **أبو حامد الغزالي**

سئل عن المتقي، فقال: من اتقى ما لهج به العوام، من متابعة الشهوات، وركوب المخالفات، ولزم باب الموافقة، وأنس براحة اليقين، واستند إلى ركن التوكل، وأتته الفوائد من الله عزّ وجلّ، في كل حال، فلم يغفل عنها. **محمّد بن علي الكتاني**

سئل عن قوله تعالى: "فألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها" الفتح ٢٦. فقال: أهّلهم في الأزل للتقوى، فأظهر عليهم ـ في الوقت ـ كلمة الايمان والاخلاص. **أبو العباس السياري**

إن ما بين العبد وبين الوجود أن تسكن التقوى قلبه، فإذا سكن التقوى قلبه، نزل عليه بركات العلم، وطردت رغبة الدنيا عنه. **جعفر بن محمد الخلدي**

روي في الإسرائيليات: أنّ رجلاً تزوج امرأة من بلدة أخرى فأرسل عبده ليحملها إليه فراودته نفسه وطالبته بها، فجاهدها واستعصم، قال: فنبأه الله ببركة تقواه فكان نبياً في بني إسرائيل. **أبو حامد الغزالي**

نعم العون على تقوى الله عز وجل: الغنى. **محمد بن المنكدر**

كان إذا أتاه الرجل يسأله، قال: اتق الله فيما علمت، وما استؤثر عليك فكله إلى عالمه، لأنا عليكم في العمد أخوف مني عليكم في الخطأ، وما خيرتكم اليوم بخير، ولكنه خير من آخر شر منه، وما تتبعون الخير حق إتباعه، وما تفرون من الناس حق فراره، ولا كل ما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم أدركتم، ولا كل ما تقرءون تدرون ما هو، (ثم يقول) السرائر السرائر اللاتي تخفين من الناس وهن لله تعالى بواد، التمسوا دواءهن، (ثم يقول) وما دواؤهن إلا أن تتوب ثم لا تعود. **الربيع بن خيثم**

شرح صدور المتقين، وكشف بصائر المهتدين، بنور حقائق الإيمان. **خير النساج**

من حرم درجة اليقين، سقط من مراتب المتقين. **أحمد الرفاعي**

بصحّة الإيمان، وكمال التقوى، يفتح الله تعالى على العبد، خير الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: "ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض" الأعراف ٩٦. **مظفر القرميسيني**

من آثر على التقوى شيئا، حرم لذّة التقوى. **أبو عثمان المغربي**

الصادق والمتقي اليوم في بحر يضطرب عليه أمواجه، ويدعو ربّه دعاء الغريق، يسال ربّه الخلاص والنجاة. **فاطمة النيسابورية**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

من صحّ تقواه ومعرفته لا يكون عليه شيء أحب من لقاء ربّه والقدوم عليه. **عبيدة بنت أبي كلاب**

أذنب غلام امرأة من قريش ذنبا فسعت إليه بالسوط، فلما قربت منه رمت بالسوط وقالت: ما تركت التقوى أحدا يشفي غيظه. **ابن السماك**

وجدت على حاشية التوراة اثنين وعشرين حرفاً كان صلحاء بني إسرائيل يجتمعون فيقرؤونها ويتدارسونها، منها: لا شرف أعز من التقوى. **وهب بن منبه**

قيل لسهل: ما أصل هذا الأمر الذي نحن عليه؟ فقال: الصدق والسخاء والشجاعة. فقيل: زدنا، فقال: التقى والحياء وطيب الغذاء. **أبو حامد الغزالي**

الناجي من عامل الله بتقواه، وكان في الحياة يخشاه. **أحمد الرفاعي**

اتق الله ولا تسب الشيطان في العلانية وأنت صديقه في السر. **وهب بن منبه**

اتق الله فما رأيت تقياً محتاجاً. **سفيان الثوري**

إتق أن تسب إبليس في العلانية وأنت صديقه في السر. **وهيب بن الورد**

ما اتقي الله من أحب الشهرة. **بشر بن الحارث الحافي**

توكل

معنى التوكل الاكتفاء بالأسباب الخفية عن الأسباب الظاهرة مع سكون النفس إلى مسبب السبب لا إلى السبب. **أبو حامد الغزالي**

التوكل: الإنخلاع من الحول والقوّة. **السري السقطي**

التوكل: أن يطمئن قلبك بموعود الله. **شقيق بن إبراهيم**

التوكل: استواء الحال عند العدم والوجود، وسكون النفس عند مجاري المقدور. **أبو الحسين الوراق**

سئل عن التوكّل، فقال: التوكّل حسم الطمع عن كلّ ما يميل إليه قلبك ونفسك. **ممشاذ الدينوري**

التوكل طمأنينة القلب إلى الله عزّ وجلّ. **أبو تراب النخشبي**

التوكل: إسقاط رؤية الوسائط، والتعلّق بأعلى العلائق. **رويم**

سئل: ما التوكل؟ فقال: اعتماد القلب على الله. **أبو العباس بن مسروق**

التوكّل أن تأكل بلا طمع ولا شره. **محفوظ بن محمود**

التوكل: السكون إلى مضمون الحق. **إبراهيم القصار**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

التوكل ألا تعجز عن حكم وقتك، والمعرفة ألا تضيع وقتك. **أبو بكر بن طاهر الأبهري**

التوكل سرّ بين الله وبين العبد، فلا ينبغي أن يطلع على ذلك السر أحد. **إبراهيم بن شيبان**

سئل عن التوكّل، فقال: استواء القلب عند الوجود والعدم، بل الطرب عند العدم، والخمول عند الوجود، بل الاستقامة مع الله تعالى على الحالين. **جعفر بن محمد الخلدي**

سئل: ما التوكل؟ فقال: أدناه حسن الظن بالله عزّ وجلّ. **أبو عمرو اسماعيل بن نجيد**

التوكل هو الاكتفاء بضمانه، وإسقاط التهمة عن قضائه. **أبو عبد الله محمّد بن خفيف**

قال أبو موسى الديلي: قلت لأبـي يزيد: ما التوكل؟ فقال: ما تقول أنت؟ قلت: إن أصحابنا يقولون: لو أن السباع والأفاعي عن يمينك ويسارك ما تحرّك لذلك سرك. فقال أبو يزيد: نعم هذا قريب ولكن لو أن أهل الجنة في الجنة يتنعمون وأهل النار في النار يعذبون ثم وقع بك تميـيز بـينهما خرجت من جملة التوكل، فما ذكره أبو موسى فهو خبر عن أجل أحوال التوكل وهو المقام الثالث، وما ذكره أبو يزيد عبارة عن أعز أنواع العلم الذي هو من أصول التوكل وهو العلم بالحكمة، وأن ما فعله الله تعالى فعله بالواجب فلا تميـيز بـين أهل النار وأهل الجنة بالإضافة إلى أصل العدل والحكمة وهذا أغمض أنواع العلم ووراءه سر القدر، وأبو يزيد قلما يتكلم إلا عن أعلى المقامات وأقصى الدرجات. **أبو حامد الغزالي**

سئل(سهل بن عبد الله التستري) عن التوكل: ما أدناه؟ قال: ترك الأماني. قيل: وأوسطه؟ قال: ترك الاختيار، وهو إشارة إلى الدرجة الثانية. وسئل عن أعلاه فلم يذكره وقال: لا يعرفه إلا من بلغ أوسطه. **أبو حامد الغزالي**

سئل ذو النون المصري عن التوكل؟ فقال: خلع الأرباب وقطع الأسباب، فخلع الأرباب إشارة إلى علم التوحيد، وقطع الأسباب إشارة إلى الأعمال وليس فيه تعرض صريح للحال وإن كان اللفظ يتضمنه فقيل له: زدنا فقال: إلقاء النفس في العبودية وإخراجها من الربوبـية، وهذا إشارة إلى التبري من الحول والقوة فقط. **أبو حامد الغزالي**

سئل حمدون القصار عن التوكل؟ فقال: إن كان لك عشرة آلاف درهم وعليك دانق دين لم تأمن أن تموت ويبقى دينك في عنقك، ولو كان عليك عشرة آلاف درهم دين من غير أن تترك لها وفاء لا تيأس من الله تعالى أن يقضيها عنك، وهذا إشارة إلى مجرّد الإيمان بسعة القدرة، وأن في المقدورات أسباباً خفية سوى هذه الأسباب الظاهرة. **أبو حامد الغزالي**

سئل أبو عبد الله القرشي عن التوكل؟ فقال: التعلق بالله تعالى في كل حال، فقال السائل: زدني فقال: ترك كل سبب يوصل إلى سبب حتى يكون الحق هو المتولي

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

لذلك، فالأوّل عام للمقامات الثلاث، والثاني إشارة إلى المقام الثالث خاصة، وهو مثل توكل إبراهيم إذ قال له جبريل عليه السلام: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، إذ كان سؤاله سبباً يفضي إلى سبب وهو حفظ جبريل له، فترك ذلك ثقة بأن الله تعالى إن أراد سخر جبريل لذلك، فيكون هو المتولي لذلك، وهذا حال مبهوت غائب عن نفسه بالله تعالى فلم ير معه غيره، وهو حال عزيز في نفسه، ودوامه إن وجد أبعد منه وأعز. **أبو حامد الغزالي**

قال أبو سعيد الخراز: التوكل اضطراب بلا سكون وسكون بلا اضطراب، ولعله يشير إلى المقام الثاني، فسكونه بلا اضطراب: إشارة إلى سكون القلب إلى الوكيل وثقته به، واضطراب بلا سكون: إشارة إلى فزعه إليه وابتهاله وتضرعه بين يديه كاضطراب الطفل بيديه إلى أمه وسكون قلبه إلى تمام شفقتها. **أبو حامد الغزالي**

قال سهل في التوكل: إنه ترك التدبير وقال: إنّ الله خلق الخلق ولم يحجبهم عن نفسه، وإنما حجابهم بتدبيرهم، ولعله أراد به استنباط الأسباب البعيدة بالفكر فهي التي تحتاج إلى التدبير دون الأسباب الجلية. **أبو حامد الغزالي**

من أنكر أصل التوكل وإمكانه، أنكره عن جهل، فإياك أن تجمع بين الإفلاسين: الإفلاس عن وجود المقام ذوقاً، والإفلاس عن الإيمان به علماً. **أبو حامد الغزالي**

أول مقامات الدين اليقين الذي هو عبارة عن قوة الإيمان بالله تعالى وباليوم الآخر والجنة والنار، وهذا اليقين بالضرورة يهيج الخوف من النار والرجاء للجنة والرجاء والخوف يقويان على الصبر، فإن الجنة قد حفت بالمكاره فلا يصبر على تحملها إلا بقوة الرجاء؛ والنار قد حفت بالشهوات فلا يصبر على قمعها إلا بقوة الخوف. ثم يؤدي مقام الصبر المستفاد من الخوف والرجاء إلى مقام المجاهدة والتجرّد لذكر الله تعالى والفكر فيه على الدوام، ويؤدي دوام الذكر إلى الإنس ودوام الفكر إلى كمال المعرفة، ويؤدي كمال المعرفة والأنس إلى المحبة ويتبعها مقام الرضا والتوكل وسائر المقامات، فهذا هو الترتيب في سلوك منازل الدين، وليس بعد أصل اليقين مقام سوى الخوف والرجاء، ولا بعدهما مقام سوى الصبر، وبه المجاهدة والتجرّد لله ظاهراً وباطناً، ولا مقام بعد المجاهدة لمن فتح له الطريق إلا الهداية والمعرفة، ولا مقام بعد المعرفة إلا المحبة والأنس، ومن ضرورة المحبة الرضا بفعل المحبوب والثقة بعنايته وهو التوكل.**أبو حامد الغزالي**

التوكل منزل من منازل الدين ومقام من مقامات الموقنين، بل هو من معالي درجات المقرّبين. **أبو حامد الغزالي**

اجعلوا دعائم توكّلكم على الله رصينة المباني، وأساليب أدعيتكم لله خالصة المعاني. **أحمد الرفاعي**

آخر أقدام الزاهدين، أوّل أقدام المتوكّلين. **أبو سليمان الداراني**

سبب الوصول إلى الله، سبعة عشرة درجة، أدناها الإجابة، وأعلاها التوكل على الله بحقيقته. **أبو تراب النخشبي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

قال أبو سليمان الداراني لأحمد بن أبـي الحواري: لي من كل مقام نصيب إلا من هذا التوكل المبارك فإني ما شممت منه رائحة، هذا كلامه مع علوّ قدره، ولم ينكر كونه من المقامات الممكنة ولكنه قال: ما أدركته، ولعله أراد إدراك أقصاه. **أبو حامد الغزالي**

التوكل في نفسه غامض من حيث العلم، ثم هو شاق من حيث العمل، ووجه غموضه من حيث الفهم أنّ ملاحظة الأسباب والاعتماد عليها شرك في التوحيد، والتثاقل عنها بالكلية طعن في السنة وقدح في الشرع، والاعتماد على الأسباب من غير أن ترى أسباباً تغيير في وجه العقل. وانغماس في غمرة الجهل، وتحقيق معنى التوكل على وجه يتوافق فيه مقتضى التوحيد والنقل والشرع في غاية الغموض والعسر، ولا يقوى على كشف هذا الغطاء مع شدّة الخفاء إلا سماسرة العلماء الذين اكتحلوا من فضل الله تعالى بأنوار الحقائق فأبصروا وتحققوا ثم نطقوا بالإعراب عما شاهدوه من حيث استنطقوا. **أبو حامد الغزالي**

التوكل على الله فريضة، لقوله تعالى: "وعلى الله توكلوا إن كنتم مؤمنين" المائدة ٢٣. والحركة في طلب الرزق مباح لمن عجز عن التوكل، فإن الله تعالى يقول: " كلوا من طيبات ما كسبتم " البقرة ٢١٧. فما يفتح بالطلب والكسب، منه طيب وخبيث. وما يفتح بالتوكل لا يكون إلا طيبا، لأن ذلك من معدن طيّب. **أبو عبد الله بن سالم البصري**

التوكل من أبواب الإيمان، وجميع أبواب الإيمان لا تنتظم إلا بعلم وحال وعمل، والتوكل كذلك ينتظم من علم هو الأصل و عمل هو الثمرة و حال هو المراد باسم التوكل.

فلنبدأ ببـيان العلم الذي هو الأصل وهو المسمى إيماناً في أصل اللسان إذ الإيمان هو التصديق، وكل تصديق بالقلب فهو علم، وإذا قوي سمي يقيناً، ولكن أبواب اليقين كثيرة، ونحن إنما نحتاج منها إلى ما نبني عليه التوكل وهو التوحيد الذي يترجمه قولك: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) والإيمان بالقدرة التي يترجم عنها قولك: (له الملك) والإيمان بالجود والحكمة الذي يدل عليه قولك: (وله الحمد) فمن قال: (لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير) تم له الإيمان الذي هو أصل التوكل، أعني أن يصير معنى هذا القول وصفاً لازماً لقلبه غالباً عليه. **أبو حامد الغزالي**

حاصل (قدر التوحيد الذي يرتبط به التوكل): أن ينكشف لك أن لا فاعل إلا الله تعالى، وأن كل موجود من خلق ورزق وعطاء ومنع وحياة وموت وغنى وفقر إلى غير ذلك مما ينطلق عليه اسم. فالمنفرد بإبداعه واختراعه هو الله عز وجل لا شريك له فيه، وإذا انكشف لك هذا لم تنظر إلى غيره، بل كان منه خوفك وإليه رجاؤك وبه ثقتك وعليه اتكالك، فإنه الفاعل على الانفراد دون غيره، وما سواه مسخرون لا استقلال لهم بتحريك ذرّة من ملكوت السموات والأرض، وإذا انفتحت لك أبواب المكاشفة اتضح لك هذا اتضاحاً أتم من المشاهدة بالبصر. **أبو حامد الغزالي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

التوحيد يورث النظر إلى مسبب الأسباب، والإيمان بالرحمة وسعتها هو الذي يورث الثقة بمسبب الأسباب، ولا يتم حال التوكل كما سيأتي إلا بالثقة بالوكيل وطمأنينة القلب إلى حسن نظر الكفيل، وهذا الإيمان أيضاً باب عظيم من أبواب الإيمان. **أبو حامد الغزالي**

لا يتم التوكل إلا بقوة القلب وقوة اليقين جميعاً، إذ بهما يحصل سكون القلب وطمأنينته، فالسكون في القلب شيء واليقين شيء آخر فكم من يقين لا طمأنينة معه كما قال تعالى لإبراهيم عليه السلام: {أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَال بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي} فالتمس أن يكون مشاهداً إحياء الميت بعينه ليثبت في خياله فإن النفس تتبع الخيال وتطمئن به ولا تطمئن باليقين في ابتداء أمرها إلى أن تبلغ بالآخرة إلى درجة النفس المطمئنة؛ وذلك لا يكون في البداية أصلاً، وكم من مطمئن لا يقين له كسائر أرباب الملل والمذاهب، فإنّ اليهودي مطمئن القلب إلى تهوّده، وكذا النصراني ولا يقين لهم أصلاً، وإنما يتبعون الظنّ وما تهوى الأنفس، ولقد جاءهم من ربهم الهدى وهو سبب اليقين، إلا أنهم معرضون عنه، فإذن الجبن والجراءة غرائز ولا ينفع اليقين معها، فهي أحد الأسباب التي تضاد حال التوكل. **أبو حامد الغزالي**

ليس ترك الاحتراز عن الحياة شرطاً في المقام الأوّل من التوّكل؛ فقد احترز أبو بكر رضي الله عنه في الغار إذ سدّ منافذ الحيات إلا أن يقال فعل ذلك برجله ولم يتغير بسببه سره،أو يقال: إنما فعل ذلك شفقة في حق رسول الله لا في حق نفسه، وإنما يزول التوّكل بتحرّك سره وتغيره لأمر يرجع إلى نفسه وللنظر في هذا مجال، ولكن سيأتي بيان أن أمثال ذلك وأكثر منه لا يناقض التوّكل، فإنّ حركة السر من الحيات هو الخوف، وحق المتوكل أن يخاف مسلط الحيات، إذ لا حول للحيات ولا قوة لها إلا بالله، فإن احترز لم يكن اتكاله على تدبيره وحوله وقوته في الاحتراز بل على خالق الحول والقوة والتدبير. **أبو حامد الغزالي**

قد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض كالخرقة الملقاة وكاللحم على الوضم وهذا ظن الجهال، فإنّ ذلك حرام في الشرع، والشرع قد أثنى على المتوكلين فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين. **أبو حامد الغزالي**

إنما يظهر تأثير التوكل في حركة العبد وسعيه بعلمه إلى مقاصده، وسعي العبد باختياره إما أن يكون لأجل جلب نافع هو مفقود عنده كالكسب، أو لحفظ نافع هو موجود عنده كالادّخار، أو لدفع ضارّ لم ينزل به كدفع الصائل والسارق والسباع، أو لإزالة ضارّ قد نزل به كالتداوي من المرض، فمقصود حركات العبد لا تعدو هذه الفنون الأربعة وهو جلب النافع أو حفظه؛ أو دفع الضارّ أو قطعه. **أبو حامد الغزالي**

الدرجة الأولى (من الأسباب التي بها يجلب النافع): المقطوع به، وذلك مثل الأسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطاً مطرداً لا يختلف، كما أنّ الطعام إذا كان موضوعاً بين يديك وأنت جائع محتاج ولكنك لست تمدّ اليد إليه وتقول أنا متوكل، وشرط التوكل ترك السعي ومدّ اليد إليه سعي وحركة وكذلك مضغه

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

بالأسنان وابتلاعه بإطباق أعالي الحنك على أسافله، فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء، فإنك إن انتظرت أن يخلق الله تعالى فيك شبعاً دون الخبز، أو يخلق في الخبز حركة إليك، أو يسخر ملكاً ليمضغه لك ويوصله إلى معدتك: فقد جهلت سنة الله تعالى، وكذلك لو لم تزرع الأرض وطمعت في أن يخلق الله تعالى نباتاً من غير بذر، أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام. فكل ذلك جنون وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن إحصاؤه، فليس التوكل في هذا المقام بالعمل بل بالحال والعلم. أما العلم: فهو أن تعلم أن الله تعالى خلق الطعام واليد والأسنان وقوّة الحركة وأنه هو الذي يطعمك ويسقيك.

وأما الحال: فهو أن يكون سكون قلبك واعتمادك على فعل الله تعالى لا على اليد والطعام وكيف تعتمد على صحة يدك وربما تجف في الحال وتفلج؟ وكيف تعول على قدرتك وربما يطرأ عليك في الحال ما يزيل عقلك ويبطل قوة حركتك؟ وكيف تعول على حضور الطعام، وربما يسلط الله تعالى من يغلبك عليه أو يبعث حية تزعجك عن مكانك وتفرّق بينك وبين طعامك. وإذا احتمل أمثال ذلك ولم يكن لها علاج إلا بفضل الله تعالى فبذلك فلتفرح وعليه فلتعول، فإذا كان هذا حاله وعلمه فيلمدّ اليد فإنه متوكل. **أبو حامد الغزالي**

الدرجة الثانية(من الأسباب التي بها يجلب النافع): الأسباب التي ليست متيقنة ولكن الغالب أنّ المسببات لا تحصل دونها وكان احتمال حصولها دونها بعيداً، كالذي يفارق الأمصار والقوافل ويسافر في البوادي التي لا يطرقها الناس إلا نادراً ويكون سفره من غير استصحاب زاد، فهذا ليس شرطاً في التوكل، بل استصحاب الزاد في البوادي سنة الأوّلين، ولا يزول التوكل به بعد أن يكون الاعتماد على فضل الله تعالى لا على الزاد كما سبق، ولكن فعل ذلك جائز. وهو من أعلى مقامات التوكل ولذلك كان يفعله الخوّاص.

فإن قلت: فهذا سعي في الهلاك وإلقاء النفس في التهلكة.

فاعلم أنّ ذلك يخرج عن كونه حراماً بشرطين:

أحدهما: أن يكون الرجل قد راض نفسه وجاهدها وسوّاها على الصبر عن الطعام أسبوعاً وما يقاربه بحيث يصبر عنه بلا ضيق قلب وتشوّش خاطر وتعذر في ذكر الله تعالى.

والثاني: أن يكون بحيث يقوى على التقوت بالحشيش وما يتفق من الأشياء الخسيسة؛ فبعد هذين الشرطين لا يخلو في غالب الأمر في البوادي في كل أسبوع عن أن يلقاه آدمي أو ينتهي إلى حلة أو قرية أو إلى حشيش يجتزىء به فيحيا به مجاهداً نفسه. **أبو حامد الغزالي**

الدرجة الثالثة: ملابسة الأسباب التي يتوهم إفضاؤها إلى المسببات من غير ثقة ظاهرة، كالذي يستقصي في التدبيرات الدقيقة في تفصيل الاكتساب ووجوهه، وذلك يخرج بالكلية عن درجات التوكل كلها، وهو الذي فيه الناس كلهم: أعني من يكتسب بالحيل الدقيقة اكتساباً مباحاً لمال مباح. فأما أخذ الشبهة أو اكتساب بطريق فيه

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

شبهة فذلك غاية الحرص على الدنيا والاتكال على الأسباب، فلا يخفى أن ذلك يبطل التوكل وهذا مثل الأسباب التي نسبتها إلى جلب النافع، مثل نسبة الرقية والطير والكي بالإضافة إلى إزالة الضارّ، فإن النبـي وصف المتوكلين بذلك ولم يصفهم بأنهم لا يكتسبون ولا يسكنون الأمصار ولا يأخذون من أحد شيئاً، بل وصفهم بأنهم يتعاطون هذه الأسباب، وأمثال هذه الأسباب التي يوثق بها في المسببات مما يكثر فلا يمكن إحصاؤها. **أبو حامد الغزالي**

كان الخواص لا تفارقه الإبرة والمقراض والحبل والركوة ويقول: هذا لا يقدح في التوكل. وسببه أنه علم أنّ البوادي لا يكون الماء فيها على وجه الأرض، وما جرت سنة الله تعالى بصعود الماء من البئر بغير دلو ولا حبل ولا يغلب وجود الحبل والدلو في البوادي كما يغلب وجود الحشيش، والماء يحتاج إليه لوضوئه كل يوم مرات ولعطشه في كل يوم أو يومين مرة؛ فإنّ المسافر مع حرارة الحركة لا يصبر عن الماء وإن صبر عن الطعام، وكذلك يكون له ثوب واحد وربما يتخرّق فتنكشف عورته ولا يوجد المقراض والإبرة في البوادي غالباً عند كل صلاة، ولا يقوم مقامهما في الخياطة والقطع شيء مما يوجد في البوادي. **أبو حامد الغزالي**

إن قلت: فهل من دواء ينتفع به في صرف القلب عن الركون إلى الأسباب الظاهرة وحسن الظنّ بالله تعالى في تيسير الأسباب الخفية؟.

فأقول: نعم، هو أن تعرف أنّ سوء الظن تلقين الشيطان، وحسن الظن تلقين الله تعالى: قال الله تعالى: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُم الفَقْرَ ويأْمُرُكُمْ بالفَحْشَاءِ، واللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلاً}. فإنّ الإنسان بطبعه مشغوف بسماع تخويف الشيطان، ولذلك قيل: الشفيق بسوء الظن مولع، وإذا انضم إليه الجبن وضعف القلب ومشاهدة المتكلين على الأسباب الظاهرة والباعثين عليها غلب سوء الظن وبطل التوكل بالكلية، بل رؤية الرزق من الأسباب الخفية أيضاً تبطل التوكل. **أبو حامد الغزالي**

قد ظهر أن الأسباب منقسمة إلى: ما يخرج التعلق بها عن التوكل، وإلى ما لا يخرج، وأن الذي (لا) يخرج ينقسم إلى: مقطوع به، وإلى مظنون، وأن المقطوع به لا يخرج عن التوكل عند وجود حال التوكل وعلمه، وهو الاتكال على مسبب الأسباب، فالتوكل فيها بالحال والعلم لا بالعمل. وأما المظنونات فالتوكل فيها بالحال والعلم والعمل جميعاً. **أبو حامد الغزالي**

المتوكلون في ملابسة هذه الأسباب على ثلاثة مقامات:

الأوّل: مقام الخواص ونظرائه، وهو الذي يدور في البوادي بغير زاد ثقة بفضل الله تعالى عليه في تقويته على الصبر أسبوعاً وما فوقه، أو تيسير حشيش له أو قوت، أو تثبيته على الرضا بالموت إن لم يتيسر شيء من ذلك، فإن الذي يحمل الزاد قد يفقد الزاد أو يضل بعيره ويموت جوعاً، فذلك ممكن مع الزاد كما أنه يمكن مع فقده.

المقام الثاني: أن يقعد في بـيته أو في مسجد ولكنه في القرى والأمصار، وهذا أضعف من الأوّل، ولكنه أيضاً متوكل لأنه تارك للكسب والأسباب الظاهرة، معول

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

على فضل الله تعالى في تدبير أمره من جهة الأسباب الخفية، ولكنه بالقعود في الأمصار متعرّض لأسباب الرزق، فإن ذلك من الأسباب الجالبة، إلا أن ذلك لا يبطل توكله إذا كان نظره إلى الذي يسخر له سكان البلد لإيصال رزقه إليه لا إلى سكان البلد، إذ يتصور أن يغفل جميعهم عنه ويضيعوه لولا فضل الله تعالى بتعريفهم وتحريك دواعيهم.

المقام الثالث: أن يخرج ويكتسب اكتساباً على الوجه الذي ذكرناه في الباب الثالث والرابع من كتاب آداب الكسب، وهذا السعي لا يخرجه أيضاً عن مقامات التوكل إذا لم يكن طمأنينة نفسه إلى كفايته وقوّته وجاهه وبضاعته، فإن ذلك ربما يهلكه الله تعالى جميعه في لحظة، بل يكون نظره إلى الكفيل الحق بحفظ جميع ذلك وتيسير أسبابه له. **أبو حامد الغزالي**

الدليل على أن الكسب لا ينافي حال التوكل إذا روعيت فيه الشروط وانضاف إليه الحال والمعرفة كما سبق أن الصدّيق رضي الله عنه لما بويع بالخلافة أصبح آخذاً الأثواب تحت حضنه والذراع بيده ودخل السوق ينادي، حتى كرهه المسلمون وقالوا: كيف تفعل ذلك وقد أقمت لخلافه النبوّة؟ فقال: لا تشغلوني عن عيالي فإني إن أضعتهم كنت لما سواهم أضيع حتى فرضوا له قوت أهل بيت من المسلمين، فلما رضوا بذلك رأى مساعدتهم وتطييب قلوبهم واستغراق الوقت بمصالح المسلمين أولى، ويستحيل أن يقال: لم يكن الصديق في مقام التوكل فمن أولى بهذا المقام منه؟ فدل على أنه كان متوكلاً لا باعتبار ترك الكسب والسعي بل باعتبار قطع الالتفات إلى قوته وكفايته ولعلم بأن الله هو ميسر الاكتساب ومدبر الأسباب وبشروط كان يراعيها في طريق الكسب من الاكتفاء بقدر الحاجة من غير استكثار وتفاخر وادخار ومن غير أن يكون درهمه أحب إليه من درهم غيره، فمن دخل السوق ودرهمه أحب إليه من درهم غيره فهو حريص على الدنيا ومحب لها، ولا يصح التوكل إلا مع الزهد في الدنيا، نعم يصح الزهد دون التوكل فإن التوكل مقام وراء الزهد. **أبو حامد الغزالي**

التباعد عن الأسباب كلها مراغمة للحكمة وجهل بسنة الله تعالى. والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله عز وجل دون الأسباب لا يناقض التوكل. **أبو حامد الغزالي**

المجاهدة عماد التوكل. **أبو حامد الغزالي**

إن كان (الإنسان) مشغول القلب بالله غير مستشرف إلى الناس ولا متطلع إلى من يدخل من الباب فيأتيه برزقه، بل تطلعه إلى فضل الله تعالى واشتغاله بالله، فهو أفضل، وهو من مقامات التوكل؛ وهو أن يشتغل بالله تعالى ولا يهتم برزقه، فإنّ الرزق يأتيه لا محالة، وعند هذا يصح ما قاله بعض العلماء: وهو أنّ العبد لو هرب من رزقه لطلبه، كما لو هرب من الموت لأدركه، وأنه لو سأل الله تعالى أن لا يرزقه لما استجاب وكان عاصياً، ولقال له: يا جاهل، كيف أخلقك ولا أرزقك؟ ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما: اختلف الناس في كل شيء إلا في الرزق والأجل، فإنهم أجمعوا على أن لا رازق ولا مميت إلا الله تعالى. **أبو حامد الغزالي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

لا ينقص التوكل بإغلاق باب البيت عند الخروج ولا بأن يعقل البعير، لأن هذه أسباب عرفت سنة الله تعالى إما قطعاً وإما ظناً، ولذلك قال للأعرابي لما أن أهمل البعير وقال توكلت على الله: {أعقلها وتوكل}، وقال تعالى: {خُذُوا حِذْرَكُمْ} وقال في كيفية صلاة الخوف: {وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ} وقال سبحانه: {وأَعِدُّوا لَهُمْ ما اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ومِنْ رِبَاطِ الخَيْلِ} وقال تعالى لموسى عليه السلام: {فأَسْرِ بعبادي ليلاً} والتحصن بالليل اختفاء عن أعين الأعداء ونوع تسبب، واختفاء رسول الله في الغار اختفاء عن أعين الأعداء دفعاً للضرر ، وأخذ السلاح في الصلاة ليس دافعاً قطعاً كقتل الحية والعقرب فإنه دافع قطعاً، ولكن أخذ السلاح سبب مظنون، وقد بينا أن المظنون كالمقطوع، وإنما الموهوم هو الذي يقتضي التوكل تركه. **أبو حامد الغزالي**

ربما يميل بعضهم إلى القناعة والتوكل، فيخوض البوادي من غير زاد ليصحح دعوى التوكل، وليس يدري أن ذلك بدعة لم تنقل عن السلف والصحابة، وقد كانوا أعرف بالتوكل منه، فما فهموا أن التوكل: المخاطرة بالروح وترك الزاد، بل كانوا يأخذون الزاد وهم متوكلون على الله تعالى لا على الزاد، وهذا ربما يترك الزاد وهو متوكل على سبب من الأسباب واثق به. **أبو حامد الغزالي**

إن قلت: فقد حكي عن جماعة أن منهم من وضع الأسد يده على كتفه ولم يتحرّك.

فأقول: وقد حكي عن جماعة أنهم ركبوا الأسد وسخروه فلا ينبغي أن يغرّك ذلك المقام؛ فإنه وإن كان صحيحاً في نفسه فلا يصلح للاقتداء بطريق التعلم من الغير، بل ذلك مقام رفيع في الكرامات وليس ذلك شرطاً في التوكل، وفيه أسرار لا يقف عليها من لم ينته إليها. **أبو حامد الغزالي**

معنى التوكل مع التداوي التوكل بالعلم والحال، كما سبق في فنون الأعمال الدافعة للضرر الجالبة للنفع، فأما ترك التداوي رأساً فليس شرطاً فيه. **أبو حامد الغزالي**

كان أحمد بن حنبل يقول: أحب لمن اعتقد التوكل وسلك هذا الطريق ترك التداوي من شرب الدواء وغيره وإن كان به علل فلا يخبر المتطبب بها أيضاً إذا سأله. **أبو حامد الغزالي**

(ما) يدل على أنّ التداوي غير مناقض للتوكل فعل رسول الله وقوله وأمره به. **أبو حامد الغزالي**

ذكر بعض العلماء في الإسرائيليات؛ أن موسى عليه السلام اعتل بعلة فدخل عليه بنو إسرائيل فعرفوا علته؛ فقالوا له: لو تداويت بكذا لبرئت، فقال: لا أتداوى حتى يعافيني هو من غير دواء، فطالت علته فقالوا له: إن دواء هذه العلة معروف مجرّب، وإنا نتداوى به فنبرأ، فقال: لا أتداوى، وأقامت علته، فأوحى الله تعالى إليه: وعزتي وجلالي لا أبرأتك حتى تتداوى بما ذكروه لك، فقال لهم: داووني بما ذكرتم، فداووه فبرأ، فأوجس في نفسه من ذلك، فأوحى الله تعالى إليه: أردت أن تبطل حكمتي بتوكلك على من أودع العقاقير منافع الأشياء غيري؟. **أبو حامد الغزالي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

إن قلت: فإذا أخذ المتوكل سلاحه حذراً من العدوّ وأغلق بابه حذراً من اللص وعقل بعيره حذراً من أن ينطلق، فبأي اعتبار يكون متوكلاً؟

فأقول: يكون متوكلاً بالعلم والحال، فأما العلم فهو أن يعلم أن اللص إن اندفع لم يندفع بكفايته في إغلاق الباب، بل لم يندفع إلا بدفع الله تعالى إياه؛ فكم من باب يغلق ولا ينفع، وكم من بعير يعقل ويموت أو يفلت، وكم من آخذ سلاحه يقتل أو يغلب؛ فلا تتكل على هذه الأسباب أصلاً بل على مسبب الأسباب، كما ضربنا المثل في الوكيل في الخصومة فإنه إن حضر وأحضر السجل فلا يتكل على نفسه وسجله بل يتكل على كفاية الوكيل وقوّته، وأما الحال فهو أن يكون راضياً بما يقضي الله تعالى به في بيته ونفسه ويقول: اللهم إن سلطت على ما في البيت من يأخذه فهو في سبيلك وأنا راض بحكمك، فإني لا أدري أن ما أعطيتني هبة فلا تسترجعها، أو عارية ووديعة فتستردها، ولا أدري أنه رزقي أو سبقت مشيئتك في الأزل بأنه رزق غيري، وكيفما قضيت فأنا راض به، وما أغلقت الباب تحصناً من قضائك وتسخطاً له، بل جرياً على مقتضى سننك في ترتيب الأسباب، فلا ثقة إلا بك يا مسبب الأسباب، فإذا كان هذا حاله وذلك الذي ذكرناه علمه لم يخرج عن حدود التوكل، بعقل البعير وأخذ السلاح وإغلاق الباب، ثم إذا عاد فوجد متاعه في البيت فينبغي أن يكون ذلك عنده نعمة جديدة من الله تعالى، وإن لم يجده بل وجده مسروقاً نظر إلى قلبه، فإن وجده راضياً أو فرحاً بذلك عالماً أنه ما أخذ الله تعالى منه إلا ليزيد رزقه في الآخرة فقد صح مقامه في التوكل وظهر له صدقه، وإن تألم قلبه به ووجد قوّة الصبر فقد بان له أنه ما كان صادقاً في دعوى التوكل؛ لأنّ التوكل مقام بعد الزهد، ولا يصح الزهد إلا ممن لا يتأسف على ما فات من الدنيا ولا يفرح بما يأتي، بل يكون على العكس منه، فكيف يصح له التوكل؟ **أبو حامد الغزالي**

إن قلت: فكيف يكون للمتوكل مال حتى يؤخذ؟

فأقول: المتوكل لا يخلو بيته من متاع كقصعة يأكل فيها وكوز يشرب منه وإناء يتوضأ منه وجراب يحفظ به زاده وعصا يدفع بها عدوّه وغير ذلك من ضرورات المعيشة من أثاث البيت، وقد يدخل في يده مال وهو يمسكه ليجد محتاجاً فيصرفه إليه، فلا يكون ادخاره على هذه النية مبطلاً لتوكله، وليس من شرط التوكل إخراج الكوز الذي يشرب منه والجراب الذي فيه زاده، وإنما ذلك في المأكول وفي كل مال زائد على قدر الضرورة؛ لأنّ سنة الله جارية بوصول الخير إلى الفقراء المتوكلين في زوايا المساجد، وما جرت السنة بتفرقة الكيزان والأمتعة في كل يوم ولا في كل أسبوع، والخروج عن سنة الله عز وجل ليس شرطاً في التوكل، ولذلك كان الخوّاص يأخذ في السفر الحبل والركوة والمقراض والإبرة دون الزاد، لكن سنة الله تعالى جارية بالفرق بين الأمرين. **أبو حامد الغزالي**

ما لم يكمل الإيمان بأن لا فاعل إلا الله ولا رازق سواه وأن كل ما يقدّره على العبد من فقر وغنى وموت وحياة فهو خير له مما يتمناه العبد؛ لم يكمل حال التوكل؛ فبناء التوكل على قوة الإيمان بهذه الأمور ـــ كما سبق ـــ وكذا سائر مقامات الدين

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

من الأقوال والأعمال تنبني على أصولها من الإيمان. وبالجملة؛ التوكل مقام مفهوم ولكن يستدعي قوة القلب وقوة اليقين، ولذلك قال سهل: من طعن على التكسب فقد طعن على السنة، ومن طعن على ترك التكسب فقد طعن على التوحيد. **أبو حامد الغزالي**

اعلم أن الجلوس في رباطات الصوفية مع معلوم بعيد من التوكل، فإن لم يكن معلوم ووقف وأمروا الخادم بالخروج للطلب لم يصح معه التوكل إلا على ضعف، ولكن يقوى بالحال والعلم، كتوكل المكتسب؛ وإن لم يسألوا بل قنعوا بما يحمل إليهم فهذا أقوى في توكلهم، لكنه بعد اشتهار القوم بذلك فقد صار لهم سوقاً، فهو كدخول السوق، ولا يكون داخل السوق متوكلاً إلا بشروط كثيرة كما سبق. **أبو حامد الغزالي**

إن قلت: فما الأفضل أن يقعد في بيته، أو يخرج ويكتسب؟.

فاعلم أنه إن كان يتفرّغ بترك الكسب لفكر وذكر وإخلاص واستغراق وقت بالعبادة وكان الكسب يشوش عليه ذلك وهو مع هذا لا تستشرف نفسه إلى الناس في انتظار من يدخل عله فيحمل إليه شيئاً بل يكون قوي القلب في الصبر والاتكال على الله تعالى، فالقعود له أولى. وإن كان يضطرب قلبه في البيت ويستشرف إلى الناس فالكسب أولى، لأن استشراف القلب إلى الناس سؤال بالقلب، وتركه أهم من ترك الكسب، وما كان المتوكلون يأخذون ما تستشرف إليه نفوسهم. **أبو حامد الغزالي**

ما كان المتوكلون يأخذون ما تستشرف إليه نفوسهم: كان أحمد بن حنبل قد أمر أبا أبا بكر المروزي أن يعطي بعض الفقراء شيئاً فضلاً عما كان استأجره عليه، فرده، فلما ولّى قال له أحمد: الحقه وأعطه فإنه يقبل، فلحقه وأعطاه فأخذه، فسأل أحمد عن ذلك؟ فقال: كان قد استشرفت نفسه فرد، فلما خرج انقطع طمعه وأيس فأخذ. **أبو حامد الغزالي**

المكتسب إذا راعى آداب الكسب وشروط نيته كما سبق في كتاب الكسب وهو أن لا يقصد به الاستكثار ولم يكن اعتماده على بضاعته وكفايته كان متوكلاً. **أبو حامد الغزالي**

إن قلت: فما علامة عدم اتكاله على البضاعة والكفاية؟.

فأقول: علامته أنه إن سرقت بضاعته أو خسرت تجارته أو تعوّق أمر من أموره كان راضياً به ولم تبطل طمأنينته ولم يضطرب قلبه، بل كان حال قلبه في السكون قبله وبعده واحداً، فإنّ من لم يسكن إلى شيء لم يضطرب لفقده، ومن اضطرب لفقد شيء فقد سكن إليه. **أبو حامد الغزالي**

التوكل مقام مفهوم في نفسه ويمكن الوصول إليه لمن قهر نفسه. **أبو حامد الغزالي**

التوكل ليس انقطاعاً عن الأسباب بل الاعتماد على الصبر على الجوع مدّة والرضا بالموت إن تأخر الرزق نادراً وملازمة البلاد والأمصار أو ملازمة البوادي التي لا تخلو عن حشيش وما يجري مجراه، فهذه كلها أسباب البقاء ولكن مع نوع من الأذى، إذ لا يمكن الاستمرار عليه إلا بالصبر، والتوكل في الأمصار أقرب إلى

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الأسباب من التوكل في البوادي، وكل ذلك من الأسباب إلا أن الناس عدلوا إلى أسباب أظهر منها فلم يعدّوا تلك أسباباً، وذلك لضعف إيمانهم وشدّة حرصهم وقلة صبرهم على الأذى في الدنيا لأجل الآخرة واستيلاء الجبن على قلوبهم بإساءة الظن وطول الأمل. **أبو حامد الغزالي**

التوكل مقام من مقامات الدين يستعان به على التفرّغ لله تعالى؛ فما للبطال والتوكل؛ وإن كان مشتغلاً بالله ملازماً لمسجد أو بيت وهو مواظب على العلم والعبادة فالناس لا يلومونه في ترك الكسب ولا يكلفونه ذلك، بل اشتغاله بالله تعالى يقرّر حبه في قلوب الناس حتى يحملون إليه فوق كفايته، وإنما عليه أن لا يغلق الباب ولا يهرب إلى جبل من بين الناس، وما رئي إلى الآن عالم أو عابد استغرق الأوقات بالله تعالى وهو في الأمصار فمات جوعاً ولا يرى قط، بل لو أراد أن يطعم جماعة من الناس بقوله لقدر عليه، فإن من كان لله تعالى كان الله عز وجل له، ومن اشتغل بالله عز وجل ألقى الله حبه في قلوب الناس وسخر له القلوب كما سخر قلب الأم لولدها، فقد دبر الله تعالى الملك والملكوت تدبيراً كافياً لأهل الملك والملكوت. فمن شاهد هذا التدبير وثق بالمدبر واشتغل به وآمن ونظر إلى مدبر الأسباب لا إلى الأسباب. **أبو حامد الغزالي**

من له عيال فحكمه يفارق المنفرد، لأنّ المنفرد لا يصح توكله إلا بأمرين:

أحدهما: قدرته على الجوع أسبوعاً من غير استشراف وضيق نفس.

والآخر: أبواب من الإيمان ذكرناها، من جملتها: أن يطيب نفساً بالموت إن لم يأته رزقه، علماً بأنّ رزقه الموت والجوع، وهو إن كان نقصاً في الدنيا فهو زيادة في الآخرة. **أبو حامد الغزالي**

لا يجوز تكليف العيال الصبر على الجوع، ولا يمكن أن يقرّر عندهم الإيمان بالتوحيد وأنّ الموت على الجوع رزق مغبوط عليه في نفسه إن اتفق ذلك نادراً، وكذا سائر أبواب الإيمان، فإذن لا يمكنه في حقهم إلا توكل المكتسب وهو المقام الثالث، كتوكل أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه إذ خرج للكسب، فأما دخول البوادي وترك العيال توكلاً في حقهم أو القعود عن الاهتمام بأمرهم توكلاً في حقهم فهذا حرام، وقد يفضي إلى هلاكهم ويكون هو مؤاخذاً بهم، بل التحقيق أنه لا فرق بينه وبين عياله، فإنه إن ساعده العيال على الصبر على الجوع مدّة وعلى الاعتداد بالموت على الجوع رزقاً وغنيمة في الآخرة، فله أن يتوكل في حقهم ونفسه أيضاً عيال عنده، ولا يجوز له أن يضيعها إلا أن تساعده على الصبر على الجوع مدّة، فإن كان لا يطيقه ويضطرب عليه قلبه وتتشوّش عليه عبادته لم يجز له التوكل. **أبو حامد الغزالي**

من حصل له مال بإرث أو كسب أو سؤال أو سبب من الأسباب، فله في الادخار ثلاثة أحوال:

الأولى: أن يأخذ قدر حاجته في الوقت فيأكل إن كان جائعاً، ويلبس إن كان عارياً، ويشتري مسكناً مختصراً إن كان محتاجاً، ويفرق الباقي في الحال، ولا يأخذه

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ولا يدّخره إلا بالقدر الذي يدرك به من يستحقه ويحتاج إليه فيدّخره، على هذه النية، فهذا هو الوفي بموجب التوكل تحقيقاً وهي الدرجة العليا.

الحالة الثانية: المقابلة لهذه المخرجة له عن حدود التوكل: أن يدّخر لسنة فما فوقها، فهذا ليس من المتوكلين أصلاً؛ وقد قيل: لا يدّخر من الحيوانات إلا ثلاثة: الفأرة، والنملة، وابن آدم.

الحالة الثالثة: أن يدّخر لأربعين يوماً فما دونها، فهذا: هل يوجب حرمانه من المقام المحمود الموعود في الآخرة للمتوكلين؟ اختلفوا فيه: فذهب سهل إلى أنه يخرج عن حدّ التوكل. وذهب الخواص إلى أنه لا يخرج بأربعين يوماً ويخرج بما يزيد على الأربعين. وقال أبو طالب المكي: لا يخرج عن حدّ التوكل بالزيادة على الأربعين أيضاً، وهذا اختلاف لا معنى له بعد تجويز أصل الادخار. **أبو حامد الغزالي**

التحقيق أنّ التوكل بترك الادخار لا يتم إلا بقصر الأمل؛ وأما عدم آمال البقاء فيبعد اشتراطه ولو في نفس، فإنّ ذلك كالممتنع وجوده؛ أما الناس فمتفاوتون في طول الأمل وقصره، وأقل درجات الأمل يوم وليلة فما دونه من الساعات، وأقصاه ما يتصوّر أن يكون عمر الإنسان، وبينهما درجات لا حصر لها، فمن لم يؤمل أكثر من شهر أقرب إلى المقصود ممن يؤمل سنة، وتقييده بأربعين لأجل ميعاد موسى عليه السلام: بعيد؛ فإنّ تلك الواقعة ما قصد بها بيان مقدار ما رخص الأمل فيه، ولكن استحقاق موسى لنيل الموعود كان لا يتم إلا بعد أربعين يوماً لسر جرت به وبأمثاله سنة الله تعالى في تدريج الأمور، كما قال عليه السلام: «إنَّ الله خَمَّرَ طِينَةَ آدَمَ بِيَدِهِ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً» ، لأنّ استحقاق تلك الطينة التخمر كان موقوفاً على مدّة مبلغها ما ذكر، فإذن ما وراء السنة لا يدّخر له إلا بحكم ضعف القلب والركون إلى ظاهر الأسباب، فهو خارج عن مقام التوكل غير واثق بإحاطة التدبير من الوكيل الحق بخفايا الأسباب، فإنّ أسباب الدخل في الارتفاعات والزكوات تتكرّر بتكرّر السنين غالباً، ومن ادخر لأقل من سنة فله درجة بحسب قصر أمله، ومن كان أمله شهرين لم تكن درجته كدرجة من أمل شهراً ولا درجة من أمل ثلاثة أشهر، بل هو بينهما في الرتبة، ولا يمنع من الادخار إلا قصر الأمل، فالأفضل أن لا يدّخر أصلاً، وإن ضعف قلبه فكلما قل ادخاره كان فضله أكثر. **أبو حامد الغزالي**

أما بيان أن الادخار مع فراغ القلب عن المدّخر ليس من ضرورته بطلان التوكل، فيشهد له ما روي عن بشر. قال الحسين المغازلي من أصحابه: كنت عنده ضحوة من النهار، فدخل عليه رجل كهل أسمر خفيف العارضين، فقام إليه بشر، قال: وما رأيته قام لأحد غيره، قال: ودفع إلي كفاً من دراهم وقال: اشتر لنا من أطيب ما تقدر عليه من الطعام الطيب، وما قال لي قط مثل ذلك، قال: فجئت بالطعام فوضعته فأكل معه وما رأيته أكل مع غيره، قال: فأكلنا حاجتنا وبقي من الطعام شيء كثير، فأخذه الرجل وجمعه في ثوبه وحمله معه وانصرف، فعجبت من ذلك وكرهته له، فقال لي بشر: لعلك أنكرت فعله؟ قلت: نعم أخذ بقية الطعام من غير إذن، فقال: ذاك أخونا

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

فتح الموصلي زارنا اليوم من الموصل فإنما أراد أن يعلمنا أنّ التوكل إذا صح لم يضر معه الادخار. **أبو حامد الغزالي**

التوكل مقام بعد الزهد، ولا يصح الزهد إلا ممن لا يتأسف على ما فات من الدنيا ولا يفرح بما يأتي، بل يكون على العكس منه. **أبو حامد الغزالي**

الصبر على أذى الحيات والسباع والعقارب، فترك دفعها ليس من التوكل في شيء إذ لا فائدة فيه، ولا يراد السعي ولا يترك السعي لعينه بل لإعانته على الدين. **أبو حامد الغزالي**

ظهر بالمعاني التي أوردناها أن ترك التداوي قد يكون أفضل في بعض الأحوال، وأن التداوي قد يكون أفضل في بعض، وأن ذلك يختلف باختلاف الأحوال والأشخاص والنيات، وأن واحداً من الفعل والترك ليس شرطاً في التوكل إلا ترك الموهومات كالكي والرقى فإن ذلك تعمق في التدبيرات لا يليق بالمتوكلين. **أبو حامد الغزالي**

التمسك بالأسباب جرياً على سنة الله تعالى لا يناقض التوكل، فهو أيضاً لا يناقض الرضا، لأن الرضا مقام ملاصق للتوكل ويتصل به. نعم إظهار البلاء في معرض الشكوى، وإنكاره بالقلب على الله تعالى مناقض للرضا، وإظهار البلاء على سبيل الشكر والكشف عن قدرة الله تعالى لا يناقض. **أبو حامد الغزالي**

عليك بالقناعة بالنزر القليل والرضا بالقوت فإنه يأتيك لا محالة وإن فررت منه، وعند ذلك على الله أن يبعث إليك رزقك على يدي من لا تحتسب، فإن اشتغلت بالتقوى والتوكل شاهدت بالتجربة مصداق قوله تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبُ} ، الآية، إلا أنه لم يتكفل له أن يرزقه لحم الطير ولذائذ الأطعمة؛ فما ضمن إلا الرزق الذي تدوم به حياته، وهذا المضمون مبذول لكل من اشتغل بالضامن واطمأنّ إلى ضمانه؛ فإن الذي أحاط به تدبير الله من الأسباب الخفية للرزق أعظم مما ظهر للخلق، بل مداخل الرزق لا تحصى ومجاريه لا يهتدى إليها، وذلك لأن ظهوره على الأرض وسببه في السماء. قال الله تعالى: {وفي السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُون} وأسرار السماء لا يطلع عليها. **أبو حامد الغزالي**

علامة فنائك عن هواك: ترك التكسب والتعلق بالسبب في جلب النفع ودفع الضرّ. ...تكل ذلك كله إلى الله تعالى، لأنه تولاه أوّلا فيتولاه آخرا، كما كان ذلك موكولا إليه في حال كونك مغيبا في الرحم، وكونك رضيعا وطفلا في مهدك. **عبد القادر الجيلاني**

توكّل على الله حتى يكون هو معلّمك، ومؤنسك، وموضع شكواك، فإن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك. **معروف الكرخي**

المعرفة: صحّة التوكل على الله تعالى. **عمرو بن عثمان المكي**

ضمن الله تعالى للعباد الرزق، وفرض عليهم التوكل. **محمد بن على الترمذي**

استراح من أسقط من قلبه محبة الدنيا، وإذا خلا القلب من محبّة الدنيا دخله الزهد، وإذا دخله الزهد، أورثه ذلك التوكل. **أبو حمزة البغدادي البزاز**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

كفايات الفقراء هي التوكّل، وكفايات الأغنياء هي الاستناد إلى الأملاك. **إبراهيم القصار**

من أصبح وهو مستقيم في أربعة أشياء، فهو يتقلّب في رضا الله، أولها: الثقة بالله، ثمّ التوكل، ثمّ الإخلاص، ثمّ المعرفة، والأشياء كلّها تتم بالمعرفة. **حاتم الأصمّ**

سئل: أنحن مستعبدون بالكسب أم بالتوكل؟ فقال: التوكل حال رسول الله صلى الله عليه وسلم، والكسب سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإنما استن الكسب لمن ضعف عن حال التوكل، وسقط عن درجة الكمال، التي هي حاله صلى الله عليه وسلّم. فمن أطاق التوكل، فالكسب غير مباح له بحال، إلا كسب معاونة، لا كسب اعتماد عليه. ومن ضعف عن حال التوكل، التي هي حال رسول الله صلى الله عليه وسلم، أبيح له طلب المعاش والكسب، لئلا يسقط عن درجة سنته، حيث سقط عن درجة حاله. **أبو عبد الله بن سالم البصري**

من توكّل على الله، أسكن الله قلبه نور الحكمة، وكفاه كلّ همّ، وأوصله إلى كلّ محبوب، فإنه عزّ وجلّ، يقول: " ومن يتوكّل على الله فهو حسبه" الطلاق ٣. أي هو القائم له بكل كفاية. **أبو عبد الله بن سالم البصري**

المعرفة كلها: الاعتراف بالجهل، والتصوّف كلّه ترك الفضول، والزهد كلّه أخذ ما لا بدّ منه، وإسقاط ما بقي، والمعاملة كلها: استعمال الأولى فالأولى من العلم، والتوكل كلّه ترك الكنف، والرضا كلّه ترك الاعتراض، والمحبة كلها إيثار المحبوب على الكلّ، والعافية كلّها إسقاط التكلف، والصبر كلّه تلقي البلاء بالرحب، والتفويض كلّه الطمأنينة عند الموارد، واليقين كلّه ترك الشكوى عندما يضاد مرادك، والثقة بالله علمك أنه بك، وبمصالحك، أعلم منك بنفسك. **أبو سعيد بن الأعرابي**

المتوكل الّذي يرضى بحكم الله تعالى فيه. **أبو عمرو اسماعيل بن نجيد**

كان الخوّاص لا يقيم ببلد أكثر من أربعين يوماً. وكان من المتوكلين ويرى الإقامة اعتماداً على الأسباب قادحاً في التوكل. **أبو حامد الغزالي**

قال لقمان عليه السلام لابنه: يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله عز وجل، وحشوها الإيمان بالله تعالى، وشراعها التوكل على الله عز وجل، لعلك تنجو وما أراك ناجياً. **أبو حامد الغزالي**

الغنى والعز يجولان في قلب المؤمن فإذا وصلا إلى مكان التوكل أوطناه. **محمد بن علي بن الحسين**

قال له رجل: أوصني، قال: توكل على الله، حتى يكون جليسك وأنيسك وموضع شكواك، وأكثر ذكر الموت، حتى لا يكون لك جليس غيره، واعلم أن الشفاء لما نزل بك: كتمانه، وأن الناس لا ينفعونك ولا يضرونك ولا يعطونك ولا يمنعونك. **معروف الكرخي**

قال تعالى: {أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ} فطالب الكفاية من غيره. والتارك للتوكل: هو المكذب لهذه الآية. **أبو حامد الغزالي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

كل ما ذكر في القرآن من التوحيد فهو تنبيه على قطع الملاحظة عن الأغيار والتوكل على الواحد القهار. **أبو حامد الغزالي**

قرأ الخوّاص قوله تعالى: {وتَوَكَّلْ عَلَى الحيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ} إلى آخرها، فقال: ما ينبغي للعبد بعد هذه الآية أن يلجأ إلى أحد غير الله تعالى. **أبو حامد الغزالي**

قال بعضهم: متى رضيت بالله وكيلاً وجدت إلى كل خير سبيلاً. **أبو حامد الغزالي**

قال له رجل: متى أدخل حانوت التوكل وألبس رداء الزهد وأقعد مع الزاهدين؟ فقال: إذا صرت من رياضتك لنفسك في السر إلى حدّ لو قطع الله عنك الرزق ثلاثة أيام لم تضعف في نفسك، فأما ما لم تبلغ هذه الدرجة فجلوسك على بساط الزاهدين جهل، ثم لا آمن عليك أن تفتضح. **يحيـــى بن معاذ**

قال داود لسليمان عليهما السلام: يستدل على تقوى المؤمن بثلاث: حسن التوكل فيما لم ينل، وحسن الرضا فيما قد نال، وحسن الصبر فيما قد فات. **أبو حامد الغزالي**

مفتاح العبادة الفكرة. وعلامة الهوى متابعة الشهوات. وعلامة التوكل انقطاع المطامع. **ذو النون المصري**

قال أبو علي الدقاق: التوكل ثلاث درجات: التوكل، ثم التسليم، ثم التفويض، فالمتوكل يسكن إلى وعده، والمسلم يكتفي بعلمه، وصاحب التفويض يرضى بحكمه. وهذا إشارة إلى تفاوت درجات نظره بالإضافة إلى المنظور إليه. **أبو حامد الغزالي**

المتوكلون تجري أرزاقهم على أيدي العباد بلا تعب منهم وغيرهم مشغولون مكدودون. **أبو يعقوب السوسي**

لا سبب لترك التوكل إلا رغبة النفس في التنعم على الدوام ولبس الثياب الناعمة وتناول الأغذية اللطيفة، وليس ذلك من طريق الآخرة. **أبو حامد الغزالي**

ليس من التوكل الخروج عن سنة الوكيل أصلاً. **أبو حامد الغزالي**

قال الخواص بعد أن سئل عن أعجب ما رآه في أسفاره: رأيت الخضر ورضي بصحبتي ولكني فارقته خيفة أن تسكن نفسي إليه فيكون نقصاً في توكلي. **أبو حامد الغزالي**

لا تكن في توكلك منتظراً للأسباب بل لمسبب الأسباب. **أبو حامد الغزالي**

قيل لسهل: متى يصح للعبد التوكل؟ قال: إذا دخل عليه الضرر في جسمه والنقص في ماله فلم يلتفت إليه شغلاً بحاله وينظر إلى قيام الله تعالى عليه. **أبو حامد الغزالي**

قال بعض الحكماء: إنّ لله عباداً أنعم عليهم فعرفوه، وشرح صدورهم فأطاعوه، وتوكلوا عليه فسلموا الخلق والأمر إليه فصارت قلوبهم معادن لصفاء اليقين وبيوتاً للحكمة وتوابيت للعظمة وخزائن للقدرة، فهم بين الخلق مقبلون ومدبرون، وقلوبهم تجول في الملكوت وتلوذ بمحجوب الغيوم، ثم ترجع ومعها طوائف من

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

لطائف الفوائد وما لا يمكن واصفاً أن يصفه، فهم في باطن أمورهم كالديباج حسناً، وهم الظاهر مناديل، مبذولون لمن أرادهم تواضعاً. **أبو حامد الغزالي**

قال بعضهم: رأيت زرارة بن أبـي أوفى بعد موته في المنام فقلت: أي الأعمال أبلغ عندكم؟ قال: التوكل وقصر الأمل. **أبو حامد الغزالي**

روي أنّ أبا تراب النخشي نظر إلى صوفي مدّ يده إلى قشر بطيخ ليأكله بعد ثلاثة أيام، فقال له: لا يصلح لك التصوّف، الزم السوق. أي لا تصوّف إلا مع التوكل. ولا يصح التوكل إلا لمن يصبر عن الطعام أكثر من ثلاثة أيام. **أبو حامد الغزالي**

دخل جماعة على الجنيد فقال: ماذا تطلبون؟ قالوا: نطلب الرزق، فقال: إن علمتم في أي موضع هو فاطلبوه. قالوا: نسأل الله. قال: إن علمتم أنه ينساكم فذكروه، فقالوا: ندخل البـيت ونتوكل وننظر ما يكون. فقال: التوكل على التجربة شك. قالوا فما الحيلة؟ قال: ترك الحيلة. **أبو حامد الغزالي**

روي أنّ زاهداً من الزهاد فارق الأمصار وأقام في سفح جبل سبعاً وقال: لا أسأل أحداً شيئاً حتى يأتيني ربـي برزقي، فقعد سبعاً فكاد يموت ولم يأته رزق، فقال: يا رب إن أحيـيتني فائتني برزقي الذي قسمت لي وإلا فاقبضني إليك، فأوحى الله جل ذكره إليه: وعزتي لا أرزقنك حتى تدخل الأمصار وتقعد بـين الناس. فدخل المصر وقعد، فجاءه هذا بطعام وهذا بشراب، فأكل وشرب وأوجس في نفسه من ذلك، فأوحى الله تعالى إليه. أردت أن تذهب حكمتي بزهدك في الدنيا أما علمت أني أرزق عبدي بأيدي عبادي أحب إليَّ من أن أرزقه بـيد قدرتي. **أبو حامد الغزالي**

قال أبو جعفر الحداد ـــ وهو شيخ الجنيد رحمة الله عليهما وكان من المتوكلين: أخفيت التوكل عشرين سنة وما فارقت السوق: كنت أكتسب في كل يوم ديناراً ولا أبـيت منه دانقاً ولا أستريح منه إلى قيراط أدخل به الحمام، بل أخرجه كله قبل الليل. وكان الجنيد لا يتكلم في التوكل بحضرته وكان يقول: أستحي أن أتكلم في مقامه وهو حاضر عندي. **أبو حامد الغزالي**

كان بشر يعمل المغازل فتركها، وذلك لأنّ البعادي كاتبه قال: بلغني أنك استعنت على رزقك بالمغازل، أرأيت إن أخذ الله سمعك وبصرك، الرزق على من؟ فوقع ذلك في قلبه فأخرج آلة المغازل من يده وتركها. وقيل: تركها لما نوهت باسمه وقصد لأجلها. وقيل: فعل ذلك لما مات عياله، كما كان لسفيان خمسون ديناراً يتجر فيها، فلما مات عياله فرّقها. **أبو حامد الغزالي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

أولياء

عالم النبوّة: العالم الأكبر، الجامع لجميع العوالم والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، خلفاء الله في الأرض على الحقيقة، وأصحاب الهمم السماويّة، والقلوب العرشية، والأسرار الربانية، والانخلاع عن الأغيار بالكلّيّة. قادات الخلق إلى الحق. بين مراتبهم البدائيّة ومراتب الصدّيقين النهائيّة، ثلاثمائة ألف وثمانية وستون ألف مرتبة، ليس للصديقين على مراتبهم من سبيل. وبين مراتب النبيين وسيّد المخلوقين صلى الله عليه وسلّم، مراتب ودرجات، في مرتبة محبوبيّته مراتب لا تعد ولا تحد، ولا تمرّ آونة إلا وله عليه الصلاة والسلام مرتبة ترفع، ودرجة تنصب، ومقام يدنو من الله، لا تحيط به الأسرار، ولا تدرك كيفيته الأوهام والأفكار، تتميما للنعمة، وتكميلا لشرف المحبّة. وبين مراتب الصديقين البدائية، ومراتب الأولياء المقربين النهائيّة، ألف ومائة واثنان وخمسون مرتبة، فتح السبيل إليها وإلى الأولياء، ولكن لا يصلون إلى مراتبهم النهاية أبدا. وأن للقطبيّة الجامعة: ثمانية وثمانين ألفا وستة عشر مرتبة، كل مرتبة متوجهة إلى عالم من العوالم. وكلّ مراتب أولياء العصر بالنسبة إلى مرتبة القطب الجامع واقفة في الأرض، ورتبته متسنمة أبواب السماوات. وبين مراتب الأولياء البدائيّة، ومراتب صلحاء الأمّة الّذين لم يحسبوا في أعداد الأولياء، كما بين السماء والأرض. وبين مراتب الصلحاء، وعامّة الأمّة الأحمّديّة، مرتبتان: التوبة والعمل الصالح. **أحمد الرفاعي**

إذا قلت: اللهم إني أسألك برحمتك، فكأنك قلت: أسألك بولاية عبدك الشيخ منصور، وغيره من الأولياء، لأن الولاية اختصاص، "يختصّ برحمته من يشاء" ١٠٥. البقرة، ٧٤. آل عمران. فإذا: إياك وإعطاء قدرة الراحم إلى المرحوم، فإن الفعل والقوّة والحول له سبحانه، والوسيلة: رحمته التي اختص بها عبده الوليّ، فتقرب برحمته ومحبته وعنايته التي اختصّ بها خواصّ عباده إليه عند حاجتك. ووحده في كلّ فعل، فهو غيور. **أحمد الرفاعي**

الأولياء والصالحون هم المقصود من الكون وهم الذين علموا فعملوا بحقيقة العلم. **أبو الفرج ابن الجوزي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

سئل: من الوليّ؟ فقال: من يوالي أولياء الله، ويعادي أعداءه. **محمد بن أبي الورد**

سئل عن الوليّ؟ فقال: من أيّد بالكرامات وغيّب عنها. **أبو حفص النيسابوري**

الوليّ: من وادّ الله، وآمن به واتقاه. **أحمد الرفاعي**

(أولياء الله عزّ وجلّ)هم أعقل خلق الله عزّ وجلّ، لو رأيتموهم لقلتم مجانين، ولو رأوكم لقالوا ما آمن هؤلاء بيوم الدّين، قلوبهم حزينة منكسرة بين يدي الحقّ عزّ وجلّ، لا يزالون خائفين وجلين، كلّما كشف قناع جلاله وعظمته لقلوبهم ازداد خوفهم، تكاد قلوبهم تتقطع وأوصالهم تتفصل، فإذا رأى منهم ذلك فتح أبواب رحمته وجماله ولطفه والرجاء لهم فيسكن ما بهم. **عبد القادر الحيلاني**

أولياء الله عزّ وجلّ متأدّبون بين يديه، لا يتحرّكون حركة ولا يخطون خطوة إلاّ بإذن صريح منه لقلوبهم، لا يأكلون من الأشياء المباحة ولا ينكحون ولا يتصرّفون في جميع أسبابهم إلاّ بإذن صريح لقلوبهم، هم قيام مع الحقّ عزّ وجلّ، قيام مع مقلّب القلوب والأبصار. لا قرار لهم مع ربّهم عزّ وجلّ حتّى يلقوه بقلوبهم في الدنيا وبأجسادهم في الآخرة. **عبد القادر الحيلاني**

إذا استعنتم بعباد الله وأوليائه، فلا تشهدوا المعونة والإغاثة منهم، فإن ذلك شرك، ولكن اطلبوا من الله الحوائج بمحبته لهم. وفي الحديث الشريف: "ربّ أشعث أغبر ذي طمرين، مدفوع في الأبواب، لو أقسم على الله لأبرّه". **أحمد الرفاعي**

أولياء الله: صرّفهم الله في الأكوان، وقلب لهم الأعيان، وجعلهم يقولون بإذنه للشيء: كن فيكون. **أحمد الرفاعي**

لا ترغب للكرامات وخوارق العادات، فإن الأولياء يستترون من الكرامات كما تستتر المرأة من الحيض. **أحمد الرفاعي**

الولي في ستر حاله أبدا، والكون كلّه ناطق عن ولايته، والمدعي ناطق به، والكون ينكر عليه. **محمّد بن حامد الترمذي**

الأولياء منبسطون على بساط الأنس، والأولياء على درجات الكرامة. **إبراهيم القصار**

الأولياء مرتبطون بالكرامات والدرجات، والأنبياء مكشوف لهم عن حقائق الحق، فالكرامات والدرجات عندهم وحشة. **إبراهيم القصار**

سئل: بماذا يعرف الأولياء في الخلق؟ فقال: بلطف لسانهم، وحسن أخلاقهم، وبشاشة وجوههم، وسخاء أنفسهم، وقلّة اعتراضهم، وقبول عذر من اعتذر إليهم، وتمام الشفقة على جميع الخلائق، برّهم وفاجرهم. **أبو عبد الله بن سالم البصري**

ثلاث خصال من صفة الأولياء: الثقة بالله في كلّ شيء، والغنى به عن كلّ شيء، والرجوع إليه في كلّ شيء. **يحيى بن معاذ**

الأولياء لا تشبعهم الأقوات، ولكن تشبعهم الكفايات. **آمنة المرجية**

من خدم الأحرار والفتيان، أورثه ذلك عزّا عند الخلق ومهابة في أعينهم، ودلّه ذلك على رشده، وبلغه درجات الأولياء. **عمرة الفرغانية**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

أولياؤه أسراء نعمه، وأصفياؤه رهائن كرمه، وأحباؤه عبيد مننه: فهم أسراء نعم لا يطلقون، ورهائن كرم لا يفكون، وعبيد منن لا يعتقون. **يحيى بن معاذ**

من صحب نفسه صحبه العجب، ومن صحب أولياء الله وفق للوصول إلى الطريق إلى الله. **أبو عثمان النيسابوري**

وليّ الله لا يسم نفسه بسيماء، ولا يكون له اسم يتسمى به. أحمد بن خضرويه البلخي

من نظر إلى وليّ من أولياء الله تعالى، فقبله وأكرمه، أكرمه الله على رؤوس الأشهاد. **الجنيد**

الفتوّة من طباع الأحرار، واللوم (اللؤم؟) من شيم الأنذال، وما تعبّد متعبّد بأكثر من التحبب إلى أولياء الله بما يحبون. **شاه الكرماني**

محبّة أولياء الله تعالى دليل على محبّة الله عزّ وجلّ. **شاه الكرماني**

لأهل الفضل فضل ما لم يروه، فإذا رأوه فلا فضل لهم، ولأهل الولاية ولاية ما م يروها، فإذا رأوها فلا ولاية لهم. **شاه الكرماني**

إن الله تعالى عجّل لأرواح أوليائه التلذّذ بذكره، والوصول إلى قربه، وعجّل لأبدانهم النعمة بما نالوه من مصالحهم، وأجزل نصيبهم من كلّ كائن، فعيش أبدانهم عيش الجنانيين، وعيش أرواحهم عيش الربانيين، لهم لسانان: لسان في الباطن يعرفهم صنع الصانع في المصنوع، ولسان في الظاهر يعلمهم علم المخلوقين، فلسان الظاهر يكلّم أجسامهم، ولسان الباطن يناجي أرواحهم. **أبو سعيد الخرّاز**

بسط بساط المجد للأولياء، ليأنسوا به، وليرفع عنهم حشمة بديهة المشاهدة، وبساط الهيبة بسط للأعداء، ليستوحشوا من قبائح أفعالهم، فلا يشاهدوا ما يستروحون منه إليه في المشهد الأعلى. **أحمد بن أبي الورد**

إذا زاد الله في الوليّ ثلاثة أشياء، زاد منه ثلاثة أشياء: إذا زاد جاهه زاد تواضعه، وإذا زاد ماله، زاد سخاؤه، وإذا زاد عمره زاد اجتهاده. **أحمد بن أبي الورد**

إنكار ولاية الأولياء، في قلوب الجهال، من ضيق صدورهم عن المصادر، وبعد علومهم عن موارد القدرة. **محمّد بن حامد الترمذي**

الاستهانة بالأولياء من قلّة المعرفة بالله تعالى. **محمّد بن حامد الترمذي**

حسبك من الدنيا صحبة فقير، وخدمة وليّ. **إبراهيم القصار**

رفع الله قدر الوسائط بعلو هممهم. فلو أجرى على الأولياء ذرّة مما كشف للأنبياء، لبطلوا وتقطعوا. **أبو بكر الشبلي**

سئل: بما ينال العبد المحبة؟ فقال: بموالاة أولياء الله، ومعاداة أعدائه. **أبو محمّد المرتعش**

لا يعظم أقدار الأولياء، إلا من كان عظيم القدر عند الله تعالى. **أبو الحسين بن بنان**

القلوب أوعية وظروف. وكل وعاء وظرف يصلح لنوع من المحمولات: فقلوب الأولياء أوعية للمعرفة، وقلوب العارفين أوعية المحبة، وقلوب المحبين أوعية

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الشوق، وقلوب المشتاقين أوعية الأنس، ولكلّ من هذه الأحوال آداب، من لم يستعملها في أوقاتها هلك، من حيث يرجو النجاة. **أبو الحسين بن هند**

إن الله تعالى أعار بعض أخلاق أوليائه أعداءه، ليستعطف بهم على أوليائه. **أبو سعيد بن الأعرابي**

الخطرة للأنبياء، والوسوسة للأولياء، والفكرة للعوام، والعزم للفتيان. **أبو العباس السياري**

سئل: ما علامة الأولياء؟ فقال: ثلاثة: همومهم لله، وشغلهم فيه، وفرارهم إليه. **معروف الكرخي**

علامة الأولياء ثلاثة: تواضع عن رفعة، وزهد عن قدرة، وإنصاف عن قوّة. **أبو عبد الله السجزى**

آيات الأولياء وكراماتهم، رضاهم بما يسخط العوام عن مجاري المقدور. **محمّد بن عليان**

علامة الأولياء خوف الانقطاع عنه، لشدة في قلوبهم، من الايثار له والشوق إليه. **محمّد بن عليان**

من أظهر كراماته فهو مدع، ومن ظهرت عليه الكرامات فهو وليّ. **محمّد بن عليان**

كان أهل الورع من علماء الظاهر مقرّين بفضل علماء الباطن وأرباب القلوب: كان الإمام الشافعي رضي الله عنه يجلس بين يدي شيبان الراعي كما يقعد الصبي في المكتب ويسأله: كيف يفعل في كذا وكذا؟ فيقال له: مثلك يسأل هذا البدوي؟ فيقول: إنّ هذا وفق لما أغفلناه. وكان أحمد بن حنبل رضي الله عنه ويحيى بن معين يختلفان إلى معروف الكرخي ولم يكن في علم الظاهر بمنزلتهما وكانا يسألانه. **أبو حامد الغزالي**

لا يصل الوليّ إلى غاية أحد من الصديقين والصحابة. **أحمد الرفاعي**

ولي الله إذا زاد جاهه زاد تواضعه، وإذا زاد ماله زاد سخاؤه، وإذا زاد عمره زاد إجتهاده. **أحمد بن أبي الورد**

الناس على ثلاث منازل: الأولياء، وهم الّذين باطنهم أفضل من ظاهرهم، والعلماء، وهم الّذين سرّهم وعلانيتهم سواء، والجهال، وهم الّذين علانيتهم تخالف أسرارهم، لا ينصفون من أنفسهم، ويطلبون الانصاف من غيرهم. **أبو الحسن البوشنجي**

الصقوا بأولياء الله، "ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا يحزنون، الّذين آمنوا وكانوا يتقون" يونس ٦٢-٦٣. **أحمد الرفاعي**

أولياء الله هم أخصّ المخاطبين بآية: "نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة" فصلت ٣١. **أحمد الرفاعي**

عليكم بمحبتهم (أولياء الله) والتقرب إليهم، تحصل لكم بهم البركة، وكونوا معهم "اولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون" المجادلة ٢٢. **أحمد الرفاعي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

الولاية ليست بفرعونية ولا نمرودية. قال فرعون: "أنا ربكم الأعلى" النازعات ٢٤. وقال قائد الأولياء وسيّد الأنبياء: "لست بملك" نزع ثوب التعالي والإمرة الفوقية. كيف يتجرّأ على ذلك العارفون، والله تعالى يقول: "وامتازوا اليوم أيها المجرمون" يس ٥٩. **أحمد الرفاعي**

الأنبياء والأولياء انكشف لهم الأمر وفاض على صدورهم النور لا بالتعلم والدراسة والكتابة للكتب، بل بالزهد في الدنيا والتبرىء من علائقها وتفريغ القلب من شواغلها والإقبال بكنه الهمة على الله تعالى. **أبو حامد الغزالي**

العبد إذا كان راحما يستر النائم، ولا يذكر له ذلك، ويوصل الخير إلى الفقير ولا يعرفه الخبر. الله الرحمن الرحيم العظيم الكريم، ينتصر لعبده الوليّ من حيث لا يدري، يرزقه من حيث لا يحتسب، تعصمه جبال عنايته من ماء غرق الأكدار والأقدار، تدفع عنه وعن محبيه الأقدار بالأقدار، لا به، لكن له التنزلات المحكمة، ليس لها من دون الله كاشفة. **أحمد الرفاعي**

ينزل الله تعالى إلى السماء الدنيا بغير معاناة وحركة، فيكون كما هو في السماء السابعة على العرش، كذلك هو في السماء الدنيا، إنما يكشف عن عظمته ويرى أولياءه نفسه حيث شاء ويكشف ما شاء من قدرته، ومنظره في القرب والبعد سواء. **جعفر الصادق**

عظموا شأن الفقهاء والعلماء كتعظيمكم شأن الأولياء والعرفان، فإن الطريق واحد، وهؤلاء ورّاث ظاهر الشريعة، وحملة أحكامها الّذين يعلّمونها الناس، وبها يصل الواصلون إلى الله. **أحمد الرفاعي**

إياكم وإهمال حقوق العلماء، وعليكم بحسن الظن فيهم جميعا، وأما أهل التقوى منهم، العاملون بما علمهم الله، فهم الأولياء على الحقيقة، فلتكن حرمتهم عندكم محفوظة. قال عليه السلام: "من عمل بما يعلم، ورثه الله علم ما لم يعلم". **أحمد الرفاعي**

ما اتخذ الله وليّا جاهلا. ولو اتخذ لعلمه. الوليّ لا يكون جاهلا في فقه دينه، يعرف كيف يصلي، كيف يصوم، كيف يزكي، كيف يحج، كيف يذكر. تيقن علم المعاملة مع الله، فمثل هذا الرجل، وإن كان أميّا، فهو عالم، ولا يقول له جاهل إلا من جهل العلم المقصود. **أحمد الرفاعي**

الأولياء قناطر الخلق، يعبر الموافقون عليهم إلى الله تعالى. أولئك العاملون المخلصون الخالصون، استخلصهم تعالى لعبادته، وقربهم من حضرته، فما حجب قلوبهم حجاب الغين طرفة عين، أخرجوا البين من البين، أقاموا طلاسم الكتم على الأسرار، وقاموا الليل وصاموا النهار، بعضهم غلب عليه الفكر، وبعضهم غلب عليه الذكر، وبعضهم جمع شتات الأمر. **أحمد الرفاعي**

الأولياء رضي الله عنهم، يأخذون الحكمة، لا يبالون من أي لسان ظهرت، وعلى أي حجر كتبت، وبواسطة أي كافر وصلت: "ويتفكرون في خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا" آل عمران ١٩١. **أحمد الرفاعي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ألا إن الوليّ من ولّى وجهه عن النفس والشيطان والدنيا والهوى، وولى وجهه وقلبه إلى المولى، وأعرض عن الآخرة والأولى، ولم يطلب إلا الله تعالى. **أحمد الرفاعي**

علامات الوليّ أربعة: صيانة سره فيما بينه وبين الله، وحفظ جوارحه فيما بينه وبين أمر الله، واحتمال الأذى فيما بينه وبين خلق الله، ومداراته للخلق على تفاوت عقولهم. **أبو العباس بن عطاء**

هل فيكم، من إذا أراد الله أن يحدث في المملكة حدثا، أبدى علمه إلى وليه قبل إبدائه في كونه؟ فقالوا: لا، قال: مروا وابكوا على قلوب لم تجد من الله شيئا من هذا. **أبو محمد الحريري**

من لا يقدر أن يكون من أولياء الله فليكن محباً لأولياء الله مؤمناً بهم فعسى أن يحشر مع من أحب. **أبو حامد الغزالي**

قيل: أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: إني إذا أحببت عبداً ابتليته ببلايا لا تقوم لها الجبال لأنظر كيف صدقه، فإن وجدته صابراً اتخذته ولياً وحبيباً، وإن وجدته جزوعاً يشكوني إلى خلقي خذلته ولا أبالي. **أبو حامد الغزالي**

سمعت رجلا يسأل أبا يزيد فقال: دلني على عمل أتقرب به إلى ربي عز وجل؟ فقال: أحبب أولياء الله تعالى ليحبوك، فإن الله تعالى ينظر إلى قلوب أوليائه، فلعله أن ينظر إلى اسمك في قلب وليه فيغفر لك. **أبو موسى الديبلي**

كتب رضي الله عنه إلى عدي بن أرطأة: أما بعد، فإن الدنيا عدوة أولياء الله وعدوة أعداء الله فأما أولياؤه فغمتهم وأما أعداؤه فغرتهم. **عمر بن عبد العزيز**

إلهي، حتى متى تدع أولياءك تحت التراب والثرى؟ ألا تقيم القيامة حتى تنجز لهم ما وعدتهم. **حسناء بنت فيروز**

أوحى الله تعالى إلى أيوب عليه السلام: إني رضيت بالشكر مكافأة من أوليائي. **أبو حامد الغزالي**

قيل: الناس كلهم هلكى إلى العالمون، والعالمون كلهم هلكى إلا العاملون، والعاملون كلهم هلكى إلا المخلصون، والمخلصون على خطر عظيم. فإذن المغرور هالك والمخلص الفارّ من الغرور على خطر فلذلك لا يفارق الخوف والحذر قلوب أولياء الله أبداً. **أبو حامد الغزالي**

الفناء والمنى والمبتغى والمنتهى حدّ ومردّ ينتهي إليه مسير الأولياء، وهو الاستقامة التي طلبها من تقدّم من الأولياء والأبدال أن يفنوا عن إرادتهم، وتبدل بإرادة الحق عزّ وجلّ. فيريدون بإرادة الحق أبدا إلى الوفاة، فلهذا سمّوا أبدالا رضي الله عنهم. فذنوب هؤلاء السادات: أن يشركوا إرادة الحق بإرادتهم على وجه السهو والنسيان وغلبة الحال والدهشة، فيدركهم الله تعالى برحمته بالتذكرة واليقظة، فيرجعوا عن ذلك ويستغفروا ربهم، إذ لا معصوم عن الإرادة إلا الملائكة، عصموا عن الإرادة، والأنبياء عصموا عن الهوى، وبقية الخلق من الإنس والجن المكلفين لم يعصموا منهما، غير أن الأولياء بعضهم يحفظون عن الهوى، والأبدال عن الإرادة،

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

ولا يعصمون منهما، على معنى يجوز في حقهم الميل إليهما في الأحيان، ثم يتداركهم الله عزّ وجلّ باليقظة برحمته. **عبد القادر الجيلاني**

مرّ عيسى عليه السلام على طائفة من العباد قد نحلوا فقالوا: نخاف النار ونرجو الجنة فقال لهم: مخلوقاً خفتم ومخلوقاً رجوتم. ومرَّ بقوم آخرين كذلك فقالوا: نعبده حباً له وتعظيماً لجلاله فقال: أنتم أولياء الله حقاً معكم أمرت أن أقيم. **أبو حامد الغزالي**

في أخبار داود عليه السلام؛ ما لأوليائي والهمّ بالدنيا، إن الهمّ يذهب حلاوة مناجاتي من قلوبهم، يا داود إن محبتي من أوليائي أن يكونوا روحانيين لا يغتمون. **أبو حامد الغزالي**

حكي عن الخضر عليه السلام أنه قال: ما حدّثت نفسي يوماً قط أنه لم يبق ولي لله تعالى إلا عرفته إلا ورأيت في ذلك اليوم ولياً لم أعرفه. **أبو حامد الغزالي**

الصدق ثلاثة: صدق التوحيد وصدق الطاعة وصدق المعرفة. فصدق التوحيد لعامة المؤمنين قال الله تعالى: {وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ} وصدق الطاعة لأهل العلم والورع، وصدق المعرفة لأهل الولاية الذين هم أوتاد الأرض. **أبو بكر الوراق**

أتيت أبا الحسن النوري، في يوم شديد القرّ، فقلت له: أجيئك بشيء تأكله؟ قال: نعم. قلت: ما تريد؟ قال: خبز ولبن. وكان بين يديه نار يقلبها بيده.

فأكل من ذلك الخبز واللبن، ويده أسود من الرماد. فجعل اللبن يسيل على يده، ويغسل ذلك السواد عنه. فنظرت إليه، وقلت: يا ربّ، ما أقذر أوليائك! ما فيهم أحد نظيف!.

ثم خرجت من عنده، فجزت على صاحب الربع،فإذا بإمراة تعلّقت بي، وقالت: الرزمة التي كانت ههنا أخذتيها.

فحملني صاحب الربع إلى الأمير. وبلغ ذلك النوري، فأسرع في طلبي، فلما صرنا بين يدي السلطان، قال النوري: لا تتعرض لها فإنها وليّة لله. وقال: ما حيلتي ومعها من يطالبها؟.

فإذا بجارية سوداء معها الرزمة، قالت: قد وجدنا الرزمة.

فأخذ النوري بيدي، وأخرجني من عند السلطان، وقال: لم تقولين: ما أوحش أوليائك وأقذرهم؟ فقلت: تبت إلى الله تعالى من قولي هذا. **فاطمة الملقبة بزيتونة**

اجتمع قرّاء البصرة إلى ابن عباس وهو عامل بالبصرة فقالوا: لنا جار صوّام قوّام يتمنى كل واحد منا أن يكون مثله، وقد زوّج ابنته من ابن أخيه وهو فقير وليس عنده ما يجهزها به، فقام عبد الله بن عباس فأخذ بأيديهم وأدخلها داره وفتح صندوقاً فأخرج منه ست بدر فقال: احملوا، فحملوا فقال ابن عباس: ما أنصفناه أعطيناه ما يشغله عن قيامه وصيامه، ارجعوا بنا نكن أعوانه على تجهيزها فليس للدنيا من القدر ما يشغل مؤمناً عن عبادة ربه، وما بنا من الكبر ما لا نخدم أولياء الله تعالى ففعل وفعلوا. **أبو حامد الغزالي**

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

دخل على هارون فقال: يا أمير المؤمنين إنّ تواضعك في شرفك أشرف لك من شرفك، فقال: ما أحسن ما قلت فقال: يا أمير المؤمنين إنّ امرأ آتاه الله جمالاً في خلقته وموضعاً في حسبه وبسط له في ذات يده فعف في جماله وواسى من ماله وتواضع في حسبه كتب في ديوان الله من خالص أولياء الله، فدعا هارون بدواة وقرطاس وكتبه بيده. **ابن السماك**

كان لسري تلميذة، وكان لها ولد عند المعلم في الكتاب، فبعث به المعلم إلى الرحى فنزل الصبي في الماء فغرق. فجاء المعلم إلى سري فأخبره بذلك، فقال سري: قوموا بنا، فمضوا إلى أمّه، فجلس عندها، وتكلم سري في علم الصبر إلى حد ما، ثم تكلم عليها في علم الرضا، فقالت له: يا أستاذي، وأي شيء تريد بهذا؟ فقال لها: إن ابنك قد غرق. فقالت: ابني؟ قال لها: نعم. فقالت: إن ربي عز وجل ما فعل هذا. ثم عاد سري في كلامه في الصبر، فقالت: قوموا بنا، فقاموا معها حتى انتهوا إلى النهر، فقالت: أين غرق؟ فقالوا: ههنا، فصاحت: ابني محمد، فأجابها، لبيك يا أماه، فنزلت فأخذت بيده ومضت به إلى منزلها. قال غيلان: فالتفت سري إلى الجنيد، وقال: أي شيء هذا؟ فقال جنيد: أقول بمقال سري، قال: إن المرأة مراعية لما لله عز وجل عليها، وحكم من كان مراعيا لما لله عز وجل عليه، ألا تحدث حادثة حتى يعلم بذلك، فلما لم تكن حادثة تعلمها بذلك، فأنكرت وقالت: ربّي عزّ وجلّ ما فعل هذا. **غيلان صاحب السري**

قال بعض الصالحين: بينما أنا أسير في بعض جبال بيت المقدس إذ هبطت إلى واد هناك، فإذا أنا بصوت قد علا وإذا تلك الجبال تجيبه لها دوي عال فاتبعت الصوت فإذا أنا بروضة عليها شجر ملتف، وإذا أنا برجل قائم فيها يردد هذه الآية: {يَوْمَ تَجِدُ كلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَراً} إلى قوله: {وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ} قال: فجلست خلفه أسمع كلامه وهو يردد هذه الآية إذ صاح صيحة خرّ مغشياً عليه، فقلت: واأسفاه هذا لشقائي. ثم انتظرت إفاقته فأفاق بعد ساعة فسمعته وهو يقول: أعوذ بك من مقام الكذابين، أعوذ بك من أعمال البطالين، أعوذ بك من إعراض الغافلين. ثم قال: لك خشعت قلوب الخائفين وإليك فزعت آمال المقصرين ولعظمتك ذلت قلوب العارفين، ثم نفض يده فقال: ما لي وللدنيا وما للدنيا ولي؟ عليك يا دنيا بأبناء جنسك وألاف نعيمك إلى محبيك فاذهبي وإياهم فاخدعي ثم قال: أين القرون الماضية وأهل الدهور السالفة، في التراب يبلون، وعلى الزمان يفنون، فناديته: يا عبد الله أنا منذ اليوم خلفك أنتظر فراغك فقال: وكيف يفرغ من يبادر الأوقات وتبادره يخاف سبقها بالموت إلى نفسه؟ أم كيف يفرغ من ذهبت أيامه؟ وبقيت آثامه؟ ثم قال: أنت لها ولكل شدة أتوقع نزولها، ثم لها عني ساعة وقرأ: {وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ} ثم صاح صيحة أخرى أشدّ من الأولى وخرّ مغشياً عليه فقلت: قد خرجت روحه فدنوت منه فإذا هو يضطرب، ثم أفاق وهو يقول: من أنا، ما خاطري؟ هب لي إساءتي من فضلك وجللني بسترك واعف عن ذنوبي بكرم وجهك إذا وقفت بين يديك فقلت له: بالذي ترجوه لنفسك وتثق به إلا كلمتني فقال: عليك بكلام من ينفعك كلامه، ودع

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

كلام من أوبقته ذنوبه، إني لفي هذا الموضع مذ شاء الله أجاهد إبليس ويجاهدني فلم يجد عوناً علي ليخرجني مما أنا فيه غيرك؟ فإليك عني يَا مخدوع فقد عطلت عليّ لساني وميلت إليّ حديثك شعبة من قلبي وأنا أعوذ بالله من شرك، ثم أرجو أن يعيذني من سخطه ويتفضل عليَّ برحمته. قال: فقلت هذا ولي الله أخاف أن أشغله فأعاقب في موضعي هذا فانصرفت وتركته. **أبو حامد الغزالي**

قال لها رجل: هو ذا، أريد أن أحجّ، فماذا أدعو في الموسم؟ فقالت: سل الله تعالى شيئين: أن يرضى عنك، ويبلغك منزل الراضين عنه، وأن يخمل ذكرك فيما بين أوليائه. **لبابة المتعبدة**

عن بعضهم أنه قال: أقلقني الشوق إلى الخضر عليه السلام فسألت الله تعالى مرة أن يريني إياه ليعلمني شيئاً كان أهم الأشياء عليَّ، قال: فرأيته فما غلب على همي ولا همتي إلا أن قلت له: يا أبا العباس علمني شيئاً إذا قلته حجبت عن قلوب الخليقة فلم يكن لي فيها قدر ولا يعرفني أحد بصلاح ولا ديانة، فقال: قل اللهم أسبل عليَّ كثيف سترك وحط عليَّ سرادقات حجبك واجعلني في مكنون غيبك واحجبني عن قلوب خلقك، قال: ثم غاب فلم أره ولم أشتق إليه بعد ذلك، فما زلت أقول هذه الكلمات في كل يوم، فحكي أنه صار بحيث كان يستذل ويمتهن ـــ حتى كان أهل الذمة يسخرون به ويستسخرونه في الطرق يحمل الأشياء لهم لسقوطه عندهم وكان الصبيان يلعبون به ـــ فكانت راحته ركود قلبه، واستقامة حاله في ذله وخموله. فهكذا حال أولياء الله تعالى، ففي أمثال هؤلاء ينبغي أن يطلبوا، والمغرورون إنما يطلبونهم تحت المرقعات والطيالسة وفي المشهورين بين الخلق بالعلم والورع والرئاسة، وغيرة الله تعالى على أوليائه تأبى إلا إخفاءهم كما قال تعالى: أوليائي تحت قبابي لا يعرفهم غيري. وقال : «رُبَّ أَشْعَثَ أَغْبَرَ ذِي طِمْرَيْنِ لا يُؤْبَهُ لَهُ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى الله لأَبَرَّهُ». **أبو حامد الغزالي**

قال الرسول صلى الله عليه وسلم : «ارْحَمُوا ثَلاثَةً: عَالِماً بَيْنَ الجُهَّال، وَغَنِيَّ قَوْمٍ افْتَقَرَ، وَعَزِيزَ قَوْمٍ ذَلَّ»، والأنبياء مرحومون بين الأمة بهذا السبب، ومقاساتهم لقصور عقول الأمة فتنة لهم وامتحان وابتلاء من الله وبلاء موكل بهم سبق بتوكيله القضاء الأزلي، وهو المعني بقوله عليه الصلاة والسلام: «البَلاءُ مُوَكَّلٌ بِالأَنْبِيَاءِ ثُمَّ الأَوْلِيَاءِ ثُمَّ الأَمْثَل فَالأَمْثَل» فلا تظنن أن البلاء بلاء أيوب عليه السلام وهو الذي ينزل بالبدن؛ فإنّ بلاء نوح عليه السلام أيضاً من البلاء العظيم، إذ بلي بجماعة كان لا يزيدهم دعاؤه إلى الله إلا فراراً،ولذلك لما تأذى رسول الله بكلام بعض الناس قال: «رَحِمَ اللَّهُ أَخِي مُوسَى لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذا فَصَبَرَ» ، فإذن لا تخلو الأنبياء عن الابتلاء بالجاحدين، ولا تخلو الأولياء والعلماء عن الابتلاء بالجاهلين، ولذلك قلما ينفك الأولياء عن ضروب من الإيذاء وأنواع البلاء بالإخراج من البلاد والسعاية بهم إلى السلاطين والشهادة عليهم بالكفر والخروج عن الدين. **أبو حامد الغزالي**

من أنفع أسباب علاج النفس أن تطلب صحبة عبد من عباد الله مجتهد في العبادة فتلاحظ أقواله وتقتدي به. وكان بعضهم يقول: كنت إذا اعترتني فترة في العبادة نظرت إلى أحوال محمد بن واسع وإلى اجتهاده فعملت على ذلك أسبوعاً. إلا أن هذا

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

العلاج قد تعذر إذ قد فقد في هذا الزمان من يجتهد في العبادة اجتهاد الأولين، فينبغي أن يعدل من المشاهدة إلى السماع فلا شيء أنفع من سماع أحوالهم ومطالعة أخبارهم وما كانوا فيه من الجهد الجهيد، وقد انقضى تعبهم وبقي ثوابهم ونعيمهم أبد الآباد لا ينقطع، فما أعظم ملكهم وما أشدّة حسرة من لا يقتدي بهم فيمتع نفسه أياماً قلائل بشهوات مكدرة ثم يأتيه الموت ويحال بينه وبين كل ما يشتهيه أبد الآباد نعوذ بالله تعالى من ذلك. **أبو حامد الغزالي**

مهما تمرّدت نفسك عليك وامتنعت من المواظبة على العبادة فطالع أحوال هؤلاء، فإنه قد عز الآن وجود مثلهم، ولو قدرت على مشاهدة من اقتدى بهم فهو أنجع في القلب، وأبعث على الاقتداء، فليس الخبر كالمعاينة، وإذا عجزت عن هذا فلا تغفل عن سماع أحوال هؤلاء، فإن لم تكن إبل فمعزى، وخيِّر نفسك بين الاقتداء بهم والكون في زمرتهم وغمارهم وهم العقلاء والحكماء وذوو البصائر في الدين، وبين الاقتداء بالجهلة الغافلين من أهل عصرك، ولا ترض لها أن تنخرط في سلك الحمقى وتقنع بالتشبه بالأغبياء وتؤثر مخالفة العقلاء. **أبو حامد الغزالي**

الفهرست

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

في ظهر الكتاب، على الغلاف الخارجي:

وغايتنا من هذا الكتاب: أن نبيّن لمن شرح الله له صدرا، أنّ دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب، لا تعدو إلا أن تكون أفكارا ظنّيّة وهميّة خياليّة، لا ترقى إلى مقام الحقيقة والتحقق، وسوف يعاين القارئ، بالدليل والبرهان، هذا الحكم، بل إن القارئ سوف يلاحظ بالدليل أيضا أن الشيخ وشراحه، كثيرا ما يدّعون إجماع السلف حول كلامهم، والحقيقة خلاف ذلك، فلا إجماع للسلف، ولا اتفاق بين أفكارهم وأفكار السلف. وإنه كثيرا ما يستشهد المصنف بآية، فلا تجد إليها سبيلا من الشرح والفهم يوافق مقصده، فالآية في وادى، وفكرته في وادى آخر.

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)

Create PDF files without this message by purchasing novaPDF printer (http://www.novapdf.com)